

نموذج ترخيص

أنا الطالب : فؤاد محمد علي عنبر أُمِنَح الجامعة الأردنية و /
أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و /
أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية
أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

المألوث السبي

عمر هن و نقد

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي
غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأُمِنَح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو
بعض ما رخصته ليها.

اسم الطالب: فؤاد محمد علي عنبر
التوقيع: [Signature]
التاريخ: ٢٠١٤/٩/٤

الثالوث المسيحي

عرض ونقد

إعداد

فؤاد محمد علي عنيزات

المشرف

الدكتورة مروه محمود خرمه

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
العقيدة

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التاريخ ٢٠١٤/٤/٢٠

المستشار
د. محمد أبو بكر



قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها: " الثالث المسيحي عرض ونقد " ، وأجيزت بتاريخ ٢٠١٤/٨/١١ م.

مكتبة
المهتدين

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتورة مروه محمود خرمة (مشرفاً)

أستاذ مشارك - العقيدة

الدكتور عطاء الله بخيت المعاينة (عضواً)

أستاذ مشارك - العقيدة

الدكتور ابراهيم محمد بركان (عضواً)

أستاذ مشارك - العقيدة

الدكتور بهجت عبد الرزاق الحباشنة (عضواً خارجياً)

أستاذ مشارك - العقيدة، جامعة آل البيت

تحتتمد كلية الدراسات العليا
هذه التسخنة من الرسالة
التوقيع: التاريخ: ٢٠١٤/٨/١١

أ. ش. محمد بركان

الإهداء

إلى حضرة الحبيب الشفيق، الرؤوف الرحيم، الذي أنار الوجود ببعثته، وأحيا القلوب برسائله، صلوات ربي وتسليماته عليه، وإلى زوجاته الطاهرات، وصحابته الغر الميامين.

إلى من جعله ربه آية ورحمة سيدنا وحبيبنا النبي عيسى عليه وعلى أنبياء الله أفضل الصلاة وأتم السلام.

إلى الخلفاء الراشدين الهداة المهددين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن ساداتنا الصحابة أجمعين.

إلى سبطي الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلى سيدة نساء العالمين، وإلى ذريتها الطاهرين.

إلى سيدي الشيخ هود القضاة رفع الله قدره، الذي أكرمني الله وشرفني بأن كنت ممن طلب العلم على يديه الكريمتين، ولم يزل ينصحنني بإخلاص عملي لله تعالى، وإلى أولياء الله أجمعين.

إلى سيدي الحاج سالم عنيزات رفع الله قدره، الذي هداني الله على يديه، وأكرمني بصحبته، ولم يزل لي ناصحاً، وبالغيب لي داعياً.

إلى سيدي الشيخ عدلي شاهين رفع الله قدره، الذي كان يشجعني ويشد من عزيمتي.

إلى والدي الكريمين، اللذين ربياني صغيراً، ولم يفترا عن الدعاء لي كبيراً، أسأل الله تعالى أن يمد في أعمارهما، وأن يغفر ذنبيهما.

إلى زوجتي الغالية، وأولادي الأعزاء ياسين وعبدالله وفاطمة ومحمد وقنوت، الذين أسأل الله العلي العظيم أن يجعلهم صالحين مصلحين ولنبيه صلى الله عليه وسلم محبين.

إلى كل إخواني وأخواتي الذين أمدوني بالدعاء.



الشكر والتقدير

أحمد الله تعالى وأشكره بأن وفقتي في هذا العمل، ولولا رحمته وتوفيقه لما أتممت هذا البحث.

كما وأنَّ واجب العرفان يدعوني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والامتنان للدكتورة الفاضلة مروه محمود خرمه التي تفضلت بالموافقة على الإشراف على رسالتي، ولم تبخل عليَّ بوقتها وجهدها وعلمها، فأسأل الله أن يجعلها من عباده المخلصين، وأن يحشرها مع سيد المرسلين، صلوات ربي وتسليماته عليه.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للعلماء الأفاضل الذين تفضلوا بقبول مناقشة رسالتي فأثروها بعلمهم وخبرتهم، وهم: الدكتور الفاضل عطاالله المعاينة والدكتور الفاضل إبراهيم بركان والدكتور الفاضل بهجت الحباشنة، وأسأل الله تعالى أن ينفع الأمة بعلمهم، وأن يجزيهم عنا خير الجزاء.

والشكر الجزيل إلى زوجتي أم ياسين، التي سهرت معي الليل الطويل، وقامت بمساعدتي بكل ما لديها من جهود.

والشكر الجزيل لأخي الشيخ عبدالرحمن طبنجه الذي لم يزل يشجعني، ولم يبخل علي بالمراجع والكتب، وإلى كل من أعانني في هذا البحث.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	قائمة المحتويات
ز	قائمة الأشكال
ح	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٦	تمهيد (نبذه عن المسيحية)
٩	الفصل الأول: عقيدة الثالوث وأدلتها عند المسيحيين
١٩	المبحث الأول: مفهوم الثالوث ووظائفه وأهميته عند المسيحيين
١٩	المطلب الأول: مفهوم الثالوث عند المسيحيين
٣٢	المطلب الثاني: وظائف الثالوث عند المسيحيين
٤٦	المطلب الثالث: أهمية عقيدة الثالوث عند المسيحيين
٤٩	المبحث الثاني: أدلة المسيحيين من الكتاب المقدس على الثالوث
٤٩	المطلب الأول: أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح من الكتاب المقدس
٦١	المطلب الثاني: أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس من الكتاب المقدس
٦٤	المطلب الثالث: أدلة المسيحيين على وحدانية الله وتثليث أقانيمه من الكتاب المقدس
٦٩	المبحث الثالث: أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث
٨١	المبحث الرابع: أدلة المسيحيين من المجامع المسكونية على الثالوث

٨٥	الفصل الثاني: نقض الثالث المسيحي
٨٦	المبحث الأول: نقض الثالث من الكتاب المقدس
٩٠	المطلب الأول: وحدانية الله تعالى في الكتاب المقدس
٩٤	المطلب الثاني: إبطال ألوهية المسيح عليه السلام وإثبات عبوديته لله تعالى في الكتاب المقدس
١١٧	المطلب الثالث: نقض أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح عليه السلام من الكتاب المقدس
١٨٠	المطلب الرابع: إثبات كون الروح القدس ملكاً من الملائكة الكرام عليهم السلام من الكتاب المقدس
١٨٥	المطلب الخامس: نقض أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس من الكتاب المقدس
١٩١	المطلب السادس: نقض أدلة المسيحيين على وحدانية الله وتثليث أقانيمه من الكتاب المقدس
١٩٩	المبحث الثاني: نقض الثالث عقلاً
١٩٩	المطلب الأول: الأدلة العقلية على بطلان التوحيد المسيحي واستحالة الثالث
٢١٣	المطلب الثاني: نقض أدلة المسيحيين العقلية على الثالث
٢٢٢	المبحث الثالث: نقض الثالث من القرآن الكريم
٢٢٢	المطلب الأول: نقض ألوهية المسيح والروح القدس من القرآن الكريم
٢٣٢	المطلب الثاني: نقض وحدانية الله وتثليث أقانيمه من القرآن الكريم
٢٣٦	الخاتمة
٢٣٩	قائمة المصادر والمراجع
٢٤٧	الملخص باللغة الإنجليزية

ز

قائمة الأشكال

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
١	الثالوث المسيحي	٢٤

الثالوث المسيحي

عرض ونقد

إعداد

فؤاد محمد علي عنيزات

المشرف

الدكتورة مروه محمود خرمة

الملخص

تناولت هذه الدراسة الحديث عن الثالوث المسيحي- عرض ونقد، وقد قسمت الدراسة إلى فصول ومباحث ومطالب، وأهم ما جاء فيها:

الفصل الأول: تحدث فيه الباحث عن الثالوث المسيحي ومفهومه ووظائفه وأهميته عند المسيحيين، وتعرض لذكر التجسد والفداء والخطيئة الموروثة، وبيّن فيه أنّ المسيحيين يعتقدون أنّ الثالوث سر من الأسرار التي لا يمكن للعقل إدراكها، وهذا السر لا يتناقض مع العقل بل هو فوق العقل، ويعتقد المسيحيون أنّ الأب هو مصدر الأقنومين الآخرين فلولا له لما وجداء، ثم يناقضون أنفسهم بالقول بالمساواة بين الأقانيم الثلاثة، وذكر الباحث أدلتهم على الثالوث من الكتاب المقدس ومن العقل ومن المجامع المسكونية، ولم يكن لهم دليل صريح من الكتاب المقدس على الثالوث، فكل أدلتهم إشارات لا تصلح للاحتجاج على مسألة أساسية في العقيدة، أمّا أدلتهم العقلية فكانت دعاوى تحتاج إلى أدلة وبراهين، وهي في الحقيقة كلام إنشائي وليست أدلة عقلية، ويحاول المسيحيون إثبات عقيدتهم بكلام عاطفي بعيد عن منطق العقل، ولم يكن هناك أي تصريح لعقيدة الثالوث إلا في المجامع المسكونية.

أما الفصل الثاني: فقد أثبت فيه الباحث وحدانية الله تعالى في الكتاب المقدس، وقام بنقض الثالوث والرد على أدلة المسيحيين من الكتاب المقدس والعقل، واستخدم الباحث في نقض الأدلة النقلية قاعدتين متفق عليهما بين المسلمين والمسيحيين هما: وجوب كون أن تكون الأدلة صريحة، وجوب تأويل النصوص التي تتعارض مع كمال الله تعالى، وأثبت الباحث مخالفة كل النصوص التي استدلت بها المسيحيون لهاتين القاعدتين، وأنّ الثالوث محال عقلاً، وأنّه ليس فوق العقل بل هو متناقض مع العقل، وختمه بنقض الثالوث المسيحي في القرآن الكريم.

ثم كانت الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الملك الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، ليخرج الناس من ظلمات الشرك والإلحاد إلى نور التوحيد، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان، وبعد:

فقد خلق الله عز وجل الإنسان في هذه الدنيا لعبادته جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، ومن أجل هذا خلق الله تعالى للإنسان عقلاً يميز به بين الحق والباطل، ويفرق به بين الخير والشر، ولكن الله تعالى ابتلى هذا الإنسان فسلط عليه الهوى والشهوات والشيطان، ممّا جعله ينحرف عن الطريق التي يرضاها الله عز وجل له، قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم في خطبته: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا).^(٢)

لذلك بعث الله عز وجل الرسل مبشرين ومنذرين، يحذرون الناس من اتباع الهوى والشهوات والشيطان، فيأمرونهم بعبادة الله تعالى والتزام منهجه لكي يحصلوا على خير الدنيا وسعادة الآخرة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^(٣)، ومن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين بعثهم الله تعالى لعباده نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام، إذ بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل لتقويم عقيدتهم، وتصحيح إيمانهم، ولكن بني إسرائيل كذبوه ولم يستجيبوا له، بل وحاولوا قتله، إلا أن الله تعالى نجاه منهم، ورفعهم إلى السماء، ولكن بعد رفع المسيح عليه الصلاة والسلام تعرضت دعوته المباركة للتحريف، فصارت تدعو إلى التثليث لا التوحيد، وإلى عبادة الخلق لا عبادة الخالق، ومن العجيب الغريب أن الذين حرّفوا تلك الرسالة المباركة زعموا أن المسيح عليه الصلاة والسلام- الذي أفنى عمره في الدعوة إلى عبادة الله وحده- كان يدعو الناس لعبادة نفسه، والاعتقاد بألوهيته، وهؤلاء قد خالفوا دعوة المسيح عليه السلام وحرّفوها، فصارت تدعو إلى الشرك لا إلى الله الواحد الأحد، وبذلك ضلوا وأضلوا. وقد استدلل المسيحيون على عقيدتهم هذه بأدلة عقلية وعقلية، وهي لا تعدو أن تكون شبهات ألقاها

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دبط، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دبت، كتاب صفة الجنة وصفة أهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، ح ٢٨٦٥، ج ٤، ص ٢١٩٧.

(٣) البقرة: ٢١٣.

الشیطان في قلوبهم، فأخذوا يدافعون عنها ويستدلون بها، وهي في الحقيقة لا تقف أمام العقل السليم ولا أمام المنطق الصحيح، ولكن هذه الشبهات قد تلتبس على من قلّت بضاعته من العلم الشرعي، لذلك فقد وفقني الله عز وجل لكتابة هذه الرسالة لنقض عقيدتهم، وهدم أدلتهم، لتقف هذه الرسالة في وجه المبشرين الذين يستخدمون تلك الشبهات لنشر عقيدتهم الفاسدة، فلعل وعسى أن يكون دفاعنا عن وحدانية الله عز وجل ودفاعنا عن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام سبباً في نجاتنا يوم القيامة، وسبباً في رفع شأن الحق وصوته في هذه الدنيا.

وقد قام الباحث في هذه الرسالة بعرض الثالوث المسيحي وبيان مفهومه كما هو عند أصحابه، وذكر أدلتهم عليه، ثم قام الباحث بنقض تلك الأدلة والرد عليها، وقام الباحث بالرد على الأدلة النقلية من الكتاب المقدس نفسه، لا بإثبات كونه محرفاً فهو محرف لا محالة، بل بإثبات كونه بالرغم من تحريفه لا يدعو إلى عقيدة الثالوث، فكانت الحجة أدمغ، والبرهان أبلغ، وكما قيل: من فمك أدينك.

أهداف الدراسة:

تظهر أهمية الموضوع في الأمور الآتية:

- بيان مفهوم الثالوث المسيحي.
- بيان أدلة المسيحيين النقلية والعقلية على الثالوث وألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.
- بيان أدلة المسيحيين على الثالوث وألوهية المسيح وألوهية الروح القدس من المجامع المسكونية.
- بيان النصوص المقدسة الدالة على وحدانية الله عز وجل.
- بيان حقيقة المسيح عليه الصلاة والسلام في الكتاب المقدس.
- بيان حقيقة الروح القدس عليه الصلاة والسلام في الكتاب المقدس.
- بيان رد الكتاب المقدس على الثالوث.
- بيان بطلان أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث.
- بيان رد القرآن الكريم على الثالوث.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الأمور الآتية:

- إثبات أن أصل الدعوة المسيحية هو التوحيد من خلال نصوص الكتاب المقدس.
- إلقاء الضوء على عقيدة الثالوث في الدين المسيحي.
- إثبات بشرية المسيح عليه الصلاة والسلام في الكتاب المقدس.
- إثبات كون الروح القدس من الملائكة في الكتاب المقدس.
- إثبات بطلان أدلة المسيحيين من الكتاب المقدس ومن العقل على عقيدة الثالوث.

- إثبات كون المجامع المسكونية هي التي أقرت عقيدة الثالوث، لأنها أول من صرّح بها.
- إثبات اختلاف الكنائس في فهم الثالوث بسبب غموض هذه العقيدة ومناقضتها لبديهيات العقل.

مشكلة الدراسة:

- قام الباحث من خلال بحثه بالإجابة عن الأسئلة الآتية:
- ما مفهوم الثالوث ووظائفه وأهميته عند المسيحيين؟
- ما أدلة المسيحيين على الثالوث من الكتاب المقدس؟
- ما أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث؟
- ما أدلة المسيحيين من المجامع المسكونية على الثالوث؟
- ما رد الكتاب المقدس نفسه على الثالوث؟
- ما رد العقل نفسه على أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث؟
- ما رد القرآن الكريم على الثالوث؟

محددات البحث:

- استخدم الباحث ترجمة فاندريك وسميث للكتاب المقدس فإذا استخدم ترجمة أخرى أشار إلى ذلك.
- اقتصر الباحث على دراسة الفرق المسيحية المعاصرة فقط (الكاثوليكية، والأرثوذكس، والأقباط، والبروتستانت)، دون الفرق القديمة.

الدراسات السابقة:

إن أهم الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع هذا البحث:

١. عقيدة التثليث جذورها وتطورها- عرض ونقد - رسالة ماجستير- فوزية بنت محمد الحنيرشي.
قد تحدثت هذه الرسالة عن تاريخ الثالوث في الأمم التي سبقت المسيحية، وبينت كيف دخل الثالوث إلى المسيحية، وبينت موقف الفرق المسيحية من الثالوث، وكما بيّنت دور المجامع المسكونية في تحريف المسيحية، وذكرت أدلة المسيحيين على الثالوث وردت عليها بشل موجز.
أمّا هذه الرسالة فهي لم تبحث في تاريخ الثالوث، بل هي متخصصة فقط في بيان مفهومه، والرد على أدلة المسيحيين عليه.
٢. التوحيد في النصرانية وما أصابه من تحريف- رسالة ماجستير - محمد الشيخ الحاج محمد.
وقد تحدثت هذه الرسالة عن تاريخ المسيحية، ثم بيّنت الأسباب والعوامل التي تسببت في انحراف هذه الديانة من التوحيد إلى التثليث، وبيّنت أثر اليهود ورجال الكنيسة في هذا الانحراف، ثم بيّنت العقائد المسيحية وانحرافها وردت عليها.

أمّا رسالة الباحث فهي متخصصة في بيان الثالوث المسيحي، وذكر أدلة المسيحيين العقلية والعقلية ومن المجامع المسكونية عليه، والرد على هذه الأدلة، وبيان موقف القرآن من عقيدة الثالوث، ولم تبحث في تاريخ المسيحية، بل تتناول عقيدة يدعي أتباعها أنها من الكتاب المقدس، وأنها ضرورة عقلية لا بد منها لكي يكون الله متصفاً بالكمال، فبيّن فيها الباحث مدى صحة هذه الدعوى، ولا شأن للباحث من أين جاءت هذه العقيدة، وما مصدرها الحقيقي.

٣. أصول المسيحية كما يصورها القرآن- رسالة ماجستير- داود علي الفاضل.

وقد تحدثت هذه الرسالة عن أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، وقارنت بينها وبين أصول المسيحية المحرّفة، وبينت مدى التحريف الذي أصاب هذه الديانة. أمّا هذه الرسالة فقد انطلق الباحث فيها من المسيحية نفسها فبيّن مفهوم الثالوث من كتبها، وذكر الأدلة العقلية والعقلية على الثالوث، وبيّن مدى مخالفة عقيدة الثالوث للكتاب المقدس وللعقل، وبيّن أنّ عقيدة الثالوث لا يمكن أن تكون مقتبسة من الكتاب المقدس.

٤. المسيح عليه السلام بين القرآن العظيم والكتاب المقدس- رسالة ماجستير- عمر جبر سعدي.

وقد تحدثت هذه الرسالة عن النظرة القرآنية للمسيح عليه الصلاة والسلام، وعن نظرة الكتاب المقدس له وقامت بالمقارنة بينهما.

أمّا هذه الرسالة فقد تحدث فيها الباحث عن الثالوث وألوهية المسيح وألوهية الروح القدس عند المسيحيين، وذكر أدلة المسيحيين على هذه العقائد، وقام بالرد عليها من الكتاب المقدس، ومن العقل، وبيّن أنّ الكتاب المقدس يصرح بالتوحيد وببشرية المسيح عليه الصلاة والسلام ويكون الروح القدس ملك من الملائكة الكرام عليهم السلام.

مناهج البحث:

إنّ المناهج المتبعة في هذه الرسالة هي:

١. المنهج التاريخي: وذلك من خلال تتبع المجامع المسكونية التي تحدثت عن الثالوث، وأقرت هذه العقيدة.
٢. المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال استقراء نصوص القرآن الكريم ونصوص الكتاب المقدس والأدلة العقلية ذات العلاقة بالثالوث المسيحي.
٣. المنهج التحليلي: وذلك من خلال تحليل النصوص التي جمعت من المصادر المختلفة.
٤. المنهج المقارن: وذلك من خلال المقارنة بين عقيدة المسيحيين بالله والمسيح والروح القدس وبين حقيقتهم في الكتاب المقدس الذي يزعم المسيحيون أنّهم أخذوا عقيدتهم عنه، والمقارنة بين عقيدة المسيحيين في الله المسيح والروح القدس وبين حقيقتهم في القرآن الكريم.
٥. المنهج النقدي: وذلك من خلال نقد أدلة المسيحيين على الثالوث.

خطة الرسالة :

تمهيد (نبذة عن المسيحية)

الفصل الأول: عقيدة الثالوث وأدلتها عند المسيحيين

المبحث الأول: مفهوم الثالوث ووظائفه وأهميته عند المسيحيين

المبحث الثاني: أدلة المسيحيين من الكتاب المقدس على الثالوث

المبحث الثالث: أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث

المبحث الرابع: أدلة المسيحيين من المجامع المسكونية على الثالوث

الفصل الثاني: نقض الثالوث المسيحي

المبحث الأول: نقض الثالوث من الكتاب المقدس

المبحث الثاني: نقض الثالوث عقلاً

المبحث الثالث: نقض الثالوث من القرآن الكريم

ثم الخاتمة.

داعياً الله تعالى بأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، هذا وإن أصبت فمن الله تعالى وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد (نبذة عن المسيحية)

أولاً: نشأة المسيحية

تطلق المسيحية على الدين الذي يزعم أتباعه أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام أتى به منذ ما يزيد عن ألفي عام، وقد سمَّاه القرآن الكريم بالنصرانية، لكونها مشتقة من النصر، والنصر: المعونة، حيث سُمِّيَ حواربي النبي عيسى عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم بـ(أنصار الله)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۖ﴾ الصف: ١٤، أو أنَّها

مشتقة من (الناصر) وهي مدينة في فلسطين^(١) عاش فيها السيد المسيح عليه الصلاة والسلام^(٢). ورسالة المسيح عليه الصلاة والسلام في أصلها رسالة سماوية شأنها شأن سائر الرسائل السماوية الأخرى التي جاءت من أجل تصحيح عقائد الناس، ودعوتهم لعبادة الله تعالى وحده، فقد أرسل الله تعالى نبيه عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام إلى بني إسرائيل من أجل هدايتهم، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، ولكن ما إن رُفِعَ المسيح عليه الصلاة والسلام إلى السماء حتى بدأ التحريف والتبديل ينخر في جسد المسيحية على يد بولس الذي دخل إليها في ظروف غامضة، فأخذ ينشر فيها تعاليم تناقض التعاليم التي جاء بها المسيح عليه الصلاة والسلام^(٣)، لذلك فإنَّ بولس يعد المؤسس الحقيقي للمسيحية التي يؤمن بها المسيحيون اليوم^(٤)، فتحولت المسيحية من رسالة توحيدية خاصة ببني إسرائيل، إلى ديانة عالمية مليئة بالفلسفات الوثنية.

ثانياً: أهم العقائد المسيحية

لقد أدخل بولس على المسيحية عقائد بعيدة كل البعد عن التعاليم التي جاء بها المسيح عليه الصلاة والسلام، منها^(٥): عقيدة الثالوث، وعقيدة التجسد والصلب والفداء، وعقيدة الخطيئة الموروثة.

ثالثاً: تأثر المسيحية بالديانات السابقة

إنَّ العقائد التي تؤمن بها المسيحية كانت موجودة في الديانات السابقة للمسيحية، ففي الديانات الهندية القديمة نجد عقيدة التثليث التي تشبه الثالوث المسيحي، فالإله عند الهندوس ثلاثة أقانيم هي: (برهما وفشنو وسيفا)، وهذه الأقانيم الثلاثة غير منفكة عن الوحدة وهي: الرب والمخلص وسيفا،

(١) انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، ط ٥، (تحقيق يوسف الشيخ محمد)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣١١.

(٢) انظر: العمري، محمد نبيل طاهر، مقارنة أديان، ط ١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ١٩٩٨م، ص ٢٣٧.

(٣) انظر تحريف بولس للمسيحية: جينبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، د.ب.ط، (ترجمة عبدالحليم محمود)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١٠٤-١٠٦.

(٤) انظر: بريرا براون، نظرة عن قرب في المسيحية، د.ب.ط، مطبعة صدر، شركة التوحيد للنشر، ١٩٩٥م، ص ١٩.

(٥) انظر: العمري، مقارنة أديان، ص ٢٤٢.

ومجموع هذه الثلاثة الأقانيم : إله واحد، وكان اليونانيون الوثنيون القدماء أيضاً يقولون: إن الإله مثلث الأقانيم، وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون أيضاً بالتثليث، وهو: أولاً الله، ثم الكلمة، ثم الروح، والبوذيون كذلك كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم أيضاً، ويعتقدون أن بوذا إنسان وإله معاً، وأنه تجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس ويفديهم، ويبين لهم طريق الأيمان.^(١)

وإنَّ من استعرض العقائد الوثنية في الأديان التي سبقت المسيحية يجد أنها تحدثت عن الثالوث وعن تجسد الإله وموته من أجل فداء البشر^(٢)، ممَّا يشير إلى أنَّ المسيحية استمدت عقائدها من الديانات الوثنية، لا من رسالة المسيح عليه الصلاة والسلام.

رابعاً: الفرق المسيحية

انقسم المسيحيون عبر التاريخ إلى فرق شتى، كل فرقة تدعي أنها على الحق وتكفر غيرها من الفرق، وكان الخلاف بين بعض هذه الفرق في أسس العقيدة المسيحية وأصولها، ومن هذه الفرق^(٣):

١. الملكانية؛ ويقولون: إنَّ الله ثلاثة أشياء: أب وابن وروح قدس، وأنَّ المسيح: إله تام، وإنسان تام، وأنَّ الصلب والقتل وقعا على الإنسان، وأنَّ الإله لم ينله شيء من ذلك، وأنَّ مريم ولدت الإله والإنسان، وأنَّهما معاً شيء واحد ابن الله.

٢. النسطورية؛ ويقولون: مثل قول الملكانية، إلا أنَّهم يقولون: إنَّ مريم لم تلد الإله، وإنَّما ولدت الإنسان، وأنَّ الله لم يلد الإنسان وإنَّما ولد الإله.

٣. اليعقوبية؛ ويقولون: إنَّ المسيح هو الله نفسه، وأنَّ الكلمة انقلبت لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح، وإنَّ الله مات وصلب وقتل، وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وإنَّ الله عاد محدثاً، وإنَّ المحدث^(٤) عاد قديماً^(٥)، وإنَّ الله كان في بطن مريم محمولاً به.

أمَّا المسيحيون اليوم فهم يتبعون لأربع فرق رئيسية هي: الكاثوليك، والأرثوذكس، والأقباط، والبروتستانت، وتجمع هذه الفرق على التثليث والتجسد والخطيئة الموروثة والصلب والفداء، وتختلف في تحديد طبيعة المسيح عليه الصلاة والسلام، وفي انبثاق الروح القدس.^(٦)

(١) انظر: البيروتي، محمد بن طاهر، *العقائد الوثنية في الديانة النصرانية*، ط١، (تحقيق محمد الشراقوي)، دار عمران، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٥٤-٦٠، باختصار.

(٢) انظر عقيدة تجسد الإله: دانييل إ. باسوك، *المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم*، ط١، (ترجمة سعد رستم)، دار الأوائيل، دمشق، ٢٠٠٢م، ص٦.

(٣) انظر هذه الفرق: ابن حزم، علي بن أحمد الاندلسي (ت ٤٥٦هـ)، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، ط٣، ٣م، (تحقيق احمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ج١، ص٦٥.

(٤) المحدث: ما يكون مسبقاً بالعدم. انظر: الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)، *التعريفات*، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٨١.

(٥) القديم: هو الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره، وهو كون الشيء غير مسبوق بالعدم، وقيل هو: ما لا أول له ولا آخر، انظر: الجرجاني، *التعريفات*، ص١٧٢.

(٦) انظر: ميخائيل، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، دبط، مؤسسة بيتر للطباعة، القاهرة، ١٩٨١م، ج١، ص٣٥٢-٣٥٤، باختصار.

خامساً: المسيحية من منظور إسلامي

يعتقد المسلمون أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يدعو إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ

الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سَرَايِلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ﴾^(١)، ولكنَّ المسيحيين بعد المسيح عليه الصلاة والسلام حرفوا ديانتهم، وبدلوا عقيدتهم،

فصارت تدعو إلى التثليث لا التوحيد، وإلى عبادة الخلق لا عبادة الخالق، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَحِدٌ﴾^(٢)، ويعلمنا القرآن الكريم أنَّ كتاب النصارى محرف^(٣)،

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٤).

هذا وإنَّ من يبحث في المسيحية ليصل يقيناً إلى أنَّ المجامع المسكونية هي التي أقرت العقائد

المسيحية، ولا يمكن أن تكون العقائد المسيحية هي العقائد التي جاء بها المسيح عليه الصلاة والسلام،

لذلك فإنَّ القرآن الكريم قد رد عليهم، وبَيَّن بطلان عقائدهم، ودعاهم إلى كلمة الحق، قال تعالى: ﴿قُلْ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾^(٥).

والمسيحية التي يؤمن بها المسيحيون تجمع من الضلالات ما لا يعلمه إلا ربُّ الأرض

والسموات، حتى إنَّ الإنسان ليتعجب من وجود من يؤمن بمثل هذه العقيدة التي تتناقض مع بدهيات

العقل والمنطق، والله لولا أنَّي بحثت في عقيدتهم، وعرفت حقيقة قولهم، لما صدقت أنَّ أحداً يؤمن بمثل

هذه العقيدة، فإنَّ من استخدم عقله لحظة واحدة، واحترم بشريته التي ميزها الله تعالى على سائر الخلق

بالعقل والإدراك، فسوف يصل يقيناً إلى بطلان هذه العقيدة، لذلك فإنَّنا نجد تأثير هذه العقيدة على الكثير

من المسيحيين يظهر إمَّا بدخول بعضهم في الإسلام، أو بانحراف بعضهم إلى الإلحاد.

وبعد أنَّ تعرفنا إلى نشأة المسيحية وأهم عقائدها وفرقها، ونظرة الإسلام لها، وتأثير عقيدة الثالوث

على المسيحيين، سنتعرف إلى مفهوم الثالوث عند المسيحيين وأدلتهم عليه، وهذا هو موضوعنا في

الفصل الأول بإذن الله تعالى.

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) المائدة: ٧٣.

(٣) انظر أدلة تحريف الكتاب المقدس: بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ط١، (تقديم الحسيني معدي)، دار الحرم للتراث، القاهرة، ٢٠١٠م.

(٤) البقرة: ٧٩.

(٥) آل عمران: ٦٤.

الفصل الأول

عقيدة الثالوث وأدلتها عند المسيحيين

تمهيد:

إنَّ عقيدة الثالوث هي العقيدة الأساسية في المسيحية، فمن آمن بالثالوث فهو مسيحي، ومن لم يؤمن بالثالوث فهو غير مسيحي، أمَّا الإسلام فهو ينكر عقيدة الثالوث ويعدها كفرًا، وينكر ألوهية المسيح ويصرح ببشريته، ويؤكد بأنَّه نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وعبدًا من عباد الله الكرام، ولكن المسيحية نادت بعقيدة الثالوث، وآمنت بها حتى صارت عقيدتها الأساسية، فما عقيدة الثالوث؟ وما أدلة المسيحيين على هذه العقيدة؟ هذا ما سيتم بيانه في هذا الفصل حيث سيتم عرض عقيدة الثالوث وأدلة المسيحيين على هذه العقيدة، أمَّا النقض فمكانه في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

❖ صفات الإله في المسيحية:

وقبل أن نبدأ بالتعرف إلى عقيدة الثالوث عند المسيحيين لا بد أن نتعرف إلى عقيدة المسيحيين في الإله وصفاته، فالمسيحيون يعتقدون بأنَّ الإله واحد (وحدانية مغايرة لوحداية المسلمين)، واجب الوجود بذاته، متصف بصفات الكمال، وهو روح بسيط، أزلي، أبدي، قادر، عالم، جواد، لا يتغير، ولا يتبدل، يقول القس أبو البركات^(١) مبيناً عقيدة المسيحيين في الإله: "الباري تعالى واحد، بسيط، روحاني، حي، ناطق، مختار، واجب الوجود لذاته، موصوف بصفات الكمال."^(٢)

ويُعرف القمص ميخائيل مينا (الله) فيقول: "هو روح بسيط أزلي أبدي، قادر على كل شيء، عديم التغير والتحول، غير محصور في مكان، مدبر كل شيء، عليم حكيم، قدوس كامل جواد"^(٣)، وذات الله عند المسيحيين مخالفة لكل الذوات، وتعالى عن الإدراك، يقول مينا مبيناً ذلك: "اعلم أنَّ ذات الله سبحانه وتعالى مخالفة لسائر الذوات، لأنَّها تسمو على الأمثال والأشكال، وإذا كان الإنسان يعجز عن معرفة كنه نفسه فعن معرفة كنه الخالق من باب أولى."^(٤)

والله غني عن العالمين، يقول ناشد حنا: "الله كائن بذاته، غني عن غيره، لا يحتاج إلى آخر، وهو

(١) هو بارصومه بن الأسعد القبطي اليعقوبي المعروف بابن كبر، طبيب ومؤلف وكاتب وكاهن ينتسب إلى المعلقة في القاهرة، ومن أبرز علماء الأقباط في زمانه، كان كاتب السلطان بيبرس الظاهر، له عدة كتب في الديانة المسيحية، وفي الرد على اليهود والمسلمين منها: (حلا العقول في علم الأصول)، و(مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة)، توفي سنة ١٣٦٣م-٧٦٤هـ، انظر: البطوش، حسن، والرشق، علاء، معجم أعلام العرب المسيحيين في العصور الإسلامية، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، ٢٠٠٤م، ص ١٤٧. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مجلد ٦، ج ١، ص ٤١.

(٢) أبو البركات، بارصومه بن الأسعد القبطي (ت ٧٦٤هـ)، حلا العقول في علم الأصول، مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، رقم التصنيف ٧٨٦، رقم ٣ (صورة بالميكرو فيلم).

(٣) مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ١٩٣.

(٤) المرجع نفسه، ج ١، ص ١٢٢.

واجب الوجود.^(١)

ويقسم المسيحيون صفات الله إلى قسمين: الصفات الجوهرية أو صفات الكيان الإلهي وهي الصفات التي تتعلق بسمو الله على الخلق، واكتفائه الذاتي، وغناه المطلق، وعدم مشابهته للمخلوقات، والصفات العلاقية أو الصفات الأدبية، وهي الصفات التي تدل على وجود علاقة بين الله وبين ذاته، أو بين الله وبين خلقه^(٢)، وبيانها الآتي:

أولاً: الصفات الجوهرية

وهي الصفات التي تتعلق بذات الله تعالى، وبيانها الآتي:

١. **الكمال المطلق:** يعتقد المسيحيون أن الله هو وحده المتصف بكل صفات الكمال، المنزه عن صفات النقص^(٣)، وفي هذا يقول أوت: "كمال الله المطلق، الكامل الذي لا ينقصه شيء مما تقتضيه طبيعته، .. والكامل المطلق الكمال، هو الذي يجمع في ذاته كل ما يمكن تصوره من الصفات، ويخلو من كل النقائص، .. الله هو مطلق الكمال."^(٤)

ويستدل المسيحيون على كمال الله بقول المسيح لتلاميذه: (فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاوِيِّ هُوَ كَامِلٌ!)^(٥).

٢. **اللا محدودية وعدم التناهي:** يعتقد المسيحيون أن ذات الله غير محدودة بحد، وكمال صفاته غير متناه، وفي هذا يقول أوت: "الله هو بالحقيقة غير متناه في كل كمال، .. غير متناه في العقل، والإرادة، وكل كمال .. انظر المزمور (٥/١٤٧): (عَظِيمٌ هُوَ سَيِّدُنَا، وَفَائِقَةٌ هِيَ قُوَّتُهُ، وَلَا حَدَّ لِحِكْمَتِهِ)، ومزمور (٣/١٤٥): (عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ، وَلَهُ جَزِيلُ التَّسْبِيحِ، وَلَا اسْتِفْصَاءَ لِعَظَمَتِهِ)، وقد سمى الآباء الله: اللا متناهي، اللا محدود، اللا محصور، .. ونستخلص عدم تناهي الله نظرياً من معنى الكائن القائم بذاته، ولما كان الله غير معلول لعلّة غيره، ولم يكن مركباً بوجه من الوجوه، وجب أن يكون خالياً من كل سبب يحد من وجوده."^(٦)

وبما أن الله لا محدود وغير متناهي لذلك يعتقد المسيحيون أن الله منزّه عن الزمان والمكان، يقول سمعان: "الله منزّه عن الزمان والمكان، ولا يرى في ذاته على الإطلاق."^(٧)

والله يملأ كل مكان ولا يخلو منه مكان، يقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد: "الله مالى

(١) حنا، ناشد، خمس حقائق عن الله، ط٢، مكتبة الإخوة، شبرا- مصر، ١٩٩٨م، ص٢٣.
(٢) انظر: أوت، لودويغ، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ط١، (ترجمه من الألمانية إلى العربية جرجس المارديني)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، ج١، ص٤٢. شحادة، عماد، الآب والابن والروح القدس إله واحد أمين، ط١، دار منهل الحياة، دبلد، ٢٠٠٩م، ص٢١-٢٢.
(٣) هذا ما يزعمه المسيحيون وسيتبين لنا عدم تنزيههم لله تعالى عن النقص في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.
(٤) أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج١، ص٤٢.
(٥) إنجيل متى (٤٨/٥).
(٦) أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج١، ص٤٤.
(٧) سمعان، عوض، الله طرق إعلانته عن ذاته، ط١، www.call-of-hope.com، ١٩٩١م، ص٣.

السموات والأرض، يملأ كل مكان ولا يخلو منه زمان، هو حاضر في كل مكان وزمان، هو كائن بالكامل في كل مكان، ومثال تقريبي على هذا أن الشمس تدخل إلى بيتي وبيتك، وتشرق على مدينتي ومدينتك، .. ومع هذا فإنها شمس واحدة قائمة في العلاء، .. وكما أن الله غير محدود فصفاته غير محدودة، وفضائله أيضاً غير محدودة، فقدرته غير محدودة، وعلمه غير محدود، وطول أناته غير محدودة، وهلم جرا.^(١)

ويُبين شهادة أن الله في كل مكان فيقول: "الله يسمو على كل مكان (في تنزهه وعظمته)، ولكنه يملأ كل مكان (في تنازله ومعيته)، هو ليس كل شيء (كما في الحلولية)، بل هو في كل شيء، هو ليس الخليفة، كونه خالفها، لكنه موجود في الخليفة، هو غير مقيد بمكان، بل هو حال بكامله في كل مكان."^(٢) ويستدل شهادة على عدم محدودية ذات الله وصفاته فيقول: "اللا محدودية: وهي سمة لكل صفات الله، قال سليمان الحكيم واصفاً لا محدودية الله: (فإنه هل يسكن الله حقاً على الأرض؟ إن السموات وسموات السموات لا تسعك، فكيف يسعك هذا البيت الذي بنيته؟) سفر الملوك الأول (٢٧/٨)."^(٣)

٣. الروحانية والبساطة: يعتقد المسيحيون أن الله بسيط لا تركيب في ذاته ولا تقسيم ولا أجزاء، بل هو روح بسيط غير مركب، يقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد: "الله روح بسيط لا ينقسم ولا يتجزأ، الله روح بسيط لا تركيب فيه، فالشيء المركب ليس أزلياً لأنه رُكّب من أشياء قد سبقته في الوجود، .. والشيء المركب محدود بقدر الأشياء التي رُكّب منها، أما الله فهو غير محدود، .. الله روح بسيط لا أثر للمادة فيه، وبالتالي فإنه منزّه عن صفات المادة مثل: المحدودية والتحيز والتجزئة."^(٤)

ويستدل المسيحيون على روحانية الله وبساطته بقول المسيح للسامرية: (الله روح، فلذلك لا بُدّ لعابديه من أن يعبدوه بالروح وبالحق)^(٥)، ويقول بولس: (إن الرب هو الروح).^(٦)

٤. الوحدانية: يزعم المسيحيون بأنهم يعتقدون بأن الله واحد، وفي هذا يقول أوت: "وحدانية الله: لا يوجد إلا إله واحد، وأكثر قوانين الإيمان تُعلم صريحاً وحدانية الله، فقانون الإيمان النيقوي- القسطنطيني يعترف بها قائلاً: (نؤمن بإله واحد) .. ويقم الآباء وحدانية الله على كماله المطلق، وعلى وحدة نظام العالم، ويدافعون عنها ضد الوثنيين."^(٧)

(١) حتمية التثليث والتوحيد وحتمية التجسد الإلهي، دبط، (تقديم الأنبا تواضروس)، كنيسة القديسين مارمرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء، دبلد، ٢٠٠٢م، ص ١٥. وتجدر الإشارة إلى أن مؤلف هذا الكتاب غير معروف ولكن لأهميته ولاعتناء المسيحيين به فقد تم الرجوع إليه.

(٢) شهادة، الأب والابن والروح القدس إله واحد، ص ٢٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٤) حتمية التثليث والتوحيد، ص ١٤.

(٥) إنجيل يوحنا (٢٤/٤).

(٦) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (١٧/٣).

(٧) أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج ١، ص ٤٦.

ويستدل المسيحيون على وحدانية الله بأدلة عقلية ونقلية؛ أمّا الأدلة العقلية فيستدل صاحب كتاب التثليث والتوحيد بعدة أدلة منها^(١):

- أن الله غير محدود؛ وهو يملأ كل مكان وزمان، وعليه فإن فرضنا جدلاً وجود إله آخر، فأين يكون مكان وجوده؟! هل سيجد مكاناً في السماء ليسكن فيه ويباشر سلطانه؟!
 - أن الله خالق كل شيء؛ وعليه فإن فرضنا جدلاً أن هناك إلهاً آخر، فهل هذا الإله الآخر له القدرة على الخلق؟! وهل اتفق الإلهان على الخلق؟! وهل قام كل منهما بخلق جزء من العالم؟! لو كانت الإجابة بالإيجاب فلا يصح أن يكون أي منهما إله، لأن من صفات الإله الاستقلال بالذات، وعدم الاعتماد على غيره، ولو كان أحدهما فقط قام بالخلق فما الحاجة إلى الإله الآخر؟! .. إن نظام الكون ووحدته يخبرنا بأن الخالق لا بد أن يكون واحداً لا أكثر.
 - أن الله ضابط الكل ومدير كل شيء؛ فإن فرضنا جدلاً أن هناك إلهاً آخر، فأين سيديره؟! أم أنه يحتاج لمن يدير له أموره؟! ومن يقبل إلهاً يحتاج إلى من يدير أموره؟!
 - أن الله قادر على كل شيء؛ فإن فرضنا جدلاً أن هناك إلهاً آخر، فأيهما يقوى على الثاني؟! وهل سندخل في مرحلة صراع بين الآلهة؟! حقاً قال المثل الشعبي (المركب التي لها رئيسان تغرق).
- أمّا الأدلة النقلية فيستدل المسيحيون بقول موسى النبي: (الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ)^(٢)، ويقول بولس: (لَكُمْ رَبٌّ وَاحِدٌ، ... وَإِلَهُ وَابٌّ وَاحِدٌ لِلْجَمِيعِ، وَهُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ وَبِالْجَمِيعِ وَفِي الْجَمِيعِ)^(٣).
- وتجدر الإشارة هنا إلى أن وحدانية الله في المسيحية ليست كوحداية الله في الإسلام، وإلى أن الله عند المسيحيين يحل بذاته في كل مكان، وسيتم بيان ذلك في المباحث القادمة بإذن الله تعالى.
٥. السرمديّة: يعتقد المسيحيون أن الله موجود أزلاً وأبداً، فليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية، فإله أزلي أبدي، يقول أوت: "السرمدية هي دوام لا ابتداء له ولا انتهاء، لا قبل ولا بعد، .. تقول العقيدة بأن الله يملك كيانه الإلهي بدون بدء ولا نهاية، ولا تعاقب لاحق لسابق، وفي حاضر دائم غير مجزأ."^(٤)
- ويستدل المسيحيون على سرمدية الله بقول داود النبي مخاطباً الرب: (مَنْ الْأَزَلُ وَإِلَى الْأَبَدِ أَنْتَ اللَّهُ)^(٥)، ويستدلون كذلك بقول الرب مخاطباً يعقوب النبي: (أَنَا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ)^(٦).
٦. الاستقلال والاكتفاء الذاتي: يعتقد المسيحيون أن الله غني بذاته، لا يحتاج إلى أي شيء من خلقه، بل الخلق كلهم في حاجة إليه، وهو غني عنهم، يقول شحادة: "الله لا يعتمد على أي شخص أو على

(١) حتمية التثليث والتوحيد، ص ٢٧-٢٨.

(٢) سفر التثنية (٤/٦).

(٣) الرسالة إلى أهل إفسس (٦-٥/٤).

(٤) أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج ١، ص ٥٢.

(٥) مزمور (٢/٩٠).

(٦) سفر إشعياء (١٢/٤٨).

شيء، ويتباين بذلك مع خليقته المعتمدة عليه بالكلية.^(١)

ويستدل المسيحيون على الاستقلال والاكتفاء الذاتي لله بأن الله خالق الخلق وهو لا يحتاج إليهم، فقد قال بولس: (إِنَّ اللَّهَ الَّذِي صَنَعَ الْعَالَمَ وَمَا فِيهِ، وَالَّذِي هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ... لَا تَخْذُمُهُ أَيْدٍ بَشَرِيَّةً، كَمَا لَوْ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ. فَهُوَ الَّذِي يَهَبُ لِكُلِّ خَلْقٍ الْحَيَاةَ وَالنَّفْسَ وَكُلَّ شَيْءٍ)^(٢)، والمقصود هنا أَنَّ الله لا يحتاج إلى أي شيء من الجنس البشري، فكيف يحتاج إليهم وهو الذي يهبهم الحياة والوجود، ويخبرنا داود النبي أَنَّ الله كان موجوداً من قبل وجود المخلوقات: (مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوَلَّدَ الْجِبَالُ أَوْ أُبْدِئَتِ الْأَرْضُ وَالْمَسْكُونَةُ مُنْذُ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ أَنْتَ اللَّهُ)^(٣)، فوجود الله قبل المخلوقات وهو غني عنهم قبل وجودهم وبعد وجودهم.^(٤)

٧. **عدم التغيير:** يعتقد المسيحيون أَنَّ الله غير متغير لا في ذاته، ولا في صفاته، لأنَّه يتصف بالكمال غير المتناهي، يعرف جرودم هذه الصفة فيقول: "الله غير متغير في كيانه وكماله ومقاصده ووعوده"^(٥)، ويقول مينا موضعاً هذه الصفة: "إنَّه تعالى منزّه عن الأعراض، وذو كمال غير متناهٍ، لا يمكن أن يتغير ليكون أكمل ممّا هو، حيث أنَّه كامل في جوهره وصفاته، فلا يزيد ولا ينقص في جوده ورحمته وعدله وقداسته ومعرفته وحكمته وقوته، ولا يمكن أن يغلط في أحكامه وتصرفاته."^(٦)

ويستدل المسيحيون على عدم تغيير الله بقول الرب: (إِنِّي أَنَا الرَّبُّ لَا أَتَغَيَّرُ)^(٧)، ويذكر القديس يعقوب أَنَّ الله لا يتغير فيقول: (كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ هِبَةٍ كَامِلَةٍ تَنْزِلُ مِنْ فَوْقُ، مِنْ عِنْدِ أَبِي الْأَنْوَارِ. وَهُوَ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَدُورُ)^(٨).

٨. **الحياة:** يعتقد المسيحيون أَنَّ الله حي، بل هو مصدر الحياة وخالقها، وهو أولى أن يتصف بها، يقول القس أوت: "الله يملك من الحياة أسماها .. إِنَّ المجمع الفاتيكاني الأول عرّف الله على أَنَّهُ (إله حي)، وكثيراً ما يتكلم الكتاب المقدس عن الإله الحي والحياة الإلهية، .. فالحياة والكيان في الله واحد، ولمّا كان الله هو العلّة الأولى لوجود الخلائق، وجب أن يكون أيضاً العلّة الأولى لحياتها، أعمال الرسل: (إنَّه الله خَالِقُ الْكَوْنِ وَمَا فِيهِ، هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .. فَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى خِدْمَةِ النَّاسِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ. بَلْ هُوَ نَفْسُهُ يُعْطِي كُلَّ النَّاسِ الْحَيَاةَ وَالنَّفْسَ وَكُلَّ شَيْءٍ)."^(٩)

وتجدر الإشارة هنا إلى أَنَّ أدلة المسيحيين غير مصرحة بصفة الحياة.

(١) شحادة، الآب والابن والروح القدس إله واحد، ص ٢٢.

(٢) أعمال الرسل (٢٤/١٧).

(٣) مزمو (٢/٩٠).

(٤) انظر: جرودم، واين، علم اللاهوت النظامي، ط ١، (ترجمة مجموعة من اللاهوتيين العرب)، مطبوعات إيجلز، القاهرة، برنامج التعليم اللاهوتي بالامتداد، عمان، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١٣٥-١٣٦.

(٥) مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ١٣٣.

(٦) المرجع نفسه، ج ١، ص ١٣٣.

(٧) سفر الملاخي (٦/٣).

(٨) رسالة يعقوب (١٧/١).

(٩) أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج ١، ص ٥٦.

٩. العلم: يعتقد المسيحيون أن الله عالم بكل شيء، يقول القس جرودم: "يمكن أن نُعرّف علم الله كما يلي: الله يعرف ذاته بالكامل، ويعرف كل الأشياء الحقيقية والممكنة"^(١)، وعلم الله بالأشياء ينبع من لا محدوديته، ووجوده في كل مكان، يقول مينا: "بما أن الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان، وأنه يملأ الأرض والسماء، وهو كامل وغير متغير ولا محدود في جوهره، فيستلزم أنه ذو علم غير محدود، ولا متغير، .. غير أن علم الله ليس اكتسابياً بل ذاتياً طبيعياً، ولم يحصل عليه بالبحث..، وليس هو معرضاً للزيادة والنقصان، لأن كل الأشياء التي حدثت وسوف تحدث إلى ما لا نهاية هي موضوعة أمام عينيه منذ الأزل."^(٢)

ويستدل المسيحيون على علم الله بكل شيء بقول يعقوب واصفاً الرب: (مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الْأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ)^(٣)، ويقول يوحنا واصفاً الله أنه: (يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ)^(٤).

١٠. الإرادة: يعتقد المسيحيون أن الله يتصف بالإرادة، وهذه الإرادة حرة مختارة لا يقيدتها شيء، فالله يفعل ما يشاء، وإرادة الله هي السبب النهائي لكل ما يحدث في الكون، يقول جرودم: "إرادة الله هي الصفة التي بها يوافق ويعزم على فعل ما هو ضروري لوجوده وعمله، ولكل الخليقة."^(٥) ويشير مينا إلى خضوع الكون كله لإرادة الله فيقول: "إنه غير ممكن أن يحدث أمر كبيراً كان أو صغيراً في الكون إلا بأمره وإذنه وعنايته، لأن يده متداخلة ومتصرفة في كل شيء، وهو الذي يرتب كل الحوادث العالمية بحكمته السامية."^(٦)

ويعتقد المسيحيون أن إرادة الله حرة مختارة لا يقيدتها شيء، فلا يوجد شيء يمنع الله من أن يفعل ما يريد.^(٧)

ويستدل المسيحيون على إرادة الله بقول نبوخ نصر واصفاً الله: (هُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الْأَرْضِ وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟)^(٨)، ويستدلون كذلك بقول بولس عن الله: (يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِئَتِهِ)^(٩).

١١. القدرة: يعتقد المسيحيون أن الله قادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء، فكل ما يريده الله يقدر أن يفعله، يقول القس جرودم: "إن قدرة الله على كل شيء تعني أنه يستطيع أن يفعل كل مشيئته المقدسة، بينما تشير حرية الله إلى عدم وجود أي قيود خارج قرارات الله، نجد أن قدرة الله المطلقة تشير إلى قدرته

(١) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص ١٥٩.

(٢) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٤٠.

(٣) أعمال الرسل (١٨/١٥).

(٤) رسالة يوحنا الرسول الأولى (٢٠/٣).

(٥) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص ١٧٧.

(٦) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٣٨. وقوله: (إلا بأمره) فيه إشارة إلى عدم تفريقهم بين الأمر والإرادة وكأنهما شيء واحد.

(٧) انظر: جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص ١٨١.

(٨) سفر دانيال (٣٥/٤).

(٩) رسالة بولس إلى أهل إفسس (١١/١).

على فعل ما يشاء^(١)، والقدرة هي التي تنفذ كل ما يريده الله ويشاءه^(٢).

ويوضح مينا قدرة الله المطلقة وعدم حاجته إلى وسائط وأسباب لتحقيق إرادته فيقول: "قادر على كل شيء- أي كل شيء ممكن لقدرته، ولا يوجد شيء غير مستطاع عنده، إلا الذي لا يريده (كالنقائص والردائل) لأنها من أعمال الضعف، فقوة لا تُقاوم، وسلطته لا تخضع، بل يعمل حسب مشيئته ومقتضى قصده، بدون احتياج إلى وسائط ليستعين بها، لأنَّ عظمته فائقة وقوته غير محدودة، ولا يمكن أن يعارضه مانع من نفاذ أوامره وأحكامه، .. بحيث لا يستطيع إنسان كائناً من كان أن يقاوم إرادته ويغير مشورته أو يمنع يده ويقول له: ماذا تفعل؟.. وليس ذلك فحسب، بل إنَّ النواميس الطبيعية أيضاً ذات القوانين التي لا تتغير في نظر البشر لا تستطيع أن تقف حائلاً ضد إجراء مقاصده ونفاذ رغباته."^(٣)

ويستدل المسيحيون على قدرة الله المطلقة بعدة أدلة عقلية ونقلية، أمَّا الأدلة العقلية فيستدلون على قدرة الله بخلق الله لهذا الكون وإيجاده من العدم^(٤).

وأمَّا الأدلة النقلية فيستدلون بقول الرب عن نفسه: (أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ)^(٥)، ويقول يعقوب ليوسف: (اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ... بَارَكْنِي)^(٦)، وغير ذلك من الأدلة، ويستدل المسيحيون على أنَّ قدرة الله مطلقة وغير محدودة بخرقها لنواميس الطبيعة؛ فقد جاء في إنجيل لوقا أنَّ الیصابات زوجة زكريا النبي حبلت وهي عجوز عاقر^(٧).

وممَّا سبق فإنَّ الله عند المسيحيين قادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء، وهو قادر على خرق نواميس الطبيعة متى شاء، وكيفما يشاء.

هذه هي الصفات الجوهرية التي يتصف بها الله عند المسيحيين، أمَّا الصفات العلاقية أو الأدبية فيبينها الآتي:

ثانياً: الصفات العلاقية أو الأدبية

وهي الصفات التي تدل على وجود علاقة بين الله وذاته أو بين الله وخلق^(٨)، وبيانها الآتي:

١. القداسة: يعتقد المسيحيون أنَّ الله قدوس منزّه عن كل دنس ونقص وعيب في أفعاله وتصرفاته، والله لا يحب الخطيئة والإثم، يقول القمص مينا: "الله قدوس كامل، والقداسة هي استقامة الضمير وكماله، وهي ذات البرارة والنقاوة الداخلية البريئة من كل دنس، .. وهي متوقفة على مطابقة الإرادة والعقل مع الشريعة الأزلية الكائنة في ضمير الله، فالذي تكون إرادته وأفعاله تطابق الشريعة الأزلية

(١) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص ١٨١.

(٢) انظر: أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج١، ص ٦٧.

(٣) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٣٠.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ج١، ص ١٣١.

(٥) التكوين (١/١٧).

(٦) التكوين (٣/٤٨).

(٧) انظر: لوقا (١٨/١).

(٨) انظر: شحادة، الأب والابن والروح القدس إله واحد، ص ٢٤.

مطابقة كلية فهو قدوس كامل.^(١)

والفرق بين هذه الصفة وصفة الكمال: أنَّ الكمال صفة لذات الله وصفاته الجوهرية، أمَّا القداسة فهي صفة لأفعال الله وتصرفاته مع غيره.

ويستدل المسيحيون على قداسة الله بقول موسى النبي مخاطباً الرب: (مَنْ مِثْلُكَ جَلِيلاً فِي الْقُدَاسَةِ!)^(٢)، ويقول الملائكة: (قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)^(٣).

٢. **العدل**: يعتقد المسيحيون أنَّ الله عادل ولا حد لعدله، فهو وحده الذي يعطي كل ذي حق حقه، يقول القس أوت مبيناً معنى العدل واتصاف الله به: "العدل هو: العزم الثابت على إعطاء كل ذي حق حقه، .. والله هو عادل ولا حد لعدله، إنَّ الله في كل كمال غير متناه وهو كذلك في عدله."^(٤)

ويعدُّ القس أوت العدل صفة من صفات الإرادة الإلهية، أي أنَّ صفة العدل خاضعة للإرادة الإلهية، لا تخرج عن مشيئة الله، فإذا شاء عدل وحاسب، وإذا شاء رحم وعفا، فالله ليس ملزماً بالعدل وليس ملزماً بالرحمة، بل له أن يفعل ما يشاء، فله حق العفو عن المذنب التائب بدون تكفير مناسب، أو حتى بدون تكفير البتة، وله حق الانتقام والعقوبة وإقامة العدالة.^(٥)

ويستدل المسيحيون على عدل الله بقول موسى النبي واصفاً الرب: (سُبُّلُهُ جَمِيعُهَا عَدْلٌ هُوَ إِلَهُ أَمَانَةٍ لَا يَرْتَكِبُ جَوْرًا، صَدِيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ)^(٦)، ويقول داوود النبي: (اللَّهُ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ)^(٧).

إذاً فعُدل الله عند المسيحيين خاضع لإرادته، وهو ليس مجبراً عليه فإذا شاء عدل، وإذا شاء غفر. ٣. **الغضب**: يعتقد المسيحيون أنَّ الله يتصف بالغضب، فهو لا يحب الخطيئة ويغضب على فاعلها، يقول جرودم: "غضب الله يعني أنَّه يكره الخطيئة كرهاً عظيماً."^(٨)

ويعتقد المسيحيون أنَّ هذه الصفة تنبع من قداسة الله، فالغضب رد فعل لأي انتهاك لقداسة الله.^(٩) ويستدل المسيحيون على غضب الله بنصوص متعددة في الكتاب المقدس تتحدث عن غضب الله حين يخطئ شعبه، فقد غضب على بني إسرائيل حين عبدوا الأوثان، فقال الرب لموسى النبي: (وَالآنَ دَعْنِي، لِيَضْطَرِّمَ غَضَبِي عَلَيْهِمْ فَأَفْنِيَهُمْ)^(١٠).

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٤٤.

(٢) سفر الخروج (١١/١٥).

(٣) رؤيا يوحنا اللاهوتي (٨/٤).

(٤) أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج١، ص ٦٩.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ج١، ص ٦٨-٧٠.

(٦) المزمور (٧/١١).

(٧) التثنية (٤/٣).

(٨) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص ١٧١.

(٩) انظر: شحادة، الأب والابن والروح القدس إله واحد، ص ٢٥.

(١٠) الخروج (٧/٣٢).

٤. **الرحمة والجود:** يعتقد المسيحيون أنّ الله يتصف بالرحمة والجود، وقد أظهر الله جوده ورحمته في عدة أمور هي^(١):

- خلقه للكون: حيث خلق الله هذا الكون، ولم يكن الله محتاجاً إليه، ولكن بسبب جوده الكبير ورحمته العظيمة خلق هذا الكون ومنحه الوجود، وأعظم ما ظهر فيه الجود والرحمة خلق الإنسان، حيث خلقه الله على صورته ومثاله، فوهبه نفساً عاقلة، وحرية، وإرادة.
- عناية الله بالخلق: حيث خلق لهم ما يحتاجون إليه من طعام، وشراب، وسائر مقومات الحياة.
- افتدائه الجنس البشري من لعنة الخطيئة بواسطة ابنه المسيح، الذي صلب تكفيراً عن خطايا البشر.

ويعتقد المسيحيون أنّ رحمة الله ليست مظهراً لمحبة الله فقط، بل هي مظهر لعظمته وكماله وقدرته على كل شيء، يقول أوت: "ليست الرحمة في الله مظهراً لمحبه وجوده فقط، بل هي أيضاً وفي الوقت نفسه إعلان لعظمة الله وقدرته، سفر الحكمة (٢٤/١١): (لِكِنَّكَ تَرْحَمُ جَمِيعَ النَّاسِ لِأَنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَتَتَغاضَى عَنْ خَطَايَا النَّاسِ لِكَيْ يَتُوبُوا)"^(٢)، ويستدل المسيحيون على رحمة الله وجوده بقول بقول داود النبي: (الرَّبُّ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ طَوِيلُ الْأَنَاءَةِ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ)^(٣)، وبقول موسى النبي: (الرَّبُّ الرَّبُّ! الرَّبُّ! إِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَوْوْفٌ، طَوِيلُ الْأَنَاءَةِ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالْوَفَاءِ)^(٤).

ويعتقد المسيحيون أنّ صفات الله عندهم تتميز عن صفات الله في باقي الأديان بعدة ميزات؛ هي^(٥):

١. أنّ صفات الله - الجوهرية والعلاقية- كاملة دون أي نقص.
٢. أنّ صفات الله عاملة سرمدياً منذ الأزل وإلى الأبد، دون الاعتماد على ما هو خارج عن ذاته وصفاته، وحتى الصفات الأدبية أو العلاقية هي عاملة أيضاً باستقلالية عن الخليفة منذ الأزل، فالله لا يحتاج إلى الخلق من أجل إظهار صفاته أو تفعيلها.
٣. أنّ صفات الله تعالى- الجوهرية والعلاقية- منسجمة مع بعضها البعض انسجاماً كاملاً، لأن عدم انسجام أي صفة مع غيرها يعني النقص ولزوم التغيير، ويعني أنّ بعض الصفات ليست كاملة، وهذا مستحيل في حق الله، ولا توجد صفة من صفات الله تسمى على الأخرى أو تكون أقل كمالاً منها.

(١) انظر: مبنا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٤٦.

(٢) أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج١، ص ٧١.

(٣) المزمور (٨/١٠٣).

(٤) سفر الخروج (٦/٣٤).

(٥) انظر: شحادة، الأب والابن والروح والقدس إله واحد، ص ٢٧.

وخلاصة الأمر أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الله تعالى يتصف بنوعين من الصفات هما:

الصفات الجوهرية؛ وهي: التي تتعلق بكمال الله تعالى وسموه على الخلق؛ **والصفات العلاقية؛** وهي: التي تدل على وجود علاقة بين الله وذاته، أو بين الله وخلقه؛ وتمتاز الصفات الإلهية عند المسيحيين بأنها عاملة منذ الأزل، وأنَّ وحدانية الله ليست وحدانية مجردة أو مطلقة، وإنما هي وحدانية من نوع آخر تجتمع فيها التعددية مع الوحدانية بانسجام كامل منذ الأزل، فالله واحد في جوهره وذاته، مثلث في أقانيمه، ويسمَّى هذا عندهم بالتثليث، وبناءً على ذلك فقد كانت الصفات عاملة في ذات الله بين أقانيمه الثلاث منذ الأزل، فما مفهوم الثالوث؟ وكيف يصح أن يجتمع التثليث والتوحيد معاً؟ هذا ما سنتعرف إليه في المباحث الآتية- بإذن الله تعالى- بعد أن نعرفنا إلى نبذة عن صفات إله المسيحية.

المبحث الأول

مفهوم الثالوث ووظائفه وأهميته عند المسيحيين

في هذا المبحث سنتعرف على مفهوم الثالوث، وكيف جمع المسيحيون بين التوحيد والتثليث، ثم نتعرف إلى سر التجسد، والأسباب التي أوجبت، وسر الفداء، والثمرات والنتائج المترتبة على التجسد والفداء، وبيان ذلك كله في الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الثالوث عند المسيحيين

يقول القس جرودم: "يمكننا تعريف عقيدة الثالوث على النحو التالي: الله موجود سرمدياً كثلاثة أقانيم هم الآب والابن والروح القدس، وكل أقنوم هو كامل اللاهوت، وهناك إله واحد."^(١) فالمسيحيون يعتقدون بأن الله موجود في ثلاثة أقانيم هي الآب والابن والروح القدس، وهذه الثلاثة واحد، يقول المطران كيرمكسيموس^(٢): "نعتقد أن هذا الإله هو واحد في ثلاثة أقانيم، أو ثلاثة أقانيم في إله واحد، ولا نقسم الجوهر أو الطبيعة، فلا وحدة الطبيعة تبليث الأقانيم، ولا تثليث الأقانيم يقسم وحدة الطبيعة، أي أن الله ذو طبيعة واحدة إلهية، وبهذه الطبيعة ثلاثة أقانيم إلهية متميزة بعضها عن بعض تمييزاً حقيقياً، أب وابن وروح قدس."^(٣)

والأقنوم في اللغة: "الأصل، وجمعه أقانيم."^(٤)

أمّا الأقنوم في علم اللاهوت فقد اتفق علماء اللاهوت على أنها كلمة سريانية الأصل، ولكنهم اختلفوا في التعبير عن معناها على عدة أقوال؛ منها:

١. الأقنوم: "هو معنى مجموع الجوهر الواحد في الصفة المخصوصة، وهو اسم مشترك، لأنه يشار به تارة إلى الآب، وتارة إلى الابن، وتارة إلى الروح القدس."^(٥)
٢. الأقنوم: "كلمة سريانية أطلقها السريان على كل ما يتميز عن سواه بدون استقلال، وكلمة أقنوم تشير إلى كائن حي، قدير، مستقل بذاته، له مقومات الذات والشخصية، يصدر عن شخصه أقوال وأفعال تتم عن الكينونة، هو شخص يريد، ويفعل، وينسب أفعاله إلى نفسه، ويُعبر عن ذاته قائلاً: أنا أريد، أنا أفعل .. فالأقنوم هو خاصية ذاتية بدونها لا يقوم الجوهر الإلهي."^(٦)

(١) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص ١٨٩.
 (٢) هو حكيم من بطارقة الطائفة الكاثوليكية، اختير مطراناً لحلب، فبطريراً للطائفة اللكية الكاثوليكية، له اثنتا عشرة رسالة، توفي سنة ١٧٦١م - ١١٧٤هـ، انظر: كحالة، معجم المؤلفين، مجلد ٦، ج ١٢، ص ٣٢٠.
 (٣) كيرمكسيموس، رسالة في أخص التحديدات الكاثوليكية، مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، رقم التصنيف ٧٤٢، رقم ٦ (صورة بالميكروفيلم).
 (٤) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، د. ط، (تحقيق حسان عبد المنان)، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ص ١٤٦١.
 (٥) أبو البركات، بارصومه بن الأسعد القبطي (ت ٧٦٤هـ)، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، رقم التصنيف ٧٨٦، رقم ٧ (صورة بالميكروفيلم).
 (٦) حتمية التثليث والتوحيد، ص ٣٠-٣١، باختصار.

٣. الأَقْنوم: "الأَقْنوم كلمة سريانية الأصل يقابلها كلمة: HYPOSTASIS- هيپوستاسيس، وهي تتكون من مقطعين: هيپو: تحت، ستاسيس: الكيان، وهي تعني حرفياً: تحت الكيان، أو ما يقوم عليه الكيان الإلهي، فكلمة أَقْنوم تعني: خاصية أو صفة ذاتية في الله تقوم عليها الذات الإلهية، وبدونها ينعدم قيامها."^(١)

٤. الأَقْنوم: "كلمة سريانية الأصل يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه، على شرط ألا يكون ممّا شخص أو له ظل، ولذلك فإنّ المراد بكلمة (الأَقْنوم) هو نفس المراد بكلمة (التعّين)"^(٢)، والمقصود بالتعّين هنا كما يقول سمعان هو: "الوجود الواقعي الذي يتميز بمميزات تدل على أنّ له مثل هذا الوجود، ولا يشترط فيه أن يكون محدوداً أو مجسماً، بل أن يكون فقط موجوداً وجوداً حقيقياً، ولذلك فلكل موجود تعّين بأي وجه من الوجوه، وليس بلا تعّين إلا غير الموجود."^(٣)

وبناء على ما سبق فإنّ الأَقْنوم هو جوهر يتكون من مجموع الخاصية أو الصفة الإلهية مع الطبيعة الإلهية، وهو تعّين من تعّيناتها الواقعية الحقيقية، والمقصود بالجوهر هنا أي الشيء القائم بذاته^(٤)، فالذات الإلهية لها ثلاثة تعّينات هي: الآب والابن والروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، وفي هذا يقول مينا: "لا ينتج من توحيد الذات الإلهية توحيد الأَقْنيم، ولا من تثليث الأَقْنيم تثليث الذات، الذات والجوهر والطبيعة واحدة، ولكن الأَقْنيم ثلاثة؛ أي أنّ هؤلاء الأَقْنيم وإن اتحدوا جوهرًا وطبعًا وذاتًا، وصاروا واحداً، إلا أنّهم ثلاثة لا واحد، من حيث الأَقْنومية؛ فالآب ليس هو الابن، والروح القدس ليس هو الآب والابن."^(٥)

ويُسَمَّى المسيحيون هذه الأَقْنيم صفات أو خاصيات أو خواص^(٦)، أمّا عن سبب وصف الله بهذه الأوصاف فيقول أبو البركات: "وأما وصفه بالأوصاف الشرعية فامتثالاً لما ورد في الإنجيل المجيد من قوله للرسول: (إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)^(٧)، ويشيرون باسم الآب الى الجوهر الذي سموه الباري موصوفاً بصفة الوجود، وباسم الابن الى الجوهر المذكور باعتبار كونه عالماً، وباسم الروح القدس الى الجوهر المذكور من حيث كونه قادراً."^(٨)

ويقول القس سامح إبراهيم: "نؤمن أنّ الله واحد لا شريك له، ولكنّه مثلث الخاصيات الذاتية، فالله واحد في جوهره، ولكن هذا الجوهر الواحد ثلاث خاصيات ذاتية، وهي الوجود والعقل والحياة، وهذه أطلق عليها آباء الكنيسة الأوائل كلمة (أَقْنيم)، فكلمة أَقْنوم تعني خاصية ذاتية في الله تقوم عليها الذات

(١) إبراهيم، سامح، إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ط١، مطبعة توب آرت، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٤٥.

(٢) سمعان، عوض، الله ذاته ونوع وحدانيته، ط١، www.call-of-hope.com، ١٩٩١م، ص٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٥.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص٤.

(٥) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص١٦٩.

(٦) ابن المقفع، ساويرس، الدر الثمين في إيضاح الدين، دبط، شركة الطباعة المصرية، القاهرة، د.ت، ص٢٤.

(٧) متى (١٩/٢٨).

(٨) أبو البركات، حلا العقول في علم الأصول، رقم ٣ (صورة بالميكروفيلم).

الإلهية، وبدونها ينعدم قيامها." (١)

ويقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد: "الآب كائن بذاته، ناطق بابنه، حي بروحه، الابن كائن بالآب، ناطق بخاصيته، حي بالروح القدس، الروح القدس كائن بالآب، ناطق بالابن، حي بالروح القدس، .. الذي يتصور الله بدون الآب كمن يتصور الله بدون وجود، والذي يتصور الله بدون الابن كمن يتصور الله بدون عقل، والذي يتصور الله بدون الروح القدس كمن يتصور الله بدون حياة." (٢)

وعليه فإننا إذا نظرنا إلى الله على أنه موجود فهو الآب، وإذا نظرنا إلى الله على أنه ناطق وحكيم وعالم وعاقِل سُمي الابن، وإذا نظرنا إلى الله على أنه حي وقادر سُمي الروح القدس، وفي هذا يقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد: "فالآب الجوهر الإلهي من حيث الوجود، والابن هو ذات الجوهر من حيث النطق والحياة والحكمة، والروح القدس هو ذات الجوهر من حيث الحياة، إذاً الأقنوم الإلهي هو الجوهر الإلهي بالإضافة إلى خاصيته." (٣)

ولكن كيف تجتمع الوجدانية مع التثليث دون وجود تركيب في ذات الله؟ يجيب سمعان قائلاً: "لو أن أساس الجامعة والشمول في الله (٤)، يختلف عن أساس هذه الوجدانية فيه، لا يكون هناك مجال للاعتراض على الإطلاق، ولإيضاح ذلك نقول: إذا وصف الإنسان مثلاً بأنه واحد وثلاث، فإن هذا الوصف يبدو لأول وهلة متعارضاً مع الحقيقة..، لكن إذا تبين لنا أنه يقصد بهذا الوصف أن الإنسان واحد من جهة المظهر، وثلاثة من جهة الجوهر، فإن الشك في صحة هذا الوصف يزول من أماننا، لأننا نعلم أن الإنسان واحد في مظهره، وفي الوقت نفسه هو في جوهره مكوّن من ثلاثة عناصر متكاملة: هي الجسد والنفس والروح، وعلى هذا القياس، مع مراعاة الفارق الذي لا حد له بين الوجدانية الإلهية والوجدانية البشرية، لأنّ الأولى غير مركبة وغير محددة، أمّا الثانية فمركبة ومحدودة، نقول: بما أن الله جوهر .. وبما أن هذا الجوهر وإن كان لا متناهيًا له تعيّن خاص به، إذن يكون الله واحداً من جهة، وجامعاً أو شاملاً من جهة أخرى، دون أن يكون هناك أي تعارض أو تناقض في ذاته." (٥)

وعليه فإنّ الذات الإلهية واحدة من وجه، ومتعددة من وجه آخر، فمن أي وجه تكون واحدة ومن أي وجه تكون متعددة؟ يجيبنا القس سمعان فيقول: "لا شك في أنه واحد من جهة الجوهر، لأنّه إن لم يكن واحداً من هذه الجهة، كان مركباً وقابلاً للتجزئة، والحال أنّه ليس مركباً أو قابلاً للتجزئة، ويكون جامعاً من جهة التعيّن، لأنّ وجود صفاته بالفعل منذ الأزل الذي لا بدء له يدل بوضوح على أنّه جامع من هذه الجهة، وجوهر الله الذي لا تركيب فيه، والجامع في تعيّن لكل ما هو لازم لكماله، واستغنائه

(١) إبراهيم، إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٤٥.

(٢) حتمية التثليث والتوحيد، ص ١٣٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٢.

(٤) يقصد بالجامعة والشمول: تعدد الأقانيم الإلهية (الثالوث).

(٥) سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٥.

بذاته عن كل شيء في الوجود، ليس طبعاً سوى عين ذاته، لأنه لا تركيب فيه كما قلنا.^(١)

إذاً فذات الله واحدة في الجوهر، متعددة في التعيّنات أو الأقانيم، وذلك لأنّ عمل الصفات الإلهية أزلاً يتطلب وجود عدة أقانيم إلهية أزلية لكي تتفاعل هذه الصفات فيما بين هذه الأقانيم أزلاً، وبذلك جمع المسيحيّون بين وحدانية الذات، وفاعلية الصفات أزلاً، فكمال الله المطلق وعدم وجود تركيب في ذات الله يتطلب الوجدانية، وعمل الصفات أزلاً يتطلب تعدد الأقانيم- وسوف يشير الباحث إلى أدلة وجوب عمل الصفات أزلاً عند المسيحيّين في المباحث القادمة بإذن الله تعالى-، ويوضح القس سمعان الأمر فيقول: "مما تقدم يتضح لنا ما يأتي:

١. بما أنّه لا يُراد بوجدانية الله الجامعة، أنّه واحد في تعيّنه، وجامع أيضاً في تعيّنه، بل بالعكس يُراد بها أنّه واحد في جوهره وجامع في تعيّنه، إذن ليس هناك أي تناقض في القول إنّ وحدانية الله هي وحدانية جامعة مانعة.

٢. بما أنّه لا يُراد بوجدانية الله الجامعة، أنّه جامع في جوهره، وواحد في تعيّنه، بل بالعكس يُراد بها أنّه واحد في جوهره، وجامع في تعيّنه، إذن لا سبيل للظن بأنّها تتم عن وجود أي تركيب في ذاته.

٣. وبما أنّه لا يُراد بجامعية تعيّنه، ذاته وغيرها من الذوات، بل لا يُراد بها ذاته وحدها، إذن لا سبيل للظن بأنّ هذه الوجدانية تتم عن وجود أي شريك له، وبذلك فإنّ وحدانية الله الجامعة لا تتعارض مع وحدانيته، أو عدم وجود تركيب فيه، أو عدم وجود شريك له، بل تتوافق مع هذه الحقائق.^(٢)

ولكن هل هذا يعني أن مجموع هذه الأقانيم هو الله؟ فيكون: الآب + الابن + الروح القدس = الله، عندها يقع المسيحيّون في التركيب والتقسيم والتجزئة، وهو الشيء الذي يرفضه المسيحيّون أشدّ الرفض، وينكرونه أشدّ الإنكار.

فكيف يكون الثلاثة واحداً؟! علماً بأنّ بدهيات العقل وقوانين الحساب تقول أنّ: $1+1+1=3$ ، وليس واحداً، يقول البابا شنودة مجيباً على ذلك: "فإن قال أحد: كيف يكون الثلاثة واحداً؟ أليس الحساب يقول إنّ $1+1+1=3$ وليس واحداً، نقول: ولكن $1 \times 1 \times 1 = 1$ ؛ وليس ثلاثة، فالابن مثلاً يقول: .. (أنا والآب واحد) يوحنا (٣٠/١٠)."^(٣)

فليس مجموع الأقانيم الثلاثة هو الله، ولكن هل هذا يعني وجود ثلاثة آلهة؟ هذا الأمر أيضاً يرفضه المسيحيّون أشدّ الرفض، وينكرونه أشدّ الإنكار، فهم يعتقدون- كما يزعمون وكما بيّنا سابقاً- أنّ الله واحد لا شريك له ولا نظير، لذلك فإنّ القول بأنّ الله واحد لا شريك له، وأنّه ثلاثة أقانيم في الوقت نفسه لا تعارض بينهما عند المسيحيّين، لأنّ الوجدانية كانت من حيث الجوهر، والتثليث كان من حيث الأَقنوم، يقول مينا: "ومن ثمّ كان قولنا عن الله أنّه واحد .. لا ينفي القول بوجود أقانيم فيه، لأنّ الثلاثة

(١) المرجع نفسه، ص ٥.

(٢) سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٥.

(٣) البابا شنودة الثالث، قانون الإيمان، ط ١، مكتبة الأنبا رويس الأوقست، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٣.

أقانيم ليسوا ثلاثة آلهة متفاوتة متباعدة بل إلهاً واحداً، نعم لو قلنا أن الله واحد، وأنه ثلاثة آلهة لكان في ذلك تناقض، ولكننا لم نقل هكذا مطلقاً، بل نقول أنه واحد في الجوهر، وثلاثة في الأقانيم.^(١)

ولكن هل هذا يعني أن الآب هو الابن أو أن الابن هو الروح القدس؟ هذا أيضاً يرفضه المسيحيون أشد الرفض، وينكرونه أشد الإنكار، فالأقانيم الثلاثة متحدة جوهرًا متميزة أقنومًا، فليس الآب هو الابن، وليس الابن هو الروح القدس، وليس الروح القدس هو الآب، ويلخص لنا جرودم عقيدة الثالوث فيقول:

١. "الله ثلاثة أقانيم: نعني حقيقة كون الله ثلاثة أقانيم أن الآب ليس هو الابن، فهما أقنومان متميزان، كما نعني أن الآب ليس هو الروح القدس فهما أقنومان متميزان كذلك..."
٢. كل أقنوم هو الله: فضلاً عن أن الأقانيم الثلاثة متميزون، فإن الكتاب المقدس حافل بالشهادة على أن كل أقنوم هو الله أيضاً... فمن الواضح أن الله الآب هو الله... والابن هو الله... والروح القدس أيضاً هو الله.

٣. يوجد إله واحد: الكتاب المقدس واضح تماماً في تعليمه أن هناك إلهاً واحداً لا غير، فأقانيم الثالوث واحد ليس في القصد والاتفاق حول ما يفكرون به، ولكنهم أيضاً واحد في الجوهر..، وبكلمات أخرى فإن الله كينونة واحدة فقط، فلا يوجد ثلاثة آلهة بل يوجد إله واحد.^(٢)
ويوضح شحادة الثالوث فيقول: "يمكن توضيح الصورة للثالوث بالرسم التالي وينبغي ملاحظة ما يلي:

١. الآب هو الله، الابن هو الله، والروح القدس هو الله، يجب ملاحظة علامة التعادل (=).
٢. الآب ليس الابن وليس الروح القدس، فهناك تمييز بين الأقانيم، تمت الإشارة لذلك بسهم ذو رأسين (↔) بين الأقانيم.

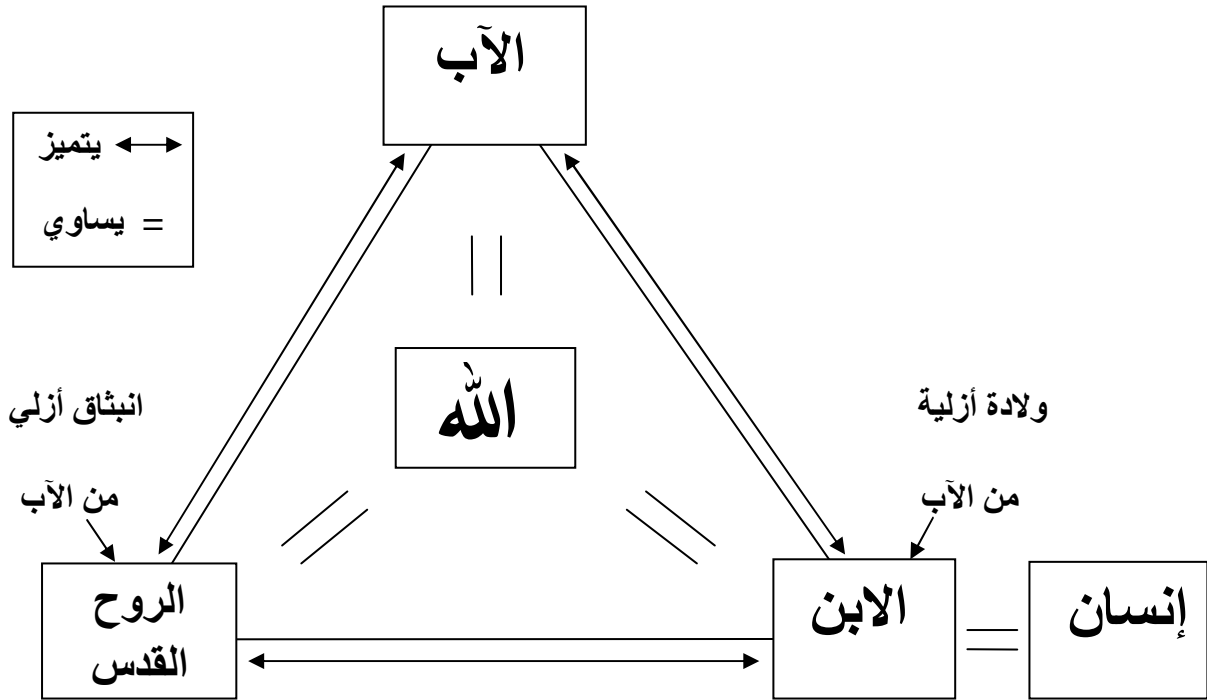
٣. الابن هو إنسان، فكما أن له طبيعة إلهية، له أيضاً طبيعة بشرية، أشير لذلك بعلامة (=).^(٣)

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٧١.

(٢) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص ١٩٣-١٩٩، باختصار.

(٣) شحادة، الآب والابن والروح القدس، ص ٥٥.

الشكل رقم (٣) الثالوث المسيحي^(١)



ومن الجدير بالذكر أنَّ المسيحيين يقرُّون بأنَّ هذه العقيدة فوق العقل والإدراك، وأنَّ الإنسان مهما فكَّر فيها فلا يمكن له أن يفهمها على حقيقتها، لأنَّ الإنسان بعقله المحدود لا يمكن أن يدرك حقيقة ذات الله اللا محدود، لذلك فهم يسمُّون هذه العقيدة سر التثليث، ويؤمنون بأنَّ هذا السر جاء في الكتاب المقدس، وليس للعقل إلا أن يسلم لما جاء في الكتاب المقدس، ويعتقدون أنَّ عدم إدراكنا لهذا السر ليس لأنَّه باطل أو مستحيل بل لضعف العقل الإنساني، فالعقل عاجز عن إدراك نفسه، وهو عاجز عن إدراك ربه وخالقه من باب أولى، وعدم إدراكنا لهذا السر لا يعني بطلانه أو عدم وجوده، ويوضح القس سمعان ذلك فيقول: "إنَّ أمام القول بأنَّ وحدانية الله هي وحدانية جامعة مانعة^(٢)، لا يجد العقل مجالاً للاعتراض، وإن اعترض بشيء فلا يمكن أن يقول سوى إنَّ هذا الموضوع يسمو فوق إدراكه، ونحن من جانبنا نوافق على حكمه هذا كل الموافقة، لأنَّ الله عجيب في ذاته ولا يمكن الإحاطة به إطلاقاً، ومع كُُلِّ، فإنَّه وإن كان يسمو فوق إدراك العقل إلا أنَّه ليس ضده، وهناك فرق كبير بين الأمور التي تسمو فوق العقل وتلك التي لا تتفق معه، .. فمثلاً إذا قلنا أنَّ الله يحب الأشرار لا يكون ضد العقل بل يكون أسمى من إدراكه، لأنَّ الأشرار وإن كانوا (حسب عقولنا) لا يستحقون محبة من الله، إلا أنَّه تعالى لكماله

(١) شحادة، الآب والابن والروح القدس، ص ٥٦.

(٢) يقصد بالوحدانية الجامعة المانعة: أنَّ الله واحد في الجوهر مثلث في الأقانيم.

التام لا يمكن أن يكرههم لأنهم خليقته، والخالق يحب خليقته؛ ولذلك من البديهي^(١) أنه يحبهم ويهني لهم سبيل الرجوع إليه ..، أما إذا قلنا إنَّ الله يحب الخطيئة فلا يكون ذلك أسمى من إدراك العقل، بل يكون ضده، لأنَّ الله لم يخلق الخطيئة، ولأنَّ الخطيئة تتعارض مع كماله كل التعارض.^(٢)

ويعتقد المسيحيون أنَّ العقل لو أدرك حقيقة الثالوث لأدرك حقيقة الله، ولصار الله شيئاً مدركاً كغيره من الأشياء المدركة، وهذا مستحيل، وفي هذا يقول القس فاندري: "إنَّ التثليث ليس خطأ بل هو سر عجيب، ويجب أن ننتظر أسراراً كثيرة في الكتب المقدسة، وخصوصاً ما يتعلق بجوهر الله، إذ لو خلت حقيقة الله من الأسرار لأدركتها العقول البشرية كما تدرك سائر الأشياء المحدودة، وهذا محال^(٣)، لأنَّ السر هو ألا تعرف كيف يكون ذلك الشيء، مع أنَّك عارف أنه كائن، .. والعالم مملوء من الأسرار، والإنسان سر في نفسه، فإنه لا يقدر أن يعرف كيف تسكن روحه في جسده، فهل تؤخذ هذه البراهين على بطلان الحقائق ..، والكتاب المقدس أحق وأولى بأن يتضمن أسراراً غامضة ..، فهل من الصواب والحكمة أن نرفض كتاب الله لاشتماله على مسائل تفوق عقولنا."^(٤)

وينقل لنا القس أغناطيوس النجار قصة عن القديس أغسطينوس^(٥) يُبين لنا فيها استحالة إدراك عقيدة الثالوث فيقول: "يروى التاريخ أنَّ القديس أغسطينوس خرج يوماً يتفحس ويتأمل على شاطئ البحر، ويفكر في طريقة لشرح عقيدة الثالوث الأقدس، وفيما هو في تفكيره، لحظ بغتة طفلاً يلعب على الرمل، وببده (طاسة) يملأها من ماء البحر، ويجيء يفرغها في حفرة صغيرة في الرمل، وقف أغسطينوس يتأمل ضاحكاً من سذاجة الطفولة، ثم سأله عما يعمل، فأجابه الطفل بثقة: أريد أن أنقل مياه البحر إلى هذه الحفرة، فضحك الفيلسوف الكبير من كل قلبه! وقال له: ولكن هذا مستحيل يا بني، فحفرتك هذه لا تستطيع أن تستوعب هذا البحر الواسع، فانتصب الطفل وأجابه بنفس الثقة: وأنت أيضاً، ألا ترى أنَّ عقلك المحدود لا يستطيع أن يستوعب سر الثالوث غير المحدود؟! إنه أوسع وأعمق من جميع بحور الكون، واختفى الطفل من أمامه بغتة، مثلما كان قد ظهر بغتة، وأدرك أغسطينوس العظيم أنَّ الله تعالى أراد بهذه الرؤيا، أن يعلمه أنَّ عقل الإنسان يظل عاجزاً، مهما اتسع ومهما تعمق في التأمل، عن استيعاب حياة الله الفائقة على الطبيعة."^(٦)

ويعتقد المسيحيون أنَّ الأقانيم الثلاثة متحدة في الجوهر والقدرة والإرادة، يقول إبراهيم دُبُور:

(١) البديهي: هو الذي لا يتوقف حصوله وتصوره في العقل على نظر وتفكر، انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص ٤٣.
(٢) سمعان، عوض، **الله بين الفلسفة والمسيحية**، ط ١، www.call-of-hope.com، ١٩٩١م، ص ٤٣.
(٣) المحال: ما يمتنع وجوده في الخارج، كاجتماع الحركة والسكون في جزء واحد في وقت واحد، انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص ٢٠٥.
(٤) فاندري، ميزان الحق، ط ٢، (تحقيق تسدل)، دبلد، مطبعة للالانكوا برس ليك، ١٩٢٣م، ص ٢٤٠.
(٥) أغسطينوس، هو القديس أوغسطين، ولد سنة ٣٥٤م، في تاغاست من الجزائر، وهو من كبار رجال الدين المسيحي، ويعد أوغسطين شخصية مركزية في المسيحية وتاريخ الفكر الغربي على حد سواء، توفي سنة ٤٣٠م، انظر: **ويكيبيديا الموسوعة الحرة**.
(٦) النجار، أغناطيوس سركيس، **التوحيد المسيحي**، د.ط، المطبعة البولسية، جونبة- لبنان، ١٩٩٦م، ص ٥٩.

"الأمور المشتركة للثالوث:

١. **الجوهر:** .. أي أن الله الثالوث له جوهر واحد، وهو نفسه للآب والابن والروح القدس..
 ٢. **القدرة:** القدرة الإلهية هي واحدة للثالوث .. وبالتالي ما يفعله الله هو فعل يعود إلى القدرة الواحدة للثالوث الأقدس..
 ٣. **الإرادة الواحدة:** هي الإرادة الإلهية التي تخص الثالوث الأقدس، فعندما يريد الآب شيئاً تكون هذه الإرادة للآب والابن والروح القدس على حد سواء، فعندما أراد الله خلق البشر وخلصه كانت هذه الإرادة للأقانيم الثلاثة، فالآب يخلق بواسطة الابن بالروح القدس.^(١)
- وبالرغم من أن المسيحيين يعتقدون أن الأقانيم الثلاثة متحدة في الجوهر والقدرة والإرادة، إلا أنهم يعتقدون أن لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة ميزات وأسماء تميزه عن الأقنومين الآخرين، وبيان ذلك الآتي:

أولاً: الأقنوم الأول

يُسمى الأقنوم الأول بـ(الآب)؛ وهو مبدأ وأصل وعلة للأقنومين الآخرين، يقول القديس يوحنا الدمشقي^(٢): "نؤمن بآب واحد، مبدأ الجميع وعلة كلهم، لم يلد أحد، وهو وحده أيضاً غير معلول ولا مولود، صانع الكل وآب بالطبيعة."^(٣)

ولولا الأقنوم الأول لما وُجد الأقنومان الآخران، وكل ما للأقنومين الآخرين من الصفات والكمال إنما جاء إليهما من الآب، يقول القديس يوحنا الدمشقي: "كل ما كان للابن والروح كان لهما من الآب، حتى الوجود نفسه، ولو لم يكن الآب، لما كان الابن ولا كان الروح، ولو لم يكن للآب شيء، لما كان أيضاً شيء لابن ولا للروح، وبسبب الآب كان للابن والروح كل ما لهما- أي بسبب أن للآب هذه كلها- ما عدا اللاولادة والولادة والانبثاق."^(٤)

فالأقانيم الثلاثة متشابهة ومتحدة في كل شيء؛ إلا أن الآب هو أصل للأقنومين الآخرين وعلة لوجودهما.

أمّا علة تسمية الأقنوم الأول بالآب فلعدة أمور أهمها: لأنه آب للمسيح، وللتعبير عن علاقة الحب غير المتناهية بين الآب والابن، وللتعبير عن المساواة بين الآب والابن، فالابن يشبه أباه في كل شيء،

(١) دُبُور، إبراهيم خليل، الطريق القويم لأبنائنا المؤمنين، ط٢، مطرانية الروم الأرثوذكس، عمان، ٢٠١٢م، ص٢٢-٢٣.

(٢) هو منصور بن سرجون، ولد سنة ٦٧٦م، في دمشق، وتميز بمؤلفاته اللاهوتية الفلسفية العديدة ودفاعه الشديد عن العقائد المسيحية، يعد يوحنا آخر آباء الكنيسة الشرقية بإجماع الباحثين. من مؤلفاته: (ينبوع المعرفة)، و(الفصول الفلسفية)، توفي سنة ٧٤٩م، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٣) الدمشقي، يوحنا منصور بن سرجون (ت ٧٤٩م)، المنة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، ط٢، (ترجمة الأرثمنديت أدريانوس شكور)، المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٩١م، ص٦٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٧٠.

ولأنه أصل وخالق لكل الأشياء، لأنه أب لكل البشرية بالخلقة.^(١)

ثانياً: الأَقْنوم الثاني

ويُسَمَّى: (الابن)، و(الكلمة)، و(النور)، وبيان ذلك الآتي:

١. الابن: يسمى الأَقْنوم الثاني بـ(الابن)؛ لأنه مولود من الآب منذ الأزل، يقول القمص ميخائيل مينا مبيناً علّة تسميّة الأَقْنوم الثاني بالابن: "أمّا علّة هذه التسميّة الجليّة فهي: حيث أنّ الأَقْنوم الأول هو بمنزلة ينبوع أو مبدأ (ولكن لا من مبدأ) أعطى الأَقْنوم الصادر عنه طبيعته وجوهره كله، حتى أنّ الأَقْنوم الثاني الذي هو صورة الأَقْنوم الأول الجوهرية مساوٍ للآب بكمال المساواة، أي له طبيعة الآب وجوهره نفسه، وممثل له في ذاته، لا تمثيلاً عرضياً خيالياً بل ذاتياً حقيقياً تاماً كما قال جل شأنه عن نفسه: (الذي رآني فَقَدْ رَأَى الآب) يوحنا (٩/١٤)، ومن ثم صار حسناً ولانقاً للغاية أن يدعى الأَقْنوم الأول (أباً)، والأَقْنوم الثاني (ابناً) إيضاحاً لوحدة الطبيعة ومشابقتها لكليهما، لأنّ كل مولود يشبه أباه في جوهره وطبيعته وكل خصائصه، فالطير يلد طيراً .. والإنسان يلد إنساناً مشابهاً له في كل شيء، كذلك ابن الله هو إله في جوهره وطبعه كأبيه."^(٢)

إذاً فالآب هو الذي أعطى الابن طبيعته وجوهره، لا لأنه يستحق ذلك بنفسه.

وهناك أسباب أخرى لهذه التسميّة عند المسيحيين منها^(٣):

١. الدلالة على المحبة الكاملة بين الآب والابن،
٢. أنّ لفظة الابن والآب من أسهل الألفاظ وأعمها وأقربها للفهم في كل مكان وزمان، فإنّ الله من محبته يقدم أعمق الأسرار الإلهية في أسهل صورة يستطيع الإنسان أن يدركها.
- إذاً يراد بالبنوة هنا أنّ الابن مساوٍ للآب في الطبيعة والجوهر والصفات، كمساواة الابن لأبيه في كل شيء، يقول الأنبا ساويرس^(٤): "لأنّ كل ابن مثل أبيه، فلاهوت الابن من الآب، والابن إله بالآب، لأنه لو لم يكن ابن الإله، لم يكن إلهاً."^(٥)

ومما سبق فإنّ ألوهية الابن مكتسبة من الآب، ولولا الآب لما وجد الابن ولا صار إلهاً.

وبعد أن عرفنا أنّ الأَقْنوم الأول سُمّي أباً لأنه ولد الأَقْنوم الثاني الذي سُمّي ابناً، فلنا أن نتساءل: هل هذه الولادة مثل الولادة الطبيعية التي تنشأ عن الزواج؟ وهل هي بالمعنى الحرفي للولادة؟ الجواب: لا، لا يعتقد المسيحيون أنّ الولادة الإلهية مثل الولادة الطبيعية، فالله منزّه عن الزوجة، بل هي بنوة

(١) انظر: حتمية التثليث والتوحيد، ص ٦٤.

(٢) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٩٠.

(٣) انظر: حتمية التثليث والتوحيد، ص ٧٥.

(٤) هو ساويرس ابن المقفع، المصري القبطي، أسقف الأشمونين، كان حياً في أواخر القرن العاشر، من تأليفه: (تاريخ بطارقة الاسكندرية)، و(الدر الثمين في إيضاح الدين)، و(تفسير الامانة وطب النفس وشفاء الحزن)، انظر: كحالة،

معجم المؤلفين، مجلد ٢، ج٤، ص ٢٠٥.

(٥) ساويرس، الدر الثمين في إيضاح الدين، ص ٢٤.

روحية عقلية؛ يقول جبرة عن هذه البنوة: "بنوة روحية لا مادية، لأنَّ البنوة من طبيعة الأبوة، والله تعالى روح لا مادة، فبنوته من طبيعته نفسها .. والولادة اسم مشترك يطلق على البسيط^(١) والعقلي، وعلى المركب^(٢) الحسي، والله منزّه عن التركيب والحس، وهو قائم بذاته وعلة العلل، وعليه فلا تكون ولادته معلولة، بل كصدور النور من النور."^(٣)

وقد أوضح سمعان أنَّ بنوة الابن ليست بنوة بالمعنى الحرفي للبنوة، بل هي بنوة من نوع خاص، تليق بالله المنزه عن المادة، وعن التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان، ولم تكن هذه الولادة من زواج، إنما هي نتيجة المحبة الأزلية التي يتصف بها الله.^(٤)

وبما أنَّ الله منزّه عن التركيب والجسميّة، لذلك لم تكن هذه الولادة صدوراً للخارج كما في الأجسام، بل هو صدور للداخل في داخل الذات الإلهية، ولم تكن صدوراً كصدور المخلوقات عن الله، يقول القس مشرقي: "يدلنا الكتاب المقدس على وجود صدورين لواجب الوجود: صدور داخلي غير مغاير بطبيعة الجوهر - وهو شبيه بالصدور العقلي لاتصاف طبيعة الله بالبساطة التامة، ومن ثم فإنَّ هذا الصدور ليس في حركة ولا في مكان ولا في زمان، بل هو أيضاً خلو من أي انقسام عارض، ولا دخل فيه للإرادة أو المشيئة - وهو ليس لسبب احتياجه تعالى، بل هو كماله الذاتي المختص به - وهذان الصدوران في اللاهوت (الولادة والانبثاق) هما سران إلهيين غير مدركين للعقل الذي هو أضعف من أن يتصورهما؟! أمّا الصدور الآخر فهو صدور خارجي عن الله كخالق - وهو صدور بالقصد والمشيئة، أي بمقتضى علمه وبحكم إرادته وعمل قدرته، وهو صدور الكائنات المخلوقة."^(٥)

فليس صدور الابن عن الآب كصدور الخلق عن الله الذي كان أثراً للإرادة والقدرة الإلهيتين، فالابن ليس أثراً للصفات الإلهية، بل هو صدور اقتضته الطبيعة الإلهية نفسها، فإنَّ طبيعة الله عند المسيحيين تختلف عن صفاته، إذ إنَّ صفات الله معانٍ، أمّا الطبيعة التي هي ذات الله فمحبة ونور، يقول القس حليم حسب الله: "يجب أن نلاحظ أنَّ طبيعة الله تختلف عن صفاته، فالصفات معانٍ، أمّا الطبيعة فهي الله في ذاته ما هو، ولقد جاء عنها: (إِنَّ اللَّهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلُمَةٌ الْبَتَّةُ)، رسالة يوحنا الرسول الأولى (٥/١)، و(اللهُ مَحَبَّةٌ)، رسالة يوحنا الرسول الأولى (٨/٤)، أمّا النعمة والرحمة والعدل والحق .. فهي من صفاته، طبيعة الله هي النور والمحبة."^(٦)

فكان الابن هو ثمرة هذه المحبة التي في الطبيعة الإلهية، فتوجهت للابن كل المحبة الإلهية أولاً،

(١) البسيط: وهو ما لا جزء له أصلاً، انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٤٥.

(٢) المركب: هو ما كان من جزئين فصاعداً، انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢١٠.

(٣) جبرة، إبراهيم، ابن الله، دبط، مكتبة المحبة، القاهرة، دبت، ص ٢٩-٣٠.

(٤) انظر: سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٣١.

(٥) مشرقي، صموئيل رزق، حقيقة الثالوث والرد على المنكرين، ط ١، مطبعة أوتو برنت، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٤٨.

(٦) حسب الله، حليم، التجسد الإلهي، دبط، مطبعة الخلاص، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٨.

لذلك قال المسيح عن الآب: (لَأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ).^(١)

وبناءً على ما سبق فإنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ بنوة المسيح ليست كبنوة المؤمنين لله الآب، وأبوة الله للمسيح ليست كأبوة الله للمؤمنين التي جاءت في الكتاب المقدس، لأنَّ بنوة المؤمنين لله بنوة عامة فهو خالقهم ورازقهم ومديرهم، وأبوة الله للمؤمنين تحمل في طياتها معاني الرحمة والمحبة، أمَّا بنوة المسيح فهي تعني مساواة الابن للآب في الجوهر والألوهية، فبنوة المسيح بنوة فريدة ليست لها مثيل، فهي بنوة أزلية في اللاهوت، لذلك قيل عنه عدة مرات ابن الله الوحيد.^(٢)

٢. الكلمة: من أسماء الألقوم الثاني: (الكلمة)، وقد جاء هذا في الكتاب المقدس، حيث قال يوحنا في افتتاحية إنجيله: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا).^(٣)

أمَّا عن سبب تسمية الألقوم الثاني بالكلمة فيقول مينا: "وقد يحق للألقوم الثاني أن يدعى كلمة لأنَّ الله (كَلَمْنَا فِي آخِرِ الْأَيَّامِ هَذِهِ بِابْنٍ جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ)، الرسالة إلى العبرانيين (١/١)، ولأنَّه أعلن لنا أفكار الله ومشيبته، يوحنا (١٨/١)، كما أنَّ كلمة الإنسان تعلن أفكار الإنسان وإرادته."^(٤) ويعتقد المسيحيون أنَّ ذات الله تعالى عقل، وكما أنَّ العقل لا يخلو من كلمة كذلك الذات الإلهية أو العقل الإلهي لا يخلو من كلمة، وهذه الكلمة هي الألقوم الثاني (الابن)، لذلك كان الألقوم الثاني هو صورة الآب الكاملة، والمعبر عن أفكار الله، وفي هذا يقول مينا: "الألقوم الثاني يدعى كلمة، لأنَّه صورة الآب الكاملة التي صورها عن ذاته بمشاهدة نفسه، وهذه الصورة التي تصورها هي أنَّه إله مثله."^(٥) ثم يضيف مينا قائلاً: "وهذا العقل لا يصح وجوده إلا بوجود خاصة النطق، لأنَّ العقل يستلزم النطق، .. والناطق لا يصح تسميته أنَّه ناطق إلا بوجود كلمته الغريزية الطبيعية، كما أنَّ الحي لا يصح تسميته حياً إلا بروح حياته، وهذه الكلمة الموجودة الغريزية في العقل لا تزال موجودة معه في خاصة جوهره، لا تتأخر عنه، ولا تتقدم عليه."^(٦)

فوجود الكلمة عند المسيحيين أزلي بوجود العقل، والله موجود بعقله ناطق بكلمته.

ويذكر لنا صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد عدة أسباب لتسمية الألقوم الثاني بالكلمة؛ منها^(٧):

١. أنَّه أعلن أفكار الله كما تعلن كلمة الإنسان أفكاره.

(١) إنجيل يوحنا (٢٤/١٧).

(٢) انظر: جبره، ابن الله، ص ٢٩. حنا، ناشد، خمس حقائق عن المسيح، ط ٢، مطبعة الإخوة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٩، وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّه لا حجة للمسيحيين في حمل البنوة على الحقيقة للمسيح خاصة، وتأويلها في حق غيره من الاتباع، وسوف يأتي بيان ذلك في الفصل الآتي بإذن الله تعالى.

(٣) إنجيل يوحنا (١٤/١).

(٤) مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ١٩٣.

(٥) المرجع نفسه، ج ١، ص ١٩١.

(٦) المرجع نفسه، ج ١، ص ١٩٢.

(٧) انظر: حتمية التثليث والتوحيد، ص ٧٧-٧٩.

٢. أنه أعلن قوة الله وسلطانه حينما تجسد كما تعلن كلمة الإنسان قوته وسلطانه، حيث قام الأَقنوم الثاني بعد تجسده بمعجزات كبيرة تدل على سلطان الآب وقوته .

٣. كما أن الكلمة تولد من العقل بدون زواج ولا جماع ولا ألم كذلك كانت ولادة الابن الكلمة من الله الآب، هي ولادة روحية بدون انفصال.

٤. كما أن الكلمة هي أداة الاتصال بين المتكلم والمُخاطَب كذلك كان الأَقنوم الثاني هو أداة الاتصال بين الله المتكلم والإنسان المُخاطَب.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد في الكتاب المقدس نص يصرح بتسميّة المسيح بالكلمة، وإنما هو فهم الأتباع، وتسميّة اجتهادية منهم لا غير.

٣. النور: من أسماء الأَقنوم الثاني: (النور)، لأنه يهدي البشر إلى طريق الحق، يقول مينا: "وقد دُعِيَ هذا الأَقنوم الإلهي أيضاً (نوراً)، يوحنا (٩/٣)، لأنه كان منذ بدء العالم هو النور الأصيل الأزلي غير المتغير، العام لكل البشر الذي يقودهم إلى السماء، ويعلن لهم طريق المعرفة والهدى"^(١)، وسُمِّي الأَقنوم الثاني نوراً لأنه صدر عن الآب كصدور الشعاع عن الشمس، وكما أنه لا يمكن أن توجد الشمس من غير شعاع- لذلك لا يمكن أن يوجد الآب في زمن من الأزمان من غير الابن، في اعتقاد المسيحيين^(٢).

وعليه فإنّ الأَقنوم الثاني سُمِّي (ابناً) لمساواته للآب في الجوهر، وسُمِّي (كلمة) لأنه صورة الآب والمعبر عن أفكاره، وسُمِّي (نوراً) لبيان مساواته للآب في الأزلية، ولأنه يعلن الحق للناس.

ثالثاً: الأَقنوم الثالث

يُسَمَّى الأَقنوم الثالث بـ(الروح القدس)، وهو يطلق عند المسيحيين على حياة الله وروحه، ويبيّن مينا سبب تسميّة الأَقنوم الثالث بالروح القدس فيقول: "لقد دُعِيَ الأَقنوم الثالث جل شأنه الروح القدس، ليس لأنّ بينه وبين الأَقنومين الآخرين تميزاً في روحانية الجوهر، كلا لأنهم متساوون في ذلك، وإنّ كلا الأَقنومين الآخرين يسمى روحاً أيضاً، قال الكتاب: (الله رُوح) يوحنا (٢٤/٤)، فلفظ الروح القدس إذا اعتبر بقوة كلمة واحدة فهو مخصوص للدلالة على الأَقنوم الثالث من الثالوث الأقدس، أمّا إذا اعتبر بقوة كلمتين فهو عام للثالوث كله؛ لأنّ الروح يدل على تجرد الجوهر الإلهي عن المادة، والقدس يدل على تمحض الخيرية الإلهية، فالآب روح، والابن روح، والآب قدس، والابن قدس، غير أنه لما دُعي الأَقنوم الأول باسم دال على نسبته إلى الأَقنوم الأول اختص الأَقنوم الثالث بالاسم المشاع وهو الروح، ليدل على أنّ الأَقنوم الأول ناطق بأَقنوم كلمته، حي بأَقنوم روحه."^(٣)

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٩٣.

(٢) انظر: حتمية التثليث والتوحيد، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٩٤.

هذا وإنَّ المسيحيين يطلقون على صدور الابن عن الآب اسم: الولادة، أمَّا صدور الروح القدس عن الآب فيطلقون عليه اسم: الانبثاق، وقد عرفنا أنَّهم يقولون بأنَّ الولادة هنا ليست بالمعنى الحرفي الحقيقي، وإنَّما هي مثل ولادة العقل للكلمة، أو صدور الشعاع عن الشمس، أمَّا عن سبب تسمية صدور الروح القدس بالانبثاق فيقول مينا: "أمَّا الأقنوم الثالث فلكون اسمه تعالى ذكره يفيد الدلالة على القوة المحركة، لهذا وصف بأنه منبثق كما تنبثق نسمة الإنسان من نفسه."^(١)

ولكن هل هناك فرق بين من صدر بفعل الولادة (الابن) وبين من صدر بفعل الانبثاق (الروح القدس)؟ وهل هناك فرق بين الولادة والانبثاق؟ الجواب: لا، لا يعتقد المسيحيون أنَّ هناك فرقاً بين الابن والروح القدس من حيث الطبيعة الإلهية، وإنَّما الفرق بينهما في كيفية صدورهما عن الآب، يقول مينا: "إنَّ من يصدر بفعل الولادة الطبيعية الإلهية كمن يصدر بفعل الانبثاق، لأنَّه كما أنَّ (الابن) يصدر من الآب طبيعياً هكذا (الروح القدس) يصدر من الآب طبيعياً وصدورهما معاً، والامتياز أقنومي فقط؛ أي عدم الإيلاد يميز الآب، والاتلاذ يميز الابن، والانبثاق يميز الروح القدس."^(٢)

فبالرغم من أنَّ المسيحيين لا يعتقدون بوجود فرق بين الابن والروح القدس من حيث الطبيعة الإلهية والجوهر إلا أنَّهم يعتقدون أنَّ هناك فرقاً بين الولادة والانبثاق، ولكنَّهم يقولون: إنَّنا نجهل هذا الفرق، فكيفية الولادة والانبثاق والفرق بينهما سر من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله وحده، ولا يمكن للإنسان معرفتها، فكيف يعرفها وهو يجهل نفسه، فمن جهل نفسه كان بربه أجهل.^(٣)

ويضرب لنا القمص مينا مثلاً يقرب لنا فيه فهم هذا السر فيقول: "وقد يقرب فهمنا لهذا السر العظيم مثل آدم وحواء وقابيل، فكما أنَّ حواء وقابيل صدرا من آدم، وكلاهما خرجا من جوهره شبيهين بطبيعته، وكلاً منهما بشر من بشر، ومع ذلك فقابيل يدعى ابناً لآدم، وأمَّا حواء فلا تدعى بنتاً له، وذلك لأنَّ حواء وإن كانت من آدم شبيهة بطبيعته، لكنَّها لم تكن منه بفعل يقتضي إيجاد إنسان شبيه بآدم، كالفعل الذي صدر به قابيل، فمن ثمَّ وإن كانت شبيهة به لم تدع بنتاً له، وهكذا الابن والروح القدس، وإن كان كل منهما له جوهر الآب نفسه وشبيهاً له، إلا أنَّ أحدهما يدعى ابناً مولوداً، والآخر روحاً منبثقاً، غير أنَّ الانبثاق لا يدل على الانفصال، بل هو دائم غير منقطع، لذلك لم يقل السيد المسيح إنَّه (انبثق) في الماضي، بل قال (ينبثق) في المضارع، ليدل على أنَّه دائم بغير انقطاع أو انفصال."^(٤)

وقد اتفق المسيحيون على أنَّ الآب هو مصدر الثالوث المقدس: واتفقوا على أنَّ ولادة الابن كانت من الآب فقط، ولكنَّهم اختلفوا في انبثاق الروح القدس هل كان من الآب فقط؟ أم من الآب والابن معاً؟ على أقوال هي:

(١) المرجع نفسه، ج١، ص ١٩٥.

(٢) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٩٥.

(٣) انظر: الدمشقي، المئة مقالة، ص ٧٠.

(٤) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٩٦.

القول الأول: أنَّ الانبثاق كان من الآب فقط، وهو قول الأرثوذكس.^(١)

القول الثاني: أنَّ الانبثاق كان من الآب والابن معاً، وهو قول الكاثوليك والبروتستانت، حيث يعتقدون أنَّ الروح القدس منبثق من الآب والابن، لا والد ولا مولود.^(٢)

وبعد أن تعرفنا إلى مفهوم الثالوث عند المسيحيين نتعرف إلى وظائف الثالوث بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: وظائف الثالوث عند المسيحيين

يعتقد المسيحيون أنَّ للثالوث (الأقانيم الثلاثة) وظائف مختلفة، وهم يختلفون عن بعضهم البعض في العلاقة المتبادلة فيما بينهم، وفي علاقة كل منهم بالعالم، وبيانه الآتي:

أولاً: وظائف الآب

يُبين لنا القس شحادة خمس أعمال الله الآب وكلها أعمال للثالوث، ولكن في بعض هذه الأعمال يأخذ الأَقنوم الأول الدور المميّز؛ وهي^(٣):

١. الله الآب هو المخطط الأول لوجود الخلق وللناية في الخلق في المراحل الأولى.

٢. الله الآب هو المخطط لعملية الفداء والتي فيها كان الابن هو المنفذ.

٣. يمثل الآب الثالوث في التعبير عن الله المسلوب حقه.

٤. خطط الله الآب أن يكون ابنه مركز تنميط مقاصده.

مما سبق فإنَّ الله الآب (الذي هو أصل لبقيّة الأَقانيم) هو الذي خلق العالم، لكنَّه خلقه بالابن، وجعل حركة الروح القدس دالة على حضور الله المباشر في خلقه، والآب هو الذي خطط لعملية الفداء، والابن هو الذي نفذ هذا المخطط، والروح القدس هو الذي أتمَّ هذا العمل.

ثانياً: خضوع الابن والروح القدس لتخطيط الآب

يُبين لنا جرودم وظائف الثالوث في الخلق فيقول: "وفي عمل الخليفة نرى هذه الوظائف المختلفة، فقد نطق الله الآب بكلمات الأمر بالخلق فوجد الكون، لكن الله الابن كلمة الله الأزلي هو الذي نفذ مراسم الخلق هذه: (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ) يوحنا (٣/١)، .. كما كان الروح القدس نشطاً بطريقة مختلفة، إذ كان يتحرك ويرف على وجه المياه، تكوين (٢/١)، مبقياً على حضور الله المباشر في الخليفة ومظهراً إِيَّاه على ما يبدو."^(٤)

وأماً في عمل الفداء فقد كان لكل أَقنوم وظيفة تختلف عن وظيفة الأَقنوم الآخر، يقول جرودم: "وفي عمل الفداء توجد وظائف متميزة، فقد خطط الله الآب للفداء وأرسل ابنه إلى العالم،

(١) انظر: الأنبا غريغوريوس، لاهوت السيد المسيح، دط، مطبعة شركة الطباعة المصرية، الناشر مكتبة المنتيج

الأنبا غريغوريوس، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٢٨. الدمشقي، المنة مقالة، ص٦٩.

(٢) انظر: أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج١، ص١٠٠. مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص٤٠.

(٣) شحادة، الآب والابن والروح القدس إله واحد، ص٢٢١.

(٤) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص٢٠٨.

يوحنا (١٦/٣)، وأطاع الابن الآب وأنجز الفداء من أجلنا، يوحنا (٣٨/٦)، لم يأت الله الآب ليموت من أجل خطايانا، ولا الروح القدس فعل ذلك، فقد كان هذا هو العمل الخاص بالابن، وبعد أن صعد يسوع راجعاً إلى السماء، أرسل الروح القدس من الله الآب والله الابن من أجل تطبيق الفداء علينا، يتحدث يسوع عن (الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي) يوحنا (٢٦/١٤)، لَكِنَّهُ يَقُولُ أَيْضاً إِنَّهُ سَيَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضاً بِإِرْسَالِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَهُوَ يَقُولُ: (إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ) يوحنا (٧/١٦)، .. وإنَّه الدور الخاص للروح القدس بإعطائنا الولادة الجديدة أو الحياة الروحية، يوحنا (٥/٣)، لكي يقدرنا، رو (١٣/٨)، وتزويدنا بالقوة من أجل الخدمة، أعمال الرسل (٨/١)، عموماً يبدو أنَّ مهمة الروح القدس هي إتمام العمل الذي خطط له الله الآب وبدأه الله الابن.^(١)

وعليه يتبين لنا أنَّ دور الآب هو التخطيط للخلق والفداء وإرسال الابن والروح القدس، أمَّا الابن فهو الذي نفذ مخطط الخلق والفداء، وأمَّا الروح القدس فهو الذي أكمل الدور ويقوم بتقديس النفوس وإعطائها الحياة الروحية الجديدة، فالآب أراد، والابن خلق، والروح القدس أعطى الحياة.

ولكن أليس من المستغرب أن يكون دور الآب التخطيط ودور الابن التنفيذ؟ يجيب جرودم فيقول: "وليس هذا بمستغرب؛ لأنَّه يظهر أنَّ هناك ارتباطاً بين الآب والابن كما يرتبط أب بابنه في عائلة بشرية: فالآب يوجه الابن وله سلطة عليه، والابن يطيع ويتجاوب مع توجيهات الآب، والروح القدس مطيع لتوجيهات كل من الآب والابن، وهكذا فمع أنَّ أقانيم الثالوث الثلاثة متساوون في كل صفاتهم، فإنَّهم يختلفون في علاقاتهم بالخلقة، فالابن والروح القدس مساويان لله الآب في اللاهوت، لكنَّهما في خضوع له من حيث أدوارهما."^(٢)

ولكن بما أنَّ الأقانيم الثلاثة متساوية في اللاهوت والجوهر، فهل يستطيع أي أقنوم أن يقوم بمهمة الأقنوم الآخر؟ فهل يستطيع الآب القيام بمهمة الابن فيموت من أجل خطايا البشر؟ أيسطيع الابن القيام بمهمة الآب الذي هو ينبوع وأصل للأقنومين الآخرين، والذي خطط للخلقة والفداء، فيكون هو الينبوع والأصل للأقنومين الآخرين، ويكون هو المخطط للخلقة والفداء؟ أيسطيع الروح القدس القيام بمهمة الآب، فيكون هو الينبوع والأصل للأقنومين الآخرين، ويكون هو المخطط للخلقة والفداء؟ أيسطيع الروح القدس القيام بدور الابن في الفداء؟ أم أنَّ لكل أقنوم دوراً لا يستطيع تبديله وتغييره؟ يجيب جرودم على هذه الأسئلة فيقول: "كلا، لا يبدو أنَّ الأمور كانت يمكن أن تحدث على هذا النحو، لأنَّ دور الأمر والتوجيه والإرسال ملائم لمركز الآب الذي تشكل أبويته مثلاً لكل أبوة البشرية، أف (٤/٣)، أمَّا دور الطاعة والذهاب حسب إرسال الآب، وإعلان الله لنا فهو ملائم لدور الابن، الذي يُدعى كلمة الله، انظر: يوحنا (١-٥)، ما كان يمكن لهذه الأدوار أن تقلب، وإلا توقف الآب عن كونه

(١) المرجع نفسه، ج١، ص ٢٠٨.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص ٢٠٨.

الآب، والابن عن كونه الابن، وقياساً على تلك العلاقة يمكننا أن نخلص إلى أن دور الروح القدس ملائم لعلاقته مع الآب والابن قبل خلق العالم، أيضاً قبل مجيء الابن إلى العالم، وحتى قبل خلق العالم، كان الآب مدى الأزل وإلى الآن الآب، وكان الابن إلى الآن الابن، وكان الروح القدس إلى الآن الروح القدس، فهذه العلاقات سرمدية (أزلية - أبدية)، وليس شيئاً حدث في وقت ما، ونحن نستنتج ذلك من عدم قابلية الله للتغير.^(١)

ويلخص لنا جرودم ما سبق فيقول: "مع أن الآب والابن والروح القدس متساوون في الجوهر والكرامة، إلا أنهم يقفون بعضهم من بعض حسب ترتيب الشخصية والمركز والعمل، إنَّ تابعة شخص الابن لشخص الآب، أو بكلمات أخرى ترتيب الشخصية والمركز والعمل الذي يسمح للآب أن يكون الأول، والابن الثاني، والروح القدس الثالث رسمياً، منسجمة تماماً مع المساواة، فالأولوية لا تعني التفوق والأفضلية .. إننا نعترف بصراحة بتبعية المسيح السرمدية للآب، لكننا نقول في الوقت نفسه أن هذه التبعية هي تبعية في الترتيب والمركز والعمل، وليست تبعية جوهراً أو ماهية."^(٢)

ولنا أن نسأل المسيحيين عدة أسئلة- وهي أسئلة لم يجد الباحث لها عندهم جواباً- فنقول: من هو الذي رتب هذه الأدوار؟ ولماذا لا يمكن تغييرها؟ فما دام الله على كل شيء قدير، ولا يوجد من يفرض عليه، أو يقف أمام إرادته، فلماذا لا يمكن تغيير هذه الأدوار؟ أم أن هناك قوة أعظم من الله هي التي تملي عليه، وهي التي حددت لأقانيمه هذه الأدوار؟ ولماذا خضع الابن والروح القدس للآب لا العكس؟!

ثالثاً: اختصاص الابن بوظيفة التجسد والفداء والصلب

يعتقد المسيحيون أن الأقنوم الثاني (الله الابن أو الكلمة) نزل إلى الأرض، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وصلب ومات من أجل التكفير عن خطايا البشر، يقول المطران كيرمكسيموس: "إننا نعتقد بكل تصديق موقنين أن الأقنوم الثاني الذي هو الابن الوحيد- من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا- نزل من السماء، وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء."^(٣)

ويقول القس حليم حسب الله: "إن الكتاب المقدس يعلمنا بأن ابن الله الوحيد .. أخذ جسداً نظير جسدنا، وروحاً نظير روحنا، ونفساً نظير نفسنا من مريم العذراء، إذ حُبِلَ به فيها من الروح القدس بدون رجل كما هو مذكور في متى (٢٠/١): (لأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس)، وأيضاً: (وها أنتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابناً وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ، .. وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى، ... وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةً، فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلَكِ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟ فَأَجَابَ الْمَلَكُ وَقَالَ لَهُ: أَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ

(١) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص ٢٠٩.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص ٢١٠.

(٣) كيرمكسيموس، رسالة في أخص التحديدات الكاثوليكية، رقم ١١ (صورة بالميكروفيلم).

تُظَلِّلُكَ، فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنَ اللَّهِ)، لوقا (٣/١-٣٥).^(١)

ولكن لماذا كان التجسد خاصاً بالابن ولم يكن بالآب أو بالروح القدس؟ يجيب المسيحيون بأن هذا قد جاء في الكتاب المقدس؛ فمما افتتح يوحنا إنجيله به: (وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا)^(٢)، وما دام هذا الأمر جاء في الكتاب المقدس فما على العقل إلا التسليم والخضوع، وفي هذا يقول مينا: "ولقد كان لائقاً أن يتجسد الابن دون الأقبوامين الآخرين، لأنَّ هذا الأقبوم يدعى أقبوم الكلمة أو النطق، ولما كان النطق هو سبب اتصال الإنسان بالله لذلك لاق بهذا الأقبوم جل شأنه أن يتجسد ويظهر للناس، قال بولس الرسول: (اللَّهُ بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ فِي ابْنِهِ)، ثم ليبقى كل أقبوم على حالته الخاصة به فلا يكون الآب ابناً، ولا الروح القدس ابناً، لئلا يحصل للخواص الجوهرية تغييراً أو تبديلاً، وهي منزهة عن ذلك."^(٣)

ولكن ألا يتناقض هذا مع عقيدة المسيحيين في الله؟ فهم يعتقدون أن الله روح وليس جسماً، ويعتقدون أن الله غير محدود، وأنه منزّه عن الزمان والمكان، فكيف يمكن لمن تنزهه عن الجسميّة أن يتخذ جسماً؟ وكيف يمكن لغير المحدود أن يصبح محدوداً؟ وكيف يمكن لمن تعالى عن الزمان والمكان أن يحصره الزمان والمكان؟ يجيب القس حسب الله على ذلك فيقول: "إنَّ القول بأنَّ الله ليس بجسم شيء، والقول باتخاذ جسد شيء آخر، فاعتقادنا أنَّ ابن الله أخذ جسدًا لا ينتج منه بأنَّه تحول إلى جسد منظور وملموس ومتحيز في مكان .. إلخ، لأنَّ المنظور والملموس والمتحيز هو الناسوت الذي أخذه، أمَّا الأقبوم الإلهي الذي اتخذ الناسوت واتحد به فلا زال باقياً روحاً غير منظور، وغير محسوس، وغير محصور في مكان واحد، كما كان قبل التجسد، ثم من جانب آخر إذا أراد الله أن يظهر بهيئة جسميّة فذلك لا يستحيل على قدرته اللا محدودة، وقد ذكر في كتابه المقدس بأنَّه ظهر لبعض من شعبه بهيئة منظورة، تكوين (١٨/١-٥)، ثمَّ إنَّ موضوعنا ليس هو تشكل الله بالشكل الإنساني، بل اتخاذ أقبوم الابن جسداً إنسانياً أو ناسوتاً، .. ليس أنَّ اللاهوت تحول إلى شبه الناس؛ لأنَّه لا زال وسيظل صورة الله غير المنظور ورسم جوهره، وإن كنَّا نعتقد أنَّ اللاهوت يحل في الناسوت لكننا لا نعتقد أنَّ اللاهوت صار محصوراً فيه كما تنحصر الروح في الجسد، حاشا وكلا، بل نؤمن بأنَّ اللاهوت مع كونه متحدًا بالناسوت لكنَّه مع ذلك حاضر في كل مكان، وبمعنى آخر إن كان قد صار في المحدود لكنَّه لا يزال غير محدود."^(٤)

إذاً فإنَّ التجسد لا يعني أنَّ أقبوم الابن صار محدوداً محصوراً، بل بقي لاهوت الابن على ما كان عليه قبل التجسد من اللا محدودية، والوجود في كل مكان.

(١) حسب الله، التجسد الإلهي، ص ٥.

(٢) يوحنا (١٤/١).

(٣) مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ٣٠٥.

(٤) حسب الله، التجسد الإلهي، ص ١٥.

كما أنَّ التجسد الإلهي خاضع لقدرة الله، فما دام الله على كل شيء قدير، فما هو المانع من أن يتنازل الله عن كبريائه ويتخذ الله جسداً بشرياً، يقول القس إبراهيم: "التجسد الإلهي لا يعني أن الله قد أخلى السماء من وجوده حين نزل على الأرض، فوجوده يملأ السماوات والأرض، وإنما أخلى ذاته من المجد، هذا الأمر داخل في دائرة قدرة الله وليس فيه صعوبة أو غرابة"^(١)، ثم يتساءل إبراهيم ويقول: "هل في قدرة الله أن يتجسد أم ليس في قدرته؟ إذا قلنا إنَّ الله ليس في قدرته أن يتجسد فإننا ننسب إليه الضعف، إذ هو لا يستطيع أن يتجسد، ولكن البعض قد يعترض ويقول: إنَّ التجسد هو ضعف لا يليق بالله، ولكن ليس هذا من الحق في شيء، فإنَّ التجسد هو عمل من أعمال القوة وليس عملاً من أعمال الضعف، وهو داخل في قدرة الله اللانهائية وغير المحدودة."^(٢)

وعليه فإنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ التجسد دليل على كمال القدرة الإلهية وعظمتها، وأنه ليس هناك شيء مستحيل أمامها، حتى أنَّ ذات الله خاضعة لهذه القدرة، فمتى شاء تجسد، ولا يعني تجسد الابن أنَّ هناك تغييراً حدث في ذاته، أو استحالة حدثت في صفاته، بل بقي لاهوت الابن بعد التجسد كما كان قبل التجسد، يقول شنودة: "فما استحال اللاهوت إلى الناسوت، ولا استحال الناسوت إلى اللاهوت، كما أنَّ اللاهوت لم يختلط بالناسوت، ولا امتزج به إنما هو اتحاد أدى إلى وحدة في الطبيعة."^(٣)

ولنا أن نتساءل ونقول: إذا كان الاتحاد "هو امتزاج شينين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً"^(٤)، فلا بد في الاتحاد من أن تتحول الأشياء المتحدة إلى شيء آخر، فكيف إذاً يمكن أن يتحد الناسوت باللاهوت ويبقى اللاهوت على ما هو عليه من الصفات الإلهية المنزهة عن التحيز والمكان والجسمية؟ يُبيِّن أبو البركات حقيقة هذا الاتحاد فيقول: "اجتماع كل شيئين أو أشياء لا يخلو عند ذوي النظر من ستة أوجه: إمَّا أن يكون على طريقة الامتزاج ..، أو على طريقة المساكنة والحلول كالماء في الجرة والساكن في الدار، أو على طريقة الاختلاط كالحنطة والشعير، أو على طريق المماسمة..، أو على طريق المجاورة ... كاجتماع الحديد والنار والنفس والجسم، والوجوه الخمسة منفية عن اتحاد المسيح له المجد، فإنَّه لم يكن كامتزاج الماء بالخمير الذي ربما أحوال كلاً منهما إلى الآخر، فلم يستحل لاهوته فيصير ناسوتاً، ولا ناسوته فيصير لاهوتاً، ولا كان على جهة اختلاط الحنطة بالشعير، ولا على جهة الحلول والمساكنة؛ لأنَّ المحلول فيه يحوي الحالَّ ويحيط به، ولا على طريق المماسمة، ولا على جهة المجاورة، فلم يبق إلا أن يمثل بالوجه السادس تقريباً للمعنى؛ وهو أن يكون اتحاده كاتحاد النار بالحديد من غير أن يستحيل النار حديداً، ولا الحديد ناراً، واتحاد النفس بالجسد أيضاً، وبهذا القياس يعتبر اتحاد

(١) إبراهيم، إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ص ٨٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٨. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ القدرة الإلهية تتعلق بالممكنات لا الواجبات ولا المستحيلات، والتجسد مستحيل في حقه تعالى فلا تتعلق القدرة به، وسيأتي بيان هذا الرد في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

(٣) البابا شنودة الثالث، طبيعة المسيح، ط ٨، القاهرة، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، ١٩٩١م، ص ١٢.

(٤) الجرجاني، التعريفات، ص ٨.

القديم بالمحدث من غير استحالة على طريق التمثيل الذي يمكن للأفهام إدراكه.^(١)

وعليه فإنَّ الاتحاد الذي يعتقده المسيحيُّون بين اللاهوت والناسوت لا يعني أنَّهم يعتقدون أنَّ لاهوت الابن قد تغير أو تبدل، وإنَّما هو اتحاد من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تغيير، وبدون افتراق ولا انفصال^(٢)، كاتحاد النار والحديد.

هذا ويعتقد المسيحيُّون أنَّ تجسد الابن هو سر من الأسرار التي لا تستطيع العقول البشرية إدراكها، ويسمونه **سر التجسد**، يقول أبو البركات: "إنَّ سر الاتحاد المسيحي فاق العقول وأبهرها، وأعجز الأبواب وحيرها، لأنَّه لم يكن لمثل هذا السر سابق، ولا يكون له في العالم لاحق، وإذا كان اتحاد نفس الإنسان ببذنه أمراً يغتاص عليه فهمه، فكيف هذا الاتحاد الذي لا يدرك علمه"^(٣)، ويقول الزقازيق: "التجسد الإلهي سر يعجز العقل البشري عن إدراك كلفيته، وإن كان يدرك السبب فيه."^(٤)

ويحاول المسيحيُّون تقريب هذا السر للعقول بأمثله وتشبيهاته عديدة؛ منها:

١. يُشبه البابا شنودة التجسد باتحاد الحديد والنار، واتحاد النفس والجسد، ففي حالة الحديد المحمَّى بالنار لا نقول هناك طبيعتان حديد ونار، إنَّما نقول حديد محمَّى بالنار، ففي هذه الحالة يتحد الحديد بالنار، وتتحد النار بالحديد، دون أن يستحيل الحديد ناراً، ولا النار حديداً، وكذلك في حالة اتحاد النفس والجسد، لا تستحيل النفس جسداً، ولا الجسد نفساً، وهكذا كان اتحاد الناسوت باللاهوت، فلم يستحيل أحدهما إلى الآخر، فكان اتحاد من غير اختلاط ولا امتزاج.^(٥)

٢. يستدل القس منصور بقدرة الملائكة على التجسد على تجسد الابن، فكما تستطيع الملائكة أن تتجسد وتظهر بهيئات مختلفة، فإنَّ الابن أولى من الملائكة بالقدرة على التجسد.^(٦)

ومما سبق فإنَّ المسيحيين لا يعبدون إنساناً، بل هم يعبدون الإله المتجسد، يقول حنا: "إنَّ المسيحيين لا يؤلهون الإنسان، ولا يؤلهون ناسوت المسيح، .. ولكنَّهم يؤمنون أنَّ هذا الناسوت كان يحل فيه ملء اللاهوت بغير اختلاط أو امتزاج، فالمسيح له المجد هو الله الذي ظهر في الجسد، فكان في هذا العالم إنساناً كاملاً، لكن في نفس الوقت كان بلاهوته يملأ السماوات والأرض."^(٧)

فالمسيحية لا تعتقد بأنَّ الإنسان تأله، وإنَّما تعتقد بأنَّ الإله تجسد؛ لذلك فإنَّ المسيحيين يعتقدون بأنَّ للمسيح بنوتان هما^(٨):

(١) أبو البركات، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، رقم ١١ (صورة بالمكروفيلم).
(٢) انظر: حتمية التثليث والتوحيد، ص ٢٥٤. وسيأتي الرد عليه في الفصل الآتي بإذن الله تعالى.
(٣) أبو البركات، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، رقم ١٢ (صورة بالمكروفيلم).
(٤) الزقازيق، بيشوي عبدالمسيح، الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية، دبط، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢٣.
(٥) انظر: شنودة الثالث، طبيعة المسيح، ص ١٣.
(٦) منصور، يسىء، رسالة التثليث والتوحيد، ط ٢، مطبعة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٦٣م، ص ١٥٠.
(٧) حنا، ناشد، خمس حقائق عن الإيمان المسيحي، ط ٢، مكتبة الإخوة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٤٢.
(٨) انظر: جبره، إبراهيم، المولود من الآب، دبط، مطبعة العالم العربي، دبلد، دبت، ص ١٨.

١. البنية الأزلية في اللاهوت قبل تجسده في هذا العالم.

٢. البنية الجسدية عندما ولد المسيح في الجسد من مريم العذراء ومن الروح القدس.

ويعتقد المسيحيون أنَّ المسيح يتكون من أُنْثوم الابن ومن جسد بشري كامل ومن روح بشرية ناطقة، فاللاهوت لم يحل محل الروح البشرية الناطقة، والجسد البشري كان جسداً حقيقياً من لحم ودم وعظم، قابل للجوع والعطش، وخاضع للتعب، ويشعر بالألم، ويمكنه أن يموت بانفصال الروح البشرية عن الجسد، وهو ليس جسداً خيالياً، وهذا الجسد لم ينزل من السماء.^(١)

وبالرغم من أنَّ عقيدة التجسد عقيدة أساسية عند المسيحيين إلا أنَّهم اختلفوا فيها اختلافاً كبيراً أدى إلى انقسام الكنيسة في منتصف القرن الخامس عشر سنة ١٤٥١ م.^(٢)

وقد اختلفت الكنائس في طبيعة المسيح ومشيته إلى قولين هما:

القول الأول: أنَّ للمسيح طبيعة واحدة ومشية واحدة، وهذا قول الكنيسة القبطية المصرية الأرثوذكسية، يقول البابا شنودة الثالث موضحاً ذلك: "المسيح هو الإله الكلمة المتجسد له لاهوت كامل، وناسوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، اتحاداً كاملاً أُنْثومياً جوهرياً... وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقاً ولا يفترق...، فالطبيعة اللاهوتية اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة من العذراء مريم بعمل الروح القدس، الروح القدس طهر وقُدَّس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث المولود منها شيئاً من الخطية الأصلية، وكوّن من دمائها جسد اتحد به ابن الله الوحيد، وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء، وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منها طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد."^(٣)

إذاً فطبيعة المسيح = طبيعة إلهية (جوهر اللاهوت) + طبيعة بشرية (جسد بشري + روح بشري).
ولكن هل تغيرت الطبيعتان لما اتحدتا وصارتا طبيعة واحدة؟ الجواب: لا؛ لقد بقيت الطبيعتان بعد الاتحاد كما كانتا عليه قبل الاتحاد، فلم يحصل هناك تغير أو استحاله لا في الطبيعة اللاهوتية ولا في الطبيعة الناسوتية، يقول كساب موضحاً ذلك: "قد اتحدت الطبيعتان معاً بدون أن تتعرض إحداها إلى تجديد أو تعديل أو تغيير، مهما كان نوعه بسبب هذا الاتحاد."^(٤)

ولكن بما أنَّه لم يحصل امتزاج بين الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية فلماذا قالت الكنيسة القبطية أنَّ طبيعة المسيح طبيعة واحدة؟ **الجواب عندهم:** أنَّه ليس معنى الطبيعة الواحدة امتزاج الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية، **إنَّما المقصود التأكيد على أنَّ الاتحاد بين الطبيعتين حقيقي وليس وهمياً،** يقول كساب: "ففي المسيح أُنْثوم واحد مؤلف من طبيعتين متميزتين: اللاهوت والناسوت، ويعني الآباء بقولهم أنَّ

(١) انظر: حتمية التثليث والتوحيد، ص ٢٣٠.

(٢) انظر: شنودة الثالث، طبيعة المسيح، ص ٥.

(٣) شنودة الثالث، طبيعة المسيح، ص ٧.

(٤) كساب، حنانيا إلياس، مجموع الشرع الكنسي، ط ٢، مكتبة النور، بيروت، ١٩٩٨ م، ص ٣٦٩.

الاتحاد طبيعي أنه اتحاد حقيقي لا وهمي.^(١)

القول الثاني: أنَّ للمسيح طبيعتين ومشيتين، وهذا قول الكنيسة الكاثوليكية وكنائس الروم الأرثوذكس (اليونانية) والكنائس البروتستانتية^(٢)، يقول كيرمكسيموس: "نعتقد أنَّ ربنا يسوع هو مركب من طبيعتين كاملتين إلهية وإنسانية، متحدتين اتحاداً جوهرياً، .. ونعتقد أنه كان في سيدنا يسوع إرادتان إرادة إلهية وإرادة بشرية، لأنه عز وجل كان فيه طبيعتان، وكان لهما مشيتان وفعالان."^(٣)

وبناء على ما سبق يرى الباحث أنه ليس هناك خلاف حقيقي حول طبيعة المسيح بين الكنائس المسيحية، وأنَّ الخلاف كان لفظياً فقط، لأنَّ الكنائس كلها تعتقد أنه لم يحصل لطبيعة المسيح اللاهوتية بعد التجسد أي تغيير أو تبديل أو امتزاج، بل بقيت الطبيعة اللاهوتية على ما كانت عليه قبل التجسد، سواء منهم من قال بالطبيعة الواحدة، أو من قال بالطبعتين، وقد اتفقوا على أنَّ للمسيح طبيعتين (لاهوتية وناسوتية) اتحدتا من غير اختلاط ولا امتزاج، ويرى الباحث أنَّ هناك أسباباً أخرى لهذا الخلاف وما ترتب عليه من انقسام بين الكنائس ليس هذا مكان بحثها، ولكن ما الأسباب التي دفعت إلى التجسد؟

أسباب تجسد الابن:

يعتقد المسيحيون أنَّ هناك عدة أسباب أوجبت هذا التجسد، وهذه الأسباب تعود إلى قسمين أحدهما يتعلق بالإنسان والآخر يتعلق بالله؛ وبيان ذلك الآتي:

القسم الأول: الأسباب الموجبة للتجسد المتعلقة بالإنسان وهي:

السبب الأول: التكفير عن خطيئة أبي البشر آدم

يعتقد المسيحيون أنَّ أبا البشر آدم قد أخطأ حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها^(٤)، وقد ورثت ذريته هذه الخطيئة، وصاروا هم أيضاً تحت سلطانها، وفي هذا يقول مينا: "جاء في كتاب الوحي الإلهي أنَّ الله جبل الإنسان على صورته ومثاله، ووضعه في فردوس عدن، وأمره أن يأكل من كافة أشجار الجنة ما عدا شجرة واحدة ..، بقوله: (مَنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ)، تكوين (١٧/٢)، أي تفقد حياة النعمة، وتصبح تحت حكم الموت والهلاك الأبدي، غير أنَّ آدم لم يطع هذه الوصية، بل انخدع من الشيطان، وأكل من تلك الشجرة المنهي عنها، .. وبذلك جلب الموت على نفسه، وعلى سائر ذريته."^(٥)

ولكن كيف ورثت البشرية هذه الخطيئة؟ وكيف يحاسب الإنسان على ذنب لم يفعله؟ ألا يتناقض

(١) كساب، مجموع الشرع الكنسي، ص ٣٦٩.

(٢) انظر: كيرمكسيموس، رسالة في أخص التحديدات الكاثوليكية، رقم ١٥ (صورة بالميكرو فيلم). مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ٣٥٤.

(٣) كيرمكسيموس، رسالة في أخص التحديدات الكاثوليكية، رقم ١٥ (صورة بالميكرو فيلم).

(٤) تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الإسلام ينسب العصمة لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم يكن أكل النبي آدم من الشجرة إلا من باب النسيان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ طه: ١١٥.

(٥) مينا، علم اللاهوت، ج ٢، ص ٣٠٨.

هذا مع العدل الإلهي؟! يقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد مجيباً على هذا السؤال: "صحيح أننا لم نرتكب الخطيئة الأولى، ولكننا ولدنا بها، بالإضافة إلى خطايانا الشخصية، ومن يستطيع أن يتبرر أمام الله من خطاياه، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض؟"^(١)

إذاً فالإنسان يرث الخطيئة، ويولد بها، وهو أيضاً يقع في الخطأ، ويستدل صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد من وراثة الإنسان لصفات آبائه وأجداده من الطول والقصر ولون الشعر على أن الإنسان يرث الخطيئة كما يرث هذه الصفات فيقول: "ومن المعروف .. أن العوامل الوراثية تمتد حتى الجد السابع، فمثلاً نوع الشعر ولون العينين والطول والقصر ولون البشرة يرثها الإنسان عن آبائه وأجداده، ولم نر إنساناً عاقلاً يحتج على صفاته الوراثية، بل قد يرث الإنسان عن أبويه بعض الأمراض مثل السكر وخلافه، فهل يحتج هذا الابن على أبيه الذي أورثه ذلك المرض؟! وماذا يفيد احتجاجه؟ أليس من الأجدى البحث عن العلاج؟"^(٢)

فكما يرث الإنسان المرض، ويرث الصفات الوراثية، ويرث المال، كذلك فإن الإنسان يرث الخطيئة في الفكر المسيحي.

ويعتقد المسيحيون أن أبا البشر آدم كان وكيلاً عنا، فلما وقع هو في الخطيئة فكأننا وقعنا فيها جميعاً، يقول مينا: "أما اتلادنا منه خطاة وشركاء في إثمه فذلك لا لأن كل واحد منا فعل هذه الخطيئة بإرادته الذاتية، بل لكون ذلك الجد فعلها بإرادته وحده، والله جل شأنه بقوة سلطانه المطلق على إرادة البشر أقامه شخصاً عاماً حاوياً إرادة البشر كلهم في إرادته، نعم إننا لم نكن حينئذ في الوجود، ولكننا كنا فيه من حيث أنه مقام بأمر الله رئيساً علينا، ووكيلاً لنا، ولهذا لم تكن فعلته كفعل شخص خصوصي، بل كفعله (ولي) عام على جميع العائلة، ومن ثم تنسب إليهم جميعاً وإن لم يشتركوا فيها معه."^(٣)

ولكن لماذا جعل الله آدم نائباً ووكيلاً عن البشر وورثوا عنه الخطيئة وصاروا مخطئين بسبب خطيئته؟ يجيبنا القمص مينا على هذا السؤال، ويبيّن لنا أن هناك سببين جعل آدم وكيلاً عنا هما^(٤):

١. إرادة الله المطلقة وسلطانه المطلق: إرادة الله المطلقة هي السبب الذي جعل آدم وكيلاً ونائباً عنا.

٢. لكي يصبح آدم بهذا الوجه هو المسيح الذي هو آدم الثاني، الذي أراد الله أن يجعل على يديه خلاص البشر الأبدى، لكي يستحق لهم النعمة والمجد، كما أن آدم استحق لهم الخطيئة والعذاب.

إذاً فجعل آدم وكيلاً عن البشر هي إرادة الله، ولا يحق للبشر أن يعترضوا عليها.

وبسبب خطيئة آدم فسدت الطبيعة البشرية التي خلقها الله على صورته ومثاله، ولم تعد أهلاً للاتصال بالله، ولكن الله قد خلق الإنسان للاتصال به فكان الحل بالتجسد والصلب للتكفير عن الخطايا،

(١) حتمية التثليث والتوحيد، ص ١٩٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٩٣.

(٣) مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ٣٠٩.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٠٩.

ولكي يعود للإنسان كماله الذي يؤهله للاتصال بالله، يقول أبو البركات: "لَمَّا قَصَرْنَا عَنْ بُلُوغِ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِي .. تَأَنَسَ إِلَهُهُ وَتَجَسَّدَ وَاتَّحَدَ بِطَبِيعَتِنَا، وَاتَّصَلَ بِنَا مَتَجَسِّدًا وَأَرْشَدَنَا إِلَى طَرِيقِ الْكَمَالِ، بِمَا أَظْهَرَهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ .. فَبَلَغَ بِالْأَكْثَرِ مِنَ النَّاسِ إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِي الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ لِلْبَشَرِ زِيَادَةٌ، وَوَصَلْنَا إِلَى مَا لَمْ تَنْهَضِ الْأَنْبِيَاءُ بِتَوْصُلِنَا إِلَيْهِ مِنَ السَّعَادَةِ."^(١)

ويعتقد المسيحيون أنَّ خطيئة آدم كانت غير محدودة، ولا يمكن غفرانها بالتوبة، لأنَّه من المعلوم أنَّك كلما أخطأت بحق إنسان كبير كانت خطيئتك أكبر، فمن يخطئ بحق الله اللا محدود تكون خطيئته لا محدودة، لأنَّه تجاهل عظمة الله اللا محدود، لذلك لا بد أن تكون العقوبة لا محدودة، لذلك يجب أن يكون الفادي لا محدوداً ليستطيع أن يوفي بتلك الخطيئة اللا محدودة وتلك العقوبة اللا محدودة، يُبَيِّنُ لَنَا الْقَسَّ نَجِيبُ ذَلِكَ فَيَقُولُ: "الْكَي يَحْدُثُ تَكْفِيرٌ عَنْ خَطِيئَةِ الْإِنْسَانِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ لَا بَدَ مِنْ سَمَاتٍ مَعِينَةٍ فِي الْفَادِي:

١. يجب أن يكون غير محدود ليستطيع أن يوفي المطالب الإلهية من جميع البشر، وفي كل الأجيال، فضلاً عن أنَّ عقاب خطيئة آدم غير محدود في ذاته.

٢. يجب أن يكون الفادي قابلاً للموت الجسدي؛ لأنَّ الحكم هو بالموت وبدون سفك دم لا تحدث مغفرة.

والآن كيف يمكن التوفيق بين هذين المتناقضين، فإد غير محدود وقابل للموت؟ كان لا بد إذاً من التجسد لكي يكون المسيح بلاهوته: غير محدود، وبناسوته: قابلاً للموت، فيحدث حل المشكلة."^(٢) كما يبرر نجيب عدم صلاحية أي إنسان للقيام بمهمة الفداء؛ لأنَّ الإنسان خاطئ، وفاقد الشيء لا يعطيه، ولأنَّه محدود، فلن يف بخطايا البشر غير المحدودة، ولا يصلح كذلك الملاك؛ لأنَّ الخطيئة أناها الإنسان، فيجب أن يكون الفادي إنساناً، والملاك روح، والإنسان روح وجسد، بينما الملاك روح فقط، فكأنَّه يفدي عنصراً دون آخر، والملاك محدود، والخطيئة غير محدودة.^(٣)

ولكن عندما تجسد الله الابن ألم يتلوث بالخطيئة البشرية؟! فقد ولد من مريم العذراء، وهي من البشر، وقد ورثت الخطيئة؟! فلماذا لم يرث المسيح الخطيئة منها؟! يعتقد المسيحيون أنَّ مريم العذراء محفوظة مطهرة من دنس الخطيئة الأصلية، ومن كل دنس، منذ اللحظة الأولى من الحبل بها، وذلك بفضل من الله خصها به، لذلك ولأنَّها كانت مطهرة من كل دنس بقدره الله، كذلك لم تورث الخطيئة للمسيح المولود منها، فكان هو أيضاً مطهراً من الخطيئة الأصلية.^(٤)

ولكن هل كان الموت لللاهوت فقط؟ وبذلك يكون المسيحيون قد نقضوا عقيدتهم في أنَّ الله

(١) أبو البركات، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، رقم ١٢ (صورة بالمكروفيلم).

(٢) نجيب، إسحاق، التجسد وأحداث الميلاد، د.ط، مكتبة مار مرقس، د.ب.د، ١٩٧٨م، ص ٩.

(٣) انظر: نجيب، التجسد وأحداث الميلاد، ص ١٠.

(٤) انظر: أوت، مختصر علم اللاهوت العقائدي، ج ٢، ص ١١٢.

سرمدى لا يموت ولا يفنى، أم أن الموت كان للناسوت فقط؟ يجيب غريغوريوس على هذا السؤال فيقول: "نحن نعلم أن المسيح إله، والله حي لا يموت، ونحن نردد في صلواتنا بغير فتور (قدوس الله، .. قدوس الحي الذي لا يموت ..) ولذلك نهتف في صلواتنا ونقول: (يا من ذاق الموت بالجسد) تأكيداً لحقيقة إيماننا بأن المسيح إله، وبصفته إلهاً لا يموت، ولكن الموت وقع على الجسد، وذلك بمفارقة الروح الإنسانية للجسد"^(١)، إذاً فموت المسيح كان بالناسوت لا باللاهوت.

السبب الثاني: الاتحاد بالله

السبب الثاني من الأسباب الموجبة للتجسد المتعلقة بالإنسان هو الاتحاد بالله، إذ يقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد: "لم يكن الهدف من التجسد رفع الخطيئة فقط، بل اتحاد الله بالإنسان..، فإن الطبيعة الإنسانية أسرت وصارت في قبضة الموت وساد عليها الفساد، لذلك فمن الضروري لكي تقوم علاقة جديدة لا يهددها الفساد أن يتم لقاء بين الله والإنسان، تجد فيه جميع المشاكل القائمة بين الاثنين حلها النهائي والأخير، فكان الحل الإلهي- لأن المبادرة بيد الصالح وحده- أن يأخذ لنفسه جسداً من هذه الطبيعة الفاسدة، ويجعله واحداً مع لاهوته في اتحاد لا انفصال فيه أو اختلاط"^(٢)، وهكذا فقد رجع الإنسان بعد التجسد الإلهي والفداء إلى صورته الأصلية أهلاً للاتصال بالله والاتحاد به.

القسم الثاني: الأسباب الموجبة للتجسد المتعلقة بالله وهي:

السبب الأول: المحبة

يعتقد المسيحيون أن الله كان يظهر للأنبياء السابقين بهيئات مختلفة غير منظورة، يقول القس سمعان: "بما أن الله منزّه عن الزمان والمكان، ولا يرى في ذاته على الإطلاق، لأنه ليس له شكل أو أعضاء، كان من البديهي أنه عندما يعلن لنا ذاته أو مقاصده، أن يكون ذلك بطريقة غير منظورة، فيسمعنا صوتاً دون أن نرى منه شيئاً، لذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس وجدنا أنه كان يظهر في صوت دون شكل، كما ظهر لآدم، تكوين (٨/٣) ولصموئيل، سفر صموئيل الأول (٤/٣)".^(٣)

ولكن لم يتوقف ظهور الله على تلك الهيئات غير المنظورة، لأن الله يحب الإنسان لذلك فإله يريد أن يظهر للإنسان بطريقة يألفها الإنسان أكثر من تلك الطرق والهيئات غير المنظورة، لذلك يعتقد المسيحيون أن الله ظهر للإنسان بطرق منظورة، يقول سمعان: "وبما أننا لا نستطيع أن نتصل أو نتوافق إلا مع إنسان نظيرنا، لأننا لم نألف العيش إلا معه، ولا نفهم إلا لغته، كان من البديهي أن يتنازل الله ويظهر لنا، أو لأكثر الناس استعداداً منا للاتصال به، في هيئة إنسانية أو قريبة من الإنسانية"^(٤)، لذلك

(١) غريغوريوس، سرّي التجسد والفداء، دبط، مطبعة شركة الطباعة المصرية، الناشر مكتبة المنتيح الأنبا

غريغوريوس، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٣٣٨.

(٢) حتمية التثليث والتوحيد، ص ٢٢٢.

(٣) سمعان، الله طرق إعلانه عن ذاته، ص ٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤.

يحدثنا الكتاب المقدس عن ظهور الله بهيئة إنسان لأنبياء العهد القديم ويُبَيِّن سمعان ذلك فيقول: "عندما كان إبراهيم الخليل جالساً مرة عند باب خيمته، رأى ثلاثة رجال واقفين، فركض إليهم وتحدث معهم، فاتضح له أثناء الحديث أن اثنين منهما كانا ملاكين، وأنَّ الثالث كان هو الرب نفسه .. ولذلك كان يدعوهِ تارةً (المؤلى)، وتارةً أخرى (دَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ)، تكوين (٢٥/١٨)."^(١)

ويعتقد المسيحيون أنَّ تلك الهيئات والطرق التي ظهر بها الله لم تكن كافية لكي يتصلوا به، ويطلعوا على مقاصده، ويعرفوا ذاته، لأنَّه كان قاصراً على فئة معينة، ولم يستفد منه كل البشر، وبما أنَّ الله محبة، وهو يحب كل البشر؛ لذلك فقد قرر أنَّ يظهر لنا بصورة الجسد، فنزل الله الابن عن عرش كبريائه وعظمته، وظهر في جسد كأجساد البشر، وعاش بين البشر على الأرض زمناً، خاطب فيها البشرية، وأعلن للبشر ذاته إعلاناً واضحاً جلياً.^(٢)

فالله- عند المسيحيين- محبة، وهو يحب الإنسان، وقد خلقه على صورته، ولكن الإنسان وقع في الخطيئة، فطُخ تلك الصورة، لذلك فإنَّ محبة الله للإنسان دفعته لكي يتجسد، ويفدي الإنسان، ويكفر عن خطيئته لكي يعود إلى صورته الأصلية، يقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد: "الدافع القوي للتجسد هو المحبة..، فلم يشأ رب المجد أن تبقى صورته (الإنسان) المجيدة ملطخة بالإثم..، فتحرك حنانه ... ليخلص الإنسان ويرد اعتباره، ويرد له كرامته أو يرد له الصورة الأصلية التي خلقه عليها، فقد تجسد الله الكلمة، وفي تجسده كل الحب، وما من حب أعظم من هذا أن يقبل الإله صورة الهوان، صورة التراب، وهو رب المجد."^(٣)

ومما سبق يظهر لنا أنَّ المحبة المطلقة التي هي من طبيعة الله هي أهم الأسباب في تجسد الله الابن عند المسيحيين، يقول غريغوريوس عن تجسد الله الابن: "فقد تنازل ليأخذ صورة طبيعتهم ليتمشى بينهم ويعيش بينهم، يكلمهم، ويسمع أنينهم، ويلمس أوجاعهم ... فما أبعد الفرق بين إله غير منظور، وإله تفضَّل فجعل نفسه منظوراً لخلقهم."^(٤)

السبب الثاني: إظهار جود الله وكرمه

يعتقد المسيحيون أنَّ الله قد أوجد الإنسان بكرمه، وقد فطر الله الإنسان على محبة الله وطلب معرفته، ولمَّا كان الله لا يدرك بالحواس، ولا يحيط به العقل، فقد قرَّر الله أن يظهر للإنسان في صورة يألفها الإنسان ويحبها، لذلك ظهر له بجسد بشري كجسد الإنسان، فحقَّق الله بجوده وكرمه لهذا الإنسان غاية مناه من معرفة الله والاتصال به.^(٥)

(١) سمعان، الله طرق إعلانته عن ذاته، ص ٧.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص ٧.

(٣) حتمية التثليث والتوحيد، ص ٢٢٠.

(٤) غريغوريوس، سرِّي التجسد والفداء، ص ١٠.

(٥) انظر: البصري، عمار، كتاب البرهان، دبط، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٧٠.

فإنه بتجسده أظهر كرمه للإنسان، وحقق رغبة الإنسان بمعرفة الله والاتصال به، يقول القس أبو البركات: "إنَّ الذي لأجله أوجدنا هو جوده، والذي لأجله اتصل بنا هو تكميل جوده، والباري تعالى هو أفضل الجايدين، وأفضل الجايدين هو الجايد بأفضل الموجودات وأفضل الذوات، وهو سبحانه أفضل الموجودات، فلزم جوده بذاته علينا، وهذا كان سبب اتصاله بنا ... وإذا كان اتصاله بنا ممكناً وفيه لنا غاية الشرف وله كمال الجود، فلا يمنعه إلا العجز أو البخل وهما من صفات النقص، والباري جل وعز متعالٍ عنهما، ومنزه منهما، فوجب اتصاله بنا."^(١)

إذاً لدينا مقدمتان هما:

المقدمة الأولى: أنَّ الله أفضل الجايدين.

المقدمة الثانية: أنَّ أفضل الجايدين من يجود بأفضل الذوات.

فالنتيجة: أنَّ الله يجود بأفضل الذوات.

فيصبح لدينا مقدمة جديدة هي: أنَّ الله يجود بأفضل الذوات.

ومقدمة ثانية: أنَّ أفضل الذوات هي ذات الله.

فالنتيجة اللازمة عنهما: أنَّ الله يجود بذاته.

ويعتقد المسيحيون بناء على ما سبق أنَّ الله قد جاد بنفسه حيث ظهر بصورة جسدية (المسيح) و صلب ومات من أجل التكفير والفداء عن خطايا البشر.

السبب الثالث: التوفيق بين عدل الله ورحمته

إنَّ السبب الثالث من الأسباب الموجبة للتجسد المتعلقة بالله هو التوفيق بين عدل الله ورحمته، إذ يعتقد المسيحيون أنَّ الله عادل وهو أيضاً رحيم، ولا تغلب رحمته عدله، ولا يغلب عدله رحمته، ولكي يوفق بين العدل والرحمة كان لا بد من التجسد، يقول مينا: "لا يخفى أنَّ الله كان قادراً أن يجري على آدم أحد أمرين: إمَّا أن يهلكه عقاباً لجريمته، أو يسامحه تعظفاً على ضعف طبيعته، دون أن يلجأ إلى وسيلة كوسيلة التجسد التي كلفته ما هو في غنى عنه، غير أنَّه لدى التأمل بعين الحكمة نجد أنَّ عقاب آدم على إثمه إنما هو إجراء العدل فقط، وأنَّ تبريره بلا كفارة إنما هو رحمة تدوس حقوق العدل، ولا يمكن مخالفة إحدى هاتين الصفتين؛ لأنَّ المخالفة نقص والخالق منزّه عنه بداهة، لهذا كانت وسيلة التجسد من أسمى الوسائل وأحكمها؛ لأنَّها عظمت العدل والرحمة معاً، ووفقت بينهما إذ أعطت كل منهما حقه."^(٢)

ويبيّن صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد كيف أنَّ التجسد حل مشكلة التعارض بين العدل والرحمة فيقول: "عندما تحدث مشكلة بين شخصين ويتدخل شخص ثالث لفض النزاع يجب أن يكون هذا الوسيط من نفس مستوى الطرفين المتنازعين، وليس أقل منهما لئلا يُحتقر، وليس أعلى منهما لئلا

(١) أبو البركات، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، رقم ١٥ (صورة بالميكرو فيلم).

(٢) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ٣١٦.

يستغل سلطته فيحل النزاع ظاهرياً فقط، وأيضاً يجب أن يكون الوسيط محبوباً من الطرفين، ومحل ثقة منهما، ملتزماً بتعهداته أمامهما، وإذا تأملنا ما حدث في التجسد والفداء نجد السيد المسيح هو الذي حلَّ النزاع بين الله والإنسان .. وإن كان التسامح والعفو والمغفرة ضد عدل الله الكامل، وموت الإنسان ضد رحمة الله الكاملة، والله لا يمكن أن يتنازل عن عدله ولا عن رحمته، وهذا يمثل مشكلة صعبة وعويصة، ومن يقدر على حلها إلا الله القادر على كل شيء؟ وفعلاً قام بحلها عن طريق تجسده المنيف، فالتقى العدل مع الرحمة في شخص الفادي الكريم.^(١)

وبناء عليه فقد استطاع المسيح حل المشكلة بين الله والإنسان، واستطاع الله أن يوفق بين عدله ورحمته بالتجسد والفداء في الفكر المسيحي.

هذا ويعتقد المسيحيون أن موت المسيح وصلبه من أجل التكفير عن خطايا البشر هو سر من الأسرار، ويسمونه بـ(سر الفداء)، ويحاولون تقريب هذا السر للعقول بأمثله وتشبيهات عديدة منها:

١. **تشبيه الملك العظيم:** إذا دخل ملك عظيم إلى مدينة كبيرة، وحل في أحد بيوتها فإن المدينة كلها تتمتع بحماية الملك، وتشرّف بوجوده فيها، كذلك الابن المتجسد حل في بطن العذراء تكريماً للبشرية كلها، وحماية لها من عدوها (الشيطان)، فإذا هاجم اللصوص المدينة بسبب إهمال سكانها، فإن الملك لن يتخلى عنها لهذا السبب، بل سيدافع عنها، وينتقم من اللصوص، غير مبالي بإهمال سكانها، لذلك اهتم الابن المتجسد بخلاصنا، رغم أننا قد وقعنا في الخطيئة، بسبب إهمالنا.^(٢)

٢. **تشبيه الفنان والصورة:** إذا تلطخت صورة إنسان مرسومة على الخشب، لا بد من حضور صاحب الصورة ليعيد الفنان رسمها ويجدها، لهذا جاء الابن الكلمة ليجدد فينا صورته التي لطخناها بالخطيئة، وكما أن الإنسان لا يلقي بتلك الصورة مهما تلطخت لأنها صورته، كذلك الله في محبته لم يشأ أن يلقي الإنسان ويفنيه ويخلق غيره، بل اهتم بتجديده؛ لأن الإنسان يحمل في أعماقه صورة الله، وإن كانت تلك الصورة قد تشوهت بالخطيئة.^(٣)

وعليه فإن المسيحيين يعتقدون أن هذا الفداء أعاد الإنسان إلى صورته الأصلية التي هي على صورة الله ومثاله، ونجا بهذا الفداء من العقوبة التي استحقها بسبب خطيئته، وعاد أهلاً للاتصال بالله. ومهما يكن من أمر فإن الأقانيم الثلاثة متساوية في اللاهوت، إلا أنه مع ذلك فإن لكل منهم وظيفته الخاصة به، ولا يمكن لغيره من الأقانيم أن يقوم بها، ويحق لنا الآن أن نسأل المسيحيين فنقول: من هو

(١) حتمية التثليث والتوحيد، ص ٢٢٣. وتجدر الإشارة إلى أن المسيحية جعلت أساس العلاقة بين الله والإنسان هي النزاع، ثم كانت المحبة، في حين أن الإسلام بيّن لنا أن رحمة الله سبقت غضبه، فالرحمة عندنا هي الأساس.

(٢) انظر: القديس إثناسيوس الرسولي، **تجسد الكلمة**، ط ١٢، (ترجمة مرقس داود)، مطبعة ماسدج برنت، دار النشر الأسقفية، القاهرة، دبت، ص ٣٧.

(٣) انظر: نجيب، **التجسد وأحداث الميلاد**، ص ١٤.

الذي حدّد هذه الأدوار؟ ما دام الله قادراً على كل شيء حتى إنّ ذاته العلية عندكم خاضعة لهذه القدرة بدليل أنّ الله قد تجسّد عندكم! فلماذا لا يمكن تغييرها؟ أم أنّ هناك أحد فوق الله قد حدّد له هذه الأدوار لذلك فهو لا يستطيع تغييرها؟ هذه أسئلة تحتاج إلى الإجابة وما وجد لها الباحث عند المسيحيين جواباً.

المطلب الثالث: أهمية عقيدة الثالوث عند المسيحيين

يعتقد المسيحيون أنّ الإيمان بالثالوث المقدس يحل معظم الإشكالات التي تترتب على الإيمان بالوحدانية المطلقة لله، التي يؤمن بها المسلمون وغيرهم، وتكمن أهمية عقيدة الثالوث في الأمور الآتية:

١. يعتقد المسيحيون أنّ عقيدة الثالوث هي الدليل على وجود الله، وعلى اتصاف الله بصفات الكمال أزلاً، يُبين القس سمعان أهمية عقيدة الثالوث فيقول: "إنّها البينة على وجود كيان ذاتي لله، وعلى اتصافه بصفات، ووجود هذه الصفات بالفعل منذ الأزل..، أمّا لو كانت وحدانيته وحدانية مجردة لما كان له كيان ذاتي، أو بتعبير آخر لكان اسماً على غير مسمى، ولو كانت وحدانيته وحدانية مطلقة، لما كانت صفاته الإيجابية بالفعل أزلاً (إن كانت لهذه الوحدانية صفات إيجابية)، وبذلك يكون قد تعرض للتغيير والتطور عند قيامه بالخلق..، إذ يكون قد صار عاملاً بعد أن كان غير عامل، وهذا لا يتناسب مع ذاته، وما يجب لها من ثبات تام"^(١)، وعليه فإنّ المسيحيين يعتقدون أنّ الله لا يكون كاملاً بذاته وصفاته إلا إذا كان الله ثلوثاً، يقول مشرقي عن أهمية الثالوث: "إنّه يرفع شأن اللاهوت، ويوضح كمالاته، فالتوحيد دون التثليث يحصر اللاهوت، ويجعل العلاقات معه ممتنعة، حتى أنّ بعضهم لكي يستبعدوا وحشته في الأزل نادوا بأزلية العالم، وتأليه الكون... وذلك بحلول الله بالكائنات بأسرها وحلولها فيه."^(٢)

٢. يعتقد المسيحيون أنّ عقيدة الثالوث هي التي تجعل الله متكلماً سمياً بصيراً منذ الأزل، أما الوحدانية المطلقة فلا يمكن أن يكون الله فيها متكلماً، ولا يمكن أن يكون سمياً، ولا بصيراً منذ الأزل، يقول سمعان عن أهمية عقيدة الثالوث أنّها "تميط اللثام عن الأزلية التي لا يعرف الفلاسفة عن الله فيها شيئاً، فوصفوها بالغيب والإطلاق، ووصفوا الله فيها بالصمت والسكون، فثّرنا أنّه لم يكن كذلك، بل كان عاملاً بكل ما في الكلمة من معاني لأنّه يكون حينذاك متكلماً وسمياً، ومحباً ومحبوباً، وعالماً ومعلوماً، ومريداً ومراداً، وفاعلاً وقابلاً، ومُمارساً لكل صفاته الأخرى على درجة الكمال."^(٣)

٣. يعتقد المسيحيون أنّ الله لا نهائي، وهو غير مدرك، فلا يكون اللانهائي مُعِيناً، وغير المُدرك مفهوماً إلا بالثالوث، يقول سمعان عن أهمية عقيدة الثالوث بأنّها: "تبين لنا كيف يكون اللانهائي

(١) سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٦١.

(٢) مشرقي، حقيقة الثالوث، ص ١٩٨.

(٣) سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٦١.

مُعِيناً، وكيف يكون غير المُدرك مفهوماً، وكيف يكون الواحد المفرد متجلياً لذاته، عارفاً بها أولاً، ومستغنياً بها عن كل ما عداه، وكيف يكون المنزه عما سواه ذا علاقة بنا، ... دون أن يلحقه من جراء ذلك تطور أو تغيير.^(١)

٤. يعتقد المسيحيون أنَّ الله لا يمكن أن يكون قاضياً عادلاً، ومخلصاً رحيماً، وفادياً عظيماً، ومقدساً كريماً، إلا إذا كان ثالثاً، فلو كان الله واحداً لما أمكنه أن يقوم بكل هذه الأدوار، يقول مشرقي: "على أساس الثالوث الذي تتميز به المسيحية عن كافة الأديان تمَّ الفداء، فالآب أراد، والابن نفذ، والروح القدس يقوم بتطبيقه، والواقع أنَّه دون الأقانيم لا يصح أن يكون الله فادياً، ومخلصاً، ومقدساً، وشفيعاً، وقاضياً، فهي إذاً أساس هذا كله ... وهو تميز واضح وحاسم."^(٢)

٥. يعتقد المسيحيون أنَّ الله في الثالوث يظهر كمثل أعلى للرحمة والمودة، وبدون الثالوث يكون الله صاحب الجبروت والقهر فقط، يقول مشرقي: "إنَّ الثالوث يقدم الله كالمثل الأعلى؛ أي من فيه المثالية الكاملة فيما يتعلق بحياة الكمال، فهو يرفع نسبتي الأبوة والبنوة، ويدعونا أن نتمثل بالله بالنسبة لأبوته السامية، وبدون ذلك فإنَّه يصبح السيد الصارم الجبار الذي تفصلنا عنه الصرامة والجبروت فحسب، دون أن يُعرف بغير ذلك!!"^(٣)

٦. يعتقد المسيحيون أنَّ عقيدة الثالوث هي العقيدة التي جاء بها الكتاب المقدس، فسواء أرضينا بها أم لم نرضَ فهي في النهاية عقيدة الكتاب المقدس التي لا يمكن أن يسعد الإنسان إلا باتباعها، يقول مشرقي: "إنَّ قيمة هذه العقيدة تكمن في أنَّه يجب علينا أن نؤمن بالله بحسب ما أعلنه عن ذاته، وليس كما يروق لنا أن نصوره لأنفسنا، وذلك لأنَّ عقيدة الثالوث تعليم كتابي يستند إلى نصوص الكتاب المقدس نفسه، فهي ليست من العقل لأنها فوق الطبيعة، .. ولا من وضع المجامع، وإنما من كتاب الله وحده، .. ولذلك فإنَّه من جانبنا لولا أنَّ الكتاب المقدس قد نصَّ على أنَّ الله هو: (الآب والابن والروح القدس)، .. لما خطر ببالنا قط أن يكون هذا هو كنه الله أو حقيقة ذاته!! ومع أنَّه قد يظهر مبدئياً أنَّ التأمل في عقيدة الثالوث أمر متعذر، إلا أنَّ الحقيقة لا بد أن تنكشف بعد الدرس الدقيق، مصداقاً للحكمة التي تقول: إنَّ المعلومات القليلة تخرج الناس من الدين، والبحث العميق يعيدهم إليه!"^(٤)

(١) سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٦١.

(٢) مشرقي، حقيقة الثالوث، ص ١٩٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٩٩.

وخلاصة الأمر فيما يتعلق بمفهوم الثالوث ووظائفه وأهميته هي: أنَّ المسيحيين يزعمون أنَّهم يصفون الله تعالى بصفات الكمال، وينزهونه عن صفات النقص، ويزعمون أنَّهم موحدون، ولكنَّهم سرعان ما ينقضون ذلك بقولهم بوجود الولد له سبحانه وتعالى، وباعتقادهم للتثليث، وهم يبررون ذلك بقولهم بوجوب أن تكون صفات الله تعالى عاملة أزلاً، لذلك لا بد أن تكون هناك تعددية في الذات الإلهية حتى تكون الصفات عاملة بينها، فالله عندهم واحد في ثلاثة، واحد في الجوهر، مثلث في الأقانيم، ويُسمُّون الأقانيم صفات أو خواص أو خاصيات، ولكنَّهم يعتقدون أنَّ هذه الأقانيم قائمة بذاتها، فأجازوا قيام الصفة بغير الموصوف، وهذه الأقانيم هي الآب وهو أقنوم الوجود، والابن وهو أقنوم الكلمة أو النطق أو العلم، والروح القدس وهو أقنوم الحياة، وهذه الأقانيم الثلاثة متحدة في الجوهر، متميزة في الأَقْنُومِيَّة، فالله هو الآب، والله هو الابن، والله هو الروح القدس، ولكن ليس الآب هو الابن، وليس الابن هو الروح القدس، وهم قد أثبتوا بذلك ثلاثة آلهة متميزة، فالآب يمتاز بأنَّه أصل للأقنومين الآخرين إذ لولاه لما وجد الابن والروح القدس فضلاً عن أن يكونا إلهين، فوجود الابن والروح القدس وألوهيتهما مكتسبان من الآب، والابن يمتاز بالولادة وهذه الولادة ليست ولادة جسدية بل هي ولادة روحية عقلية، وهي ناتجة عن المحبة التي هي طبيعة الله، وليست ناتجة عن الإرادة الإلهية، والروح القدس يمتاز بالانبثاق، ونلاحظ أنَّ كلامهم غير واضح في شرحهم حقيقة الثالوث ومعناه، وليس عندهم تعريف واضح لمفهوم الثالوث في نص مقدس عندهم، ويبررون عدم وضوح الثالوث، وتناقضه مع العقل، وعدم قدرة العقل على فهمه بأنَّه سر من الأسرار التي يجب التسليم بها بدون نقاش، ويحاولون تقريب صورة الثالوث بصور تشبيهية غير مطابقة للفكرة التي يستدلون عليها.

ونلاحظ أنَّ كلامهم متناقض في جمعهم بين التثليث والتوحيد، ومتناقض في قولهم باتحاد أقنوم الابن بجسد المسيح عليه الصلاة والسلام من غير امتزاج ولا حلول ولا تغيير، وهو في الحقيقة ليس اتحاداً، لأنَّ الاتحاد يستلزم الامتزاج والتغيير، فإذا لم يكن هناك امتزاج وتغيير فلا اتحاد، كما واختص كل أقنوم بوظيفة خاصة به، ولا يمكن للأقنوم الآخر أن يقوم بها، ويعتقدون أنَّ الابن تجسد من أجل أن يفتدي الناس بموته من الخطيئة، فخطيئة الإنسان غير محدودة وتستلزم فادٍ غير محدود، فلم يكن هناك بد من التجسد للفداء.

ويحاول المسيحيون تبرير عقيدة الصلب والفداء بكلام إنشائي عاطفي يفتقر إلى الإقناع ويكررون الكلام في الفكرة بأسلوب متشابه يفتقر إلى المنطق السليم.

كما ويعتقد المسيحيون أنَّ أهمية عقيدة الثالوث تكمن في أنَّها هي التي تحل الإشكالات الناتجة عن الإيمان بالوحدانية المطلقة، ولا يمكن أن يكون الله كاملاً وموجوداً ومتصفاً بكل صفاته- خاصة المتباينة منها- أزلاً وأبداً إلا إذا كان ثالوثاً.

وبعد أن تعرفنا إلى مفهوم الثالوث ووظائفه وأهميته عند المسيحيين ننقل إلى الحديث عن أدلة المسيحيين على الثالوث من الكتاب المقدس.

المبحث الثاني

أدلة المسيحيين من الكتاب المقدس على الثالث

سيكتفي الباحث في هذا المبحث بذكر أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح والروح القدس، أمّا ألوهية الآب فلا خلاف عليها من جهة، ومن جهة أخرى فقد تمّ ذكر عقيدة المسيحيين في الإله وصفاته في بداية هذا الفصل، كما سيتم ذكر مظاهر ألوهية الآب المشابهة لألوهية المسيح والروح القدس في المطالب المتعلقة بألوهية المسيح والروح القدس، فمنعاً للتكرار لن نخصص لألوهية الآب مطلباً مستقلاً، أمّا ألوهية المسيح والروح القدس فيستدل المسيحيون عليهما بأدلة عديدة من الكتاب المقدس، ويحاول المسيحيون إثبات أنّ هذه العقيدة هي العقيدة الأساسية في العهد الجديد، بل ويحاولون إثبات أنّ هذه العقيدة لها أصول في العهد القديم، وأنّ الأنبياء السابقين كانوا يلحون إليها ولكنهم لم يصرحوا بها، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح من الكتاب المقدس

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح بأدلة كثيرة من الكتاب المقدس، مع أنّ معظم أدلتهم غير مصرحة بذلك، لكنهم عدّوها أدلة على ألوهية المسيح، وسيكون دور الباحث النقل عنهم وعرض ما لديهم، أمّا النقض فمحله الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

وتتمحور أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح من الكتاب المقدس حول عشرة نقاط، وبيانها الآتي:

أولاً: أسماء الله الآب أسماء المسيح

توجد في الكتاب المقدس أسماء الله قد أطلقت على المسيح، ويعدّها المسيحيون أكبر دليل على ألوهية المسيح، ومن هذه الأسماء:

١. الله: أطلق العهد الجديد اسم الله على المسيح، ويعدّ المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، وجاء هذا في عدة نصوص منها: ما جاء في إنجيل متى: (هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّاْنُوئِيلَ، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللهُ مَعَنَا)^(١)، ومنها قول يوحنا في افتتاحية إنجيله: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ)^(٢)، والمقصود بالكلمة هنا المسيح، ومن أدلة ذلك عندهم قول يوحنا: (فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الْآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ)^(٣).

وفي سبب تسمية المسيح بالكلمة يقول القمص ميخائيل مينا: "يحقّ للأقنوم الثاني أن يدعى كلمة (لأنّ الله كلمنا به) الرسالة إلى العبرانيين (١/١)، ولأنّه أعلن أفكار الله ومشينته، يوحنا (١٨/١)، كما أنّ

(١) متى (٢٣/١).

(٢) يوحنا (١/١).

(٣) رسالة يوحنا الرسول الأولى (٧/٥).

كلمة الإنسان تعلن أفكار الإنسان وإرادته"^(١)، وقد سبق ذكر أدلتهم في تسمية المسيح بالكلمة.^(٢)

ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد في الكتاب المقدس دليل يصرح بأن المسيح هو الكلمة.

٢. الرب والإله: الرب هو الله وحده، فقد قال الله عن نفسه: (أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ)^(٣)، وإله هو الله وحده، فقد قال الله أيضاً عن نفسه: (أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ وَلَا إِلَهَ غَيْرِي)^(٤).

وقد سُمِّيَ المسيح بالرب والإله في عدة نصوص من الكتاب المقدس، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهيته، ومن تلك النصوص: قول المسيح: (كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ!)^(٥)، فهنا يبيّن المسيح أنّ الناس يوم القيامة سوف ينادونه يا رب، وقول المسيح لتلاميذه: (إِنَّ وَاحِداً مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي، فَخَرِّضُوا جِداً، وَابْتَدَأْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: هَلْ أَنَا هُوَ يَا رَبُّ؟)^(٦)، وقد سمّاه تلميذه باسم الرب والإله بعد قيامته من الأموات: (رَبِّي وَإِلَهِي!)^(٧).

وقد جاءت كلمة الرب في العهد الجديد لتعبر عن شخص المسيح أكثر من أربع مائة مرة.^(٨)

٣. القدوس والصالح: وهو اسم من أسماء الله، وقد سمّى الله الآب نفسه بالقدوس في عدة نصوص في الكتاب المقدس، منها: قول الله لموسى وهارون: (إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ فَتَقَدَّسُوا وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ)^(٩)، بل إنّ القداسة والصالح هما صفتان لله وحده، لذلك قال المسيح واصفاً الرب: (لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ)^(١٠).

وقد سُمِّيَ المسيح بالقدوس والصالح في عدة نصوص، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، ومن تلك النصوص: قول الرجل الذي به روح نجس للمسيح: (أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُّوسُ اللَّهِ!)^(١١)، وقول بطرس عن المسيح: (وَلَكِنْ أَنْتُمْ أَنْكُرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ)^(١٢)، وكان يقصد بذلك المسيح، ولمّا بشر الملاك مريم العذراء بالمسيح قال لها: (الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللَّهِ)^(١٣)، وقول المسيح عن نفسه: (أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ)^(١٤)، يقول البابا شنودة الثالث مستنداً بالنصوص السابقة على ألوهية المسيح: "إن كان ليس أحد صالحاً إلا واحد فقط وهو الله، وقد ثبت أنّ المسيح صالح أو هو الوحيد

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٩٣.

(٢) انظر تسمية المسيح بالكلمة: هذا البحث، ص ٣٠.

(٣) إشعياء (٦/٤٥).

(٤) إشعياء (٦/٤٥).

(٥) متى (٢٢/٧).

(٦) متى (٢٢/٢٦).

(٧) يوحنا (٢٨/٢٠).

(٨) انظر: إبراهيم، سعيد، المسيح إنسان أم إله، ط٢، مطبعة أوتوبرنت، دبلد، دب، ص ٢٧.

(٩) المزمير (٩٩/٢-٩).

(١٠) متى (١٧/١٩).

(١١) مرقس (٢٤/١).

(١٢) أعمال الرسل (١٤/٣).

(١٣) لوقا (٣٥/١).

(١٤) يوحنا (١١/١٠).

الصالح، إذاً هو الله، وإن كان الله هو وحده قدوس، وقد ثبت أنَّ المسيح قدوس، إذاً هو الله.^(١)

٤. الأول والآخِر: وهما اسمان من أسماء الله الآب، وقد سُمي الله بهما نفسه في عدة نصوص من الكتاب المقدس منها: قول الرب: (أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ وَلَا إِلَهَ غَيْرِي)^(٢).

وقد وُصف المسيح بأنَّه الأول والآخِر كذلك في عدة نصوص من الكتاب المقدس، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، فقد قال المسيح عن نفسه: (أَنَا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ)^(٣)، يقول البابا شنودة موقفاً بين أنَّ الله هو الأول والآخِر، وأنَّ المسيح هو الأول والآخِر: "التوفيق الوحيد هو أنَّ قائل العبارتين واحد، فإذا كان المسيح هو الأول، إذن هو ليس مخلوقاً، لأنَّه لا يوجد قبله من خلقه، وما دام غير مخلوق إذن فهو أزلي، وإذن هو الله."^(٤)

ثانياً: صفات الله الآب صفات المسيح

توجد في الكتاب المقدس صفات لله، وقد أطلقت هذه الصفات على المسيح، ويعدّها المسيحيون أدلة قوية على ألوهية المسيح، ومن هذه الصفات:

١. الأزلية والأبدية: وصف الله الآب في الكتاب المقدس بالأزلية والأبدية، فقد قال داود النبي مخاطباً الله: (مُنْذُ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ أَنْتَ اللَّهُ)^(٥)، وقد بيَّن الأنبا غريغوريوس معنى الأزل فقال: "الأزل ما ليس له بداية"^(٦)، وعن معنى الأبد قال: "وحده- أي الله - الأبدى لأنَّه لا نهاية له"^(٧)، فالأزلي هو الذي لا بداية له، والأبدى هو الذي لا نهاية له، وهما من صفات الله وحده، وقد وُصف بهما المسيح، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح لليهود: (قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ)^(٨)، وبما أنَّ إبراهيم وجد قبل المسيح بمئات السنين، والمسيح يقول أنا قبله، فهذا دليل عند المسيحيين على أنَّه أزلي.

وقد نص يوحنا بأنَّه: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ)^(٩)، والكلمة هنا هي المسيح، فقد كان المسيح قبل بدء الخلق، وهذا دليل على أزليته، وقال المسيح مخاطباً الآب: (فَمَجَّدْنِي فِي حَضْرَتِكَ الْآنَ، أَيُّهَا الْآبُ، بِمَا كَانَ لِي مِنْ مَجْدٍ عِنْدَكَ قَبْلَ تَكْوِينِ الْعَالَمِ)^(١٠)، وقال المسيح: (لَأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِثْنَاءِ الْعَالَمِ)^(١١)، يقول الأنبا غريغوريوس معلقاً على هذين النصين: "في هذين النصين ينسب المسيح إلى ذاته أنَّه كائن قبل

(١) البابا شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ص ٧١.

(٢) إشعياء (٦/٤٤).

(٣) رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٧/١).

(٤) البابا شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ص ٤٨.

(٥) المزمور (٢/٩٠).

(٦) الأنبا غريغوريوس، أنت المسيح ابن الله الحي، د. ط. د. دار، د. بيلد، ١٩٧٥ م، ص ٢٠.

(٧) المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٨) يوحنا (٥٨/٨).

(٩) يوحنا (١/١).

(١٠) يوحنا (٥/١٧).

(١١) يوحنا (٢٤/١٧).

إنشاء العالم، فوجوده لم يبدأ من مريم، حيث ظهر في الجسد بل إنَّ وجوده قبل خلق الكون، أي منذ الأزل، بل ويلمح المسيح أيضاً إلى المحبة الأزلية المتبادلة بينه وبين أقنوم الآب في الأزل وقبل الزمان.^(١)

وقال المسيح ليوحنا: (أَنَا هُوَ الْأَلْفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنَّهَائَةُ، يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ).^(٢)

ويستدل غريغوريوس بالنصوص السابقة على ألوهية المسيح فيقول: "هاتان الصفتان: الأزلية والأبدية، ينسبهما الرب يسوع إلى ذاته بنفس القوة التي تنسبان إلى الله، فإذا لم يكن المسيح هو الله، فكيف يجروا المسيح أن يصف ذاته بالأزلية والأبدية، ... فنحن أمام قضية حادة: إمّا أن يكون المسيح مجدفاً، وإمّا أن يكون صادقاً، فإذا كان صادقاً - ولا شك في ذلك - فلا مفر من أن يكون هو الله متجسداً."^(٣)

٢. القدرة على كل شيء: وهي صفة من صفات الله، فهو وحده هو القادر على كل شيء، فقد قال المسيح واصفاً الرب: (عِنْدَ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ).^(٤)

وقد اتصف المسيح بهذه الصفة، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح في نفسه: (أَنَا هُوَ الْأَلْفُ وَالْيَاءُ، ... الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)^(٥)، وعندما دخل المسيح وتلاميذه السفينة اضطرب البحر وهاجت الرياح، فقام المسيح وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم فتعجب الناس قائلين: (أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا! فَإِنَّ الرِّيحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعاً تُطِيعُهُ!)^(٦)، ففي هذا النص النص تظهر قدرة المسيح وسلطانه على الطبيعة، إذ استجابت له الرياح وسكن البحر لأمره، من غير أن يحتاج إلى الصلاة والدعاء كما يفعل غيره.

٣. العلم بكل شيء: وهي صفة من صفات الله، فهو وحده العالم بكل شيء، فقد قال بولس واصفاً الرب: (كُلُّ شَيْءٍ غُرِيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنِي ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمَرْنَا).^(٧)

وقد وُصف المسيح بالعلم بكل شيء، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح للمشلول: (مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ. فَابْتَدَأَ الْكُتْبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُفَكِّرُونَ قَائِلِينَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفٍ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ؟ فَشَعَرَ يَسُوعُ بِأَفْكَارِهِمْ)^(٨)، فالمسيح هنا يعلم ما يجول في الأفكار والضمائر.

(١) غريغوريوس، أنت المسيح ابن الله الحي، ص ٢٣.

(٢) رؤيا يوحنا (١٨/١).

(٣) غريغوريوس، أنت المسيح ابن الله الحي، ص ٣١.

(٤) متي (٢٦/١٩).

(٥) رؤيا يوحنا (٨/١).

(٦) متي (٢٧-٢٣/٨).

(٧) الرسالة إلى العبرانيين (١٣/٤).

(٨) لوقا (٢٢/٥).

وقول التلاميذ للمسيح: (الآن نَعْلَمُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ)^(١)، وقول بطرس للمسيح: (يَا رَبُّ، أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُجِيبُكَ)^(٢).

٤. الحضور في كل مكان: وُصف الله الآب بأنه موجود في كل مكان، فقد قال الرب: (أَمَّا أَمَلًا أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقُولُ الرَّبُّ؟)^(٣).

وقد وُصف المسيح بأنه حاضر في كل مكان، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح عن نفسه: (لأنَّه حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهَنَّا أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ)^(٤)، فالمسيح موجود في كل بقاع الأرض، لأن الكنيسة منتشرة في كل مكان، وكل ما اجتمع اثنان باسمه فهو معهما لأنه غير محدود^(٥).

ومنها قول المسيح: (وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ)^(٦)، يقول القس سعيد ابراهيم مستنداً بهذا النص على وجود المسيح في كل مكان: "بينما كان المسيح على الأرض كان أيضاً في السماء"^(٧)، أي أَنَّ المسيح في حين وجوده على الأرض متجسداً كان كان أيضاً يملأ السماء، فهو في الأرض وفي السماء في الوقت نفسه!

ومنها قول المسيح لتلاميذه: (أَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ)^(٨)، وفي هذا النص يُبيِّن المسيح أنه بينما هو الآن في السماء هو أيضاً في قديسيه^(٩).

وقول المسيح لتلاميذه: (هَآ أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ)^(١٠)، يقول القس منصور مستنداً بهذا النص على حضور المسيح في كل مكان: "فاذا لم يكن المسيح حاضراً في كل مكان وزمان فكيف يقول إنه يكون مع الكارزين"^(١١) باسمه بين الأمم والقبائل والشعوب في كل مصر وعصر إلى انقضاء الدهر"^(١٢).

٥. عدم التغير: إِنَّ الله وحده هو الذي لا يتغير، قال القديس يعقوب واصفاً الرب بأنه: (الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ)^(١٣).

-
- (١) يوحنا (٣٠/١٦).
 (٢) يوحنا (١٧/٢١).
 (٣) إرميا (٢٣/٢٣).
 (٤) متى (٢٠/١٨).
 (٥) انظر: إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٣٢.
 (٦) يوحنا (١٣/٣).
 (٧) إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٣٣.
 (٨) يوحنا (٢٠/١٤).
 (٩) انظر: إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٣٣.
 (١٠) متى (١٩/٢٨).
 (١١) أي المبشرين باسمه ودعوته.
 (١٢) منصور، رسالة التوحيد والتثليث، ص ١٨١.
 (١٣) رسالة يعقوب (١٧/١).

وقد وُصف المسيح بعدم التغيير، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهيته، فقد قال بولس واصفاً المسيح: (يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ)^(١).

ثالثاً: أعمال الله الآب أعمال المسيح^(٢)

يقول إبراهيم: "من الأمور التي لا شك فيها أنَّ الله لا يشاركه في أعماله إنسان، وجميع أعمال الله نسبت إلى المسيح وهي تشهد عن لاهوته"^(٣)، ومن هذه الأعمال التي تفرد بها الله وعملها المسيح:

١. **الخلق:** الخلق عمل لا يقوم به إلا الله وحده لأنه إيجاد من العدم، وقد وُصف الله تعالى بتفرد به بالخلق في عدة نصوص من الكتاب المقدس منها: قول الرب: (أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ شَيْءٍ نَاشِرُ السَّمَاوَاتِ وَخَدِي. بِأَسْطُ الْأَرْضِ. مَنْ مَعِيَ؟)^(٤).

والخلق عمل من أعمال المسيح كذلك، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهيته، وجاء هذا في قول القديس يوحنا واصفاً المسيح: (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ، فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ ... وَكُنَّ الْعَالَمُ بِهِ)^(٥).

يذكر البابا شنودة هذا النصوص وغيره ثم يتساءل قائلاً: "كيف يكون المسيح خالقاً، بينما الخلق من صفات الله وحده؟"^(٦)، ثم يجيب على هذا السؤال بقوله: "لقد كان يخلق بقوة لاهوته، باعتبار أنه الأفتوم الثاني، إذاً فهل هو الذي خلق الكون أم الله الآب هو الذي خلق الكل؟ إنَّ الله الآب خلق العالم كله بالابن، خلقه بعقله، .. بمعرفته، بكلمته، أي بالأفتوم الثاني، لذلك يقول الرسول: (الذي به عمل العالمين)، أي بعقله، بحكمته."^(٧)

٢. **غفران الخطايا:** إنَّ الله وحده هو غافر الذنوب، يقول البابا شنودة: "المغفرة هي حق الله وحده، لأنَّ الخطية هي موجه أصلاً إليه، فهي كسر لوصاياه، وتعد على شرائعه، وتمرد على ملكوته، وهي أيضاً عدم محبة لله، وتفضيل للشر عليه، ونكران لجميله"^(٨)، وقد جاءت عدة نصوص في الكتاب المقدس تبين أنَّ الله هو وحده غافر الذنوب منها: قول الرب عن نفسه: (الرَّبُّ إِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَوْوْفٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ ... غَافِرُ الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيئَةِ)^(٩).

وقد قام المسيح بهذا العمل، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهيته، ومن هذه النصوص: قول

(١) الرسالة إلى العبرانيين (٨/١٣).

(٢) إنَّ أعمال الله وإن كانت صفات فعل له إلا أنَّ المسيحيين لا يقسمون صفات الله إلى صفات ذات وصفات فعل، لذلك التزم الباحث بذكر أدلة المسيحيين كما هي عندهم.

(٣) إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٣٦.

(٤) إشعياء (٤٤/٢٤).

(٥) يوحنا (١٠-٣/١).

(٦) البابا شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ص ٣٦.

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٨) المرجع نفسه، ص ٧٢.

(٩) سفر الخروج (٦/٣٤).

المسيح للمفلوج: (يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ)^(١)، وقول المسيح أيضاً للمرأة الخاطئة: (مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ)^(٢).

يقول البابا شنودة مستنداً بهذه النصوص على ألوهية المسيح: "مع أَنَّ الجميع يؤمنون أَنَّ الله وحده الذي يغفر الخطايا، قام المسيح بمغفرة الخطية للمفلوج وللمرأة الخاطئة .. ولغيرهم، بمجرد أمره، ليس بصلاة يطلب فيها الحل من الله، كما يفعل الكهنة حالياً، إِنَّمَا بالأمر (مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ) ولم يقل: (إذهب الرب يغفر لك)، وقال في صراحة أَنَّ له هذا السلطان أَنْ يغفر الخطايا على الأرض."^(٣)

٣. الخلاص: إِنَّ الخلاص عمل لا يقوم به إلا الله وحده وممَّا يدل على ذلك قول مريم العذراء في تمجيدها لله: (تَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي)^(٤)، وقول بولس: (مُخَلِّصِنَا اللهُ)^(٥).

وقد قام المسيح بهذا العمل، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهيته، وقد جاء هذا في عدة نصوص في الكتاب المقدس منها: قول المسيح عن نفسه: (لَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ)^(٦)، وقول المسيح: (لَأَنِّي لَمْ آتِ لِأَدِينِ الْعَالَمَ بَلْ لِأُخَلِّصَ الْعَالَمَ)^(٧)، وقول بولس: (أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِخَلِّصَ الْخُطَاةَ)^(٨).

٤. الدينوية: الدينونة هي عمل من أعمال الله وحده، يقول إبراهيم: "إِنَّ الديان العادل هو الله لا شريك له، فلا يستطيع أي إنسان مهما كان أَنْ يأخذ مركز الديان"^(٩)، ويستدل إبراهيم على ذلك بقول داوود النبي: (الرَّبُّ يَدِينُ الشُّعُوبَ)^(١٠).

وقد وُصف المسيح بأنَّه هو الديان يوم القيامة، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهيته، ومن هذه النصوص: قول المسيح عن نفسه: (فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ)^(١١)، ومنها قول المسيح عن نفسه: (أَنَا هُوَ الْفَاحِصُ الْكُلِّي وَالْقُلُوبَ، وَسَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ)^(١٢)، فالمسيح يبيِّن لنا في هذين النصين أَنَّهُ هو الذي سوف يحاسب الناس على أعمالهم يوم القيامة.

(١) مرقس (٥/٢).

(٢) لوقا (٤٨/٧).

(٣) البابا شنودة، لاهوت المسيح، ص ٧٤.

(٤) لوقا (٤٧/١).

(٥) رسالة بولس الرسول إلى تيطس (١٠/٢).

(٦) إنجيل متى (١١/١٨).

(٧) إنجيل يوحنا (١٤٧/١٢).

(٨) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (١٥/١).

(٩) إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٤٢.

(١٠) المزمور (٨/٧).

(١١) متى (٢٧/١٦).

(١٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي (٢٣/٢).

رابعاً: إكرام المسيح إكرام الله

يقول سعيد إبراهيم: "إنَّ الإكرام الذي قُدِّمَ للمسيح له المجد لا يمكن أن يقدم لإنسان مهما سما قدره أو عظم مركزه"^(١)، ويعد المسيحيون هذا التكريم للمسيح دليلاً على ألوهية المسيح، ويظهر هذا التكريم في أمور عديدة منها:

١. **تقديم السجود للمسيح:** فقد جاء في عدة نصوص أنَّ السجود لا يكون إلا لله وحده، منها قول المسيح لمن يتبعه: (لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ)^(٢)، ومع هذا النص الصريح في عدم جواز السجود إلا لله وحده إلا أننا نجد أنَّ المسيح قَبِلَ سجود الناس له، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، وجاء ذلك في عدة نصوص منها: سجود الأبرص للمسيح: (وَإِذَا أَبْرَصٌ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ)^(٣)، ومنها سجود الأعمى الأعمى للمسيح بعد أن جعله يبصر^(٤)، يقول القس جبره: "من هذه النصوص الصريحة يتضح أنَّ واجب الصلاة والعبادة من حق الله وحده على المؤمنين، لا يجوز أن يقدم لأي بشر أو نبي أو رسول، إلا أننا نجد أنَّ المسيح تُقدَّم إليه العبادة والسجود، وتُرفع إليه التوسلات، وهو في الوقت نفسه يقبلها، ويقدر أن يجيبها."^(٥)

٢. **تقديم الإكرام للمسيح نظير الآب تماماً:** فقد قال المسيح: (لَكِي يُكْرَمَ الْجَمِيعُ الْإِبْنُ كَمَا يُكْرَمُونَ الْآبَ. مَنْ لَا يُكْرَمُ الْإِبْنُ لَا يُكْرَمُ الْآبُ الَّذِي أَرْسَلَهُ)^(٦).

٣. **تقديم العبودية للمسيح^(٧):** المسيح موضوع الإيمان فقد قال المسيح عن نفسه: (مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ)^(٨).

والمسيح هو موضوع المحبة فقد قال يوحنا عن المسيح: (نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبُّنَا أَوَّلًا)^(٩).

والمسيح هو موضوع الاستشهاد فقد قال المسيح: (مَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدْهَا)^(١٠).

والمسيح هو موضوع العبادة فقد قال بولس: (فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أَرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ)^(١١).

والملاحظ أنَّ النص الأخير هو وحده المصرح بعبودية بولس للمسيح، لكنهم يستدلون بالنصوص السابقة على ذلك كذلك.

(١) إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٤٢.

(٢) متى (١٠/٤).

(٣) متى (٢/٨).

(٤) يوحنا (٣٥/٩).

(٥) جبره، ابن الله، ص ٥٥.

(٦) يوحنا (٢٣/٥).

(٧) انظر هذا الدليل في: إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٤٦.

(٨) يوحنا (٤٧/٦).

(٩) رسالة يوحنا الأولى (١٩/٤).

(١٠) متى (٣٧/١٠).

(١١) الرسالة إلى أهل غلاطية (١٠/١).

٤. التعميد باسم المسيح مقترناً باسم الآب: جاء التعميد باسم المسيح مقترناً أحياناً باسم الآب، وأحياناً جاء التعميد باسم المسيح وحده: فقد قال المسيح لتلاميذه: (فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ)^(١)، وقال بطرس لليهود: (تَوْبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِيُغْفَرَ لَكُمْ الْخَطَايَا).^(٢)

خامساً: وصف المسيح بأنه ابن الله

وُصِفَ المسيح بأنه (ابن الله)، وبأنه الابن الوحيد لله في عدة نصوص من الكتاب المقدس، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، فهم يعتقدون أنه مولود من الله منذ الأزل وله نفس الطبيعة والجوهر الإلهيين، ومن هذه النصوص التي وصف بها المسيح بأنه (ابن الله): قول الآب للابن عند التعميد: (هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ)^(٣)، وقول بطرس للمسيح: (أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ)^(٤)، وقول الملاك لمريم العذراء حين بشرها بالحبلى: (الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ)^(٥)، وجاء في إنجيل يوحنا أن المسيح حين سمع عن مرض لعازر قال: (هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لِأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ، لِيَتِمَّجَدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ)^(٦)، وجاء في إنجيل متى في معجزة المشي على الماء وفيها أن المسيح مشى مشى على الماء، ومشى بطرس أيضاً على الماء بقوة المسيح، فسجد كل من في السفينة للمسيح وقالوا: (بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ!)^(٧)، يقول مينا معلقاً على هذا النص: "هل يقصدون بهذه العبارة بنوة عادية مثل بنوة باقي البشر لله؟ مستحيل، فالبنوة العادية ليس دليلها المشي على الماء، والسماح لتلميذه بالمشي على الماء مثله، لذلك سجدوا له وهم يقولون هذه العبارة، وفي هذا السجود اعتراف بأنه ابن الله من نوع فريد ليس لأحد من الناس، بنوة لها قوة المعجزة الخارقة والسيطرة على الماء والريح."^(٨)

ويعتقد المسيحيون أنه من أجل أن تتميز بنوة المسيح عن بنوة سائر المؤمنين الذين دُعو بأبناء الله بسبب المحبة والإيمان، فقد سُمِّيَ المسيح في الكتاب المقدس بالابن الوحيد، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح: (لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ)^(٩)، ومنها قول يوحنا: (بِهَذَا أُظْهِرْتُ أُظْهِرْتُ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِينَا: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ)^(١٠).

ويلاحظ أن إنجيل يوحنا هو وحده دون غيره من الأناجيل الذي تفرد بالنص على بذل الابن الوحيد من أجل خلاص العالم.

(١) متى (١٩/٢٨).

(٢) أعمال الرسل (٣٨/٢).

(٣) متى (١٧/٣)، لوقا (٢٢/٣).

(٤) متى (١٥/١٦).

(٥) لوقا (٣٥/١).

(٦) يوحنا (٤/١١).

(٧) متى (٣٣-٢٣/١٤).

(٨) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ٢١٧.

(٩) يوحنا (١٦/٣).

(١٠) رسالة يوحنا الأولى (٩/٤).

سادساً: وصف الله بأنه أب المسيح

وُصف الله الآب بأنه أب للمسيح في عدة نصوص من الكتاب المقدس ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، فهذه الأبوة خاصة بالمسيح، وهي تعبير عن حقيقة العلاقة الأزلية بين أقنوم الآب وأقنوم الابن، وليست هي أبوة عامة كأبوة الله لسائر المؤمنين التي سببها المحبة والإيمان، بل هي أبوة حقيقية، وقد وصف الله بأنه أب للمسيح في عدة نصوص منها: قول المسيح لتلاميذه: (لَا تَحْتَقِرُوا أَحَدًا..، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَلَائِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلِّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ)^(١)، ومنها قول المسيح: (إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نَتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي)^(٢)، ومنها قول المسيح حين صلب مخاطباً الآب: (يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ)^(٣).

سابعاً: نصوص تفيد مساواة المسيح لله واتحاده به

ولم يكتفِ الكتاب المقدس بهذا القدر لبيان ألوهية المسيح بل إنه ساوى بين المسيح الابن والله الآب في عدة نصوص منها: قول المسيح لليهود: (أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ)^(٤)، ومنها قول المسيح لفيلبس حين طلب فيلبس أن يرى الآب: (الَّذِي رَأَيْتَنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الْآبَ؟ أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الْآبِ وَالآبُ فِيَّ؟)^(٥)، ومنها قول المسيح مبيناً فيه قوة علاقته بالآب: (وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي)^(٦)، يقول البابا شنودة الثالث معلقاً على هذا النص: "وهو تصريح لا يمكن أن يصدر عن بشري، لأنَّ معناه المساواة الكاملة بينه وبين الآب"^(٧)، وقد بيَّن المسيح أنَّه يعمل كل أعمال الآب فقال: (إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالِ أَبِي فَلَا تُؤْمِنُوا بِي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَامْنُوا بِالْأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ)^(٨)، فهذه النصوص تُبيِّن أنَّ الآب حال في المسيح وأَنَّهُ مساوٍ له، وأنَّ المسيح يعمل كل أعمال الآب، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح.

ثامناً: ميلاد المسيح المعجز

يستدل القس إبراهيم على ألوهية المسيح بالميلاده المعجز فيقول:

١. لم تكن ولادته هي بداية حياته فهو موجود منذ البدء.
٢. يوجد فرق بين خلق آدم وولادة المسيح.
٣. يوجد فرق بين خلق حواء وولادة المسيح.
٤. لم يولد من أب بشري لذلك لم يتنجس بالخطية.

(١) متى (١٠/١٨).

(٢) متى (٢٩/٢٦).

(٣) لوقا (٣٤/٢٣).

(٤) يوحنا (٣٠/١٠).

(٥) يوحنا (٩/١٤ - ١٠).

(٦) يوحنا (١٠/١٧).

(٧) البابا شنودة، لاهوت المسيح، ص ٢٤.

(٨) يوحنا (٣٧/١٠).

٥. لو كان المسيح مجرد إنسان فلماذا لم يولد كما يولد سائر البشر مثل إبراهيم وموسى وإيليا وأشعياء، ولأنه هو الإله المتجسد- مولود غير مخلوق:
- أعلن الإله ليوسف حقيقة الحبل به وحقيقة شخصه.
 - جاءت الملائكة وبشرت الرعاة وهتفت فرحاً بميلاده.
 - ظهر النجم للمجوس فأتوا من بلاد بعيدة وسجدوا له.^(١)

تاسعاً: حياة المسيح النقية

يعتقد المسيحيون أنَّ الخليقة كلها من النبي آدم وإلى نهاية العالم قد سقطت في الخطيئة بالورثة من أبيهم آدم حين خالف كلام الرب وأكل من الشجرة^(٢)، لذلك فقد وقع كل البشر في الخطيئة، قال إشعياء النبي: (كُلُّنَا كَفَمٌ ضَلَّلْنَا. مِلْنَا كُلٌّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا)^(٣)، ولكن المسيح وحده هو "الذي عاش على هذه الأرض منزهاً عن الخطأ معصوماً عن الزلل"^(٤)، يقول القمص مينا: "فيسوع هو الشخص الوحيد الذي ظهر للعالم وكان المثل الأعلى في طهارة السيرة ونقاوة السمعة وكرم الأخلاق ..، وبالجمله إذا تتبعنا تاريخ حياته النقية من أوله إلى آخره لوجدنا أنَّ العالم لم ير ولن يرى حتى منتهى الدهر شخصاً تمثلت فيه صفات المسيح، وأخلاقه السامية الكريمة التي لم يعثرها عيب ولم يلحقها دنس"^(٥)، وقد جاءت عدة نصوص في الكتاب المقدس تبين نقاء حياة المسيح وطهارتها، وطهارتها، وبعده عن كل خطأ أو إثم، ويعد المسيحيون ذلك على دليلاً على ألوهية المسيح، فلو كان المسيح بشراً لكان بطبعه سوف يقع في الخطيئة لأنَّ كل البشر خطائون، فهم قد ورثوا الخطيئة من أبيهم آدم.

ويعتقد المسيحيون أنَّ لو كان المسيح بشراً لوقع هو أيضاً في الخطيئة، ولكن لما كان المسيح إلهاً متجسداً لذلك لم يقع حتى في خطيئة واحدة، فما دام المسيح لم يقع منه خطيئة، والإله وحده هو الذي لا يخطئ، لذلك فالمسيح هو الإله المتجسد، ومن النصوص التي تبين طهارة حياة المسيح: قول المسيح لليهود: (مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟)^(٦)، وقول بولس عن المسيح: (الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً)^(٧). وهذا الذي شهد له به الأعداء أيضاً، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول قائد المئة: (بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا!)^(٨)، ومنها قول بيلاطس عن المسيح: (أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً)^(٩).

(١) إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٥٠.

(٢) سفر التكوين (٣).

(٣) سفر إشعياء (٦/٣٥).

(٤) حنا، خمس حقائق عن المسيح، ص ١٧.

(٥) مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ٢٦٣.

(٦) يوحنا (٤/٦/٨).

(٧) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (٢١/٥).

(٨) لوقا (١٩/٢٧).

(٩) يوحنا (٣٨/١٨).

عاشراً: معجزات المسيح تدل على ألوهيته

يقول مينا معرفاً المعجزة: "من المسلّم به أنّ المعجزة أو الآية هي حادث خارق للعادة أو نواميس الطبيعة يصنع بقوة الله لإثبات أمر إلهي"^(١)، وقد صنع المسيح الكثير من المعجزات، ويستدل بها المسيحيون على ألوهية المسيح، لأنّ المسيح- عندهم- صنع هذه المعجزات بقوته الذاتية، وليس كما صنعها غيره بأمر الله وقوته^(٢)، لذلك يعتقد المسيحيون أنّ هذه المعجزات من أدل البراهين التي حققت لاهوت المسيح ومساواته للآب في القدرة والعظمة^(٣)، ويبيّن القس إبراهيم أنّ معجزات المسيح كانت لا تعد من الكثرة، وتشمل أنواع عديدة، وبمجرد الأمر والانتهاه للمرض، وبمجرد اللمس أو وضع اليد، وبمجرد إرادته بدون أمر منه، وكانت معجزاته تتم بدون صلاة أو دعاء كما يفعل غيره من الأنبياء^(٤)، ومن هذه المعجزات التي قام بها المسيح، ويستدل بها المسيحيون على ألوهية المسيح:

١. إقامة المسيح للموتى: فقد جاء في الكتاب المقدس أنّ المسيح أقام عدة أموات، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية المسيح، وجاء هذا في عدة نصوص منها: ما جاء في مرقس حيث دخل المسيح على بيت بابرس فوجدهم يكون بسبب موت ابنتهم: (فَأَمْسَكَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ وَقَالَ لَهَا: طَلِيئًا، قُومِي!. الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا صَبِيَّةُ، لَكَ أَقُولُ: قُومِي! وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ)^(٥)، ومنها ما جاء في إنجيل لوقا حيث لمس المسيح نعش ابن أرملة نايين، وقال: (أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ!. فَجَلَسَ الْمَيِّتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ)^(٦)، ومنها ما جاء في إنجيل يوحنا حيث وقف المسيح عند قبر لعازر وصرخ بصوت عظيم قائلاً: (لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجاً! فَخَرَجَ الْمَيِّتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمَنْدِيلٍ)^(٧).
ففي النصوص الثلاثة أقام المسيح الأموات بمجرد أمره، بلا دعاء وصلاة كما يفعل غيره، ممّا يدل على ألوهيته عند المسيحيين.

٢. شفاء المرضى: جاء في الكتاب المقدس أنّ المسيح قد أشفى الكثير من المرضى، ويعد المسيحيون هذا دليلاً على ألوهيته، وجاء هذا في عدة نصوص منها: ما جاء في إنجيل متى حين جاء الأبرص وسجد للمسيح وقال له: (يَا سَيِّدُ، إِنَّ أَرَدْتَ تَقَدَّرُ أَنْ تُطَهِّرَنِي. فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: أُرِيدُ، فَاطْهَرُ!. وَلِلْوَقْتِ طَهَّرَ بَرَصُهُ)^(٨)، ومنها ما جاء في إنجيل متى حين جاء المسيح إلى بيت بطرس فوجد حماته مطروحة ومحمومة، فلمس بدنّها فتركتها الحمى، وقامت تخدمهم^(٩)، ومنها ما جاء في إنجيل مرقس

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ٢٤٢.
(٢) انظر: إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٥٧.
(٣) انظر: مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ٢٤٢.
(٤) انظر: إبراهيم، المسيح إنسان أم إله، ص ٥٨.
(٥) مرقس (٤١/٥-٤٣).
(٦) لوقا (١٤/٧).
(٧) يوحنا (٤٣/١).
(٨) متى (٣/٨).
(٩) متى (٣/٨).

عندما جاءت نازفة الدم ومست ثوبه وقالت في نفسها: (إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ. فَلَوْ قَتَّ جَفَّ يَنْبُوغُ دَمَهَا)^(١)، ومنها ما جاء في إنجيل مرقس حين جاء الأعمى إلى المسيح فقال له المسيح: (مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَى: يَا سَيِّدِي، أَنْ أَبْصِرَ!). فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ. إِيْمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ. فَلَوْ قَتَّ أَبْصَرَ)^(٢)، ونلاحظ أيضاً أَنَّ شفاء المريض كان يتم بأمر المسيح دون الحاجة إلى صلاة ودعاء.

هذه هي مجمل أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح من الكتاب المقدس، وبعد أن تعرفنا إليها نتعرف إلى أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس من الكتاب المقدس.

المطلب الثاني: أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس من الكتاب المقدس

يستدل المسيحيون على ألوهية الروح القدس بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس، مع أَنَّ معظم أدلتهم غير مصرحة بذلك، لكنهم عدوها أدلة على ألوهية الروح القدس عندهم، وسيكون دور الباحث النقل عنهم وعرض ما لديهم من أدلة، أمَّا الرد فموضعه الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

يؤمن المسيحيون بألوهية الروح القدس، ويعدونه الأقنوم الثالث من الثالوث المقدس، وأنه مساوٍ للآب والابن في الطبيعة والجوهر، ويستدلون على ذلك بأدلة عديدة من الكتاب المقدس وبيانه الآتي:

أولاً: أسماء الله الآب أسماء الروح القدس

لقد سُمِّي الروح القدس في الكتاب المقدس باسم (الله)، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية الروح القدس، ويقولون: لو لم يكن الروح القدس إلهاً لما سُمِّي بـ(الله) في الكتاب المقدس، فقد قال بطرس لحنانيا: (يَا حَنَانِيَا لِمَاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ تَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَنْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بَيْعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بِأَلَاكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الْأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ)^(٣)، يقول مينا: "من هذه الآية يتضح لاهوت الروح القدس إيضاحاً جلياً لأنَّ ما دعاه في بداية الآية: الروح القدس، عاد فدعاه الله في نهايتها."^(٤)

ثانياً: صفات الله الآب صفات الروح القدس

وُصف الروح القدس بعدة صفات وُصف بها الله الآب، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية الروح القدس، ويقولون: لولا أَنَّ الروح القدس إله لما اتصف بالصفات التي يتصف بها الله الآب، ومن هذه الصفات:

١. الأزلية والأبدية: الله وحده هو الأزلي والأبدي، وقد وصف الروح القدس بأنه أزلي وأبدي، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية الروح القدس، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول بولس عن

(١) مرقس (٢/٥).

(٢) مرقس (٥٢/١٠).

(٣) أعمال الرسل (٤-٣/٥).

(٤) مينا، ميخائيل، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، دبط، مطبعة النصر، القاهرة، ١٩٧٥م، ج٢، ص٧٧.

المسيح أنه: (الذي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ)^(١)، يقول مينا: "لا جدال في أن هذه الصفة أي صفة الأزلية لم يصف بها الوحي الإلهي كائناً من الكائنات سوى الذات الإلهية، ... وحيث أن الروح القدس قد وُصف بهذه الصفة عينها، فهو ولا ريب إله حق"^(٢)، ومنها قول المسيح: (أَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ)^(٣).

٢. القدرة على كل شيء: الله وحده هو القادر على كل شيء، وقد وُصف الروح القدس بأنه قادر على كل شيء، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية الروح القدس، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول ميخا النبي: (وَأَنَا مُمْتَلئُ بِرُوحِ الرَّبِّ قُوَّةً وَحَقًّا وَاقْتِدَاراً)^(٤)، ومنها قول المسيح لتلاميذه: (لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً)^(٥)، ومنها قول بولس: (بِقُوَّةِ آيَاتٍ وَعَجَائِبٍ بِقُوَّةِ رُوحِ اللَّهِ)^(٦)، ومنها قول بولس: (لَكِنِّي يُعْطِيكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ بِرُوحِهِ فِي الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ)^(٧)، يقول مينا مستدلاً بهذه النصوص على ألوهية الروح القدس: "من تأمل في هذه الآيات الصريحة وجدها تصف الروح القدس بالقوة والافتقار الفائقين ليس في ذاته فقط، بل له السلطان أن يمد بهما غيره أيضاً، ومن له القوة في ذاته، ويستطيع أن يمنحها لغيره يستحيل أن يكون مخلوقاً؛ لأن ذلك ليس من شأن المخلوقات، نعم يوجد بعض المخلوقات لهم قوة ممتازة عن غيرهم كالملائكة، إلا أن قوتهم ليست ذاتية فيهم بل ممنوحة لهم من الخالق، كما أنهم ليسوا بقادرين أن يهبوها لغيرهم ..، أمّا الروح القدس فقوته في ذاته وله سلطان أن يعطيها لغيره أيضاً، وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الله القدير وحده، إشعياء (١٨/٤٠)."^(٨)

٣. الحضور في كل مكان: الله- كما يعتقد المسيحيون- موجود في كل مكان، وقد وُصف الروح القدس بأنه في كل مكان، وهذا دليل على ألوهيته، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول داود النبي مخاطباً الرب: (أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟)^(٩). وقول المسيح: (وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ)^(١٠)، وقول إشعياء: (مَنْ قَاسَ رُوحَ الرَّبِّ وَمَنْ مُشِيرُهُ يُعَلِّمُهُ؟)^(١١)، يقول مينا مستدلاً بهذه النصوص على ألوهية الروح القدس: "ومن هذه النصوص الجلية يُستدل على عدم محدودية الروح القدس، ثم حضوره في كل مكان بحيث لا يخلو منه

(١) الرسالة إلى العبرانيين (١٤/٩).

(٢) مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص ١٢.

(٣) يوحنا (١٦/١٤).

(٤) ميخا (٨/٣).

(٥) أعمال لرسول (٨/١).

(٦) رسالة بولس إلى أهل رومية (١٩/١٥).

(٧) الرسالة إلى إهل إفسس (١٦/٣).

(٨) مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص ٩.

(٩) مزمور (٧/١٣٩).

(١٠) إنجيل يوحنا (١٦/١٤).

(١١) إشعياء (١٣/٤٠).

موضع في السماء أو على الأرض يهرب إليه الإنسان وهناك يختفي، كما أنه لا يمكن حصره في مكان معين حتى يستطيع كائن من كان أن يقيسه ويعرف مساحة الفضاء الذي يُشغله، وواضح أنَّ الحضور في كل مكان وعدم المحدودية إنما هي من أخص صفات الإله.^(١)

٤. العلم بكل شيء: الله وحده هو العالم بكل شيء، وقد وُصف الروح القدس بأنه عالم بكل شيء، وهذا دليل على ألوهيته وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح: (وَأَمَّا الْمُعْزِّي، الرُّوحُ الْقُدُّسُ، الَّذِي سِيرْسُلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ)^(٢)، ومنها قول بولس: (فَأَعْلَنَهُ اللَّهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لِأَنَّ لَأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللَّهِ)^(٣).

ثالثاً: أعمال الله أعمال الروح القدس^(٤)

يعمل الروح القدس عدة أعمال من أعمال الله، ويُعد المسيحيون هذا دليلاً على ألوهيته، ومن هذه الأعمال:

١. الخلق: الله هو الخالق، وقد وُصف الروح القدس بأنه الخالق، وهذا دليل على ألوهيته، وجاء هذا في عدة نصوص من الكتاب المقدس منها: قول أيوب النبي: (رُوحُ اللَّهِ صَنَعَنِي وَتَسَمَّيْتُ الْقَدِيرَ أَحْيَيْتَنِي)^(٥)، (أَحْيَيْتَنِي)^(٥)، ومنها قول موسى النبي مشيراً إلى اشتراك الروح القدس في خلق العالم: (وَكَانَتْ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ)^(٦)، يقول مينا مبيناً معنى هذا النص: "ومعنى ذلك أنَّ الروح القدس كان على وجه القمر معطياً للخلقة الحياة والنظام والقوة، وواضح أن منبع الحياة والنظام والقوة في العالم إنما هو واحد وحيد وهو الله القدير دون غيره، وحيث أنَّ هذه الصفات نسبت للروح القدس كنسبتها لله فهو إله بلا محالة."^(٧)

٢. منح الحياة: إنَّ الإله وحده هو الذي يمنح الحياة، فقد قال الرب عن نفسه: (أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلَهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيَّتٌ وَأُحْيِي)^(٨)، يقول الأنبا غريغوريوس: "إنَّ الله وحده هو الحي بذاته، وهو مبدئ الحياة في كل الكائنات، .. وبه يحيا كل حي آخر، والله هو الحي دائماً، .. وكان هو باعث الحياة وأصل الحياة، ولا زال يبعث الحياة، وسيبقى دائماً باعث الحياة، ومنشئ الحياة إلى الأبد."^(٩)

وإعطاء الحياة عمل من أعمال الروح القدس، ويُعد المسيحيون هذا دليلاً على ألوهيته، وجاء هذا في عدة نصوص من الكتاب المقدس منها: قول الرب لنبي إسرائيل: (وَأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فَتَحْيَوْنَ،

(١) مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص ١١.

(٢) إنجيل يوحنا (٢٦/١٤).

(٣) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١٠/٢).

(٤) إنَّ أعمال الله وإن كانت صفات فعل له إلا أنَّ المسيحيين لا يقسمون صفات الله إلى صفات ذات وصفات فعل لذلك التزم الباحث بذكر أدلة المسيحيين كما هي عندهم.

(٥) سفر أيوب (٤/٣٣).

(٦) سفر التكوين (٢/١).

(٧) مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص ٨.

(٨) سفر التثنية (٣٩/٣٢).

(٩) الأنبا غريغوريوس، أنت المسيح ابن الله الحي، ص ٣٢.

وَأَجْعَلْكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَفَعَلْتُ^(١)، ومنها قول بولس: (وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمْ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ)^(٢)، ومنها قول بطرس: (فَإِنَّهُ لِأَجْلِ هَذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضًا، لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ، وَلَكِنْ لِيُحْيُوا حَسَبَ اللَّهِ بِالرُّوحِ)^(٣)، يقول مينا مستدلاً بهذه النصوص على ألوهية الروح القدس: "إِنَّ مِنْ أَعْمَلِ الْفِكْرِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الصَّرِيحَةِ اتَّضَحَ لَهُ أَنَّهَا تَصِفُ الرُّوحَ الْقُدُسَ بِأَنَّهُ مَنْبِعُ الْحَيَاةِ مِنْ جِهَةٍ، وَلَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى مَنَحِهَا لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَحَيْثُ أَنَّ صُدُورَ الْحَيَاةِ وَمَنَحِهَا لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا الْخَالِقُ دُونَ الْمَخْلُوقِ، فَإِذَنْ الرُّوحُ هُوَ إِلَهُ بِلَا مُحَالَةٍ."^(٤)

٣. الديونة: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الدِّيان، ولكن الديونة عمل من أعمال الروح القدس كذلك، ويعد المسيحيون هذا دليلاً على ألوهية الروح القدس، فقد قال المسيح: (لَأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دِينُونَةٍ)^(٥)، يقول مينا: "حيث أن القدرة على الديونة تستلزم القوة على فحص قلوب الجميع، ومعرفة الأسباب الموجبة لأعمالهم، ولا يقدر على ذلك إلا الله وحده، وحيث أن الروح القدس يدين العالم، وله مع ذلك القوة على فحص قلوب الجميع، فهو إذن إله لأن تلك من الصفات الجوهرية الدالة على الألوهية."^(٦)

٤. غفران الخطايا: إِنَّ غَافِرَ الْخَطَايَا هُوَ الْإِلَهُ وَحْدَهُ، والمغفرة عمل من أعمال الروح القدس كذلك، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية الروح القدس، فقد قال بولس: (لَكِنْ اغْتَسَلْتُمْ بِلِ تَقَدَّسْتُمْ بِلِ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ الْهِئَا).^(٧)

هذه مجمل أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس من الكتاب المقدس، وبعد أن تعرفنا إليها نتعرف إلى أدلة المسيحيين على وحدانية الله وتثليث أقانيمه (الثالوث) من الكتاب المقدس.

المطلب الثالث: أدلة المسيحيين على وحدانية الله وتثليث أقانيمه من الكتاب المقدس

يستدل المسيحيون على وحدانية ذات الله وتثليث أقانيمه بعدة أدلة من الكتاب المقدس، مع أن معظم أدلتهم غير مصرحة بذلك، لكنهم عدوها أدلة على الثالوث المقدس عندهم، وسيكون دور الباحث النقل عنهم وعرض ما لديهم من أدلة، أمّا الرد فموضعه الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

لقد ذكر الباحث في المطلبين السابقين أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح والروح القدس، ولكن المسيحيين يدعون أنهم لا يعبدون ثلاثة آلهة، بل يزعمون أنهم يعبدون إلهاً واحداً في ثلاثة أقانيم، وهذا

(١) سفر حزقيال (١٤/٣٧).

(٢) الرسالة إلى أهل رومية (١١/٨).

(٣) رسالة بطرس الرسول الأولى (٦/٤).

(٤) مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص ١٢.

(٥) يوحنا (٨/١٦).

(٦) مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص ١٣.

(٧) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١٠/٦).

ما يُسمَّى عندهم بسر التثليث، ويستدلون على ذلك بعدة أدلة من الكتاب المقدس منها:

أولاً: أدلة الثالوث من العهد القديم

يستدل المسيحيون على وحدانية الله وتثليث أقانيمه بنصوص غير صريحة في العهد القديم، فهم يعتقدون أن العهد القديم قد أشار إلى الثالوث ولكنه لم يصرح به، ولكن لماذا لم يذكر الله هذا الثالوث ذكراً صريحاً في العهد القديم؟ يقول مينا مجيباً على عدم ذكر الله للثالوث المقدس في العهد القديم بأن هذا كان: "حذراً من أن يقع الإسرائيليون في عبادة تعدد الآلهة التي كانوا منصبين عليها انصباباً عظيماً".^(١)

ويستدل المسيحيون على وحدانية الله وتثليث أقانيمه بعدة نصوص منها: ما جاء في سفر التكوين ونصه: (فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)^(٢)، يقول مينا مستدلاً بهذا النص على وحدة الجوهر وتثليث الأقانيم: "أما كلمة الله فواردة في الأصل العبراني (ألوهيم) ومعناها الآلهة (بالجمع)، ومن ثم يشير هذا النص صراحة إلى تثليث أقانيم الله ووحدة جوهره، لأنه بقوله (الآلهة) بصيغة الجمع يشير إلى الأقانيم الإلهية الثلاثة، ويقول (خلق) بصيغة المفرد يشير إلى وحدة الجوهر".^(٣)

إذاً فالله يتحدث عن نفسه أحياناً بصيغة المفرد لبيان وحدانية جوهره، ويتحدث عن نفسه أحياناً بصيغة الجمع لبيان تعدد أقانيمه، يقول القس منصور: "وقد ورد اسم الله في اللغة العبرية الأصلية بصيغة الجمع (ألوهيم) نحو ٢٥٠٠ مرة، وهذا دليل على إثبات حقيقة الثالوث".^(٤)

ومنها قول الله الآب: (نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَسْبَهْنَا)^(٥)، يقول مينا مستدلاً بهذا النص على وحدانية الله وتثليث أقانيمه: "فكلمة (نعمل) دلت على كثرة الأقانيم التي كان الله يخاطبها بمشورته الأزلية، وكلمة (صورتنا) دلت على وحدة الطبيعة، حيث أن لفظ (صورة) المضاف إلى ضمير المتكلمين مفرد دال على الوحدة"^(٦)، ويقول أوت معلقاً على هذا النص: "كان الآباء يفهمون هذه الآية على ضوء وحي العهد الجديد، على أن الأقنوم الأول يخاطب الأقنوم الثاني، أو يخاطب الثاني والثالث، .. ومن الأرجح أن تكون صيغة الجمع هذه من قبيل حديث المرء مع نفسه"^(٧)، أي أن هذا التعدد وجد في في الذات الإلهية منذ الأزل، وقبل خلق الكون والإنسان، فكانت هذه الأقانيم تتخاطب معاً منذ الأزل.

ومن الأدلة على ذلك أيضاً قول الملائكة مقدسين الله: (قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ)^(٨)، وبالرغم من أن هذا النص ليس فيه ذكر لتثليث الأقانيم إلا أن المسيحيين يستدلون به على ذلك، وفي هذا

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٧٥.

(٢) التكوين (١/١).

(٣) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٧٥.

(٤) منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص ٣٥.

(٥) التكوين (٢٦/١).

(٦) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٧٥.

(٧) أوت، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ج١، ص ٧٨.

(٨) إشعياء (٣/٦).

يقول مينا: "تكرار التقديس ثلاث مرات بلا زيادة ولا نقصان يشير إلى الثالوث الأقدس، بمعنى قدوس هو الآب، وقدوس هو الابن، وقدوس هو الروح القدس، أمّا قولهم رب الجنود بالمفرد فيشير إلى وحدة الجوهر."^(١)

ومنها أنّ الرب أمر موسى النبي أن يبارك بني إسرائيل قائلاً: (يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاماً)^(٢)، وبالرغم من أنّ هذا النص لا يذكر الأقانيم الثلاثة، إلا أنّ المسيحيين يستدلون بذكر كلمة الرب ثلاث مرات على الأقانيم الثلاثة، يقول مينا: "فلو لم يقصد بكلمة الرب الأولى (الآب) والثانية (الابن) والثالثة (الروح القدس) لعدل عن التكرار واكتفى بقوله: (يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاماً)"^(٣)، ويربط القس منصور بين هذه البركة وبين ما جاء في البركة الرسولية في العهد الجديد فيقول: "وكما اعتاد خدام الدين المسيحي أن يباركوا الشعب بالبركة الرسولية التي هي باسم الثالوث الأقدس قائلين: (نِعْمَةُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (١٣/١٤)، كذلك أوصى الله كهنة العهد القديم أن يباركوا الشعب باسمه بركة مثلثة، كقوله على فم موسى النبي: (يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاماً)، فالله الآب يظهر محبته ويحرسهم، وربنا يسوع المسيح يظهر نعمته ويرحمهم، والروح القدس يظهر شركته ويمنحهم سَلاماً."^(٤)

ومن الأدلة على ذلك أيضاً قول الله لموسى النبي: (أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ)^(٥)، وبالرغم من أنّ هذا النص ليس فيه ذكر للأقانيم الثلاثة إلا أنّ المسيحيين يستدلون به على ذلك، يقول القس مشرقي: "قد تعددت العبارات وتنوعت الإشارات عن ذلك"^(٦)، مثل ورود كلمة إله ثلاث ثلاث مرات في عبارة كان يغني فيها ورودها مرة واحدة فهذا التكرار الثلاثي للفظة إله هنا، إنما هو تحقيق لوجود الأقانيم الثلاثة"^(٧)، ويقول مينا أيضاً: "وإلا لو لم يكن المقصود بها ذلك لما كان هناك داع لتكرار كلمة إله، بل كان اكتفى بقوله: أنا إله آبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب."^(٨)

ففي النصين السابقين كان الهدف من تكرار كلمة رب وكلمة إله ثلاث مرات الإشارة إلى الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين.

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٧٧.

(٢) العدد (٢٤/٦).

(٣) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٧٨.

(٤) منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص ٣٧.

(٥) الخروج (٦/٣).

(٦) يقصد تعدد الأقانيم.

(٧) مشرقي، حقيقة الثالوث، ص ١٩٣.

(٨) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٧٦.

ثانياً: أدلة المسيحيين على الثالوث من العهد الجديد

يستدل المسيحيون على وحدانية الله وتثليث أقانيمه بأدلة عديدة من العهد الجديد منها: قول المسيح لتلاميذه: (وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ)^(١)، يقول القس شحادة مستدلاً بهذا النص على الثالوث: "تضمنت مأمورية المسيح العظمى حقائق هامة في محتواها، .. إذ تظهر عقيدة الثالوث فيها من خلال الأمور التالية: الأقانيم الثلاثة متميزة بعضها عن بعض، ومرتبطة بحرف العطف (و)، والأقانيم الثلاثة أنت مرتبطة بكلمة (اسم) والتي جاءت في العدد المفرد، وهذا ضد التثليث أي ضد مبدأ تعدد الآلهة، والأقانيم الثلاثة هي على مقام واحد متساوٍ في الجوهر."^(٢)

ويبين القس سمعان وجه الاستدلال بهذا النص على الثالوث، وكيف يدل على وحدانية الله وتثليث أقانيمه فيقول: "إنها"^(٣) لا تقول: بأسماء الآب والابن والروح القدس، بل (باسم الآب والابن والروح القدس)، وكلمة (باسم) المفردة تدل بكل وضوح على أنه لا يقصد بالأقانيم (الآب والابن والروح القدس) ثلاثة كائنات، بل كائن واحد، هو بذاته (الآب والابن والروح القدس)، أو بتعبير آخر هو الله دون سواه"^(٤)، فسبب استخدام المفرد هو وحدانية الله، وسبب ذكر (الآب والابن والروح القدس) هو تعدد الأقانيم، يقول القس حنا: "ولأنَّ الله بثالوث أقانيمه هو إله واحد، لذلك عندما يذكر الكتاب المقدس أقنومين أو أكثر لا يأتي في صيغة الجمع أو المثني، بل في صيغة المفرد."^(٥)

ومن أدلة المسيحيين على الثالوث قول يوحنا: (الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الْآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ)^(٦)، ويُعدُّ هذا النص أصح نص يبين عقيدة الثالوث، يقول القمص مينا: "وهذا من أوضح ما يكون على سر تثليث أقانيم الله ووحدة جوهره، لأنَّه يصرح بتثليث الأقانيم بقوله: أنَّ الشهود في السماء ثلاثة الآب والابن والروح القدس، ثمَّ يعلن وحدة الذات والجوهر في الثلاثة بقوله: والثلاثة هم واحد، أي إله واحد."^(٧)

ومنها قول يوحنا في افتتاحية إنجيله: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ)^(٨)، يستدل مينا بهذا النص على وحدانية الله وتثليث أقانيمه فيقول: "ولقد أعلن الإنجيلي تمييز أقنومي أقنومي الآب والابن، ووحدتهما في الجوهر بقوله: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ) أي في الأزل قبل كل ما له ابتداء، وبهذا حقق أزلية الابن الكلمة، ثمَّ يشير إلى تمييز أقنومه عن أقنوم الآب بقوله: (وَالْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ)، أي أنَّ الابن الكلمة كان عند أبيه في جوهره الإلهي، .. وواضح أنَّه لا يكون أحد عند ذاته بل عند

(١) متى (١٩/٢٨).

(٢) شحادة، الآب والابن والروح القدس، ص ٥٩.

(٣) يقصد المعمودية.

(٤) سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ١٣.

(٥) حنا، خمس حقائق عن الإيمان المسيحي، ص ١٨.

(٦) رسالة يوحنا الرسول الأولى (٦/٥).

(٧) مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ١٧٨.

(٨) يوحنا (١/١).

غيره، فمن ثم يكون الابن الكلمة أقنوماً إلهياً ممتازاً عن أقنوم الآب، ثم يُصرح بوحدهما في الجوهر والذات بقوله: (وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ)، وكأنه يقول: أَنَّ الكلمة الذي كان منذ الأزل عند الله، أي في الجوهر الإلهي مميزاً بأقنومه عن أقنوم الله الآب، هذا نفسه هو بوحدة الجوهر و الذات، لأنَّ الابن الكلمة والله الآب جوهر واحد وذات واحدة ولاهوت واحد.^(١)

فهذا النص كما أنه دليل على أزلية الابن، فهو أيضاً دليل على تميز الابن عن الآب في الأقنومية، واتحادهما في الجوهر عند المسيحيين.

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٧٩.

وخلاصة الأمر أنَّ المسيحيين يستدلون بالعديد من الأدلة من الكتاب المقدس على الثالوث وألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، فيستدلون ببعض أسماء الله الآب وصفاته وأعماله التي أطلقت على المسيح والروح القدس، لكنَّها أدلة غير مصرحة بما يستدلون عليه، ولا يوجد سوى نص واحد تجتمع فيه الوجدانية مع التثليث، جاء في رسالة يوحنا، ومع هذا فهو لا يدل دلالة صريحة على مرادهم، مما يجعلنا نتساءل: كيف يمكن أن تكون عقيدة الثالوث هي العقيدة التي جاء بها المسيح ثم لا نجد له في الإنجيل قولاً واحداً يوضحها؟! بل حتى أنه لا يوجد في رسائل تلاميذه نصاً واحداً يصرح بالثالوث؟! فكيف يمكن لنا أن ننسب هذه العقيدة إلى الكتاب المقدس وهو لم يُصرح بها؟!

ويستدل المسيحيون على ألوهية المسيح بأنه كلمة الله، في حين أنه لا يوجد في الكتاب المقدس نص يُصرح بتسميته المسيح بالكلمة، ونجد أنهم يحاولون تكثير الأدلة بالاستدلال بنصوص ليس لهم فيها دليل، ويريدون بذلك تكثير الأدلة فقط، فيستدلون مثلاً على ألوهية المسيح بوجوب محبته وتكريمه، ويستدلون على الثالوث بتكرار بعض الأسماء الإلهية في بعض النصوص، وليس في كل هذا أي دليل على ما يستدلون عليه. كما سيتبين في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

ونلاحظ أنَّ إنجيل يوحنا هو وحده الذي تقرد بالنص على أنَّ الآب قدم ابنه الوحيد تكفيراً عن الخطايا، مما يجعلنا نتساءل: كيف يمكن لكتبة الأناجيل الثلاثة أن يغفلوا مثل هذه القضية الهامة، التي تجسد الإله- عندهم- من أجلها وتخلي عن مجده ولبس ثوب الذل والهوان في سبيلها؟! هذا وإنَّ منهج المسيحيين في استدلالاتهم يعتمد على اقتطاع النصوص دون مراعاة السياق الذي وردت فيه، والذي لا يدل على وجه استدلالاتهم المحرفة.

وبالجملة فإنَّ جميع أدلة المسيحيين على الثالوث وألوهية المسيح والروح القدس- إنَّ صحَّ لنا أن نعدّها أدلة- هي في أفضل أحوالها إشارات لا تصلح للاستدلال بها على عقيدة أساسية فيها سعادة الدنيا والآخرة، وهذا ما سيتم بيانه في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

وبعد أن تعرفنا إلى أدلة المسيحيين على الثالوث من الكتاب المقدس، نتعرف إلى أدلتهم العقلية على الثالوث.

المبحث الثالث

أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث

يستدل المسيحيون على الثالوث بأدلة عقلية عديدة، ومعظم أدلتهم فيها تشبيهه للخالق بالمخلوق، وهي غير مصرحة بصحة الثالوث، ولكنهم عدوها أدلة على الثالوث المقدس عندهم، وسيكون دور الباحث النقل عنهم، وعرض أدلتهم فقط، أمّا النقض فمحله الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

يعتقد المسيحيون أنّ الثالوث ضرورة عقلية لا بد منها، فلا يتصف الله بالكمال الإلهي في الأزل إلا إذا كان واحداً في ثالوث، أمّا الوحدة المطلقة المحضة فلا يمكن أن يتصف الله بها بصفات الكمال أزلاً، ويستدلون على ذلك بعدة أدلة عقلية هي:

أولاً: وجود الله أزلاً يتطلب عمل الصفات أزلاً

يعتقد المسيحيون أنّ الله أزلي، وهو يتصف بصفات منذ الأزل، ولا يمكن أن تكون هذه الصفات في وقت من الأوقات غير فاعلة وغير عاملة، وإلا أدى ذلك إلى تغيير ذات الله، والله منزّه عن التغيير. كما بين الباحث ذلك في بداية هذا الفصل، فيلزم من هذا أن تكون صفات الله عاملة منذ الأزل، يستدل القس شحادة على وجوب عمل الصفات أزلاً فيقول: "إنّ السرمديّة في صفات الله واجبة لسببين رئيسيين: أولاً: الله له صفات لأنّه موجود، وكل موجود له صفات، وإلا لما كان موجوداً. وثانياً: بما أنّ الله موجود أزلياً، لذا يجب أن تكون صفاته أيضاً موجودة أزلياً، فليست هناك أي صفة لله مستوحاة من آخر، وإلا لأصبح الله متكلّلاً على ما هو خارج عنه^(١)، وليست هناك أية صفة اقتنيت لأنّ ذلك يعني أنّه كان موجوداً لمدة من الزمن في حالة نقص دون تلك الصفة، فصفات الله موجودة مع وجوده، فإنّ عدم تغييره وقدرته ... ومحبته وقداسته هي كلها صفاته الموجودة منذ الأزل وإلى الأبد."^(٢)

ويبين القس سمعان استحالة أن تكون الصفات عاملة فقط عند وجود الخلق فيقول: "مما لا شك فيه أنّ هذه الصفات^(٣) لم تكن عاطلة في الله أزلاً ثم صارت عاملة عندما قام بخلق الملائكة والبشر وغيرهم من الكائنات، بل إنّها كانت عاملة فيه من تلقاء ذاتها أزلاً^(٤)، وذلك قبل وجود أحد منهم، لأنّه لو كان الأمر غير ذلك كان الله تعرض للتغيير، إذ يكون قد صار عاملاً بعد أن كان غير عامل، والحال أنّه لا يتغير على الإطلاق، ولو كان الأمر غير ذلك لكانت هذه الكائنات ضرورة لازمة لجأ إليها الله لكي يظهر صفاته، ويعلن ذاته، والحال أنّه تعالى لكماله التام ظاهر في صفاته كل الظهور، .. بصرف النظر عن وجود الكائنات أو عدم وجودها، وبما أنّ الله يتصف بهذه الصفات التي كانت عاملة فيه من تلقاء ذاتها أزلاً، إذ لا شك في أنّه كان يمارسها حينذاك بينه وبين ذاته وحدها، هذا من وجهة، ومن وجهة أخرى

(١) يقصد المخلوقات.

(٢) شحادة، الآب والابن والروح القدس، ص ٩٣.

(٣) أي الصفات الإلهية مثل المحبة والرحمة والبصر والسمع والكلام وغيرها.

(٤) أي دون وجود مؤثر خارج عن ذاته.

بما أنَّ ممارسة هذه الصفات لا يمكن أن تقوم لها قائمة إلا بين كائنين عاقلين على الأقل، أو بين كائن عاقل وذاته إن كان مركباً، وبما أنَّ الله مع وحدانيته وتفردته بأزلية وعدم وجود تركيب فيه كان يمارس هذه الصفات بينه وبين ذاته أزلاً، فمن المؤكد إذًا أن تكون وحدانيته مع عدم وجود تركيب فيها، ليست وحدانية مجردة أو مطلقة، بل وحدانية من نوع آخر لا نظير لها في الوجود.^(١)

والمقصود هنا أنَّ الصفات الإلهية يجب أن تكون فاعلة أزلاً حتى لا يحدث تغير في الذات الإلهية، وفاعلية الصفات هذه إمَّا أن تكون بين الله والخلق، أو أن تكون فاعلية الصفات داخل الذات الإلهية، والأول باطل لأنَّه يستلزم وجود الخلق أزلاً وهو باطل، لأنَّه يستلزم أن يكون صدور الخلق عن الله تلقائياً من غير إرادة كصدور العلة عن المعلول وهذا باطل، فثبت الثاني وهو أن تكون الصفات فاعلة داخل الذات الإلهية، وهذا يستلزم تعدد الأقانيم عند المسيحيين.

فوحداية الله لا يمكن أن تكون وحدانية مجردة عند المسيحيين، بل هي وحدانية تجمع بين الوجدانية والتثليث، ولكن لنا أن نتساءل هنا عن الأسباب التي قادت المسيحيين للاعتقاد بهذه الوجدانية؟ يجيبنا القس سمعان على هذا السؤال فيقول:

"١. لا تكون الذات الإلهية كاملة إلا إذا كانت جامعة لكل الخصائص اللازمة لوجودها، واستغنائها بذاتها عن كل شيء في الوجود.

٢. لا يمكن أن يكون العالم صدر من إله مجرد أو مطلق، لأنَّه مثل هذا الإله لا يصدر عنه شيء بالإرادة، لأنَّ وجود الإرادة يتعارض مع ما للوجدانية المجردة أو المطلقة من خصائص، وإن صدر عنه شيء كان ذلك بالضرورة، وفي هذه الحالة يتعرض للتفكك والله لا يتفكك لأنَّه لا تركيب فيه.

٣. يدل التنوع أو التعدد الموجود في العالم على أنَّ الله ليس إلهاً مجرداً أو مطلقاً، بل أنَّه إله جامع أو شامل لكل ما يمكن أن تتصوره أو لا تتصوره من إدراكات ومعان."^(٢)

ثانياً: عمل صفات الله أزلاً يعتمد على وجود علاقة أزلية

بما أنَّ الكمال الإلهي لا يصح عند المسيحيين إلا بأن تكون صفات الله عاملة في الأزل، فإنَّ هذا يستلزم وجود علاقات لهذه الصفات أزلاً، وهو يستلزم وجود تعدد ضمن الوجدانية الإلهية، يقول شهادة: "إن كان عمل صفات الله سرمدياً، فهذا يفترض وجود علاقة سرمدية حتى يضمن عمل هذه الصفات، .. فعمل الصفات يتطلب ويفترض وجود فاعل ومفعول به، .. ولا يمكن أن يكون الفاعل والمفعول به واحداً في العدد والهوية، لأنَّ الواحد سيكون فاعلاً وبذات الوقت مفعولاً به، فكيف له أن يظل فاعلاً وأن يصبح

(١) سمعان، الله ذاته ونوع وحدانيته، ص ٣.
(٢) سمعان، الله بين الفلسفة والمسيحية، ص ٣٧.

مفعولاً به في آن معاً؟ إذاً لا يمكن أن يحدث ذلك ضمن وحدة مجردة.^(١)

فإنما أن تكون الصفات عاملة في الأزل مع المخلوقات، وهذا باطل، لأنه يستلزم أن تكون المخلوقات أزلية، كما يستلزم حاجة الله إلى المخلوقات، وهذا باطل أيضاً، وإنما أن تكون الصفات عاملة مع إله آخر، وهو باطل، لما يعتقد المسيحيون من وحدانية الله وتفرده بالألوهية، وإنما أن تكون الصفات عاملة في ذات الله، وهذا الذي يعتقده المسيحيون ويقولون به، ويحاول القس سمعان إثبات أن صفات الله عاملة بينه وبين ذاته في وحدانية جامعة- أي تجمع بين التوحيد والتثليث- فيقول: "هل صفات الله هي ذاته أم غير ذاته؟ إن قلنا إنها ذاته، جعلنا الصفة موصوفاً والموصوف صفة، .. وهذا باطل، وإن قلنا إنها غير ذاته افترضنا وجود أشياء منفصلة عن ذاته أو ملتصقة بها، وكل ذلك باطل، وواضح أن صفات الله هي غير ذاته، لكن لا يمكن أن تكون منفصلة عن ذاته أو ملتصقة بها، بل أن تكون عاملة بينه وبين ذاته، وعملها بينه وبين ذاته لا يتأتى إلا إذا كانت وحدانيته جامعة مانعة."^(٢)

ويضرب لنا القس فاندنر مثلاً على إحدى الصفات الإلهية التي لا يمكن تفسير اتصاف الله بها أزلاً إلا بالقول بالتثليث فيقول: "إن من أسماء الله الحسنى عند المسلمين كونه (ودوداً) أي محباً، وهذا يوافق ما جاء الكتاب إرميا (٣/٣١)، ويوحنا (١٦/٣)^(٣)، وبما أنه غير متغير فهو ودود من الأزل، ويلزم عن ذلك أن يكون له مولود أي محبوب من الأزل قبل خلق العالم، فمن عساه ذلك المحبوب الموجود من الأزل عند الله؟ ففي عقيدة التثليث الجواب الصريح والوحيد لهذا السؤال فنقول إن أقنوم الآب هو الودود، وأقنوم الابن المودود، وما أحسن ما قال يسوع في هذا المعنى خطاباً لأبيه: (أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ)، يوحنا (١٧/٢٤)، وعليه لا يمكن الاعتقاد بوجود صفة المحبة في الله من الأزل ما لم تعتقد بتعدد الأقانيم مع وحدة الجوهر، وإلا كان الله متغيراً ابتداءً يحب من الوقت الذي خلق له محبوباً من الملائكة أو البشر، وهذا باطل؛ لأنه قال: (أَنَا الرَّبُّ لَا أُنْغَيَّرُ)، ملاخي (٦/٣)."^(٤)

لكن إذا كان الكمال الإلهي يقتضي عمل الصفات أزلاً، واقتضى عمل الصفات وجود علاقات في ذات الله أي بين أقانيم الله، فلماذا كانت هذه الأقانيم ثلاثة لا أكثر ولا أقل من ذلك؟ يجيب شحادة على هذا السؤال فيقول: "إنه من المنطق المقبول أن تكون التعددية ثلاثية لا أكثر ولا أقل، .. للأسباب التالية:

١. بما أن التعددية أمر واجب لعمل الصفات دون الخليفة، وبما أن كل شخص يجب أن يعمل كفاعل ومفعول به في مشاركة العلاقة المتبادلة، ... فهناك الحاجة الضرورية لاثنتين أن يشتركا في دور الفاعل أو المفعول به، وهذا يتطلب وجود ثالث يعمل كمفعول به أو كفاعل بالترتيب، ... فمثلاً يشترك الآب والابن بدور الفاعل في عمل مشترك في ممارسة المحبة الأبدية، ويكون الروح

(١) شحادة، الآب والابن والروح القدس، ص ٩٦.

(٢) سمعان، الله بين الفلسفة والمسيحية، ص ٢٢.

(٣) ونصه: (لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ).

(٤) فاندنر، ميزان الحق، ص ٢٤٥-٢٤٦.

القدس هو المفعول به، أو يشترك الابن والروح القدس بدور الفاعل في عمل مشترك بحيث يكون الآب هو المفعول به، .. ولا يمكن أن يكون هناك أقل من ثلاثة لكمال هذه العلاقة.

٢. لو كان الله ثنائياً بدلاً من كونه ثلاثياً، يكون احتمال الانفصال وارداً، فمع وجود تمييز بين الاثنين، إنّ وجود الثالث يضمن الاتحاد والشركة والانفتاح والاشتراك، وهذه هي الصفات الأساسية للوحدانية، .. إن كان الله واحداً وحيداً سوف يكون في عزلة وتركيز على الوحدة والاتحاد، وإن كان اثنين أي ثنائياً، مثلاً الآب والابن، سيكون هناك انفصال (أي أن الأول متميز عن الثاني دون اتحاد جوهري) وإبعاد (أي لا يكون الأول هو الثاني)، ولكن الله ثالث، وعندما يكون ثلاثة أقانيم فإنه يمتنع عن العزلة والوحدة، ويتغلب على الانفصال ويتفوق على الإبعاد، إنّ الثالث يسمح بأن يكون هناك (الآب)، وأن يكون هناك تميز للهوية (الابن)، وأن يكون هناك تميز للتمييز (الروح القدس)، يمنع الثالث المواجهة وجهاً لوجه بين الآب والابن بدافع محبة الذات الشهوانية، والاختلاف يكمن في الأقنوم الثالث حيث الانفتاح والشركة، فالثالث شامل لأنه يوحد ما قد فصل وأبعد (ثنائية الآب- الابن).^(١)

ومن الملاحظ هنا أنّ القس شهادة جعل الله إذا كان ثنائياً فإنه يكون منفصلاً، ولم يذكر الدليل على ذلك، أمّا إذا كان ثلاثياً (أي ثلاثة أقانيم) فإنه يكون متحداً مع الحفاظ على تميز الأقانيم، فلماذا لا يكون كذلك إذا كان رباعياً أيضاً؟

وبعد أن ذكر شهادة هذه الأدلة على ضرورة الثلاثية (الثالث) في ذات الله عاد فقال: "أمّا عن ضرورة أن تكون التعددية ثلاثية على الأكثر، إنّ هذا يعتمد بالدرجة الأولى على إعلان الله عن ذاته .. فواقع الأمر إنه من الأصعب عند اللاهوتيين إثبات أن ذلك غير ضروري أو غير ممكن."^(٢)

وبناء على ما سبق فإنّ الثلاثية ليست ضرورية في ذات الله ضرورة عقلية، وإنّما هي عقيدة جاء بها الكتاب المقدس ولا بد من التسليم بها، ولكن بالرغم من هذا فإنّ شهادة يعود فيحاول مرة أخرى إثبات أنّ الثلاثية هي الأكمل في ذات الله، ويذكر عدة أدلة عقلية على ذلك فيقول: "ورغم عدم دخول الكتاب المقدس دخلاً مباشراً في هذا الموضوع، هناك أدلة لنهائية العدد (ثلاثة) في عدة عوامل منطقية:

١. تتوفر في العلاقة الثلاثية كل متطلبات الكمال، فافتراض إمكانية علاقة بين أربعة أو أكثر يعني عدم كمال الثلاثية، وهذا يفترض النقص في الله وبالتالي فهو تناقض أيضاً.

٢. إنّ العدد ثلاثة ضرورة حتمية، يضمن البساطة في الذات الإلهية دون تركيب، وبالتالي يضمن الوحدانية مع التعددية، فإنّ العدد أربعة أو أكثر يقود للتعقيد دون حدود للذات الإلهية، وبالتالي يعمل ضد الوحدانية الإلهية.

(١) شهادة، الآب والابن والروح القدس، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٠.

٣. إنَّ الله ترك بصماته في طبيعة الخليفة وطبيعة الإنسان حيث أنَّ العدد ثلاثة يظهر بأنَّه عدد الكمال، فإنَّ الحياة والطبيعة تتطلب في مكوناتها الأساسية العدد ثلاثة لا أكثر، ووجود الزمن يتطلب وجود الماضي والحاضر والمستقبل لا أكثر، ووجود حجم يتطلب وجود ثلاثة أبعاد لا أكثر، والإنسان عقل وروح وجسد، ومهما زاد عدد العناصر يمكن اختصارها دائماً إلى ثلاثة، وإلا لصار الله متضمناً التعددية اللا نهائية.

٤. إنَّ منطقية وجود علاقة ضمن وحدانية الله تتطلب من الإنسان المفكر والعاقل أن يكون مفتحاً لإعلان الله عن نفسه بحقائق جديدة عن عدد الشخصيات ضمن وحدانيته العجيبة، فالإعلان هو الفصيل، ويكون هذا الإعلان منسجماً تماماً مع المنطق، وإعلان الكتاب المقدس عن الثلاثية الإلهية بالآب والابن والروح القدس متناغم تماماً مع الضرورة المنطقية للتعددية ضمن الوحدانية.^(١)

ويحاول سمعان أيضاً إثبات أنَّ الأقانيم يجب أن تكون ثلاثة لا أكثر ولا أقل بأمثلة من الواقع فيقول: "هناك اعتقاد عام عندنا نحن البشر بأنَّ العدد (٣) هو أول عدد كامل، ففي أمثالنا نقول: (الحبل المثلوث لا ينقطع)، و(كل شيء بالثالث يكمل)، و(المرأة الثالثة ثابتة)، وأيام العزاء عندنا هي ثلاثة، وفي قانون العقوبات يُعتبر المجرم عائداً يستحق عقوبة الجناية بدلاً من عقوبة الجنحة إذا ارتكب مخالفة ثلاث مرات (المادة ٤٩ من قانون العقوبات)، وفي الرياضيات أول شكل هو الذي له ثلاثة أضلاع، وأول حجم هو الذي له ثلاثة أبعاد، وفي الطبيعة كل نبات راقٍ مكوَّن من ثلاثة أجزاء رئيسية، وكل حيوان راقٍ مكوَّن من ثلاثة أجزاء رئيسية، وكل إنسان كامل مكوَّن من ثلاثة أجزاء رئيسية، .. والذرة نفسها مكوَّنة من ثلاثة أجزاء."^(٢)

وبعد أن استدل سمعان على الثالوث بأدلة من الطبيعة أخذ يستدل عليه بأدلة من الإسلام فقال: "وفي الأديان يعتبر العدد (٣) هو أول عدد كامل، ففي الإسلام يذكر المصلي اسم الله ثلاث مرات في كل ركعة، ويقوم بالمضمضة ثلاث مرات، .. وغسل اليدين حتى المرفقين ثلاث مرات، ومسح الرأس والأذنين ثلاث مرات، .. والقسم لا يكون نافذاً إلا إذا كان بالله ثلاثاً، والطلاق لا يكون قانونياً (أو بانناً بينونة كبرى) إلا إذا كان الإشهار به ثلاثاً."^(٣)

وبعد أن ذكر سمعان هذه الأمثلة قال: "وطبعاً ليس الغرض من الاقتباسات المذكورة هو الاستدلال بها على أنَّ أقانيم اللاهوت لا بد أن تكون ثلاثة، كلا، فإنَّ الله أسمى من أن يقاس بالنسبة إلى أي شيء من الأشياء، بل الغرض من هذه الاقتباسات هو الاستدلال بها على أنَّه لو أعلن لنا أنَّ الأقانيم ثلاثة، لما جاز لعقولنا أن تعترض على الإطلاق، لأنَّ هذه الحقيقة تكون متفقة مع الواقع المعروف

(١) شحادة، الآب والابن والروح القدس، ص ١٠٠-١٠١.

(٢) سمعان، الله بين الفلسفة والمسيحية، ص ٤٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٣.

ويمكن أن نلخص الدليلين السابقين بقولنا: إنَّ وجود الله يستلزم أن يكون الله متصفاً بصفات، لأنَّ كل موجود لا بد أن يكون له صفات، وكمال الله وعدم تغيره- عند المسيحيين- يستلزم أن تكون صفاته فاعلة منذ الأزل، وفاعلية صفاته أزلاً تستلزم وجود علاقات أزلية، وهذا يعني أنَّه لا بد من وجود علاقات داخل الذات الإلهية وضمن الوجدانية، وهذا يستلزم أن تكون الذات الإلهية ذات وحدانية جامعة مانعة أي تشمل على الوجدانية مع التثليث، وتمنع الأكثر والأقل من ذلك.

ثالثاً: تباين الصفات الإلهية

يعتقد المسيحيون أنَّ الله يتصف بصفات متباينة ومتغايرة، ولا يمكن التوفيق بين اتصافه بهذه الصفات في الوجدانية المجردة، أمَّا في القول بتعدد الأقانيم فيمكن أن نوفق بين قيام هذه الصفات في الذات الواحدة، يُبيِّن لنا القس منصور ذلك فيقول: "وممَّا هو جدير بالملاحظة أنَّ الله صفات مختلفة لا يمكن التوفيق بينها في الذات الواحدة إلا إذا آمنا بالتثليث، فمن أسمائه الحسنی: القدوس- الحق- البار، ممَّا يدل على صلاح الله المطلق وكراهيته للخطية، ومن أسمائه: العدل- الضار- المنتقم، ممَّا يدل على انتقامه من الخطية انتقاماً عادلاً بلا تساهل، ومن أسمائه: الغافر- العفو- الرؤوف، مما يدل على تبريره للمذنب تبريراً شاملاً"^(٢)، ويتساءل القس منصور فيقول: "قال القرآن: ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ التوبة: ١١٨، فمن أسمائه: الحكيم- القوي- الكريم، فحكيمته اقتضت الفداء فوفقت بين عدله ورحمته، وقوته جعلت التأسس لإجراء الفداء ممكناً، وكرمه جعل الناموس كفارة عن خطايا البشر، إذاً في كفارة الصليب تلاقي الحق والعدل والرحمة والحكمة والقوة والكرم، وظهر مجد الله بصورة عجيبة تليق به وت فوق عقول البشر."^(٣)

والمقصود هنا أنَّ الصفات المختلفة لله لا يمكن أن يصح اتصافه بها إلا إذا كانت وحدانية الله وحدانية جامعة أي إذا كان الله واحداً في ثلوث، أمَّا الوجدانية المجردة فلا يصح بها أن يتصف الله بهذه الصفات المتباينة، فإذا كان الله واحداً في ثلوث فعندها يكون الله الأب يتصف بالعدل والانتقام مثلاً، والله الابن يتصف بالرحمة والعفو، والله الروح القدس يتصف بالطهارة والتقديس. ونلاحظ هنا أنَّ المسيحيين يقطعون نصوصاً وأموراً من الإسلام لتخدم أفكارهم دون وجه حق.

(١) سمعان، الله بين الفلسفة والمسيحية، ص ٤٣.

(٢) منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص ١٠٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

رابعاً: الله ناطق حي منذ الأزل

يعتقد المسيحيون أن الله خلق الإنسان على صورته، كما جاء في سفر التكوين حيث قال الرب: (نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا)^(١)، فكما أن الإنسان متكلم فانه أيضاً متكلم، ولكن كلمة الإنسان تتبدد في الهواء، وكلمة الله لا تتغير ولا تتبدل، لأنها أقنوم من أقانيمه، يقول الدمشقي: "إن الله الواحد الأحد ليس بخالٍ من كلمة، وبما أن الله له كلمته فهي ليست بخالية من أقنوم، أمّا وجود الكلمة فهو لا بدء له ولا نهاية، فلم يكن زمن إذاً حيث لم يكن الله الكلمة، وإن الله له كلمته مولودة منه دائماً، فهي ليست لا أقنومية على مثال كلمتنا التي تتبدد في الهواء، بل هي أقنوم حي كامل لا يبتعد خارجاً عنه، بل هي كائنة فيه دائماً، .. لها كل ما لوالدها، فكما أن كلمتنا لأنها صادرة عن عقلنا ليست هي وعقلنا شيئاً واحداً في كل شيء، وليست هي غيره في كل شيء، ... كذلك قل أيضاً عن كلمة الله، فيما أنه قائم في ذاته فهو يتميز عن الله الذي له منه أقنومه، وهو- فيما يُظهر في ذاته ما يراه في الله- له الطبيعة نفسها التي هي لله، فكما يُشاهدُ الكمال في الآب في كل شيء، كذلك يُشاهدُ في الكلمة المولود منه."^(٢)

فكلمة الله كانت وما زالت مع الله منذ الأبد وستبقى إلى الأزل، يقول الأنبا ابن المقفع موضحاً حقيقة نطق الله الآب: "نطقه كذاته، لا ينطق في هذه الساعة ويسكت في ساعة أخرى، فينتقل من حال إلى حال، وإذا هو ناطق أبداً فنطقه قائم دائم كدوام ذاته، ... وقوامه ليس أن الذات ولده كولادة مادة من مادة، لأننا إذا قلنا إنه ولده وفرغ من ولادته فصلناه منه، بل نقول إنه ولده أبداً لم يزل، ولم يزل مولوداً منه بغير انقطاع ولا انفصال."^(٣)

وكما أن الإنسان ناطق بكلمته، حي بروحه كذلك الله ناطق بكلمته، حي بروحه، وفي هذا يقول الأنبا ابن المقفع عن الآب والابن: "ثم إن روحهما واحد الذي هو الروح القدس المتصل بهما وهو حياتهما كما قلنا عن العقل والكلمة والروح التي خلقها الله كصورته ومثاله، فالذات الوالد هو الله الآب، والنطق المولود منه هو الكلمة الابن الذي لم يزل ولا يزال موجوداً من الله الآب، والروح القدس المعزي هو حياتهما، وبه اتصاليهما واتحادهما في الإرادة والقوة والعقل"^(٤)، ولكن حياة الله ليست كحياة الإنسان، وروح الله ليست كروح الإنسان، فروح الإنسان غريبة عنه ولكن روح الله ليست كذلك، يقول الدمشقي عن روح الله: "نعتقد أنه قوة جوهرية، مرئية هي نفسها في أقنومها الخاص بها، منبثقة من الآب، مستريحة في الكلمة."^(٥)

وبذلك تبين لنا أنه كما أن الإنسان ناطق بكلمته، حي بروحه، وهذا الإنسان على صورة الله،

(١) التكوين (٢٦/١).

(٢) الدمشقي، المنة مقالة، ص ٦٢،

(٣) ابن المقفع، الدر الثمين في إيضاح الدين، ص ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٥) الدمشقي، المنة مقالة، ص ٦٣.

كذلك فالله ناطق بكلمته، حي بروحه، لكن كلمة الإنسان تتبدد، وروح الإنسان غريبة عنه، أما كلمة الله فلم تزل وما تزال منذ الأزل وإلى الأبد، وكذلك روح الله لم تزل ولا تزال، والكلمة والروح أقنومان من أقانيم الله في المسيحية.

خامساً: اتصاف الله بالحياة والحكمة

يعتقد المسيحيون أن الله متصف بالحياة والحكمة، ولا يكون الحي بلا حياة، ولا الحكيم بلا حكمة، ولكن ذات الله غير مركبة وغير قابلة للأعراض، فبطل أن تكون حياته وحكمته قوتين مركبتين كالحرارة في النار، أو عرضين كالبياض في الثلج، فيلزم من ذلك أن تكون حكمته أقنوماً، وحياته أقنوماً، فكان أقنوم الابن هو الحكمة، وأقنوم الروح القدس هو الحياة.^(١)

سادساً: أمثلة من الطبيعة مع الفارق^(٢)

يستدل المسيحيون على الثالوث بعدة أدلة من الطبيعة، حيث يجتمع في بعض المخلوقات التثليث والتوحيد، ويُعدون ذلك دليلاً على الثالوث، يقول منصور: "فإن كنا نرى في هذه الأمور المنظورة تثليثاً في توحيد، وتوحيداً في تثليث، فهل نُعدُّ ذلك شيئاً غير معقول أن أخبرنا به تعالى عن ذاته العلية؟"^(٣) وهو يقصد أنه كما في المخلوقات تجتمع الوجدانية مع التثليث، ونحن نقبل هذا، فلماذا لا نقبل ذلك في ذات الله وهي التي ليس لها شبيه ولا نظير؟ ومن الأمثلة على اجتماع التثليث والتوحيد في المخلوقات:

١. الإنسان:

يقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد مستدلاً بوجود الثالوث في الإنسان على الثالوث المقدس: "الإنسان هو المخلوق الوحيد على صورة الله ومثاله.. قال الرب: (تَعْمَلُ الْإِنْسَانُ عَلَى صُورَتِنَا كَسْبَهْنَا)، التكوين (١/٢٦)، والإنسان واحد في ثالوث، ويتمثل الثالوث الإنساني في الروح والعقل والجسد، أو العقل والفكر والإرادة، أو الجسد والعقل والروح،.. قصد الله أن يكون أكبر شاهد على ذاته هو الإنسان، ولذلك جبله على صورته ومثاله، ولهذا جعل الله شهادته عن نفسه داخل كل إنسان منا، وفهم حقيقة الإنسان يساعدنا على فهم حقيقة الله."^(٤)

وأكمل صاحب كتاب التثليث والتوحيد كلامه فقال: "الكيان والعقل والروح في الإنسان الواحد مثال للكيان والعقل والروح في الله الواحد، والعقل والروح كائنان في الجسد مثال الابن والروح القدس كائنان في الآب، في أي مكان في الجسد توجد الروح؟ الروح تتغلغل في كل الكيان الجسدي، ولا تخلو خلية واحدة من ملايين الخلايا من الحياة، هذا مثال لاتحاد الروح بالآب والابن، فهو روحهما، والإنسان منذ وجوده وجد بالجسد والعقل والروح، ولم يوجد قط الإنسان بالجسد ثم جاء إليه العقل أو الروح هذا

(١) انظر هذا الدليل: أبو البركات، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، رقم ١١ (صورة بالميكرو فيلم).

(٢) انظر هذا الدليل: منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص ١١٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٥.

(٤) حتمية التثليث والتوحيد، ص ١٤١.

يلفت نظرنا إلى عقل الله وروحه الأزليان بأولية الآب.^(١)

وكما أنَّ الاتحاد بين العقل والروح والجسد لم يلغ أياً منهم، فبقي التمايز بينهم موجوداً، كذلك الاتحاد بين الأقانيم الإلهية الثلاثة لم يلغ أياً منهم، بل بقي التمايز بينهم موجوداً، يقول صاحب كتاب التثليث والتوحيد: "الكيان غير العقل وغير الروح، ولكل واحد من الثلاثة عمل يتمايز عن عمل الآخر، فعندما يأكل الإنسان يأكل بجسده، فالجسد هو الذي يأكل وليس الروح والعقل، ... وعندما يحل الإنسان مشكلة فإنّه يستخدم عقله في هذا، وعندما يحيا الإنسان ويتحرك فهو يفعل ذلك بروحه، هذا يوضح لنا التمايز بين الآب والابن والروح القدس، فنقول: إنّ الذي تجسد هو عقل الله، هو ابن الله، وليس الآب والروح القدس، ومن يخلط الأمور ويقول: بما أنَّ الابن تجسد كذلك الآب تجسد، لأنَّ الابن في الآب، والآب في الابن، فهذا يشبه إنسان يخلط بين الجسد والروح بحجة أنَّ الروح في الجسد، فيقول: إنّ الاثنين واحد، وإذا كان الجسد يأكل فول فالروح تأكل أيضاً فول."^(٢)

وبعد أن بيّن لنا صاحب كتاب التثليث والتوحيد ضرورة التمايز بين الأقانيم الثلاثة، كما يتمايز جسد الإنسان عن روحه وعقله، ضرب لنا مثلاً آخر على وجه الشبه بين الإنسان وبين الثالوث المقدس فقال: "ومثال آخر على هذا عندما نقول عن رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الحزب الوطني، وهو رئيس واحد لا أكثر ولا أقل، وفي كلا المثالين التشبيه مع الفارق ... لأنَّ رئيس الجمهورية يمكن أن يمارس أعمال أخرى، لكن الثالوث القدوس هو بلا زيادة ولا نقصان."^(٣)

٢. الشمس:

يستدل المسيحيون على الثالوث المقدس بالشمس، فالشمس واحدة في ثلاث، يقول صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد: "الشمس .. هي مثال للوحدانية المثلثة، فالشمس واحدة وثلاثة في آن واحد، .. الشمس واحدة من حيث الجوهر وفي نفس الوقت تحوي القرص والشعاع والحرارة، الشعاع متولد من القرص، والحرارة منبعثة من القرص، هي مثال لله الواحد الآب والابن والروح القدس، الابن مولود من الآب، والروح القدس منبثق من الآب."^(٤)

وبعد أن بيّن صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد وحدانية الأقانيم قياساً على وحدانية الشمس، بيّن تمايز الأقانيم الإلهية الثلاثة قياساً على تمايز الشعاع والقرص والحرارة عن بعضها بعضاً، فقال: "ليس الشعاع هو شمس أخرى، وليست الحرارة هي شمس أخرى، ليس الشعاع قريباً عن الشمس لكنّه هو شعاع الشمس، وكذلك الحرارة ليست غريبة عن الشمس لكنّها حرارة الشمس، القرص والشعاع والحرارة وحدة واحدة، هذا مثال على وحدة الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، فالقرص هو

(١) حتمية التثليث والتوحيد، ص ١٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤٢.

علّة وسبب الشعاع والحرارة، والآب علّة الابن والروح القدس .. ونستطيع أن نقول عن قرص الشمس أنّه الشمس بعينها، فنقول: إنّ الشمس توسطت كبد السماء، ونستطيع أن نقول عن الحرارة أنّها الشمس فنقول: إنّ الشمس بعثت فينا الدفء، هذا مثال لقولنا عن الآب: إنّ الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، وليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد.^(١)

وبعد أن بيّن لنا صاحب كتاب حتمية التثليث والتوحيد التمايز بين الأفانيم الثلاثة قياساً على تمايز الشعاع والقرص والحرارة، بيّن سبب تجسد الابن دون الآب والروح القدس، فقال: "قرص الشمس هو كتلة هائلة من الغازات الملتهبة لا يمكن أن يصل إليها الإنسان وهو مثال الآب الذي لا يمكن أن يراه إنسان قط ويعيش، وشعاع الشمس هو نور من نور صادر من القرص، ويصل إلينا على الأرض دون أن يفصل عن الأصل هو مثال الابن الذي تجسد ورأينا مجده، .. ومع هذا فإنّه لم يفصل قط عن الآب، ولا يمكن بأي حال فصل الشعاع عن القرص، ولا القرص عن الشعاع، ولا يمكن فصل الحرارة عن أحدهما، هذا مثال لاستحالة فصل الآب عن الابن، أو انفصال الروح القدس عنهما، وإذا تساءلنا من أسبق في الوجود القرص أو الشعاع أو الحرارة؟ نجد أنّه ليس بينهم أسبق، فالحظة التي وجد فيها القرص وجد فيها الشعاع ووجدت فيها الحرارة، ولم يكن القرص بدون شعاع، أو بدون حرارة قط، هذا مثال على أنّه لم تمر لحظة كان فيها الآب بدون الابن أو بدون الروح القدس."^(٢)

٣. الأصبع:

يستدل ابن المقفع على الثالوث بالأصبع. فيقول: "نمثله^(٣) بما قد مثّل به هو نفسه، لأننا سمعنا ربنا يقول: (وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ بِأَصْبَعِ اللَّهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ)، لوقا (١١/٢٠)، ... فعلمنا أنّه قد شبه ذاته بأصبع، ومنه نعرف حقيقة هذا الأمر؛ أعني أنّ الروح القدس في الآب، وفي الابن خارج من الآب، وذلك أنّ للأصبع ثلاثة أجزاء، كل جزء منها عقدة متصلة بعضها ببعض، فنقول: أنّ الجزء الأول الأصلي شبه الآب، .. لأنّه أصل كل شيء، والجزء الآخر الذي فيه الظفر: شبه الابن المولود من الآب، .. والجزء الأوسط الذي هو في الجزئين: شبه الروح القدس، .. وكما أنّ الجزء الأوسط متصل بالجزئين ثابت فيهما، خارج من الآب غير منفصل منهما، وكما أنّ الجزء الأوسط من الأصبع غير منفصل من الجزئين وظاهر منهما كأحدهما، خارج بغير انقطاع ولا انفصال، كذلك الروح القدس غير منفصل من الآب والابن، وظاهر فيهما كأحدهما بغير انقطاع ولا انفصال."^(٤)

وبعد أن بيّن ابن المقفع وجه الشبه بين الثالوث المقدس والأصبع، وكيف اجتمع التثليث والتوحيد في ذات الله كما اجتمع في الأصبع، بيّن الأنبا ابن المقفع سر التجسد فقال: "وكما أنّ الجزء الأوسط

(١) حتمية التثليث والتوحيد، ص ١٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٤.

(٣) أي الله تعالى.

(٤) ابن المقفع، الدر الثمين، ص ١٤٤.

والأخير من الأصبع ينزلان ويطلعان، ولا ينفصلان من الجزء الأصلي، والجزء الأصلي لا ينزل ولا يصعد، كذلك فإنَّ الابن نزل من السماء وتجسد، وكذلك الروح القدس نزل على الابن .. ولم ينفصل من الآب، كذلك الآب لا يقال عنه أنَّه نزل ولا صعد، كما أنَّ الجزء الأخير من الأصبع الذي قلنا أنَّه شبه الابن له الظفر دون الجزئين، كذلك الابن تجسد دون الآب والروح القدس، وكما أنَّ الأصبع يفعل كل الأفعال بالجزء الأخير، كذلك فعل الله بابنه كل أفعاله؛ أي السماء والأرض والماء والنار .. فانظر إلى هذا المثل العظيم الذي ركبه الله تعالى الخالق العظيم الحكمة في الأصبع، أظهر منه معنى ثلاثة أقانيم لله، انفصالها باتصال، واتصالها بانفصال، وتجسد أحدهما دون الاثنين، والنزول والصعود اللائق بالاثنتين دون الواحد.^(١)

(١) ابن المقفع، الدر الثمين، ص ١٥.

وخلاصة الأمر أن المسيحيين يستدلون بالعديد من الأدلة العقلية على الثالوث، من أبرزها القول بوجوب فاعلية الصفات أزلاً، فإذا كان الله يتصف بصفات فلا بد أن تكون هذه الصفات فاعلة أزلاً حتى لا يحصل تغيير في ذات الله، ويستدلون على الثالوث كذلك بتباين الصفات الإلهية، فتتوزع الصفات المتباينة بين الأقانيم الثلاثة، ويستدلون ببعض الأدلة التي فيها تشبيه الخالق بال مخلوق، وهي أدلة لا تدل على ما يستدلون عليه، ونلاحظ أنهم يفرضون الكمال والبساطة وعدم الانفصال في العلاقة الثلاثية دون أن يذكروا أي دليل على ذلك لا من العقل ولا من النقل، وكل الأدلة التي يستدلون بها غير مصرحة بمرادهم، ويعدونها أدلة ضرورية بديهية، وهي في الحقيقة لا تعدو أن تكون كلاماً إنشائياً لا يستند إلى منطق أو دليل، وهي بذاتها دعاوى تحتاج إلى البرهنة والتدليل على صحتها.

كما ونلاحظ أن المسيحيين يقتطعون نصوصاً وأموراً من الإسلام لتخدم أفكارهم دون وجه حق، وهي مع هذا لا تدل على مرادهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قناعتهم بعدم وجود أدلة صريحة وقوية على عقيدتهم، فأخذوا يستدلون عليها بالغث والسمين، وكما قيل: الغريق يتعلق بقشه، وسيتم بيان ذلك في الفصل الثاني بإذن الله.

هذه هي مجمل أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث، ومن بعد أن تعرفنا إليها ننتقل إلى الحديث عن أدلتهم من المجامع المسكونية على الثالوث.

المبحث الرابع

أدلة المسيحيين من المجامع المسكونية على الثالث

إنَّ المتتبع لتاريخ المسيحيين يجد أنَّهم قد اختلفوا منذ أوائل المسيحية في مفهوم الثالث، وقد ظهرت آراء متعددة ومتغايرة في فهم سر الثالث وسر التجسد وطبيعة المسيح، وأحدثت هذه الآراء اضطرابات كبيرة في الكنيسة، لذلك فقد عقدت عدة مجامع من أجل حسم الخلاف في هذه المسائل، والمجمع كما يعرفه القس بيوس قاشا: "كلمة المجمع أو المجامع هي اجتماعات تتألف قبل كل شيء من الأساقفة، وتلتئم للبحث في أمور الكنيسة، ولأخذ بعض القرارات وتطبيقها، في المجامع المحلية يمثل الأساقفة كنائسهم المحلية، أمَّا في الاجتماع الذي يدعو إليه ويديره ويثبته البابا .. يدعى مجمعاً مسكونياً."^(١)

وتعد المجامع المسكونية من أهم مصادر التشريع المسيحية، التي بينت جملة كبيرة من العقائد والشرائع المسيحية، وفيما يأتي أهم الآراء التي ظهرت في تاريخ المسيحية في مفهوم الثالث وسر التجسد وطبيعة المسيح^(٢)، وأهم المجامع التي عُقدت لأجلها:

١. المجمع المسكوني الأول (مجمع نيقية) ٣٢٥م:

يعد المسيحيون قول أريوس من أهم وأخطر البدع- عند المسيحيين- التي ظهرت في تاريخ الكنيسة، لأنَّها كانت تنادي بوحدانية الله، وبشرية المسيح، وأنَّه مخلوق، وليس أزلياً، بل خلقه الله من العدم قبل خلق العالم، وقد أعطاه الله رتبة ارتفع بها فوق الخلائق، وهو ابن الله مجازاً، أي أنَّه ابنه بالتبني لا بالولادة، وكانت بدعة أريوس مضادة لعقيدة الثالث، يقول القس أقفراف نوف: "البدعة الأريوسية تحل المكان الأول بين البدع التي ظهرت حديثاً في الكنيسة، وقد أخذت تسميتها من أريوس الكاهن الإسكندري، وهو أول من أعلن الفكر الذي يؤلف خلاصة البدعة، أنَّ ابن الله مخلوق"^(٣)، وكان أريوس يهدف إلى الحفاظ على مكانة أقنوم الآب، وأنَّه وحده هو الأزلي، والإله الحقيقي، يقول القس كاميللو بالين: "كان أريوس يريد أن يحافظ على أصالة وامتيازات أقنوم الآب في الثالث الأقدس، فكان يعتبر الآب الكائن الوحيد الأزلي، والوحيد الذي ليس له بداية، فهو الإله الحقيقي الوحيد، وهو المبدأ لكل الكائنات، أما (الكلمة) يوحنا (١/١)، حسب اعتقاد أريوس، فهو ليس أزلياً لأنَّه نال الحياة من الآب."^(٤) ومن أجل ظهور هذه البدعة- كما يدَّعون- عقد المجمع المسكوني الأول في نيقية عام ٣٢٥م،

(١) قاشا، بيوس، أضواء على المجامع المسكونية، ط١، مطبعة الديوان، بغداد، ٢٠٠٦م، ص٩.
(٢) اكتفى الباحث بذكر المجامع التي عُقدت من أجل الثالث والتجسد وطبيعة المسيح، دون غيرها من المجامع حتى لا يخرج عن موضوع البحث.
(٣) نوف، أقفراف سمير، تاريخ الكنيسة المسيحية، ط٩، (ترجمة الكسندروس مطران حمص)، مؤسسة خليفة للطباعة، دبلد، ١٩٤٦م، ص٢٢١.
(٤) بالين، كاميللو، تاريخ الكنيسة من فجر المسيحية إلى نهاية القرن الخامس عشر، ط١، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٥٨.

وأصدر القانون الآتي: "نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق كل الأشياء، ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب ومن جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء؛ ما في السماوات وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد وتأنس، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب، وسيأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء، ونؤمن بالروح القدس، وكل من يقول أنه كان وقت لم يكن فيه ابن الله، أو أنه قبل أن يولد لم يكن، أو أنه خلق من العدم، أو أنه من جوهر يختلف عن جوهر الآب أو طبيعته، أو أنه مخلوق، أو أنه عرضة للتغيير والتبدل، فالكنيسة الرسولية الجامعة تبسل كل قول يقول هذه الأقوال."^(١)

وهكذا فقد قرر هذا المجمع ألوهية المسيح، ومساواته للآب، وتجسده وصلبه من أجل التكفير عن خطايا البشر.

٢. المجمع المسكوني الثاني (مجمع القسطنطينية الأول) ٣٨١م:

لم ينجح المجمع الأول في القضاء على الآريوسية، لذلك فقد بقي هناك من يعتنق هذه البدعة- كما يُسمونها-، ويدين بها، كما أنَّ المجمع الأول لم يوضح بشكل صريح ألوهية الروح القدس ودوره في الثالوث^(٢)، فظهر ميديوس بطريرك القسطنطينية ببدعته- كما يُسمونها- التي تقول: إنَّ الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات، من أجل ذلك انعقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية عام ٣٨١م، وقرر الآتي: "نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، وكل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماوات، وبالروح القدس تجسد من مريم العذراء، وصار إنساناً، وصلب عنا في عهد بيلاطس البنطي، وتألَّم وقبر وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الآب، وسيعود في المجد ليدين الأحياء والأموات، ولن يكون لملكه نهاية، وبالروح القدس، الرب، المحيي، المنبثق من الآب، الذي مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر الآتي، آمين."^(٣)

وهكذا فقد أكد المجمع الثاني على قرارات المجمع الأول المتمثلة في: ألوهية المسيح، وأنه ابن الله الأزلي، كما قرَّر أنَّ الروح القدس جزء من الثالوث المقدس، وهو روح الله وحياته، وله ما لله من صفات ومجد.

(١) كسَّاب، مجموع الشرع الكنسي، ص ٤٣. قاشا، أضواء على المجامع المسكونية، ص ٢٤.

(٢) انظر: منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص ٩٦.

(٣) كسَّاب، مجموع الشرع الكنسي، ص ٢٤٥. قاشا، أضواء على المجامع المسكونية، ص ٣١.

٣. المجمع المسكوني الثالث (مجمع إفسس الأول) ٤٣١م:

عقد هذا المجمع لمحاكمة كل من (بيلاجيوس) و(نسطور)، أمّا بيلاجيوس فكان يعتقد أنّ خطيئة آدم قاصرة عليه، وبذلك أنكر قضية الصلب والفداء، وأمّا نسطور فكان يقول بأنّ طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية، وأنكر ألوهية المسيح، كما أنكر نسطور تسميّة مريم العذراء بوالدة الله، وقال بأنّها ولدت إنساناً، ثم حلّ فيه الله الابن بإرادته لا بالاتحاد.^(١)

وللرد على هذه البدعة- كما يُسمونها- انعقد المجمع المسكوني الثالث في إفسس عام ٤٣١م، وهذا نصه: "نعترف إذاً بربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد، الإله الكامل والإنسان الكامل، المركب من نفس ناطقة وجسد، المولود من الآب قبل الدهور بحسب اللاهوت، والمولود في هذه الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا من العذراء مريم بحسب الناسوت، والمساوي للآب في الجوهر بحسب اللاهوت، والمساوي لنا في الجوهر بحسب الناسوت، فتمّ الاتحاد بين الطبيعتين، ولذلك نقول بمسيح واحد، وابن واحد، ورب واحد، وبسبب هذا الاتحاد الذي لا اختلاط فيه، نعترف بأنّ العذراء هي والدة الله، لأنّ الكلمة تجسد منها وصار إنساناً، وإنّه منذ اللحظة الأولى من الحبل به وحدّ بنفسه الهيكل الذي اتخذه منها، وأمّا أقوال الأنجيل والرسل في الرب فنحن نعلم بأنّ علماء اللاهوت اعتبروها تارة مشتركة كأنّها تعني طبيعتين، بعضها يناسب الله بحسب لاهوت المسيح، وبعضها الآخر متواضع بحسب الناسوت."^(٢) وهكذا فقد قرر هذا المجمع: أنّ مريم والدة الله، وأنّ للمسيح طبيعتين: واحدة لاهوتية، والأخرى ناسوتية بشرية.

٤. المجمع المسكوني الرابع (مجمع خلقيدونية) ٤٥١م:

بدأ الجدل بشأن طبيعة المسيح في الكنيسة حالاً بعد النسطورية، فلم يحسم قرار المجمع الثالث الأمر بين الطوائف المتنازعة، فأخذ كل واحد ينشر مذهبه، وأخذ بطريرك الإسكندرية ينشر هو أيضاً مذهباً جديداً وهو أنّ للمسيح طبيعة واحدة، فعقد بطريرك الإسكندرية مجمع إفسس الثاني، وقرّر فيه أنّ للمسيح طبيعة واحدة، فغضبت لذلك الكنيسة الغربية فعقدت مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م، وقرّر المجمع أنّ للمسيح طبيعتين؛ طبيعة بشرية، وطبيعة إلهية، وقد اتحدتا من غير امتزاج ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال، وباتحادهما لا يزول الفرق بين الطبيعتين، بل تحتفظ كل منهما بخصائصها، وتجتمع في شخص واحد وأقنوم واحد، فهو لا يُفصل ولا يُقسم إلى شخصين.^(٣)

ولم تعترف الكنيسة المصرية بهذا المجمع، وانشقت بسببه عن كنيسة روما، لذلك لم تعترف بكل المجامع التي جاءت بعد هذا المجمع، وبقي الخلاف والانشقاق إلى الوقت الحالي، وذهبت الكنيسة القبطية المصرية إلى القول بأنّ للمسيح طبيعة واحدة ومشيدة واحدة، بينما ذهبت الكنيسة الكاثوليكية

(١) انظر: باللين، تاريخ الكنيسة، ص ١٩٤. منصور، رسالة التثليث والتوحيد، ص ٩٧.

(٢) قاشا، أضواء على المجامع المسكونية، ص ٣٩.

(٣) انظر: نوف، تاريخ الكنيسة المسيحية، ص ٢٦٣. قاشا، أضواء على المجامع المسكونية، ص ٤٧.

واليونانية (الروم الأرثوذكس) والبروتستانتية إلى القول بأنَّ للمسيح طبيعتين ومشيتين.^(١)

٥. المجمع المسكوني الثامن (مجمع القسطنطينية الرابع) ٨٦٩م:

نلاحظ أنَّ معظم المجامع السابقة كانت تعقد بسبب الخلاف في طبيعة المسيح، ولم يتعرض أي مجمع منها للروح القدس، إلى أن أثار بطريرك القسطنطينية قضية انبثاق الروح القدس، وحكم بأنَّ انبثاق الروح القدس من الآب فقط، فعارضه بطريرك روما قائلاً إنَّ انبثاق الروح القدس كان من الآب والابن معاً، ولذلك انعقد المجمع الثامن (مجمع القسطنطينية الرابع) عام ٨٦٩م، وقرَّر أنَّ انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً، وكما قرَّر طرد بطريرك القسطنطينية وحرمانه، وبذلك انشقت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية، وبقي هذا الخلاف والانشقاق إلى وقتنا الحالي.^(٢)

هذا وقد ذهبت الكنيسة القبطية والكنيسة اليونانية (الروم الأرثوذكس) إلى أنَّ انبثاق الروح القدس كان من الآب فقط، بينما ذهبت الكنيسة الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية إلى أنَّ انبثاق الروح القدس كان من الآب والابن معاً، لذلك أضافوا كلمة (ابن) في قانون الإيمان.^(٣)

(١) البابا شنودة الثالث، طبيعة المسيح، ص ٨.

(٢) انظر: نوف، تاريخ الكنيسة المسيحية، ص ٢٩١. قاشا، أضواء على المجامع المسكونية، ص ٧٦.

(٣) انظر: مينا، علم اللاهوت، ج ٢، ص ٤١.

وخلاصة الأمر أنَّ الخلاف بين المسيحيين كان مستمراً حول الثالوث وألوهية المسيح وطبيعته، ولم يصلوا فيه إلى اعتقاد واحد، بالرغم من أنَّ هذه العقيدة من العقائد الأساسية عند المسيحيين، ونجد كذلك الخلاف بينهم حول انبثاق الروح القدس، وهي أيضاً عقيدة أساسية عند المسيحيين، ممَّا يثير الشك حول أصل هذه العقيدة، لأنَّه لا يصح أن يحصل اختلاف في العقائد الأساسية لديانة إذا كانت هذه العقائد مستمدة من كتاب إلهي واحد.

كما نلاحظ أنَّ الصورة الحقيقة للثالوث كانت من وضع المجامع، فإنَّنا لم نجد أي دليل صريح نقلياً كان أو عقلياً عند المسيحيين على عقيدة الثالوث، بينما نجد أنَّ المجامع هي التي صاغت هذه العقيدة في صورتها الأخيرة، في حين أنَّنا لا نجد لها ذكراً صريحاً في الكتاب المقدس، ممَّا يؤكد أنَّ هذه العقيدة لم تكن من إنتاج الكتاب المقدس، وهذا ما سيتم بيانه في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

وبعد أن تعرفنا إلى مفهوم عقيدة الثالوث وأدلتها عند المسيحيين، ننتقل إلى نقض أدلة المسيحيين على الثالوث.

الفصل الثاني

نقض الثالوث المسيحي

تعرفنا في الفصل الأول إلى مفهوم الثالوث عند المسيحيين، وإلى أدلتهم عليه، وعرفنا أنَّهم يستدلون عليه من الكتاب المقدس ومن العقل، أمَّا في هذا الفصل فسوف يتتبع الباحث هذه الأدلة التي استدل بها المسيحيون، لنرى مدى توافقها مع الكتاب المقدس والعقل، ونرى هل فعلاً يقول الكتاب المقدس بألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام وألوهية الروح القدس؟ وهل العقيدة الأساسية في الكتاب المقدس هي عقيدة الثالوث؟ وهل الأدلة العقلية التي استدل بها المسيحيون على الثالوث تصلح لأن تكون أدلة صحيحة ومقنعة عليه؟ ثم سنختم الفصل بموقف القرآن الكريم من عقيدة الثالوث بإذن الله تعالى.

المبحث الأول

نقض الثالوث من الكتاب المقدس

تمهيد:

بالرغم من إيمان المسلمين وبعض المنصفين من المسيحيين^(١) بتحريف الكتاب المقدس إلا أنَّ الباحث سيقوم بنقض أدلة المسيحيين على الثالوث من الكتاب المقدس نفسه، لكي يثبت أنَّ الكتاب المقدس بالرغم من تحريفه لا يقول بعقيدة الثالوث ولا يدعو إليها.

ولكن قبل أن نبدأ بنقض أدلة المسيحيين على الثالوث لا بد لنا من أن نضع قواعد يتفق عليها المسلمون والمسيحيون، تكون بمثابة نقطة انطلاق ننطلق منها للمناظرة والحوار، وميزان نزن فيها الأدلة، ونرجع إليها عند الخلاف، فإنَّه لا بد لأي مناظرة أو حوار حتى يكون لهما ثمرة ونتيجة من وجود أصل يرجع إليه الخصوم^(٢)، وعليه وانطلاقاً من إيمان المسلمين والمسيحيين بكمال الله تعالى المطلق، فإنَّ لدينا قاعدتين يتفق عليهما المسلمون والمسيحيون، هما:

القاعدة الأولى: أنَّ الله تعالى حكيم، وعالم، وقادر، ورحيم، لذلك فهو يحب نجاة الإنسان، ولا يمكن أن يخدع الله تعالى الإنسان بأن لا يُبين له العقيدة التي يجب عليه أن يؤمن بها ليسعد في الدنيا وفي الآخرة بياناً واضحاً صريحاً لا يحتمل التأويل، بل- انطلاقاً من تلك الصفات التي يتصف بها الله تعالى عند المسيحيين- إنَّ الله تعالى يُبين لعباده العقيدة التي يريد منهم أن يؤمنوا بها بياناً واضحاً صريحاً، ولا ينزل الله تعالى رسالة من أجل تقرير عقيدة ثم لا تكون هذه الرسالة دالة دلالة صريحة على هذه العقيدة، لأنَّ الحكمة من الرسائل الإلهية إخبار البشر وإعلامهم بما يريده الله تعالى منهم، فإذا لم تكن الرسالة الإلهية دالة على مراد الله تعالى دلالة صريحة بطلت الحكمة منها، وصارت عبثاً بدل أن تكون حكمة، والله تعالى منزّه- عند المسلمين والمسيحيين- عن العبث، ثم إنَّ عدم توضيح الرسالة الإلهية لمراد الله تعالى يعتبر خداعاً للإنسان، والله تعالى منزّه عن ذلك، فإنَّ الله تعالى ما خلق البشر- عند المسيحيين- إلا بسبب جوده ورحمته ومحبته للإنسان، وعليه فإنَّ الكتاب المقدس الذي يمثل الرسالة الإلهية عند المسيحيين لا بد أن يدل دلالة صريحة واضحة على عقيدة الثالوث، ويُبينها بياناً واضحاً جلياً لا يحتمل التأويل، لأنَّها العقيدة الأساسية التي يعتقد المسيحيون أنَّ الكتاب المقدس جاء من أجل بيانها، فإذا لم يدل الكتاب المقدس دلالة صريحة واضحة على عقيدة الثالوث فإنَّنا أمام خيارين لا ثالث لهما:

الخيار الأول: إمَّا أن يكون الله تعالى لم يُبين للإنسان العقيدة التي يجب عليه أن يؤمن بها، ثم سيحاسبه على شيء لم يُبينه ولم يوضحه له، وهذا باطل- عند المسلمين وعند المسيحيين-، لأنَّ الله

(١) انظر تحريف المسيحية: جينبير، المسيحية نشأتها وتطورها.

(٢) انظر: الميداني، عبدالرحمن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط١٠، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٣٦٩.

المتصف بالكمال المطلق لا يمكن أن ينزل على الإنسان عقيدة غير واضحة ثم يطالبه بالإيمان بها، ويحاسبه عليها، فهذا يتناقض مع كمال الله تعالى وعدله، ثم لماذا لا يُبين الله تعالى مراده للإنسان؟ إن كان ذلك خداعاً فهو باطل؛ لأنه يتناقض مع قداسة الله المطلقة ومع رحمته ومحبته للإنسان، وإن كان ذلك بخلاً فهو باطل؛ لأنه يتناقض مع كرم الله تعالى وجوده، وإن كان ذلك جهلاً فهو باطل؛ لأنه يتناقض مع علم تعالى وحكمته، وإن كان ذلك عجزاً فهو باطل؛ لأنه يتناقض مع قدرة الله تعالى المطلقة.

أما الخيار الثاني فهو: أن لا تكون هذه العقيدة من الكتاب المقدس، وإنما جاءت إلى المسيحية من مصادر أخرى.

ومما يجب ذكره هنا أنه بالرغم من أن عقيدة الثالوث هي العقيدة الأساسية للديانة المسيحية إلا أن كلمة الثالوث لم ترد في الكتاب المقدس مطلقاً، وهذا ما يقر به المسيحيون أنفسهم، تقول دائرة المعارف الكتابية: "لم ترد كلمة (الثالوث) في الكتاب المقدس، حيث لا يذكر الكتاب المقدس هذا اللفظ بالذات تعبيراً عن مفهوم أنه ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي، وأن في وحدانية الله ثلاثة أقانيم هم واحد في الجوهر، ومتساوون في الأزلية والقدرة والمجد، لكنهم متميزون في الشخصية، وعقيدة الثالوث عقيدة كتابية، ليس باعتبار ورودها نصاً في الكتاب المقدس، لكن باعتبارها روح الكتاب المقدس"^(١)، وجاء أيضاً في قاموس الكتاب المقدس ما نصه: "والكلمة نفسها (التثليث والثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو تيرتيان في القرن الثاني للميلاد"^(٢)، فأقصى ما يمكن قوله أنه قد وردت إشارات عن عقيدة الثالوث، ولم ترد نصوص مصرحة بهذه العقيدة، وهذا ما يقر به المسيحيون أنفسهم، تقول دائرة المعارف الكتابية: "تظهر عقيدة الثالوث في نسيج الأسفار المقدسة، لا في صيغة محددة وإنما في إشارات متفرقة، وعندما نتحدث عن عقيدة الثالوث فإننا لا نخرج عن دائرة الكتاب المقدس، ولكننا نجمع شتات هذه الإشارات في مفهوم عقائدي واضح، وقد يعبر عن هذه العقيدة بأسلوب فلسفي وبعبارات فنية لكنّها لا تخرج بذلك عن كونها عقيدة كتابية"^(٣)، فقول دائرة المعارف الكتابية بأنهم يجمعون شتات الإشارات في مفهوم واضح يدل على أن عقيدة الثالوث لفقت تلفيقاً من نصوص مشتة في الكتاب المقدس، فهي عقيدة غير واضحة في الكتاب المقدس، ولا يوجد أدلة صريحة في الكتاب المقدس على هذه العقيدة، وهذا يتناقض مع القاعدة الأولى التي تنص على وجوب أن تكون العقائد الإلهية واضحة في الرسالة السماوية.

ولم تظهر عقيدة الثالوث وتنبلور بصيغتها الأخيرة إلا في القرن الخامس للميلاد حين أقرّ أغسطينوس قانون الإيمان، وهذا ما يقر به المسيحيون أنفسهم، فقد قال قاموس الكتاب المقدس: "ولقد تبلور قانون الإيمان الاثناسيوسي على يد أغسطينوس في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة

(١) صموئيل حبيب، وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، ط ٢، ٨، دار الثقافة، القاهرة، دبت، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٢) بطرس عبد الملك، وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ط ١١، دار الثقافة، القاهرة، دبت، ص ٢٣٢.

(٣) صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٢، ص ٤٢٨.

الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا^(١)، أي أنّ هذه العقيدة لم تُقر على صورتها النهائية إلا بعد المسيح عليه الصلاة والسلام بخمسمائة سنة، ممّا يجعلنا نتساءل: كيف تنسب هذه العقيدة للمسيح عليه الصلاة والسلام وللكتاب المقدس وهما لم يُصرحا بها؟! وإن كانت هي العقيدة الأساسية فلماذا لم يُصرح بها المسيح عليه الصلاة والسلام والكتاب المقدس؟!.

وكذلك لم ترد كلمة أقنوم في الكتاب المقدس فقد قام الباحث بتتبع نصوص العهد الجديد كاملة فلم يعثر عليها، كما وقام بالبحث عنها في دائرة المعارف الكتابية وفي قاموس الكتاب المقدس فلم يعثر عليها، علماً بأنّها من أهم المصطلحات التي تستخدم في اللاهوت المسيحي وفي توضيح عقيدة الثالوث وشرحها.

القاعدة الثانية: أنّه لا بد من تأويل^(٢) النصوص المُتشابهة^(٣) التي لا تتفق مع كمال الله تعالى، وردها إلى النصوص المُحكّمة^(٤) التي تتفق مع كمال الله تعالى، إذ يعتقد المسيحيون أنّ الله تعالى متصف بالكمال المطلق، منزّه عن صفات النقص، والله- عندهم- روحاني بسيط؛ منزّه عن الجسميّة والتركيب والأجزاء والزمان والمكان^(٥)، وهذا هو الذي يتفق مع كمال الله تعالى، إلا أنّه قد جاء في الكتاب المقدس الكثير من النصوص التي تثبت لله تعالى الجسميّة، والأعضاء، والتركيب، وغير ذلك من الصفات التي ينزّه المسيحيون الله تعالى عنها، ومن هذه النصوص: ما ورد في سفر التكوين أنّ الله تعالى قال: (نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا)^(٦)، وجاء في نفس السفر ما نصه: (لَأَنَّ اللَّهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الْإِنْسَانَ)^(٧)، ففي هذين النصين إثبات الصورة والشبه لله تعالى، وقول النبي داود عليه الصلاة والسلام والسلام مخاطباً الله تعالى: (لَأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمْ اِمْتَلَكُوا الْأَرْضَ وَلَا ذِرَاعُهُمْ خَلَصَتْهُمْ لَكِنْ يَمِينُكَ وَذِرَاعُكَ وَنُورُ وَجْهِكَ لِأَنَّكَ رَضِيتَ عَنْهُمْ. أَنْتَ هُوَ مَلِكِي يَا اللَّهُ)^(٨)، ففي هذا النص إثبات اليمين والذراع والوجه

(١) بطرس عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٣٣.

(٢) التأويل: هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله بدليل. انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٥٠.

(٣) المُتشابه في اللغة: هو الأمر المُلتبس المُشكّل، لأنّ الأمور المُتشابهة يعجز العقل عن التمييز بينها ويعجز عن معرفة المراد منها، انظر: الزبيدي، محمّد بن محمّد (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دبط، ٤٠م، (مجموعة من المحققين)، دار الهداية، دبلد، دبت، ج ٣٦، ص ٤١١، أمّا المُتشابه في الاصطلاح فهو: ما أشكل تفسيره لمُشابهته بغيره، إمّا من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، وتضافرت الأدلة العقلية على أنّ ظاهره غير مراد، وأصل المُتشابه أنّ اللفظ يشبه اللفظ في الظاهر والمعنيين مختلفان، انظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ط ١، (تحقيق صفوان الداودي)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ٤٤٣.

(٤) المُحكّم في اللغة: من الحكم وهو المنع، وأطلق الحكم على القضاء لأنّه منع من الظلم، انظر: ابن فارس، أحمد الرازي (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دبط، (تحقيق عبدالسلام هارون)، دار الفكر، دبلد، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٩١، أمّا المحكم في الاصطلاح فهو: ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى، وتضافرت الأدلة العقلية على أنّ ظاهره هو المراد، انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات، ج ١، ص ٢٥١.

(٥) انظر صفات الله تعالى عند المسيحيين: هذا البحث، ص ١١-١٦.

(٦) التكوين (٢٦/١).

(٧) التكوين (٦/٩).

(٨) المزامير (٣/٤٤).

لله تعالى، وقول النبي داود عليه الصلاة والسلام: (عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصَّادِقِينَ وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ)^(١)، ففي هذا النص إثبات العين والأذن لله تعالى.

بل هناك بعض النصوص في الكتاب المقدس تنسب إلى الله تعالى صفات النقص- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فمثلاً: جاء في سفر التكوين أن الله تعالى نزل إلى بابل ليرى المدينة، وهذا نصه: (فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ الَّذِينَ كَانُوا بَنَوْا أَدَمَ يَبْنُونَهُمَا)^(٢)، وجاء فيه أيضاً أن الله تعالى قال: (أَنْزِلْ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا أَمْ لَا بِحَسَبِ مَا بَلَغَنِي مِنْ صُرَاخِ عَلَيْهَا، فَأَعْلَمُ)^(٣)، ففي هذين النصين إضافة الحركة وعدم العلم إلى الله تعالى، فكأنه لا يعلم ما في المدينتين حتى ينزل إليهما بنفسه ويرى ما فيهما. ولكن لما كانت هذه النصوص تتعارض مع كمال الله تعالى، فقد ذهب المسيحيون إلى تأويلها، فمثلاً يقول صاحب كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: "كيف خُلقنا على صورة الله؟ لا تعني العبارة: (نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا) أَنَّ الله خَلَقَنَا مِثْلَهُ تَمَاماً، وبخاصة بالمعنى الطبيعي (الجسدي) بل بالحري إننا نعكس مجد الله، الله بلا خطية سرمدى غير محدود، ومع أن الله أعطانا القدرة أن نكون بلا خطية ونحيا إلى الأبد، .. ولا يمكننا أن نكون مطلقاً مثل الله تماماً، لأنه هو خالقنا الأسمى، وأعظم آمالنا أن نعكس طبيعته عن طريق محبتنا وصبرنا وصفحنا ولطفنا وأمانتنا، لقد خلقنا على صورة الله، ومن ثم نحن نشاركه الكثير من صفاته وعواطفه"^(٤)، فلما كان المعنى الحرفي للنص السابق السابق محالاً لأنه يتعارض مع كمال الله تعالى، وجب تأويله بأن للإنسان ما لله تعالى من الصفات، لا أن الله تعالى جسداً مثل أجسادنا، وهذا التأويل يتناسب مع كمال الله تعالى.

أمّا عن نسبة عدم العلم إلى الله تعالى فيأول مينا ذلك فيقول: "جرت العادة أن من يحضر بنفسه، ويشاهد أمراً ما بعينه كان علمه به يقيناً لا ريب فيه، وعلى هذا المبدأ يكون معنى قول الكتاب المقدس: (فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ الَّذِينَ كَانُوا بَنَوْا أَدَمَ يَبْنُونَهُمَا)؛ أي أنه علم مقاصد أولئك القوم وأعمالهم علماً واضحاً بئناً لا شك فيه، كعلم من حضر ورأى الشيء بنفسه، واطلع عليه بعينه."^(٥)

أمّا عن نسبة الأعضاء مثل: العين والأذن إلى الله تعالى فيقول مينا: "إن المراد بعين الله وأذنه معرفته الفائقة، وإحاطته علماً بكل ما يحدث في السماء وعلى الأرض، كقول الكتاب: (كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنِي ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا)، الرسالة إلى العبرانيين (١٣/٤)، فالعين والأذن في جانب الله ليستا بحدقة وأجفان، ولا صيوان وصماخ كما في الإنسان، وإنما هما صفتان أزليتان قائمتان بذاته."^(٦)

(١) المزمير (١٥/٤٣).

(٢) التكوين (٥/١١).

(٣) التكوين (٢١/١٨).

(٤) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، د.ط، ترجمة وطباعة شركة ماستر ميديا، القاهرة، د.ت، ص ٩.

(٥) مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ١٤٢.

(٦) المرجع نفسه، ج ١، ص ١٢٦.

فإذا ثبت وجوب تأويل كل نص يتعارض مع الكمال الإلهي، فهذه قاعدة لا بد أن نتعامل بها مع كل نصوص الكتاب المقدس وإن كثر عددها، يقول رحمت الله الهندي: "إنَّ الكثير إذا كان مخالفاً للبرهان يجب إرجاعه إلى القليل الموافق له، ولا يُعتد بكثرته، فكيف إذا كان الكثير موافقاً والقليل مخالفاً؟! فإنَّ التأويل فيه ضروري ببداهة العقل."^(١)

فإذا كان المسيحيون يأولون النصوص التي تثبت الجسميّة والأعضاء والجوارح لله تعالى مع كثرة عددها لأنها تتعارض مع كمال الله تعالى، فتأويل النصوص التي تتعارض مع وحدانيته من باب أولى، لأنَّ الوحدانية هي أخص صفات كمال الله سبحانه وتعالى، فعجباً من المسيحيين كيف لا يأولون النصوص الموهمة للتثليث مع قلة عددها وعدم تصريحها بالثالث وتعارضها مع وحدانية الله تعالى التي هي أخص صفات الكمال الإلهي، والتي دلَّ عليها الكثير من النصوص الصريحة، ويأولون النصوص الدالة على الجسميّة مع كثرتها لتتفق مع النصوص المنزلة عن الجسميّة مع قلتها؟! مع العلم بأنَّ تنزيه الله تعالى عن الشريك أولى من تنزيهه عن الجسميّة، لشدة ظهور الأدلة النقلية والعقلية الدالة على الوحدانية وتظافرها، مقارنة مع الأدلة الدالة على تنزه الله تعالى عن الجسميّة، وإن كان الله تعالى منزّه عن كليهما.

وممّا سبق فإنَّ لدينا قاعدتين متفق عليهما بين المسلمين والمسيحيين تكونان بمثابة ميزان لنا نزن بهما النصوص التي استدلت بها المسيحيون على الثالث، وهما:

القاعدة الأولى: أنَّ هذه النصوص لا بد أن تكون صريحة في الدلالة على عقيدة الثالث.

القاعدة الثانية: أنه لا بد من تأويل النصوص التي لا تتفق مع كمال الله تعالى.

هاتان هما القاعدتان الرئيستان في نقض الثالث من الكتاب المقدس، أمّا تفصيل القول في نقض الثالث من الكتاب المقدس فبيانته الآتي:

المطلب الأول: وحدانية الله تعالى في الكتاب المقدس

إنَّ الكتاب المقدس مليء بالنصوص الدالة على وحدانية الله تعالى، وعدم وجود شريك له سبحانه، وعدم جواز عبادة غير الله تعالى، ومن اطلع على الكتاب المقدس يجزم بأنَّ وحدانية الله تعالى هي العقيدة الأساسية في الكتاب المقدس، بل إنَّ وحدانية الله تعالى هي العقيدة الأساسية لكل الرسالات السماوية، وقد جاءت الكثير من النصوص في الكتاب المقدس الدالة على وحدانية الله تعالى منها:

أولاً: نصوص الوحدانية في العهد القديم

قال الله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام: (لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهٌ أُخَرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنَالاً مَنَحُوتاً وَلَا صُورَةً مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ).

(١) الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني (ت ١٣٠٨هـ-١٨٩١م)، إظهار الحق، ط٢، ٤م، (تحقيق محمد ملكاوي)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م-١٤١٣هـ، ج٣، ص ٦٨٧.

لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ^(١)، ومنها أَنَّ الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يقول لبني إسرائيل: (إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ .. لَا تَسِيرُوا وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى مِنْ إِلَهَةِ الْأُمَمِ الَّتِي حَوْلَكُمْ)^(٢)، ومنها قول النبي داود عليه الصلاة والسلام مخاطباً الله تعالى: (يَا رَبُّ لَيْسَ مِثْلَكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ)^(٣)، ومنها قول اللاويين لبني إسرائيل: (قُومُوا بَارِكُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ .. وَلْيَتَبَارَكِ اسْمُ جَلَالِكَ الْمُتَعَالِي .. أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ .. وَكُلَّ جُنْدِهَا وَالْأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا وَالْبَحَارَ وَكُلَّ مَا فِيهَا وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا. وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ)^(٤)، ومنها قول الله تعالى: (أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ وَلَا إِلَهَ غَيْرِي)^(٥).

هذه بعض النصوص الدالة على وحدانية الله تعالى من العهد القديم، ولو أردنا نقل كل النصوص لطلنا بنا المقام، لذا يكتفي الباحث بالإشارة إلى مواضعها في: الخروج (١٣/٢٣)، التثنية (٤/٣٩)، المزمير (١٦/٤)، المزمير (١٨/٣٠)، إشعياء (٥/٧)، إشعياء (٤٥/١٨-٢٢)، هوشع (٤/١٣)، يونس (٢/١٢)، زكريا (٩/١٤)، أما سفر إرميا- وهو سفر ضخيم يضم (٥٢) سفرًا- وسفر حزقيال فمحورهما يدور حول توحيد الله تعالى ونبذ كل آلهة سواه^(٦).

هذا وتظهر من هذه النصوص وحدانية الله تعالى بصورة واضحة جلية، ويظهر فيها أَنَّ الإيمان بوحداية الله تعالى هو سبب النجاة وطريق السعادة، ولا يظهر فيها أي ذكر للثالوث (الأقانيم الثلاثة) لا من بعيد ولا من قريب، وهنا فنحن أمام أمرين:

أحدهما: أن يكون الله تعالى قد خدع الإنسان، ولم يُبين له العقيدة التي يجب عليه أن يؤمن بها، ولم يُبين له طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا باطل، لأنَّه يتعارض مع قداسة الله ورحمته التي يؤمن بها المسيحيون.

والثاني: أن يكون العهد القديم الذي هو جزء من الكتاب المقدس الذي أعلن وحدانية الله تعالى لم يأت بعقيدة الثالوث، وإنَّما جاءت هذه العقيدة من مصادر أخرى غير الكتاب المقدس، وهو الصواب، يقول رحمت الله الهندي: "إنَّ اعتقاد التثليث لو كان له دخل ما في النجاة لبَيَّنَّه الأنبياء بياناً واضحاً جلياً كما بيَّنوا التوحيد."^(٧)

(١) الخروج (٤-١/٢٠).

(٢) التثنية (٤-١٥ و ١٤-١٥).

(٣) أخبار الأيام الأول (١٧/٢٠).

(٤) نحemia (٧-٥/٩).

(٥) إشعياء (٦/٤٤).

(٦) انظر هذه النصوص في: رستم، سعد، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولص ويوحنا، ط١، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ٤٤.

(٧) الهندي، إظهار الحق، ج٣، ص ٧٣٨.

ثانياً: نصوص الوحدانية في العهد الجديد

بما أنَّ المسيحيين يؤمنون بالثالوث فقد يُعْتَقَدُ أنَّ العهد الجديد- الذي هو المصدر المعتمد عند المسيحيين لعقيدة الثالوث- يُبَيِّنُ عقيدة الثالوث بكل وضوح، ولكن من يقرأ العهد الجديد يتفاجأ بعدم وجود أي نص يُصرح بعقيدة الثالوث، بل إنَّ من قرأ العهد الجديد متجرداً عن الهوى، طالباً للحق، يصل يقيناً إلى أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام لم يأتِ بهذه العقيدة، ولم يأتِ بها العهد الجديد أيضاً، بل إنَّ العهد الجديد كان يُنادي بوحدانية الله تعالى، ويُبَيِّنُ أنَّها سبيل السعادة، وقد جاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح عليه الصلاة والسلام حين سُئِلَ عن الوصية الأولى: (أَيُّهُ وَصِيَّةٌ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، ... هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى. وَثَانِيَةً مِثْلَهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ. فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لِأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ)^(١).

وجاءت هذه الوصية أيضاً في إنجيل لوقا وإنجيل متى، وقال المسيح عليه الصلاة والسلام بعد ذكره لهاتين الوصيتين: (بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ)^(٢)، في هذه النصوص نرى أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام بيّن بكل صراحة أنَّ الإيمان بوحدانية الله تعالى هو الوصية الأولى، والعقيدة الأساسية لكل دعوات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، يقول سعد رستم: "وهذا يؤكد أنَّ توحيد الربوبية والألوهية أساس الشريعة، وأساس دعوة الأنبياء جميعهم عليهم السلام، .. وممَّا يجدر بالذكر أنَّ سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بيّن أنَّ لا وصية أعظم من هاتين الوصيتين، .. وبناء عليه فلو كانت ألوهية عيسى عليه الصلاة والسلام .. عقيدة حقة، والإيمان بها شرطاً ضرورياً للنجاة والخلاص الأخروي- كما نص عليه دستور الإيمان الذي تقرر بمجمع نيقية- لبيّن عيسى عليه الصلاة والسلام ضرورة الإيمان بذلك، ولم يكتمه، خاصة في هذا المقام الذي سأل فيه عن أهم الوصايا"^(٣)، وممَّا يؤكد ذلك أنَّ كلاً من متى ومرقس قد سَمَّيَا هذه الوصية **بالوصية العظمى**، وهذا يدل على أنَّهما يعتقدان أنَّ لا وصية أعظم من هذه الوصية، فلو كان الثالوث سبب النجاة، وهو العقيدة الأساسية التي جاء بها المسيح عليه الصلاة والسلام، والتي يؤمن بها متى ومرقس لبينا ذلك للمسيحيين، فلما لم يُبَيِّنَا ذلك فهذا يدل على عدم اعتقادهما بالثالوث.

ومنها قول المسيح عليه الصلاة والسلام مخاطباً الله تعالى: (وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ إِلَهَ الْحَقِيقِيِّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ)^(٤)، فهنا بيّن المسيح عليه الصلاة والسلام أنَّ سبيل السعادة وطريق النجاة تكون بالإيمان بالله تعالى وحده، وبالإيمان بالمسيح رسوله، وليس بالإيمان

(١) مرقس (١٢/٢٨-٣٢).

(٢) متى (٢٢/٤٠)، ولوقا (١٠/٢٥).

(٣) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ٣٦-٣٧.

(٤) يوحنا (٣/١٧).

بالثالوث، ولا بالتجسد، ولا بالفداء، وفي هذا يقول رحمت الله الهندي: "فبيّن عيسى عليه الصلاة والسلام أنّ الحياة الأبدية عبارة أن يعرف الناس أنّ الله واحد حقيقي، وأنّ عيسى عليه الصلاة والسلام رسوله، وما قال: أنّ الحياة الأبدية أن يعرفوا أنّ ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي، وأنّ عيسى إنسان وإله، أو أنّ عيسى إله مجسم، ولمّا كان هذا القول في خطاب الله في الدعاء فلا احتمال ههنا للخوف من اليهود، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبيّته، وإذ ثبت أنّ الحياة الأبدية اعتقاد التوحيد الحقيقي لله، واعتقاد الرسالة للمسيح، فضدهما يكون موتاً أبدياً."^(١)

ويرى سعد رستم أنّ المسيح عليه الصلاة والسلام أكد على وحدانية الله تعالى بقوله: (وَحَدِّكَ)، فهي صريحة في انفراد الله تعالى بالألوهية، يزيد ذلك تأكيداً عطف المسيح على الله كرسول الله تعالى^(٢)، والعطف في اللغة يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه^(٣).

وقال المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَدْعُوا سَيِّدِي، لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ، وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الْأَرْضِ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ)^(٤)، في هذا النص يأمر المسيح عليه الصلاة والسلام تلاميذه أن لا يكون لهم أب على الأرض، ومن المعروف- عند كل من له علم بالكتاب المقدس- أنّ الكتاب المقدس كثيراً ما يعبر عن الله تعالى بالآب، وهذا ما سيبيّنه الباحث في المطلب الآتي بإذن الله تعالى- فالمقصود هنا أن لا يتخذوا لهم إلهاً على الأرض، وهذا صريح في إثبات الألوهية لله تعالى وحده، ونفيها عن كل ما سواه حتى عن المسيح نفسه، ويؤكد ذلك أيضاً أنّ المسيح عليه الصلاة والسلام اقتصر على وصف نفسه بالمعلم والسيد، ولم يصف نفسه بالإله.

ومنها قول بولس: (لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الْآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبُّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ)^(٥)، في هذا النص يبيّن بولس أنّ لهم إلهاً واحداً هو الآب، ويزيد ذلك تأكيداً بذكر المسيح عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بصفة الرب فقط، ويرى رستم أنّ بولس لا يقصد هنا بكلمة الرب: الإله، وإلا لكان كلامه متناقضاً، لأنّه سوف يثبت وجود إلهين اثنين لا واحداً، لذلك فمراده بكلمة الرب هنا معنى غير كلمة الإله، وهذا المعنى هو السيد والمعلم^(٦)، والدليل على ذلك ما جاء جاء في إنجيل يوحنا من أنّ لفظة الرب عندما تطلق على المسيح يُقصد بها المعلم، وفيه أنّ تلميذين كانا يمشيان خلف المسيح عليه الصلاة والسلام: (فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَ هُمَا يَتَّبَعَانِ، فَقَالَ لَهُمَا: مَاذَا تَطْلُبَانِ؟

(١) الهندي، إظهار الحق، ج٣، ص٧٣٦.

(٢) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص٣٧.

(٣) انظر: الكفوي، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، د.ط. (تحقيق عدنان درويش)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص٦٠٧. الصعدي، عيدالمتعال (ت ١٣٩١هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط١٧، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م، ج٢، ص٢٨٣.

(٤) متى (١٠/٢٣).

(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (٦٤/٨).

(٦) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص٤٠-٤١.

فَقَالَ: رَبِّي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ، أَيْنَ تَمُكُّثُ؟^(١)، وسوف يأتي معنا في المطلب الآتي بإذن الله تعالى أدلة أخرى تدل على أنه لا يقصد من كلمة الرب حين تطلق على المسيح عليه الصلاة والسلام ألوهية المسيح، ففي هذا النص بيّن بولس أنَّ لهم إلهاً واحداً هو الله تعالى، ومعلماً واحداً هو المسيح عليه الصلاة والسلام.

وعليه فإذا ثبت من نصوص الكتاب المقدس أنَّ الله تعالى واحد أحد لا شريك له ولا ند- وهذا هو الذي يتناسب مع كمال الله تعالى- ولم يكن هناك أدلة صريحة تُبيّن وجود ثلاثة أقانيم في ذات الله تعالى، فيجب علينا أن نؤول النصوص المُتشابهة التي توهم التثليث في ذات الله تعالى لتتوافق مع النصوص الكثيرة المُحكّمة المُصرّحة بوحداية الله تعالى، وفقاً للقاعدة الثانية التي تنص على وجوب رد النصوص المُتشابهة للنصوص المُحكّمة.

كما أننا وفقاً للقاعدة الأولى التي توجب أن تكون العقائد واضحة جلية في الرسالة السماوية فإننا نجد أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام بيّن أنَّ معرفة وحدانية الله تعالى والإيمان برسالة المسيح هما سبيل السعادة، وطريق النجاة، ولم يُبيّن فيها الثالث لا من قريب ولا من بعيد، وهنا فنحن أمام أمرين: أحدهما: أن يكون المسيح عليه الصلاة والسلام قد خدع أتباعه ولم يُبيّن لهم سبيل السعادة، وهذا باطل.

والثاني: أنَّ سبيل السعادة بالإيمان بوحداية الله تعالى ورسالة المسيح عليه الصلاة والسلام، وهو الصواب، لا كما يدّعي المسيحيون أنَّ السعادة بالإيمان بالثالث والتجسد والفداء.

المطلب الثاني: إبطال ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام

وإثبات عبوديته لله تعالى في الكتاب المقدس

الرد الإجمالي: قبل ذكر النصوص التي تُبيّن بطلان ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام وتُثبت بشريته وعبوديته لله، لا بد أن نُبيّن أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ المسيح إنسان وإله (كما يقول أصحاب الطبيعتين)، أو هو إله متجسد (كما يقول أصحاب الطبيعة الواحدة)، فالإله عندهم قد تأنس وظهر بصورة البشر، أمّا بشرية المسيح عليه الصلاة والسلام فهي أمر يقيني لا يحتاج إلى دليل وبرهان، فقد ثبت لتلاميذه ومعاصريه بالحس والمشاهدة أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام بشر، كما وقد أكد الإنجيل على بشرية المسيح عليه الصلاة والسلام، فقد ورد فيه أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام: أكل، وشرب، ونام، وعطش، وجاع، وتألّم، وخاف من الموت، وما أكثر النصوص المُصرّحة ببشرية المسيح عليه الصلاة والسلام، فبشرية المسيح أمر واضح جلي لا يحتاج إلى دليل وبرهان.

وقد دَلّ الحس والكتاب المقدس بما فيه من ذكر أحوال المسيح عليه الصلاة والسلام وأقواله على بشريته عليه الصلاة والسلام، وبشريته عليه الصلاة والسلام أمر متفق عليه بين المسلمين واليهود

(١) يوحنا (٣٨/١).

والمسيحيين، أمّا اعتقاد ألوهية المسيح فهو ادعاء يدعيه المسيحيون، ومن ادعى دعوى فعلية أن يأتي بالدليل والبرهان، وإذا فرضنا جدلاً أنّ المسيح إله وإنسان، أو إله متجسد، فإنّه يجب على المسيح- إذا كان يريد السعادة لأتباعه- أن يُبين لأتباعه ألوهيته بياناً صريحاً واضحاً جلياً، لا يحتمل التأويل والخلاف، لا أن يُبين لهم بشريته، وذلك لأنّ بشريته مشاهدة بالحس لا تحتاج إلى برهان ودليل كما ذكرنا ذلك آنفاً، أمّا ألوهيته فهي أمر خفي يحتاج إلى البيان والتوضيح والبرهان، لذلك فلا بد أن يُبين المسيح عليه الصلاة والسلام ذلك بكل وضوح، ولكننا إذا قرأنا العهد الجديد فإننا نجد المسيح عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يُبين بشريته وضعفه واقتناره وعبوديته لله تعالى، ويُبين أنّ قدرته وما يفعله من معجزات إنّما هي بقدرة الله تعالى، وأنّه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا كما أمره الله تعالى.

وكأنّي بالمسيح عليه الصلاة والسلام قد ظهر له بنور النبوة أنّ قومه سوف يغفلون فيه، ويقولون فيه ما لا يرضيه عليه الصلاة والسلام، لذلك نراه كثيراً ما كان يؤكد على بشرية نفسه، واقتناره لربه، كما سوف يظهر لنا في هذا المطلب بإذن الله تعالى.

أمّا ما استدل به المسيحيون من أدلة على ألوهية المسيح فهي لا تعدو أن تكون شبهات من أحواله ومعجزاته تعلقوا بها، وهي في حقيقتها لا تدل على ألوهيته، إنّما هي معجزات قد أيده الله تعالى بها لإثبات صدق رسالته- كما سيظهر لنا في هذا المطلب-، وقد حصل مثلها مع غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكما أنّها لم تكن دليلاً على ألوهية غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهي أيضاً ليست دليلاً على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، أو هي شبهات من ألفاظ وُصِفَ بها المسيح عليه الصلاة والسلام أو وصف بها نفسه الشريفة، وقد أطلقت عليه وعلى غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وبذلك فلا يصلح أي دليل من الأدلة التي استدل بها المسيحيون على ألوهية المسيح- سواء في ذلك أدلة أحواله أو أقواله- لأنّها تتعارض مع القاعدة التي ذكرناها في بداية هذا المبحث من أنّ أي رسالة إلهية لا بد أن تكون نصوصها موضحة للعقائد الأساسية لهذه الرسالة توضيحاً جلياً، حتى وإن فرضنا جدلاً أنّها تدل على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام فلا بد من تأويلها- وفقاً للقاعدة الثانية- لأنّها من النصوص المُتشابهة التي لا بد من ردها إلى النصوص الكثيرة المُحكّمة التي تنص على تفرد الله تعالى بالألوهية والربوبية^(١)، وعليه فإذا ثبت أنّ المسيح كان يُبين بشريته وعبوديته لله تعالى، ولم يكن يُبين ألوهيته فنحن أمام أمرين:

أحدهما: أن يكون المسيح عليه الصلاة والسلام قد خدع أتباعه، وهذا باطل.
والثاني: أنّ هذه العقيدة لم يأت بها المسيح عليه الصلاة والسلام، وهو الصواب.
وبعد هذا الرد الإجمالي ننتقل إلى الرد التفصيلي، وبيانته الآتي:

(١) انظر أدلة وحدانية الله تعالى: هذا البحث، ص ١٣-١٤، وص ٩٣-٩٧.

أولاً: نصوص يُصرح فيها المسيح عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى إلهه ومعبوده

يعتقد المسيحيون أن المسيح هو الأبنوم الثاني من أقانيم الله، لذلك فهو إله، وله كل ما للإله من الصفات، ولكن هذا يتناقض مع ما جاء في الكتاب المقدس من أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يعبد الله، ويبتهل إليه، ويتذلل بين يديه، ويتقرب إليه بالطاعات والعبادات، ويطلب منه مغفرة الذنوب والسيئات، ويناجيه مناجاة العبد لسيده بكل ذلة وافتقار لكي يقلل له العثرات، ويفرج له الكربات، ويدعوه بقوله: يا إلهي، وقد جاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح عليه الصلاة والسلام لمريم المجدلية: (أَذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَالْإِلَهِي وَالْهَيْكُلُ)^(١)، ومنها قول المسيح عليه الصلاة والسلام حين صلب: (إِلَيَّ، إِلَيَّ، لَمَّا شَبَقْتَنِي؟ أَيُّ: إِلَهِي، إِلَهِي، لَمَّاذَا تَرَكْتَنِي؟)^(٢)، بل لقد بين بولس أن الأب هو إله المسيح عليه الصلاة والسلام فقال: (كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْإِعْلَانِ فِي مَعْرِفَتِهِ)^(٣).

ففي هذه النصوص يُبين المسيح عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى إلهه ومعبوده، وهو يستغيث به ويدعوه ويطلب منه النجدة والعون، وبين بولس أيضاً أن الله تعالى هو إله المسيح عليه الصلاة والسلام، فإذا كان الله تعالى هو إله المسيح عليه الصلاة والسلام فلا يمكن أن يكون المسيح إلهاً، لأنَّ المسيح يكون عندئذٍ إلهاً وعبدًا في الوقت نفسه، وهذا يستلزم اجتماع النقيضين^(٤) (إله ولا إله) فيكون المسيح إلهاً ولا إلهاً في الوقت نفسه، وهذا محال، لأنَّ النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان^(٥)، والمسيح- بحسب نصوص الكتاب المقدس- يكون قد عبد نفسه وهو إله نفسه في الوقت نفسه، وهذا باطل، فإذا ثبت استحالة كون المسيح إلهاً ثبت وجوب كونه عبداً، وهو المطلوب.

وقد يعترض هنا المسيحيون كالبصري و غريغوريوس فيقولون: إنَّ المسيح كان يدعو الله ويستغيث به، بناسوته لا بلاهوته^(٦)، والجواب عن ذلك: أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ اللاهوت قد اتحد بالناسوت، فلماذا كان الناسوت يدعو اللاهوت ويستغيث به ما دام متحدًا به؟ بل كان يجب على لاهوت المسيح أن يقوم بما يريده ناسوته، من غير أن يدعو ناسوت المسيح الله تعالى ويستغيث به، هذا من جانب، ومن جانب آخر: فقد كان هذا أثناء صلب المسيح- كما يعتقد المسيحيون-، أي في آخر لحظات حياته مع تلاميذه، أي أنه كان في أحوج الأوقات التي يجب فيها على المسيح أن يكشف لهم عن أهم

(١) يوحنا (١٧/٢٠).

(٢) متى (٤٦/٢٧)، ومرقس (٣٤/١٥).

(٣) الرسالة إلى أهل إفسس (١٧/١).

(٤) التناقض: هو اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب، بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى، كقولنا: زيد إنسان، زيد ليس بإنسان، انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٦٨.

(٥) انظر قاعدة النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان في: الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، معيار العلم في المنطق، ط ١، (تحقيق أحمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م، ص ١٧٨.

(٦) انظر هذا الاعتراض: البصري، عمّار، كتاب المسائل والأجوبة، د. ط، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٧ م، ص ٢٦٠. الأنبا غريغوريوس، سري التجسد والفداء، ص ٣٥٨.

العقائد التي جاء من أجلها، فلو كان المسيح إلهاً! أما كان يجب عليه أن يُبين للناس ذلك، وخاصة إذا ما علمنا أنه سوف يفارقهم، وأنه بصلب المسيح يكون المسيح قد نفذ مخطط الفداء الذي تجسد المسيح من أجله، فلماذا لم يُبين لهم حقيقة لاهوته بعد أن نفذ المهمة التي تجسد من أجلها؟ وأنهى وظيفته على الأرض؟ فإذا كان في هذه اللحظة يستغيث بربه ويظهر بشريته فهو والله إنما فعل ذلك من أجل أن لا يغلو فيه أحد.

وهناك نصوص أخرى تبين عبادة المسيح عليه الصلاة والسلام وصلاته لله تعالى، منها: قول لوقا عن المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي)^(١)، ومنها قول مرقس عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه: (قَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ مُبَكَّرًا، فَخَرَجَ وَذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ قَفْرٍ، وَأَخَذَ يُصَلِّي هُنَاكَ)^(٢)، وقد ذكرت صلاة المسيح في نصوص أخرى منها ما جاء في: متى (٢٣/٤)، ومتى (٣٦/٢٦)، ومتى (٣٩/٢٦)، ومرقس (٤٠/٦)، ولوقا (١٢/٦)، ولوقا (١٨/٩)، ولوقا (١/١١). ويرى سعد رستم أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يصلي منفرداً، رغبة منه عليه الصلاة والسلام في عبادة الله تعالى، لا لمجرد تعليم التلاميذ، فلو كانت صلاته لمجرد تعليم التلاميذ لما صلى المسيح منفرداً.^(٣)

وهنا يحق لنا أن نسأل المسيحيين فنقول لهم: بربكم إذا كان المسيح إلهاً فلمن كان يصلي؟! أكان يصلي لنفسه؟! هذا مستحيل، فلماذا يصلي ويتقرب لنفسه؟! أم أنه كان يصلي لربه؟! فإذا كان يصلي لربه فقد بطلت ألوهيته، وثبتت عبوديته لله تعالى، وهو المطلوب، وفي هذا يقول محمد الحاج عن المسيح عليه الصلاة والسلام: "فهو يصلي لله لأنه عبد له، والعابد غير المعبود، وهذا ينفي كونه إلهاً، إذ كيف يسجد لنفسه أو يسجد بعضه لبعض، وهذا مستحيل عقلاً، فثبت أن المسيح عليه الصلاة والسلام عبد لله يسجد له، ويعبده ويصلي إليه."^(٤)

ثانياً: نصوص يُصرح فيها المسيح عليه الصلاة والسلام أنه خاضع لله تعالى وأن الله أعظم منه يعتقد المسيحيون أن المسيح إله، وهو مساوٍ للآب (الله عند المسلمين) في ألوهيته ومجده وقدرته وكماله، ولكننا نجد أن الكتاب المقدس يُبين خلاف ذلك، فهو يُبين أن المسيح عليه الصلاة والسلام خاضع لله تعالى، وأن الله أعظم منه، فقد قال المسيح لتلاميذه: (سَمِعْتُ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ أَتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْآبِ، لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي)^(٥)، ففي هذا النص يُبين المسيح عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى أعظم منه، وفي هذا دليل صريح على بطلان ألوهية المسيح ومساواته لله تعالى، لأنه لو كان إلهاً مثل الله الآب لما كان الآب أعظم منه، ولا ندري من نصدق هل

(١) لوقا (١٦/٥).

(٢) مرقس (٣٥/١).

(٣) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ٤٨.

(٤) الحاج، محمد أحمد، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط ١، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٦٨.

(٥) يوحنا (٢٨/١٤).

نصدق القانون النيقاوي الذي حكم بمساواة الآب للمسيح، أم نصدق المسيح الذي يقول: إِنَّ الآب أعظم منه؟ فهل يا ترى يكون المسيحيون أعلم بالمسيح من نفسه؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

ويحاول المسيحيون تأويل هذا النص، فيقولون: إِنَّ المقصود هنا أَنَّ الله الآب أعظم من الابن من حيث ناسوت المسيح لا من حيث اللاهوت، يقول مينا: " إِنَّ المسيح وقتئذ كان متكلماً بالطبيعة الإنسانية كإنسان، ولهذا بكل حق نظراً إلى ذلك الله الآب أعظم منه، .. فإذا لم يقصد السيد بهذا القول إظهار فارق بينه وبين الآب من حيث الجوهر والعظمة ... وسائر الكمالات الإلهية، ولكنه قصد فقط تعزية تلاميذه لفراقه لهم بأنَّ وجوده في السماء وجلسه عن يمين العظمة أكثر رفعة ومجداً له من وجوده بين أهل العالم الذين إذ نظروهم في صورة إنسان أهانوه واحتقروه، ولم يقدموا له الكرامة اللائقة بجلاله الإلهي." (١)

فالمسيح هنا- وفق تبرير المسيحيين- أراد أن يُبين أَنَّ الله تعالى أعظم منه من حيث ناسوت المسيح؛ أي بالطبيعة البشرية المكونة من الجسد والروح، لا أَنَّهُ أعظم منه من حيث لاهوته، ولكن أي فضل وأي منزلة لهذا الجسد البشري المخلوق من التراب حتى يقارنه المسيح عليه الصلاة والسلام برب العزة جل وعلا، وهل يعقل أَنَّ تلاميذ المسيح كانوا يعتقدون أَنَّ المسيح بجسده مساوٍ لله تعالى حتى اضطر المسيح أن يُبين لهم بطلان ذلك؟! أما كان تلاميذ المسيح من اليهود وهم أهل كتاب يعرفون الله تعالى ويعظمونه، ويعرفون صفاته التي جاء بها العهد القديم! ثم هل يعقل أن يقول عاقل بأنَّ هذا الجسد البشري مساوٍ لله تعالى؟!!

وحتى إن فرضنا جدلاً أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام أراد أن يُبين لهم أَنَّ الله الآب أعظم من المسيح كجسد، أما كان يجب عليه أن يوضح لهم أَنَّ الله أعظم منه بالجسد والناسوت لا بالجوهر واللاهوت! خاصة أَنَّ هذه المسألة تتعلق بالثالوث؛ وهي العقيدة الأساسية التي جاء به المسيح عند المسيحيين! فهل يعقل أن يترك المسيح عليه الصلاة والسلام مسألة كهذه تتعلق بأصول العقيدة من غير توضيح هكذا تتخبط فيها الأفهام وتحتار فيها الأنام؟! وإن فرضنا جدلاً أَنَّ المقصود هنا هو إظهار أَنَّ المسيح سوف يعود لمجده ورفعته حين يجلس عن يمين الآب؛ لأنَّ الناس لا يعرفون له قدره ما دام في صورة الإنسان، إلا أَنَّ هذا يَرُدُّه قول بولس عن يوم القيامة: (وَمَتَى أَخْضَعَ لَهُ^(٢) كُلَّ شَيْءٍ، فَحِينَئِذٍ يَخْضَعُ الْإِبْنُ نَفْسَهُ لِذَلِكَ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، لِيَكُونَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ)^(٣)، فهذا النص يُبين أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام خاضع لله تعالى حتى في يوم القيامة، ففي الدنيا قال المسيح عليه الصلاة والسلام: (أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي)، وفي الآخرة قال بولس أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام سوف يخضع لله تعالى، فلو كان المقصود من قول المسيح: (أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي) أَنَّ الله تعالى أعظم من ناسوت

(١) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ٢٩٣.

(٢) أي متى خضع كل شيء يوم القيامة لله تعالى.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (٢٨/١٥).

المسيح- أي في الدنيا-، فما المقصود من خضوع لاهوت المسيح لله تعالى يوم القيامة ما دام المسيح إلهاً ومساوياً لله الآب في كل شيء؟! علماً بأنَّ المسيح قد أنهى تجسده وسيعود يوم القيامة إلى ما كان عليه قبل التجسد؟! قبل التجسد؟!

ثالثاً: نصوص يُصرح فيها المسيح عليه الصلاة والسلام أنه لم يمتلك بذاته القدرة والمعجزة والسلطان وإنما دُفعَ له ذلك من الله تعالى

يعتقد المسيحيون أنَّ المسيح إله، وعليه فلا بد أن يملك المسيح القدرة الكاملة، لأنَّ الإله لا بد أن يكون قادراً على كل شيء، فلا يحتاج في أفعاله إلى مساعدة غيره، وهذا من الأمور البديهية التي يؤمن بها المسيحيون، ولكننا نجد أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يُبين لتلاميذه أنه لا يفعل شيئاً من نفسه، وأنَّ ما فعله كان بقدرة الله تعالى لا بقدرته، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (لَا يَسْتَطِيعُ الْإِبْنُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً مِنْ عِنْدِهِ بَلْ لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يَرَى الْآبَ يَفْعَلُهُ)^(١).

ومنها قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيُّنُونَنِي عَادِلَةً، لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي)^(٢)، ومنها قول المسيح عليه الصلاة والسلام عن نفسه: (دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ)^(٣)، وكان هذا القول بعد قيام المسيح من الأموات- كما يعتقد المسيحيون-، أي بعد أن أنهى وظيفته التي تجسد من أجلها، وقبل صعوده إلى الآب أي في آخر لحظات حياته مع التلاميذ، وعندها يجب أن يوصي المسيح تلاميذه بأهم الوصايا، ويُبين لهم أهم العقائد، فكان من آخر ما علمهم أنَّ ما ظهر على يديه من معجرات، وما أعطيه من سلطان لم يكن بقوته الذاتية، وإنما كان كرامة له من الله تعالى، فالمُعطي الحقيقي والقادر الحقيقي هو الله، وكأنني بالمسيح عليه الصلاة والسلام أراد بوصيته الأخيرة هذه أن ينتزع من العقول كل شبهة قد تؤدي إلى القول بالوهيته، وأراد أن يرد على كل من سيغلو فيه، حتى يكون ذلك عذراً له أمام الله تعالى.

ومنها قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي)^(٤)، وبين بولس أنَّ كل ما كان للمسيح من مجد وكرامة إنما كان له من الله تعالى فقال: (لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ)^(٥)، فهذه النصوص تدل دلالة صريحة على أنَّ قدرة المسيح عليه الصلاة والسلام وسلطانه إنما كانا من الله الآب، وهي نصوص مُحكمة تتفق مع وحدانية الله تعالى وكمالهِ وتفرد بالربوبية والألوهية والملك، فلا بد من رد أي نص ينسب أي فعل من أفعال الله تعالى للمسيح عليه الصلاة والسلام لهذه النصوص المُحكمة تطبيقاً للقاعدة التي تنص على وجوب رد المتشابه للمحكم، وعليه فلو كان المسيح

(١) يوحنا (١٩/٥).

(٢) يوحنا (٣٠/٥).

(٣) متي (١٨/٢٨).

(٤) لوقا (٢٢/١٠).

(٥) رسالة بولس إلى أهل فيلبي (٩/٢).

إلهاً لكانت قدرته وسلطانه ذاتيين فيه، فإذا ثبت كون قدرة المسيح عليه الصلاة والسلام مكتسبة ومستمدة من غيره بطل كونه إلهاً، فالقدرة المكتسبة من غيره نقص، والناقص لا يكون إلهاً، إذاً المسيح عليه الصلاة والسلام لم يكن إلهاً.

بل حتى المعجزات التي فعلها المسيح عليه الصلاة والسلام- والتي هي من أهم الأدلة على ألوهيته عند المسيحيين- كان المسيح يفعلها بقدرة الله تعالى، وقد صرّح المسيح عليه الصلاة والسلام بذلك في عدة نصوص منها: ما جاء في إنجيل يوحنا حين أحيا المسيح عليه الصلاة والسلام عازر، وهذا نصه: (فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيِّتُ مَوْضِعاً، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقَ، وَقَالَ: أَيُّهَا الْآبُ أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجاً! فَخَرَجَ الْمَيِّتُ)^(١)، ومنها أيضاً قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (أَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ شَهَادَةِ يُوَحْنَا: إِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي وَكَّلَ إِلَيَّ الْآبُ أَنَّ أَتِمَّهَا هَذِهِ الْأَعْمَالَ الَّتِي أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي بِأَنَّ الْآبَ أَرْسَلَنِي)^(٢).

ففي هذين النصين بيّن المسيح عليه الصلاة والسلام أنّ ما يفعله من معجزات حتى إحياءه للموتى كان بقدرة الله تعالى لا بقدرته الذاتية، وبيّن المسيح عليه الصلاة والسلام أنّ هذه المعجزات جرت على يديه كدليل لصدق رسالته، لا أنّها دليل على ألوهيته كما يعتقد المسيحيون، فإذا ثبت أنّ هذه المعجزات دليل على رسالة المسيح من كلام المسيح عليه الصلاة والسلام نفسه، بطل قول كل من استدل بها على ألوهيته، ولا أدري كيف يستدل بها المسيحيون على ألوهية المسيح وهو نفسه يصرح بأنّها ليست بقدرته؟ كأنّ المسيحيين لا يقرؤون الكتاب المقدس، ولا يعلمون ما فيه، فهم قد اعتقدوا بألوهية المسيح ثم جاؤوا إلى الكتاب المقدس وأخذوا يستدلون بالنصوص المتشابهة منه التي قد يوهم ظاهرها ألوهية المسيح، وتركوا النصوص المحكمة التي تثبت وحدانية الله تعالى وبشرية المسيح عليه الصلاة والسلام ونبوته.

ومن الجدير بالذكر أنّ تلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام كانوا يعدّون هذه المعجزات من صنع الله تعالى، أجراها الله تعالى على يد المسيح عليه الصلاة والسلام كدليل على رسالته، فقد قال بطرس لليهود: (أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنْ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبٍ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ)^(٣)، وجاء في إنجيل متى حين شفا المسيح عليه الصلاة والسلام المفلوج، ما نصه: (جِيئَنِيذِ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: قُمْ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ! فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعُ تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَاناً مِثْلَ

(١) يوحنا (٤١/١١-٤٤).

(٢) يوحنا (٣٦/٥).

(٣) أعمال الرسل (٢٢/٢).

هَذَا^(١)، ومنها قول رئيس اليهود للمسيح عليه الصلاة والسلام: (يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدًا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ)^(٢)، ومنها قول الأعمى الذي شفاه المسيح عليه الصلاة والسلام لليهود الذين جادلوه بسبب إيمانه بالمسيح: (إِنَّ فِي هَذَا عَجَبًا! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مَنْ أَتَى هُوَ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَنْقِي اللَّهُ وَيَفْعَلُ مَشِئَتَهُ، فَلِهَذَا يَسْمَعُ. مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيَّ مَوْلُودٍ أَعْمَى. لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا)^(٣)، في هذا النص جعل الأعمى سبب شفاؤه دعاء المسيح عليه الصلاة والسلام له، واستجابة الله تعالى لهذا الدعاء؛ فالله تعالى قد استجاب للمسيح، وسبب استجابة الله تعالى للمسيح هو أَنَّ المسيح استجاب لأمر الله تعالى واتقاه، فأظهر الله تعالى على يديه هذه المعجزة تصديقاً لرسالته، وإظهاراً لمكانته، لا لِأَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام إله أو ابن الله، ويملك القدرة المطلقة، ويفعل ما يشاء.

ومنها قول مرثا للمسيح عليه الصلاة والسلام بعد موت أخيها، وقبل أن يحييه المسيح: (يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي! لَكِنِّي الْآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ)^(٤)، في هذا النص قالت مرثا للمسيح أَنَّ كل ما تطلبه من الله فَإِنَّ الله تعالى يعطيك إياه، ولم يعترض عليها المسيح، فلو كان المسيح إلهاً لكان يجب عليه أن يُبَيِّنَ لهم ذلك.

ومن هذه النصوص يظهر لنا جلياً أَنَّ تلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام كانوا يعتقدون أَنَّ المعجزات التي فعلها المسيح إِنَّمَا فعلها بقدرة الله تعالى لا بقدرة المسيح الذاتية، فتلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام ومعاصروه كانوا يعتقدون أَنَّ الله تعالى قد أجرى هذه المعجزات على يد المسيح تصديقاً لرسالته، وكان المسيح عليه الصلاة والسلام يسمع ذلك، ولا يعترض عليه، ولم يكن يُبَيِّنُ لهم أَنَّهُ يفعل ذلك بقوته الذاتية لِأَنَّهُ إله، ولا أدري لماذا لم يُبَيِّنِ المسيح ذلك لهم! أتراه كان يخدعهم ولا يحب نجاتهم! وهو الذي تجسد وصلب ومات من أجلهم- كما يدَّعون-، أم أَنَّهُ كان يخافهم ويخشاهم! فكيف يكون ذلك وهو إله العالمين عندهم؟!

وهل يجوز أن يؤخر المسيح البيان عن وقت الحاجة، ويسمع الكفر من اتباعه، وعدم إيمانهم بألوهيته ثم يسكت، والله إِنَّ هذا لا يجوز في حق العلماء، فكيف يجوزونه في حق رب الأرض والسماء؟! ثم هل يمكن أن يخفى أمر ألوهية المسيح على تلاميذه وحوارييه ويكتشف ذلك من جاء بعدهم من المسيحيين بعد مئات السنين؟! حيث لم يكتشف التلاميذ لاهوت المسيح، في حين عرفه الآباء بعد مئات السنين، وهذا باطل، وإذا كان الآباء والقديسون الذين جاؤوا بعدهم أعلم منهم بالمسيح! فكيف

(١) متى (٨-٦/٩).

(٢) يوحنا (٢/٣).

(٣) يوحنا (٣١-٣٠/٩).

(٤) يوحنا (٢١/١١).

إذاً يقبل المسيحيون رواية التلاميذ للعهد الجديد وهم أجهل الناس بلاهوت المسيح؟! بل هم كفار - عندهم - إذ أن من لا يؤمن بلاهوت المسيح فهو عندهم كافر! فكيف يعتقدون بعد هذا عصمتهم ويقبلون روايتهم؟! رابعاً: نصوص تصرح باستغاثة المسيح عليه الصلاة والسلام بالله تعالى وتبين افتقاره لله تعالى يعتقد المسيحيون أن المسيح إله، والإله لا يمكن أن يكون مفتقراً أو محتاجاً إلى غيره، وإلا لكان ناقصاً والناقص لا يكون إلهاً، ولكن من قرأ الأناجيل يجد الكثير من النصوص التي تُبين استغاثة المسيح عليه الصلاة والسلام بالله جل جلاله، وافتقاره إليه سبحانه، وهذا يتناقض مع عقيدة ألوهية المسيح ومساواته لله الآب التي يعتقدونها المسيحيون، وجاء هذا في عدة نصوص منها: النصوص التي تتحدث عن قصة محاكمة المسيح وصلبه، وفيها أن المسيح لما شعر بقرب محاكمته وتيقن من صلبه كان يتوسل إلى الله تعالى، ويتضرع إليه بكل افتقار، لكي يخلصه من تلك المحنة.

فها هو المسيح عليه الصلاة والسلام لما شعر بقرب محاكمته: (خَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيْضاً تَلَامِيذُهُ. وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: صَلُّوا لِكَيَّ لَا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَةِ حَجَرٍ وَجِئْنَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَيْسَ لِي إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ. وَظَهَرَ لَهُ مَلَاكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيه. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرْقُهُ كَقَطَرَاتٍ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ)^(١)، ونقل لنا مرقس تضرع المسيح عليه الصلاة والسلام واستغاثته بالله، فقال مرقس أن المسيح لما شعر باقتراب موعد الصلب: (ابْتَدَأَ يَدْهُسُ وَيَكْتَنِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! .. ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلاً وَخَرَّ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيَّ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أُمِكنَ. وَقَالَ: يَا أَبَا الْآبِ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ)^(٢)، اضطرب المسيح عليه الصلاة والسلام حين اقتربت محاكمته وقال: (أَيُّهَا الْآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ)^(٣).

إن من ينظر في هذه النصوص نظرة باحث عن الحق يجد أنها ليست إبطالاً للثالوث فحسب، بل هي إبطال للثالوث والتجسد والفداء معاً، ففي هذه النصوص يطلب المسيح عليه الصلاة والسلام النجاة والرحمة من الله الآب، فإذا كان المسيح إلهاً فلماذا يطلب ذلك من غيره؟! ولماذا ظهر له الملاك ليقويه؟! أيعقل أن ربهم ضعيف وعاجز لدرجه أنه يحتاج إلى بعض خلقه ليستمد منهم القوة والقدرة؟! أليس من صفات الجوهرية للإله عند المسيحيين الغنى المطلق، والاكتفاء الذاتي، وعدم الافتقار؟! فإذا ثبت افتقار المسيح عليه الصلاة والسلام لله تعالى وحاجته إليه بطل كونه إلهاً، وعليه بطل الثالوث.

كما يظهر من هذه النصوص خوف المسيح عليه الصلاة والسلام وحزنه الشديدين عندما علم بقرب محاكمته، فإذا كان قد نزل من السماء وتجسد من أجل أن يموت تكفيراً عن خطايا البشر! فلماذا

(١) لوقا (٢٢/٣٩-٤٤).

(٢) مرقس (١٤/٣٣-٣٦).

(٣) يوحنا (١٢/٢٧).

يخاف ويحزن إذا كان قد جاء من أجل أن يموت؟! **يجيب المسيحيون على ذلك بقولهم:** إنَّ الخوف والحزن كانا من الناسوت لا من اللاهوت، فالمسيح كان إنساناً وإلهاً في الوقت نفسه، فإذا ظهرت منه أعراض بشرية فبسبب ناسوته، ومن هذه الأعراض الخوف والحزن والاكتئاب.^(١)

يمكننا رد تبريرهم هذا بالقول: إنَّكم تدَّعون أنَّ الخوف كان من ناسوت المسيح، بحسب الطبيعة البشرية، فكيف تصفون ربكم وخالقكم بأمر تأنف عنها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، بل يأنف عنها الصادقون من المؤمنين أيضاً؟! فما هو كتابكم المقدس يتحدث كيف أنَّ النبي موسى عليه الصلاة والسلام قد واجه فرعون- ذلك الملك الجبار- بكل قوة وشجاعة ومن غير خوف^(٢)، وما هو النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام يستجيب لأمر الله تعالى بكل شجاعة حين أمره أن يقدم ابنه قرباناً لله تعالى، وكذلك فقد استجاب الابن لأمر أبيه النبي إبراهيم، وتقدم هو أيضاً للموت بكل شجاعة وإقدام^(٣)، فواعجباً من أمركم كيف يخاف الإله عندكم في حين أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يواجهون الموت بكل قوة وشجاعة وإقدام؟! فلو أنَّ إنساناً واجه الموت بخوف وجبن لكان ذلك نقصاً في حقه؟! فكيف تصفون إلهكم بأمر يأنف عنه المؤمنون؟! أليس هذا نقصاً؟! وحتى لو كان الخوف بالناسوت لا باللاهوت.

أليس في ذلك دليل على بطلان التجسد والفداء؟! لأنَّه لو كان المسيح قد تجسد من أجل الموت للتكفير عن خطايا البشر لما طلب من الله تعالى أن ينجيه من هذه المحنة، إلا إذا كان المسيح مجبراً من قبل الله تعالى على ذلك، فإذا كان مجبراً على ذلك لا مختاراً بطل كونه إلهاً، لأنَّ الإله عند المسيحيين لا بد أن يكون مريداً مختاراً، كما أنَّ قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (لَيْكُنْ لَّا مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ)، فيه إثبات لعدم اتحاد إرادة المسيح عليه السلام بإرادة الله تعالى، في حين أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الآب والابن متحدان في الإرادة، فهذا النص يقتلع الاعتقاد بالتثليث والتجسد والفداء من الجذور، والله الحمد والمنة، يقول رحمت الله الهندي معلقاً على هذا النص: "فأقواله وأحواله المندرجة في هذه العبارة تدل على عبوديته، ونفي ألوهيته، أيحزن ويكتئب الإله، ويموت، ويصلي لإله آخر، ويدعو بغاية التضرع؟! لا والله، ولمَّا جاء جنبه الشريف إلى العالم، وتجسد ليخلص العالم بدمه الكريم من عذاب الجحيم، فما معنى الحزن والاكتئاب، وما معنى الدعاء بأن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس؟!"^(٤)

ومن النصوص التي تُبين استغاثة المسيح عليه الصلاة والسلام بالله تعالى كذلك قول المسيح حين صلبوه: (يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ)^(٥)، ففي هذا النص يطلب المسيح عليه الصلاة والسلام من الله تعالى أن

(١) انظر: الأنبا غريغوريوس، سري التجسد والفداء، ص ٥٩-٦٠.

(٢) انظر: سفر الخروج (١٤-١/٦).

(٣) انظر: سفر التكوين (١٣-١/٢٢).

(٤) الهندي، إظهار الحق، ج ٣، ص ٧٤٩.

(٥) لوقا (٢٣/٣٤).

يغفر لمن صليبه، ولو كان المسيح إلهاً وبيده حق الغفرة كما يعتقد المسيحيون لما احتاج أن يدعو الله تعالى من أجل أن يغفر لهم، ولغفر لهم بنفسه لأنه يملك المغفرة كإله.

ومنها ما جاء في إنجيل متى حين قبض الجند على المسيح عليه الصلاة والسلام وفيه أنه: (حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقُوا الْأَيْدِي عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَفَطَعَ أُذُنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتُظَنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيَقْدِمَ لِي أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟)^(١)، ففي هذا النص يُبَيِّنُ المسيح عليه الصلاة والسلام أنه لو أراد من الله تعالى أن ينصره لطلب منه ذلك، ولو كان المسيح إلهاً لفعل ذلك بقدرته الذاتية، دون أن يطلب ذلك من الله تعالى.

وجاء في إنجيل يوحنا دعاء المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه لكي يحفظهم الله تعالى من الشيطان، ويكرر إعلامهم بإرسال الله تعالى له، وفيه: (تَكَلَّمَ يَسُوعُ .. وَقَالَ: أَيُّهَا الْآبُ قَدْ أَتَتْ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيَمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضاً، إِذْ أُعْطِيتَهُ سُلْطَاناً عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أُعْطِيَتْهُ. وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجِّدُكَ عَلَى الْأَرْضِ. الْعَمَلُ الَّذِي أُعْطِيتَنِي لِأَعْمَلْ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالْآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأُعْطِيتُهُمْ لِي، وَقَدْ حَفَظُوا كَلَامَكَ. وَالْآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أُعْطِيتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، لِأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي قَدْ أُعْطِيتُهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِيناً أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَمِنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي لِأَنَّهُمْ لَكَ. وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجِّدٌ فِيهِمْ. وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ. حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي حَفَظْتُهُمْ، وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا ابْنُ الْهَلَاكِ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ. أَمَّا الْآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ. وَأَتَكَلَّمُ بِهِذَا فِي الْعَالَمِ لِيَكُونَ لَهُمْ فَرَحٌ كَامِلاً فِيهِمْ. أَنَا قَدْ أُعْطِيتُهُمْ كَلَامَكَ، وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ، كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ، لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشَّرِّيرِ)^(٢).

ويزيد المسيح عليه الصلاة والسلام على ذلك في ابتهاله الله تعالى فسأله أن يعطي أتباعه بعض ما أعطاه الله تعالى للمسيح عليه الصلاة والسلام من قداسة ومحبة وكمال ومجد فيقول عنهم: (لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ. قَدَّسَهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ. كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ، وَلَا أَجْلُهُمْ أَقْدَسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ. وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ،

(١) متى (٥٤-٥٠/٢٦).

(٢) يوحنا (١٥-١/١٧).

لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَيَّ وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتُهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي^(١).

ثم يختم المسيح عليه السلام ابتهاله مؤكداً حصول فنائهم فيه بعد أن فني هو فيه سبحانه؛ فقال: (أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَ لَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. أَيُّهَا الْآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهُوَ لَاءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَفْتُهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونُ أَنَا فِيهِمْ)^(٢).

ففي هذا النص يظهر المسيح عليه الصلاة والسلام غاية الذل والخضوع والافتقار إلى الله تعالى، وهذا النص يقتلع عقيدة التثليث والتجسد من جذورهما، وإن المرء ليتعجب أشد العجب ويندهش أشد الاندهاش حين يجد في الكتاب المقدس هذا النص المُصرح بعبودية المسيح عليه الصلاة والسلام، ثم بعد ذلك نجد المسيحيين يعتقدون بالوهية المسيح وهم يقرؤون هذا النص، فإن فيه:

١. يُبَيِّنُ المسيح عليه الصلاة والسلام أَنَّ الحياة الأبدية تكون بالإيمان بوحداية الله تعالى، وبرسالته عليه الصلاة والسلام، فلو كانت الحياة الأبدية بالثالث لبيّن ذلك.

٢. يُبَيِّنُ المسيح عليه الصلاة والسلام أَنَّهُ رسول الله تعالى، بل إِنَّهُ يكرر كلمة: (أَرْسَلْتَنِي) ست مرات.

٣. يُبَيِّنُ المسيح عليه الصلاة والسلام أَنَّ ما يملكه من سلطان ومجد وكمال هو من الله تعالى.

٤. أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام يطلب عوضاً عن تمجيده للآب بأن يمجده الآب بالمقابل، فلو كان المسيح عليه الصلاة والسلام إلهاً لكان مجده ذاتياً، ولما احتاج أن يطلبه من غيره.

٥. أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام يسأل ربه أن يجعل أتباعه كما هو مع ربه (وَاحِداً كَمَا نَحْنُ وَاحِدٌ)، وأن يكونوا مقدسين كمثله، وأن يكونوا واحداً في الآب وابنه كما كان الآب في ابنه، والابن في أبيه، لأنَّه أعطاهم المجد الذي أعطاه أبوه ليكونوا مكملين إلى الواحد، وأن يحبهم الآب كما يحب ابنه، وفي هذا اعتراف صريح من المسيح عليه الصلاة والسلام بأنَّ كل ما امتاز به المسيح عليه الصلاة والسلام من مجد وكرامة ومحبة وكمال وقداسة وذوبان وفناء في الآب هو أيضاً للاتباع بدعاء المسيح عليه الصلاة والسلام لهم، بل النص يصرح بحاجة المسيح عليه الصلاة والسلام للآب كحاجة التلاميذ له، والحاجة نقص، والنقص ينفي الألوهية.

وهناك أدلة أخرى في هذا النص تبطل الثالث والتجسد سوف يذكرها الباحث في المطلب الآتي

بإذن الله تعالى.

(١) يوحنا (١٦/١٧-٢٣).

(٢) يوحنا (١٧/٢٤-٢٦).

خامساً: نصوص يصرح فيها المسيح عليه الصلاة والسلام أنه إنسان وابن إنسان

إنَّ بشرية المسيح عليه الصلاة والسلام واضحة جلية لا تحتاج إلى دليل وبرهان، لأنَّه عاش بين الناس على هذه الأرض يأكل، ويشرب، وينام، ويتألم، فشهادة الحس على بشريته عليه الصلاة والسلام أكبر من كل دليل وبرهان، وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين والمسيحيين، ولا نزاع فيه، لكن ألوهية المسيح هي الأمر الخفي الذي لا بد له من دليل وبرهان، ولا يصح الاستدلال عليه إلا بأدلة واضحة جلية تصلح للاستدلال على عقيدة أساسية هي السبب في السعادة الأبدية، خاصة إذا ما علمنا أنَّ الرسالات السماوية كلها لم تأتِ بمثل هذه العقيدة التي تؤمن بها المسيحية عن الإله، وعليه فإنَّ من ادعى دعوى ألوهية المسيح فعليه أن يأتي بالدليل والبرهان، وإذا كانت ألوهية المسيح حقيقة ثابتة فإنَّه يجب على المسيح أن يُبينها بياناً واضحاً، لأنَّ معرفتها سبب السعادة الأبدية، ولكننا نجد أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان من عادته الشريفة أن يتحدث عن نفسه بأنَّه إنسان أو ابن إنسان، وكأنَّه يريد أن يؤكد بشريته حتى لا يغلو فيه أحد، فكأنَّه عليه الصلاة والسلام أراد أن ينتزع من الأذهان كل شبهة لألوهيته.

وكانَّي به عليه الصلاة والسلام كان يرى بنور النبوة ما سوف يفترية قومه في حقه، فأراد أن يكون تصريحه المتكرر ببشريته عليه الصلاة والسلام عذراً له أمام الله تعالى يوم القيامة، علماً بأنَّنا لو فرضنا جدلاً ألوهية المسيح لكان الواجب عليه بيانها؛ لأنها هي التي تحتاج إلى البيان، أمَّا بشريته عليه الصلاة والسلام فما تحتاج إلى بيان لدلالة الحس عليها، وقد جاء ذكر بشرية المسيح عليه الصلاة والسلام في عدة نصوص منها: قول المسيح عليه الصلاة والسلام لليهود: (وَلَكِنَّكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ)^(١)، يقول رستم معلقاً على هذا النص: "ما أبعد النجعة بين ما عرَّف به المسيح عليه الصلاة والسلام نفسه هنا من أنَّه: إنسان يتكلم بالحق الذي يسمعه من الله، وبين تعريف المسيح في دستور الإيمان النصراني الذي تقرر عقب مجمع نيقية .. فأبي القولين تختار: أقول المسيح المختار عليه الصلاة والسلام، أم قول غلاة الأخبار؟! "^(٢)

أمَّا كلمة ابن الإنسان فقد وردت في حق المسيح عليه الصلاة والسلام في العهد الجديد ثمانين مرة، في ثلاثين منها كان الذاكر لها هو المسيح نفسه واصفاً بها ذاته الشريفة^(٣)، ومن هذه النصوص التي ذُكرت فيها (ابن الإنسان): قول المسيح عليه الصلاة والسلام عن يوم القيامة: (وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ. وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ)^(٤)، في هذا النص يُبيِّن المسيح عليه الصلاة والسلام أنَّ مجيئه يوم القيامة كابن

(١) يوحنا (٤٠/٨).

(٢) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ٧٧.

(٣) انظر: جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، د.ط، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٨٩٤م، ج١، ص ١٥٢.

(٤) متى (٣٦/٢٤-٣٧).

إنسان لا كإله، وقد وصف المسيح عليه الصلاة والسلام نفسه الشريفة بهذا الوصف كذلك في قوله: (ابنُ الإنسانِ يُسلَّمُ إلى أيدي الخطاة)^(١)، إلى غير ذلك من النصوص، فهنا يُبينُ المسيح عليه الصلاة والسلام أنَّ الخطاة سوف يقتلونه، ويبيِّن أنَّ المقتول هو ابن إنسان، فلو كان المسيح إلهاً قد تجسد من أجل أن يصلب ويموت تكفيراً عن خطايا البشر لوجب عليه أن يُبين لهم ذلك، خاصة في هذا المقام الذي تحدث فيه عن موته، فلمَّا لم يُبين ذلك ولم يذكره لا من بعيد ولا من قريب علمنا يقيناً أنَّ المسيح ليس إلهاً قد تجسد للتكفير عن الخطايا كما يزعم المسيحيون، ويُبين القرافي^(٢) سبب كثرة وصف المسيح عليه الصلاة والسلام لنفسه بابن الإنسان فيقول: "وقد كرر صلوات الله عليه هذه العبارة في مواضع كثيرة من الإنجيل، ولعله ليس ببعيد من حالة الأنبياء عليهم السلام أن يكون قد اطلع على ما سيقوله النصارى فيه، وما يجترؤون على الربوبية بسببه، فكان عليه الصلاة والسلام يكرر ما يكون سبباً للهداية لمن اهتدى، وعذراً له إذا سئل غداً عن ذلك في الموقف غداً."^(٣)

ومما ينبغي ذكره هنا أنَّ تسمية المسيح عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم (المسيح) من أكبر الأدلة على بشريته، فقد جاء في دائرة المعارف الكتابية أنَّ كلمة المسيح من ممسوح أي المبارك، وكان اليهود يستخدمون المسح بالزيت لمن يريدون أن يباركوه ويقدسوه ويكرسوه لخدمة الله تعالى^(٤)، وعليه فقد سُمي المسيح عليه الصلاة والسلام بذلك لأنَّ الله تعالى باركه، وكرسه لخدمته، فلو كان المسيح إلهاً لكانت بركته ذاتية فيه، والدليل على أنَّ الله تعالى هو الذي مسح المسيح وباركه قول بطرس ويوحنا: (تحالَفَ حقاً في هذه المدينة هيرودس .. وشُعوبُ إسرائيل على عَبْدِكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ الَّذِي مَسَحْتَهُ)^(٥)، يقول الخولي: "لفظ المسيح ذاته يدل على أنَّ عيسى ممسوح أي مبارك، وهذا يدل أنَّ الله مسحه؛ أي باركه، وهذا ينفي عنه الألوهية."^(٦)

أمَّا تسمية المسيح بـ(يسوع) فهي أيضاً تدل على بشريته، لأنَّ معنى كلمة يسوع كما جاء في دائرة المعارف الكتابية: "الرب يخلص أو المخلص"^(٧)، والمسيح عليه الصلاة والسلام جاء لهداية بني إسرائيل، وتخليصهم من الذنوب والمعاصي، ودعوتهم إلى عبادة الله تعالى وحده، فاليهود كانوا يتطلعون

(١) متى (٤٥/٢٦).

(٢) هو أحمد بن إدريس، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي، من علماء المالكية، نسبته إلى فقيلة صنهاجة من برابرة المغرب، مصري المولد والنشأة والوفاة، له عدة مصنفات جليلة في الفقه والاصول، منها: (أنوار البروق في أنواء الفروق)، و(الذخيرة)، و(التواقيت في أحكام المواقيت)، توفي سنة ٦٨٤هـ، انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٩٤-٩٥.

(٣) القرافي، أحمد بن إدريس المالكي (ت ٦٨٤هـ)، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٦٩.

(٤) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٧، ص ١٣٠. جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج ٢، ص ٣٣١.

(٥) أعمال الرسل (٢٧/٤).

(٦) الخولي، محمد علي، حقيقة عيسى المسيح، ط ١، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م، ص ١٧.

(٧) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٨، ص ٢٦٧.

إلى منقذ مخلص لهم من الظلم والخطايا^(١)، وهذا يتوافق مع مهمته كنبى ولا يدل على ألوهيته بحال من الأحوال.

سادسا: نصوص يُصرح فيها المسيح عليه الصلاة والسلام بأنه نبي مرسل من الله تعالى
ثبت لنا ممّا سبق أنّ المسيح عليه الصلاة والسلام بشر، ولكن ما وظيفته؟ إنّ من قرأ العهد الجديد يجد أنّ المسيح كان يُصرح بأنه رسول من قبل الله تعالى، شأنه شأن سائر الأنبياء السابقين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، جاء لكي يُخلص اليهود من أوزار الذنوب والمعاصي، و جاء هذا في عدة نصوص منها: قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ)^(٢)، ففي هذا النص يُبيّن المسيح أنّ سبب السعادة في الحياة الأبدية يكون بالإيمان بوحداية الله تعالى، والإيمان برسالة المسيح عليه الصلاة والسلام، ولم يذكر أنّ السعادة تكون بالإيمان بالثالوث والتجسد والفداء، فهنا إمّا أن يكون المسيح قد خدع أتباعه فلم يُبيّن لهم طريق السعادة، وهذا باطل، وإمّا أن يكون المسيح قد بيّن لهم طريق السعادة، وأنها تكون بالإيمان بوحداية الله تعالى ورسالة المسيح عليه الصلاة والسلام، وهو الصواب.

ويُصرح المسيح عليه الصلاة والسلام بأنّ رسالته خاصة إلى بني إسرائيل لا عامة إلى كل الناس بقوله: (لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ)^(٣)، ويعلق محمد الحاج على هذا النص فيقول: "هذا إقرار بأنه مرسل، فلو كان إلهاً فكيف يكون مرسلًا، كما فيه دلالة على خصوصية رسالته عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل"^(٤)، وليس كما يدّعي المسيحيون من أنّ المسيح عليه الصلاة والسلام جاء جاء إلى البشرية كلها.

وقد قال المسيح عليه الصلاة والسلام عن نفسه: (أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيُّونَتِي عَادِلَةٌ، لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي)^(٥)، ففي هذا النص لا يُبيّن المسيح أنّه رسول الله تعالى فقط، بل يُبيّن أنّ مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى، فإذا ثبتت رسالته فقد بطلت ألوهيته، وإذا ثبت أنّ مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى فقد بطلت ألوهيته وبطل اتحاداه بالله تعالى، لأنّ المسيحيين يعتقدون اتحاد مشيئة الله الآب مع مشيئة الابن (المسيح)^(٦).

ومن الجدير بالذكر أنّ المسيحيين يُقرّون بأنّ المسيح قد وُصف في الكتاب المقدس بأنه رسول الله، ويُعدون الرسالة إحدى وظائفه، تقول دائرة المعارف الكتابية: "استخدمت كلمة رسول في العهد

(١) انظر: تورى، يونس، عقيدتنا التثليث والصلب وموقف الإسلام منهما، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣ هـ، ص ٨٣.

(٢) يوحنا (٣/١٧).

(٣) متى (٢٤/١٥).

(٤) الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ٢٧٠.

(٥) يوحنا (٣٠/٥).

(٦) انظر: هذا البحث، ص ٢٦.

الجديد عن الرب يسوع نفسه." (١)

فإذا ثبت أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام هو رسول الله تعالى فقد استحال أن يكون إلهاً، لأنَّ الرسول لا بد أن يكون غير المرسل، وقد **يعترض هنا المسيحيون فيقولون**: إنَّنا نقول بالتمايز بين الله الآب والله الابن (المسيح) في الأقنومية، فليس في هذا ما يبطل اعتقادنا بألوهية المسيح، فهما متمايزان في الأقنوم، متحدان في الجوهر واللاهوت، متساويان في المجد والكرامة، **والجواب على ذلك**: أنَّه إذا ثبت أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول للناس بأنَّه رسول الله تعالى، فقد بيَّن هو أيضاً استحالة المساواة بين الرسول والمرسل حين قال لتلاميذه: (إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَكْبَرُ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا رَسُولٌ أَكْبَرُ مِنْ مُرْسِلِهِ) (٢)، فثبت بذلك استحالة المساواة بين الله تعالى وبين المسيح عليه الصلاة والسلام، وثبت أنَّ الله تعالى أعظم من المسيح، فبطل بذلك ألوهية المسيح ومساواته لله تعالى في الجوهر واللاهوت.

وكان المسيح عليه الصلاة والسلام يُصرح بأنَّ ما يجريه الله تعالى على يديه من معجزات هو دليل وبرهان على نبوته، وقد ذَكَرَ الباحث ذلك سابقاً عند الحديث عن المعجزات، ومن ذلك قول المسيح عليه الصلاة والسلام حين أحيا عازر: (أَيُّهَا الْآبُ أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي) (٣)، يعلق محمد الحاج على هذا النص فيقول: "فهو يشكر الله تعالى لأنَّه هو الذي مكَّنه من فعل تلك المعجزة، وإلا فهو بشر لا يستطيع لها فعلاً لولا مشيئة الله تعالى، وقد فعل هذه المعجزة ليؤمن قومه أنَّه رسول من عند الله، وهذه هي فائدة المعجزة التي تجري على يد رسل الله جميعاً عليهم الصلاة والسلام" (٤)، فهذه المعجزة كانت تصديقاً لرسالة المسيح عليه الصلاة والسلام ونبوته، لا لإثبات ألوهيته.

ومنها قول المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه حين رفضته الناصرة: (لَيْسَ نَبِيٌّ بِإِلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ) (٥)، وقد تكرر هذا النص نفسه في الأناجيل الأربعة، ففي هذا النص يُبيِّن المسيح أنَّ شأنه شأن سائر السابقين عليهم الصلاة والسلام الذين رفضتهم أوطانهم وأقربائهم.

وتذكر لنا الأناجيل أنَّ بدء رسالة المسيح كان حين تعمد على يد النبي يحيى عليهما السلام: (فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَاتِّيَا عَلَيْهِ، وَصَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ) (٦)، يقول عبدالله جي زاده معلقاً معلقاً على هذا النص: "هذا صريح في أنَّ المسيح سلام الله عليه بشر مخلوق لله تعالى، وأنَّه قبل أن يأتي إلى يوحنا المعمدان لم يكن الوحي ينزل عليه، .. وأول ما بلغه عن الله تعالى أنَّه هو الابن الحبيب الذي

(١) صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج٤، ص ٩٥.

(٢) يوحنا (١٦/١٣).

(٣) يوحنا (٤١/١١).

(٤) الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ٢٧١.

(٥) متى (٥٧/١٣)، مرقس (٤/٦)، لوقا (٢٤/٤)، يوحنا (٤٤/٤).

(٦) متى (١٦/٣-١٧)، مرقس (١٠/١)، لوقا (٢٣/٣).

به سرور الله تعالى." (١)

وبيّن لنا لوقا أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام قد بُعث وهو في سن الثلاثين، فقد جاء في إنجيل لوقا بعد ذكر التعميد ونزول الوحي على المسيح عليه الصلاة والسلام ما نصه: (وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً) (٢)، ولم يكن قد نزل عليه الوحي قبل ذلك بدليل قول يوحنا: (لَأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لِأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ) (٣)، فبيّن يوحنا هنا أنَّ مجد المسيح عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول الوحي عليه؛ أي بعد الثلاثين من عمره، وهذا المجد سببه نزول الوحي عليه وبدء رسالته المباركة، ولو كان المسيح إلهاً أزلياً لكان مجده أزلياً، فهذا النص يبطل ألوهية المسيح وأزليته، ويثبت حدوثه ورسالته وبشريته.

ثم إنَّ التعميد عند المسيحيين يكون للتطهير من الذنوب والمعاصي، فهل كان المسيح الذي هو إله المسيحيين مذنباً حتى يتعمد؟! يقول محمد الخولي معلقاً على هذا النص: "التعميد للتطهير، أليس كذلك؟ فإذا كان عيسى هو ابن الله أو الله، فلماذا يطهر نفسه من الذنوب؟! التعميد يعني أنَّ عيسى إنسان بحاجة إلى التطهير كسائر الناس، وهذا ينقض الإدعاء بألوهية المسيح." (٤)

فإن قال المسيحيون: إنَّ المسيح قد تعمد ليقبلي به أتباعه لا ليظهر نفسه، بل ليعلمهم كيفية التطهير لأنفسهم؟! فالجواب على ذلك: أنَّ التعميد لو كان لمجرد تعليم التلاميذ لوجب على المسيح عليه الصلاة والسلام أن يُبين لهم ذلك، فهو أمر يتعلق بذات الإله، ولا يجوز له أن يؤخر البيان في مثل هذا الأمر العظيم عن وقت الحاجة، فيدع الشك بألوهيته يدخل إلى قلوب الناس بتعميده ولا يُبين لهم السبب الحقيقي للتعميد. إن كان هناك سبب غير التطهير؟! فكيف يتعمد المسيح الذي هو الإله عندهم دون أن يُبين لهم أنَّه تعمد ليعلمهم فقط؟! أمّا هو فلا يحتاج للتعميد، ثم إنَّ اليهود الذين بعث فيهم المسيح عليه الصلاة والسلام كانوا يعرفون التعميد، وكان النبي يحيى عليه الصلاة والسلام يُعمد الناس (٥)، فقد جاء في إنجيل لوقا أنَّه: (لَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً) (٦)، فالناس كانوا يتعمدون قبل المسيح عليه الصلاة والسلام، فلم يبقَ هناك حجة للقول بأنَّ التعميد كان للتعليم، فكيف يعلمهم التعميد وهم يعلمون به بل ويفعلونه

ومن الجدير بالذكر أنَّ الاعتقاد بنبوة المسيح عليه الصلاة والسلام هو الاعتقاد السائد عند الناس في عهده عليه الصلاة والسلام، فما هو متى ينقل لنا نصاً يُبين فيه أنَّ الناس كانوا يعتقدون نبوة

(١) جي زاده، عبدالله بن سليم البغدادي، الفارق بين الخالق والمخلوق، ط٢، (تحقيق أحمد السقا)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٥٥.

(٢) لوقا (٢٣/٣).

(٣) يوحنا (٣٩/٧).

(٤) الخولي، محمد، مقارنة بين الأنجيل الأربعة، د.ط، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٣ م، ص ٢٣.

(٥) انظر: متى (١١/٣)، مرقس (٥/١)، لوقا (٢١/٣).

(٦) لوقا (٢١/٣).

المسيح، فيقول: (وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ. وَإِذْ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يُمَسِّكُوهُ، خَافُوا مِنَ الْجُمُوعِ، لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلُ نَبِيٍّ)^(١)، فإذا كان الناس في عهد المسيح يعتقدون بنبوة المسيح عليه الصلاة والسلام، فمن أين جاءت إليه الألوهية بعد ذلك؟!

وقد يعترض المسيحيون فيقولون: إنَّ اعتقاد الناس ليس حجة علينا، فكم كفر الناس بالأنبياء، وهذا لا يعني بطلان نبوتهم، فذلك عدم اعتقاد الناس بألوهية المسيح لا يدل على بطلانها، فنقول لهم: نحن نوافقكم في أنَّ عدم اعتقاد الناس بألوهية المسيح ليس دليلاً على بطلان ألوهية المسيح، ولكن إذا كان المسيح نفسه قد بيَّن أنَّه رسول ونبي، وكان تلاميذه الذين تعتقدون أنتم أنَّهم معصومون، وهم الذين نقلوا لكم دينكم، بينوا لكم حقائقه- ومنها ألوهية المسيح كما تزعمون- يعتقدون نبوة المسيح عليه الصلاة والسلام، فلم يبق لكم بعد ذلك حجة، تقول دائرة المعارف الكتابية عن تلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام المعاصرين له: "لم يكن الرسل مجرد شهود لتلك الحقائق"^(٢)، بل كانوا مفسريها أيضاً، وكراسة الرسل ورفقائهم وكتاباتهم هي التي تزودنا بما نحتاج إلى معرفته من حقائق عن الرب يسوع المسيح وفدائه الكامل"^(٣)، فإذا كان الرسل (تلاميذ المسيح) يقولون بنبوة المسيح عليه الصلاة والسلام ورسالته، فقد بطل احتجاجكم بأنَّ اعتقاد الناس ليس حجة عليكم، لأنَّ نبوة المسيح عليه الصلاة والسلام هي عقيدة تلاميذه وحوارييه الذين هم أقرب الناس إليه، وأنتم تأخذون بكلامهم، فهم الذين نقلوا لكم دينكم، وهم أعرف الخلق بالمسيح عليه الصلاة والسلام، وكلامهم حجة عليكم، وقد جاء هذا في سفر أعمال الرسل حيث ألقى الحواري بطرس خطبة أمام الشعب الإسرائيلي فقال: (إِنَّ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلَهَ آبَائِنَا، قَدْ مَجَّدَ عَبْدَهُ يَسُوعَ الَّذِي أَسْلَمْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ أَمَامَ بِيلاطُسَ، ... وَلَكِنَّكُمْ أَنْكَرْتُمْ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ ..، فَلَقَدْ قَالَ مُوسَى: سَيَقِيمُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيًّا مِثْلِي، فَالْيَهْ أَصْغُوا فِي جَمِيعِ مَا يَقُولُ لَكُمْ، .. وَإِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ صَمُوئِيلَ إِلَى الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بَعْدَهُ عَلَى التَّوَالِي قَدْ بَشَّرُوا هُمْ أَيْضًا بِهَذِهِ الْأَيَّامِ. فَانْتُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعَهْدِ الَّذِي عَقَدَهُ اللَّهُ لِأَبَائِكُمْ إِذْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: فِي نَسْلِكَ تُبَارَكُ جَمِيعُ عَشَائِرِ الْأَرْضِ. فَمِنْ أَجْلِكُمْ أَوَّلًا أَقَامَ اللَّهُ عَبْدَهُ وَأَرْسَلَهُ لِيُبَارِكَكُمْ، فَيَتَوَبَّ كُلُّ مَنْكُمُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ)^(٤)، يقول رستم معلقاً على هذا النص: "من هذا النص يتبين أنَّ عقيدة القديس بطرس الذي كان من أقرب الحواريين للمسيح عليه الصلاة والسلام لم تتجاوز كونه عبداً لله، وكونه نبياً كموسى عليه الصلاة والسلام، حيث استشهد بطرس ببشارة واردة في التوراة يقول فيها الله تعالى لموسى أن يقول لبني إسرائيل: (لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيًّا مِثْلِي)، فاعتبر البشارة متعلقة بالمسيح، مما يعني كون المسيح عليه الصلاة والسلام في اعتقاده نبياً مثل النبي موسى عليه الصلاة والسلام، والمثالية هذه تؤكد كون عيسى عبداً رسولاً، وبشراً

(١) متى (٤٦-٤٥/٢١).

(٢) يقصد بالرسل تلاميذ المسيح، ويقصد بالحقائق الأحداث التي حصلت مع المسيح عليه الصلاة والسلام.

(٣) صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج٤، ص ٩٦.

(٤) أعمال الرسل (٢٦-١٣/٣).

نبياً كما كان موسى عبداً رسولاً، وبشراً نبياً.^(١)

ولكن إذا أصر المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بعد كل ما ذكرنا من أدلة على بشرية، فيلزمهم أن يقولوا بألوهية النبي موسى عليه الصلاة والسلام أيضاً، لأن القديس بطرس قد بيّن أن النبي موسى مثل المسيح، فإذا كان المسيح إلهاً، وهو مثل النبي موسى، فيلزم من ذلك أن موسى إله أيضاً، فإذا لم يألوهوا موسى فيلزمهم أن لا يألوهوا المسيح أيضاً على حدّ سواء، يقول سعد رستم: "لو صحّ أن المسيح كان الله نفسه متجسداً، لما صحّ أن يسمى رسولاً ونبياً، ولكن الحقيقة أن الأنجيل طافحة بالنصوص التي يعرف المسيح عليه الصلاة والسلام فيها نفسه بأنه (نبي) وبأنه (رسول) أرسله الله تعالى للناس، وأن ما يقوله للناس ليس من عند نفسه، بل من عند الله الذي أرسله، .. فهل هناك أصرح من هذا في بيان الغيرية بين عيسى وبين الله تعالى؟ وأنهما اثنان: منبئ ونبي، مُرسلٌ ورسولٌ؟!"^(٢)

بل لقد كان الحواريون يطلقون على المسيح عليه الصلاة والسلام لقب (عبدالله)، وجاء هذا في النص السابق حيث قال بطرس: (إنّ إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، إله آبائنا، قد مَجَّدَ عَبْدَهُ يَسُوعَ)، وجاء في أعمال الرسل أيضاً قول بطرس ويوحنا وهما مبتهلان لله تعالى بعد أن انقذهما من السجن: (تحالَفَ حَقًّا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ هِيرُودُسُ وَبُنْطِيُوسُ بِيلاطُسُ وَالتَّوْثِيُّونَ وَشُعُوبُ إِسْرَائِيلَ عَلَى عَبْدِكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ الَّذِي مَسَحْتَهُ، فَأَجْرُوا مَا خَطَّاهُ يَدُكَ مِنْ ذِي قَبْلُ وَقَضْتَ مَشِيئَتَكَ بِحُدُوثِهِ. فَاَنْظُرِ الْآنَ يَا رَبُّ إِلَى تَهْدِيدَاتِهِمْ، وَهَبْ لِعَبِيدِكَ أَنْ يُعْلِنُوا كَلِمَتَكَ بِكُلِّ جُرْأَةٍ، بِاسِطًا يَدَكَ لِجَرِي الشِّفَاءِ وَالْآيَاتِ وَالْأَعَاجِيبِ بِاسْمِ عَبْدِكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ)^(٣)، فهذه النصوص تُبيّن لنا أن بطرس ويوحنا- وهما من أقرب التلاميذ للمسيح عليه الصلاة والسلام- كانا يعتقدان أن المسيح عليه الصلاة والسلام عبدالله، فأين هذه العقيدة من عقيدة من يقول إنّ المسيح هو الله ذاته- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

وتأكيداً لما ذكرناه من أن تلاميذ المسيح عليه الصلاة والسلام كانوا ينظرون إليه أنه رسول من الله تعالى يرشداهم للحق، ويدلّهم إلى الخير، فقد كانوا ينادونه بقولهم: (يا معلم)، وجاء هذا في عدة نصوص منها: قول الشاب الغني للمسيح عليه الصلاة والسلام: (أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا. قَالَ لَهُ: أَيَّةَ الْوَصَايَا؟ فَقَالَ يَسُوعُ: لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. قَالَ لَهُ الشَّابُّ: هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مِنْذُ حَدَاتِي. فَمَاذَا يُعْزِرُنِي بَعْدُ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاهْزُبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ

(١) رستم، التوحيد في الأنجيل الأربعة، ص ٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٠.

(٣) أعمال الرسل (٤/٢٧-٣٠).

فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ أَتْبَعُنِي^(١)، ففي هذا النص ينادي الشاب على المسيح بقوله: (أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ)، ويسأله عن طريق السعادة، فيجيبه المسيح عليه الصلاة والسلام بوصايا لم يذكر منها التثليث والتجسد والفداء، فلو فرضنا جدلاً أَنَّ السعادة تكون بالإيمان بالتثليث والتجسد والفداء، فلا أدري لماذا كان المسيح يخدع الناس ويخفي عنهم الحقيقة؟! لماذا كان لا يحب نجاتهم؟! أم أنه أراد لهم النجاة فنصحهم بما يرضاه ربه وربهم ممّا يخلو من التثليث والتجسد والفداء؟! ونلاحظ في هذا النص أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان- من شدة تواضعه لربه وعبوديته لخالقه- لا يقبل أن يلقب بالصالح، فإذا كان المسيح لا يقبل أن يلقب بالصالح، أفتراه يقبل بما يعتقده به المسيحيون من أنه خالق الكون وربهم ومديره؟! تقول إيمان الغنائيم: "هذا النص صريح في نفي الألوهية عن المسيح عليه الصلاة والسلام، وعلى لسانه نفسه، ودعوته لقومه إلى عدم المبالغة في مدحه، ورفعته إلى منزلة الله تعالى، فلا يستحق التمجيد والعبادة إلا الله سبحانه وتعالى." ^(٢)

وقد أوصى المسيح عليه الصلاة والسلام تلاميذه قائلاً: (وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَدْعُوا سَيِّدِي، لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدُ الْمَسِيحِ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الْأَرْضِ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَا تَدْعُوا مُعَلِّمِينَ، لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدُ الْمَسِيحِ) ^(٣)، في هذا يظهر لدينا وجود آلهة جديدة والله الحمد! وهم تلاميذ المسيح، فكما أَنَّ المسيح إله لَأَنَّ الله تعالى أبوه! كذلك فالله أب للتلاميذ! وهكذا في كل يوم يزداد عدد الآلهة شيئاً فشيئاً! ولا يدري المرء كم سوف يصل عددهم؟! يقول محمد الحاج: "وما أوضح هذا النص في التفريق بين المسح عليه الصلاة والسلام وبين الله تعالى، فهو يعتبر نفسه معلماً، ووظيفة الرسل عليهم السلام أن يكونوا معلمين." ^(٤)

وقد خاطب يوحنا المسيح عليه الصلاة والسلام بقوله: (يَا مُعَلِّمُ) ^(٥)، وكذلك خاطبه كل من يعقوب^(٦)، وبطرس^(٧)، وسمعان^(٨)، بقولهم: (يَا مُعَلِّمُ)، وكان اليهود يطلقون على المسيح عليه الصلاة والسلام وصف معلم، فقد قال المسيح عليه الصلاة والسلام للفريسيين: (وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ: لَأَنْتُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ، وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لَا يَعْلَمُونَ!). فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ النَّامُوسِيِّينَ وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ ^(٩)، وكان المسيح عليه الصلاة والسلام يُقَرُّ هذا الوصف، فيقول لأتباعه: (أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا

(١) متى (١٦/١٩-٢٠)، مرقس (١٨/١٠)، لوقا (١٩/١٨).

(٢) الغنائيم، إيمان، ثبوت نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام في العهد الجديد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ٢٠١٣م، ص ٦٧.

(٣) متى (١٠-٨/٢٣).

(٤) الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ٢٦٩.

(٥) مرقس (٣٨/٩).

(٦) مرقس (٣٨/١٠).

(٧) لوقا (٤٥/٨).

(٨) لوقا (٥/٥).

(٩) لوقا (٤٤/١١-٤٥).

وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ^(١).

فإن قال المسيحيون: المقصود بالمعلم هنا أي: الإله المعلم، **فالجواب:** أن هذا الوصف وصف به بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد وعد صموئيل بني إسرائيل أن يعلمهم الطريق المستقيم فقال: (وَأَمَّا أَنَا فَحَاشَا لِي أَنْ أُخْطِئَ إِلَى الرَّبِّ فَأَكْفَ عَنِ الصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِكُمْ، بَلْ أَعَلِّمُكُمْ الطَّرِيقَ الصَّالِحَ الْمُسْتَقِيمَ)^(٢)، وكان النبي داود عليه الصلاة والسلام يقول لبني إسرائيل: (هَلُمَّ أَيُّهَا الْبَنُونَ اسْتَمِعُوا إِلَيَّ فَأَعَلِّمُكُمْ مَخَافَةَ الرَّبِّ)^(٣)، فلم كان المعلم كوصف للمسيح عليه الصلاة والسلام يعني الإله المعلم، وهو في حق غيره بمعنى البشرية لا الألوهية؟! هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن المسيح عليه الصلاة والسلام ما كان يُعلم إلا ما علّمه الله الآب إياه، والدليل على ذلك قول المسيح عليه الصلاة والسلام لليهود: (مَتَى رَفَعْتُمْ ابْنَ الْإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهِذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَثْرُكْنِي الْآبُ وَحْدِي، لِأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ)^(٤)، وقول المسيح عليه الصلاة والسلام أيضاً: (تَعْلِمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي. إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ يَعْرِفُ التَّعْلِيمَ، هَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ، أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا مِنْ نَفْسِي. مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ يَطْلُبُ مَجْدَ نَفْسِهِ، وَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ)^(٥)، ففي هذه النصوص يُصرح المسيح عليه الصلاة والسلام بأن علمه ليس علماً ذاتياً، بل هو علم مكتسب من الله تعالى، وهذا يبطل ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، لأن الإله لا بد أن يكون عالماً بذاته، لا يحتاج إلى من يعلمه، فإذا ثبت أن علم المسيح عليه الصلاة والسلام مكتسب من غيره فقد بطلت ألوهيته.

وبعد أن نقلنا هذه النصوص التي تُبين أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يدعو الناس للإيمان بنبوته، وأن تلاميذه ومن عاصره كانوا يؤمنون بأن المسيح نبي ورسول، جاء لتعليمهم وإرشادهم إلى طريق الله تعالى، **يحق لنا أن نسأل المسيحيين فنقول لهم:** هل بعد كل هذه النصوص نؤمن بما تدعون إليه من ألوهية المسيح؟! أم بما كان يدعو إليه المسيح عليه السلام نفسه وبما كان يؤمن به أتباعه؟!

سابعاً: نصوص تثبت الأعراض البشرية للمسيح عليه الصلاة والسلام

إنَّ العهد الجديد مليء بالنصوص التي تُثبت الأعراض البشرية للمسيح عليه الصلاة والسلام، ففي كثير من النصوص يتحدث العهد الجديد عن أكل المسيح عليه الصلاة والسلام، وشربه، ونومه، وجوعه، وعطشه، وخوفه، وتألمه، وغير ذلك من الأعراض البشرية التي ظهرت عليه، ومن هذه النصوص: ماجاء في إنجيل لوقا من أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان ينمو تدريجياً جسماً وعلماً:

(١) يوحنا (١٣/١٣).

(٢) صموئيل الأول (٢٣/١٢).

(٣) المزمور (١١/٣٤).

(٤) يوحنا (٢٩-٢٨/٨).

(٥) يوحنا (١٩-١٦/٧).

(وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ)^(١)، يقول رستم معلقاً على هذا النص: "قوله (يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ) دليل واضح على عدم ألوهية المسيح إذ لو كان المسيح إلهاً متجسداً لكان محيطاً قبل وبعد تجسده المزعوم في رحم العذراء بكل المعلومات، وبالحكمة المطلقة، ولما احتاج أن يتقدم فيها!"^(٢)، لأنَّ اللاهوت المتحد بالناسوت يعلم كل شيء، فإذا كان اللاهوت يعلم كل شيء، وقد ثبت تقدُّم المسيح بالعلم والحكمة؛ فقد بطل الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، لأنَّه لو كان بينهما اتحاد لكان الناسوت مطلعاً على كل علوم اللاهوت.

وجاء في إنجيل متى ولوقا أنَّ إبليس قد اختبر المسيح عليه الصلاة والسلام، وهذا نصه كما جاء في متى: (ثُمَّ أَصْعَدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِجَرَّبِ مَنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ آخِيراً. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرَّبُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحَجَارَةُ خُبْزاً. فَأَجَابَ وَقَالَ: مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ. ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ، ... قَالَ لَهُ يَسُوعُ: مَكْتُوبٌ أَيْضاً: لَا تُجَرَّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ. ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضاً إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدّاً، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي. حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ. ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلَائِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدُمُهُ)^(٣)، فإن فرضنا جدلاً ألوهية المسيح، فعندها يكون في هذا النص من الطامات ما لا يعلمه إلا رب الأرض والسموات، ويُبَيِّن ابن حزم^(٤) بعض هذه الطامات فيقول: "كيف يطمع إبليس عند هؤلاء ... في أن يسجد له خالقه، وفي أن يعبد ربه، وفي أن يخضع له من فيه روح اللاهوت؟! أم كيف يدعو إبليس ربه وإلهه إلى أن يعبد؟! .. ثم عجب آخر، كيف يُمَنِّي إبليس رب الدنيا وخالقها وخالقه، ومالكها ومالكه، وإلهها وإلهه في أن يملكه زينة الدنيا؟! فهذه كما تقول عامتنا (أعطه من الخبز كسره)".^(٥)

فإن قال المسيحيون: إنَّ إبليس إنما خاطب الناسوت وحده فقط، فالجواب على ذلك كما بين ابن حزم: أنكم تعتقدون أنَّ اللاهوت متحد بالناسوت، والمسيح عندكم إله معبود، وعليه فإنَّ إبليس يكون قد قاد الإله، ودعاه لعبادته والسجود له، ومنَّى إبليس ربه بملك الدنيا، وبحسب قولكم: إنَّه إنما خاطب الناسوت وحده، فيكون إبليس قد خاطب نصف المسيح، وعندها يكون قد أخطأ متى ولوقا- وهما

(١) لوقا (٥٢/٢).

(٢) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ٨٧.

(٣) متى (١١-١/٤)، ولوقا (١٣-١/٤).

(٤) هو علي بن أحمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم "الحزمية". ولد بقرطبة، سنة (٣٨٤هـ)، من تأليفه نحو ٤٠٠ مجلد، انتقد كثيراً من العلماء، من كتبه: (المحلى)، و(إبطال القياس والرأي)، توفي سنة (٤٥٦هـ). انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٥) ابن حزم، الفصل في الملل، ج١، ص ٢٦٦.

معصومان عندكم-، إذ قالوا بأن إبليس إنما دعا اللاهوت، لأنه قال: (إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْجِبَارَةُ خُبْرًا)^(١)، ولم يدعُ ناسوت المسيح، فإذا ثبت أن إبليس امتحن المسيح عليه الصلاة والسلام، ومثله بملك الدنيا مقابل أن يسجد له، ولم يقل له المسيح عليه الصلاة والسلام: كيف أسجد لك وأنا إلهك، إذ لو كان المسيح إلهاً لقال له ذلك، ثم إنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام بيّن لإبليس سبب عدم سجوده له فقال: (لَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ)، فلم يكن امتناع المسيح عليه الصلاة والسلام من السجود لإبليس ألوهية المسيح، وإنما كان السبب أن المسيح عبد الله، لا يسجد إلا لله تعالى ولا يعبد أحداً سواه، فإذا ثبت هذا بطلت ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام.

ثم لقد بيّن النص أن الملائكة عليهم السلام صاروا يخدمون المسيح عليه الصلاة والسلام بعد نجاحه في الامتحان، وهذا يبطل ألوهيته من وجهين:

الوجه الأول: لو كان المسيح إلهاً قد اتحد فيه الناسوت في اللاهوت وهو في بطن العذراء عليها السلام لكانت الملائكة تخدمه منذ كان جنياً في بطن أمه.

الوجه الثاني: إذا كان المسيح إلهاً فإنَّ الكون كله- بما فيه الملائكة- خاضعاً لأمره منذ الأزل، فما السبب في تخصيص خدمة الملائكة عليهم السلام له بعد الامتحان؟! فهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الله تعالى أكرم عبده المسيح بذلك بعد أن نجح في هذا الامتحان.

ويكتفي الباحث بهذا القدر من النصوص التي تثبت الأعراض البشرية للمسيح عليه الصلاة والسلام لأمرين هما:

الأول: لكثرة نصوص العهد الجديد، التي تتحدث عن الأعراض البشرية للمسيح عليه الصلاة والسلام، وقد نقل لنا عبدالرحمن جي زاده هذه النصوص فكانت أكثر من مئة وأحد عشر نصاً.^(٢)

الثاني: أن المسيحيين يقرون ببشرية المسيح عليه الصلاة والسلام، لأنهم يعتقدون أن المسيح عليه الصلاة والسلام بشر وإله في الوقت نفسه، ويقولون: إنَّ هذه الأعراض قد وقعت على الناسوت فقط، فالمسيح كان يجوع، ويعطش، ويأكل، ويشرب، وينام، ويتألم، بناسوته فقط.

هذا وبالرغم من أن المسيحيين ينسبون هذه الأعراض للناسوت إلا أن ابن تيمية^(٣) ألزمهم ببطلان ذلك، حتى ولو نسبوه للناسوت بناء على قولهم: إنَّ اتحاد اللاهوت بالناسوت كاتحاد الروح والبدن، فقال: "إنَّهم يشبهون اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن، .. وحينئذ فمن المعلوم أن ما يصيب البدن من الآلام تتألم به الروح، وما تتألم به الروح يتألم به البدن، فيلزمهم أن يكون الناسوت لمَّا صلب

(١) انظر هذا الاعتراض والرد عليه: ابن حزم، الفصل في الملل، ج١، ص٢٦٦.

(٢) انظر: جي زاده، الفارق بين الخالق والمخلوق، ص٥٧٦-٦٠٨.

(٣) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم، ولد في حران سنة ٦٦٢هـ، وسافر إلى مصر فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن، ثم نقل إلى دمشق وسجن فيها، ومات معتقلاً، له عدة كتب، منها: (الجمع بين العقل والنقل)، و(الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، توفي سنة ٧٢٨هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٤٤.

وتألم .. كان اللاهوت أيضاً متألماً^(١)، ويلزمهم ابن تيمية بهذا الإلزام بناء على أن المسيحيين يعتقدون أن النعيم والعذاب في الآخرة يقع على الروح والجسد معاً^(٢)، فيقول: "وقد خاطبت بهذا بعض النصارى فقال لي: الروح بسيطة؛ أي لا يلحقها ألم، فقلت له: فما تقول في أرواح الكفار بعد الموت أمانة أو معذبة؟! فقال: هي في العذاب، فقلت: فَعَلِمَ أَنَّ الروح المفارقة تنعم وتعذب، فإذا شبهتم اللاهوت في الناسوت بالروح في البدن، لزم أن يتألم إذا تألم الناسوت، كما تتألم الروح إذا تألم البدن، فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك"^(٣)، وإن تأثر الروح بما يقع على البدن من آلام، وتأثر البدن بما يقع على الروح من آلام كذلك مما يعلمه الإنسان من نفسه بالضرورة، ولا يحتاج إلى دليل وبرهان عليه.

المطلب الثالث: نقض أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح

عليه الصلاة والسلام من الكتاب المقدس

استدل المسيحيون على ألوهية المسيح بعدة أدلة من نصوص الكتاب المقدس، ولكن من استعرض هذه النصوص فإنه يجد أنها لا تفـ بغرضهم، ولا تدل على مطلبهم، فما هي إلا شبهات قد تعلقوا بها، ونصوص غير مصرحة بما استدلو عليه، وقد تمّ عرض أدلة المسيحيين من كتابهم المقدس على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام في الفصل الأول من هذه الرسالة، لذا لن يكرر الباحث ذكر أدلتهم هنا، بل سيتم الإشارة إلى موضع تلك الأدلة، وسيكتفي الباحث هنا بذكر الردود على تلك الأدلة منعاً للتكرار، وسيكون الرد من الكتاب المقدس نفسه، لإثبات أن الكتاب المقدس بالرغم تحريفه لا يقول بألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام ولا يدعو إليها، وبيان ذلك الآتي:

أولاً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح بما ورد من أن بعض أسماء الله تعالى أسماء للمسيح عليه الصلاة والسلام^(٤)

استدل المسيحيون على ألوهية المسيح ببعض الأسماء الإلهية التي سُمي بها المسيح عليه الصلاة والسلام ومنها:

١. الله:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح بما جاء في الكتاب المقدس من تسمية المسيح عليه الصلاة والسلام بـ(الله)، وجاء ذلك في نصين:

النص الاول: ما جاء في إنجيل متى حيث أطلق على المسيح عليه الصلاة والسلام لقب:

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط ١، ٢م، (تحقيق محمد إسماعيل)، المكتبة العلمية، دبلد، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٤٦٥.

(٢) انظر بيان هذه المسألة في: مينا، علم اللاهوت، ج ٢، ص ١٦٣. صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٢، ص ٥٨٦.

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ١، ص ٤٦٦.

(٤) انظر الأدلة التفصيلية المتعلقة بهذه النقطة: هذا البحث، ص ٥٠-٥٢.

(عَمَّا نُؤْيِلُ، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا)^(١)، والجواب عليه: أن الباحث قد بيّن في المطلب الثاني من هذا المبحث أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام نبي مؤيد من الله تعالى، وذلك بنصوص صريحة من الكتاب المقدس، فلما ولد المسيح عليه الصلاة والسلام وكان مؤيداً من الله تعالى، وهادياً إلى طريق الله تعالى، صح مجازاً أن يطلق عليه: (الله مَعَنَا)، لأنَّ الله ناصره ومؤيده، وناصر لمن اتبعه وآمن به.

ولم تكن معية الله تعالى خاصة بالمسيح عليه الصلاة والسلام بل كانت هذه المعية لغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد قال الله تعالى للنبي يعقوب عليه الصلاة والسلام: (أَنْتَ عَبْدِي. اخْتَرْتُكَ وَلَمْ أَرْفُضْكَ، لَا تَخَفْ لِأَنِّي مَعَكَ. لَا تَتَلَفَّتْ لِأَنِّي إِلَهُكَ. قَدْ أَيْدْتُكَ وَأَعَنْتُكَ وَعَضَدْتُكَ بِيَمِينِ بَرِّي)^(٢)، وكانت معية الله تعالى أيضاً عم بني إسرائيل، فقد قال النبي موسى عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل: (الرَّبُّ إِلَهُكُمْ سَائِرُ مَعَكُمْ لِيُحَارِبَ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ لِيُخَلِّصَكُمْ)^(٣)، فالمقصود من معية الله تعالى لعبادة: النصر والتأييد والمعونة، وليس في ذلك حلول ولا اتحاد.

النص الثاني: ما جاء في افتتاحية إنجيل يوحنا حيث قال يوحنا: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ .. وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا)^(٤)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: ليس هناك دليل صريح يُبيّن أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام هو المقصود هنا بالكلمة، بل إنَّ المسيحيين حملوها على المسيح لأنَّه هو المعبر عن إرادة الله^(٥)، واستدلوا على ذلك بقول بولس: (اللَّهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْأَبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ)^(٦)، وبقول يوحنا: (اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ الْآبِ هُوَ خَبَرٌ)^(٧)، وهذه النصوص ليس فيها أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام هو كلمة الله ومن ثمَّ يكون هو الله، بل يقصد منها أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام رسول الله تعالى، ينقل شريعة الله تعالى وأوامره وتعاليمه إلى الناس، شأنه في ذلك شأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالأنبياء هم الذين ينقلون شريعة الله تعالى للناس، وهذا الأمر واضح في الكتاب المقدس لا يحتاج إلى التدليل عليه^(٨)، فالمسيحيون فالمسيحيون يعترفون بتكليم الله تعالى لغير المسيح عليه الصلاة والسلام، وعلى سبيل المثال فقد أوحى الله تعالى إلى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بالوصايا العشر وأمره أن يعلمها لبني إسرائيل^(٩)، وإن

(١) متى (٢٣/١).

(٢) إشعياء (٤١/١٠-١١).

(٣) التثنية (٤/٢٠).

(٤) يوحنا (١/١-١٤).

(٥) انظر: هذا البحث، ص ٣٠.

(٦) الرسالة إلى العبرانيين (١/٢-٢).

(٧) يوحنا (١/١٨).

(٨) انظر وظائف الأنبياء عليهم السلام في: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٨، ص ١٦.

(٩) انظر: الخروج (٢٠/١-٢١).

كان المسيح عليه الصلاة والسلام يخبر عن الله تعالى فقد جاء في الكتاب المقدس أنَّ النبي موسى عليه الصلاة والسلام كان يكلم الله وجهاً لوجه كما يحدث الرجل صاحبه^(١)، و عليه فليس في ذلك أي ميزة للمسيح عليه الصلاة والسلام تميزه عن غيره من الأنبياء عليهم السلام حتى يصبح إلهاً، وليس في ذلك أي دليل على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، فالدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال، فكيف بدليل ليس فيه أي احتمال على المدلول عليه فكيف يصح به الاستدلال.

الوجه الثاني: وحتى إن فرضنا جدلاً أنَّ المقصود بـ(الكلمة) هنا المسيح عليه الصلاة والسلام فلا بد لنا قبل أن نفكر في التفسير المناسب الذي يتوافق مع المعقول والمنقول، ويتوافق مع وحدانية الله تعالى وكماله التي يؤمن بها المسلمون والمسيحيون، أن نعرف ما عقيدة يوحنا في المسيح حتى نفسر هذا الكلام المتشابه الذي قاله بما يتوافق مع عقيدته، فيوحنا هو الذي ذكر لنا قول المسيح: (هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ إِلَهَ الْحَقِيقِيِّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ)^(٢)، و عليه فإنَّ يوحنا ينقل لنا أنَّ السعادة الأبدية في الإيمان بوحداية الله تعالى وبرسالة المسيح عليه الصلاة والسلام، فكيف يمكن أن ينقل لنا يوحنا في بداية إنجيله ألوهية المسيح، ثم ينقض ذلك فيما بعد بنقل أقوال تدل على رسالته عليه الصلاة والسلام.

الوجه الثالث: اختلاف النسخ والترجمات في ألفاظ النص المُستدل به على تسمية المسيح عليه الصلاة والسلام باسم (الله)، وبالتالي اثبات ألوهيته، ففي النص الذي يستدل به المسيحيون على ذلك جاء قول يوحنا: (كَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ)، بينما في نسخ وترجمات أخرى كان التعبير مختلفاً، فقد نقل الغزالي^(٣) عنهم ما نصه: "(في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وإله هو الكلمة، كان هذا قديماً عند الله، كل به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان)"^(٤)، ويرى رستم أنَّ هذا الاختلاف بين الترجمتين مهم جداً فيقول: "فالفرق بين الترجمتين هو في الجملة الثالثة، ففي حين تقول الترجمات الحديثة: (وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ)، تقول الترجمة القديمة: (وإله هو الكلمة) بتكثير إله."^(٥)

ويرى رستم أنَّ المشكلة تكمن في تغيير كلمة (إله) في الترجمة القديمة إلى كلمة (الله) في الترجمة الحديثة، فكلمة (إله) في لغة الكتاب المقدس لا تعني الله، بل قد يكون لها معنى آخر، فقد تأتي أحياناً بمعنى السيد المطاع، ويستدل رستم على ذلك بقول الله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام: (قَدْ جَعَلْنَاكَ إِيَّاهَا لِفِرْعَوْنَ)، الخروج (١٧/١)، والمقصود هنا بالإله: السيد والرئيس المطاع، وبناء عليه فعبارة

(١) الخروج (١١/٣)، هذا مع تنزيهنا لله تعالى في الإسلام عن تكليم الله تعالى لعباده كما يحدث الرجل صاحبه.

(٢) يوحنا (٣/١٧).

(٣) هو محمد بن محمد الطوسي، حجة الإسلام: متصوف، ولد سنة ٤٥٠ هـ، في الطابران، وتوفي فيها، له نحو مئتا مصنف، منها: (إحياء علوم الدين)، و(تهافت الفلاسفة)، و(فضائح الباطنية)، و(الاقتصاد في الاعتقاد)، و(المستصفى في أصول الفقه)، توفي سنة ٥٠٥ هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٢.

(٤) الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل، ط١، (تحقيق أبو عبدالله السلفي آل زهوي)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٧.

(٥) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص٢٣٣.

(والله هو الكلمة) معناها: كائن روحي عظيم، بل رئيس للكائنات وعظيم مقرب من الله تعالى هو الكلمة، ومما يرجح ذلك أن الترجمات الحديثة التي تذكر (كَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ) تجعل النص مختل المعنى، بل لا معنى له، لأنَّ معناه يصبح: (في البدء كان الله، وكان الله عند الله، وكان الله هو الله، الله كان في البدء عند الله)، ومن البديهي أنَّ الشيء لا يكون عند نفسه، أمَّا إذا صار بدل كلمة (الله) كلمة (إله) التي بمعنى الكائن الروحي العظيم، صحَّ أن نقول عن هذا الكائن أنَّه عند الله^(١)، يقول محمد الخولي معلقاً على النص بعد تعويض كلمة (الله) بكلمة (الكلمة): "ما معنى هذا الكلام؟! وكيف يكون الله عند الله؟! كلام يصعب فهمه، بل يصعب إيجاد معنى له."^(٢)

ومما يؤيد ما ذهب إليه رستم من أن قول يوحنا (كَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ) محرّف وأصله (والله هو الكلمة)، أنَّ الباحث رجع إلى ترجمات الكتاب المقدس، فوجد النص قد ترجم بهذا المعنى في الترجمة المسمّاة بالكتاب الشريف، وهذا نصها: (في الأَصْلِ كَانَ الْكَلِمَةُ. وَكَانَ الْكَلِمَةُ عِنْدَ اللهِ. وَالْكَلِمَةُ هُوَ ذَاتُ الْإِلَهِ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي الْأَصْلِ عِنْدَ اللهِ. بِوَأَسْطَتهِ خَلَقَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يُخْلَقْ شَيْءٌ)^(٣)، فهنا قال يوحنا أنَّ: (الْكَلِمَةُ هُوَ ذَاتُ الْإِلَهِ)، وهناك فرق بين قوله: (كَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ)، وقوله: (الْكَلِمَةُ هُوَ ذَاتُ الْإِلَهِ)، وسيبيّن الباحث معنى كلمة إله في حق المسيح عليه الصلاة والسلام عند الحديث عن نقض استدلالهم بهذه الكلمة على ألوهية المسيح، إذ إنَّ كلمة (إله) في لغة الكتاب المقدس تطلق على الله تعالى، وتطلق على المخلوق العظيم ذو المكانة الرفيعة عند الله تعالى.

الوجه الرابع: ثمَّ إنَّنا إن فرضنا جدلاً أنَّ الترجمة الصحيحة للنص هي: (كَانَ الْكَلِمَةُ اللهُ)، فإنَّنا إن أخذنا النص على معناه الحرفي كما أخذ به المسيحيون، فإنَّ النص يقول بأنَّ (الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً)، وهذا يعني أنَّ أقنوم الكلمة قد تحول إلى جسد؛ أي أنَّ الله تعالى- الذي هو الكلمة كما في النص- صار جسداً وهذا باطل، لأنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الله تعالى منزّه عن التغيّر والتبدّل، ومنزّه عن الجسميّة أيضاً، وهم يقولون: بأنَّ أقنوم الكلمة اتحد بالجسد من غير اختلاط أو امتزاج أو تحول أو تغيير في لاهوته، بل بقي اللاهوت على ما كان عليه قبل الاتحاد^(٤)، لكنَّنا إن أخذنا النص حرفياً- كما هو منهجهم في النصوص التي يستدلون بها على ألوهية المسيح- لكان المعنى تحول الله بذاته إلى جسد- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وهذا باطل عند المسلمين والمسيحيين.

الوجه الخامس: إذا ثبتت استحالة أن يكون المقصود بـ(الكلمة) الله تعالى، فإنَّما أن يكون المقصود منها مخلوقاً روحياً عظيماً- كما بيّن الباحث سابقاً، أو أن يكون المقصود بالكلمة هنا كلمة التكوين، يقول عبدالله العلمي: "المراد بالكلمة كلمة التكوين ..، ذلك أنَّه لمَّا كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن

(١) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ٢٣٤.

(٢) الخولي، مقارنة بين الأناجيل، ص ١٤١.

(٣) يوحنا (١/١-٤).

(٤) انظر: هذا البحث، ص ٣٧.

الله تعالى ما يعلو عقول البشر، عبّر عنه كتبة الأسفار بقولهم: (لَأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ)، مزمور (٩/٣٣)، فكلمة (قَالَ)، وكلمة (أَمَرَ) هي كلمة التكوين، ثم قولهم: (وَقَالَ اللَّهُ: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ)، تكوين (٣/١)، فكلمة (لِيَكُنْ) هي كلمة التكوين.^(١)

ومما يؤيد أن المقصود من الكلمة هنا كلمة التكوين، أن معنى الكلمة في اللغة هي: "اللفظة"^(٢)، وقد جاء في دائرة المعارف الكتابية عند تعريف الكلام أنه: "هو المعنى القائم في النفس، والذي يُعبر عنه بالألفاظ"^(٣)، فإذا ثبت أن الكلمة هي اللفظ والقول، ثبت أن المقصود بها كلمة التكوين، فقد جاء في دائرة المعارف الكتابية عند ذكر معاني كلمة (الكلمة) ما يؤيد ذلك، وهذا نصه: "كانت كلمة الله وسيلة الخلق، فعمل الله في الخليقة يختلف عن عمل الإنسان، فالإنسان يجب أن يعمل ويتعب لكي يصنع شيئاً، وما يعمل الإنسان أو يصنعه، إنما هو إعادة تشكيل لمواد موجودة، بينما الله يقول فقط لأن (بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةٍ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا..، لَتَخْشَى الرَّبَّ كُلُّ الْأَرْضِ وَمِنْهُ لِيَخَفَ كُلُّ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ. لَأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ)، مزمور (٩-٦/٣٣)، انظر تكوين (٣/١)."^(٤)

ونلاحظ هنا وجود التوافق بين مقدمة إنجيل يوحنا: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ)، وبين مقدمة سفر التكوين: (فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)^(٥)، فالنصان يتحدثان عن بدء الخلق، وقد كان بدء الخلق بكلمة التكوين (كن).

ومما يؤيد هذا التفسير أننا لو أخذنا معنى (الكلمة) الله، وقمنا بتعويضها في النص لأدى ذلك إلى معنى محال في حق الله تعالى، وما أدى إلى المحال^(٦) فهو محال، وفي هذا يقول محمد الخولي: "وعندما "وعندما يقول النص بعد التعويض: (في البدء كان الله)، فهل الله بداية؟! البداية والنهاية للمخلوقات، أمّا الله فليس له بداية ولا نهاية، لأنه أزلي سرمدي"^(٧)، أمّا إذا فسرنا الكلمة بكلمة التكوين فيكون المعنى: أن الله تعالى لما صدرت إرادته العلية بخلق الخلق بدأ ذلك بالكلمة؛ أي بقوله (لِيَكُنْ).

الوجه السادس: قد يكون المقصود بالكلمة هنا الشريعة الإلهية المقدسة، فقد جاء في دائرة المعارف الكتابية أن كلمة الله هي الوسيلة التي يعلن الله بها إرادته للإنسان؛ وتكون الكلمة بصور مختلفة؛ فقد تكون عن طريق ما ينطق به الأنبياء، أو ما جاء في الكتب المقدسة^(٨)، وعليه فالمقصود بتجسد الكلمة هنا أي ظهور تعاليم الشريعة المقدسة بأكمل صورها في شخص المسيح عليه الصلاة

(١) العلمي، عبدالله الغزي الدمشقي، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس، ط١، دناشر، دبلد، ١٩٧٠م، ص ٢٥٩.

(٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ١٥٢٤.

(٣) صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج٦، ص ٣٦٨.

(٤) المرجع نفسه، ج٦، ص ٣٦٩.

(٥) التكوين (١/١).

(٦) المحال: ما يمتنع وجوده في الخارج، كالحركة والسكون في جزء واحد في وقت واحد، انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٠٥.

(٧) الخولي، مقارنة بين الأناجيل، ص ١٤١.

(٨) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج٦، ص ٣٦٨.

والسلام، فالمسيح عليه الصلاة والسلام من حيث أنه نبي يتصف اتصافاً كاملاً، ويتحقق تحققاً حقيقياً بكل ما جاء في الشرائع السابقة له، فكأنه من شدة اتصافه بها وتحققه بحقائقها هو الكلمة (الشريعة) المتجسدة، ومما يؤكد هذا التأويل أن الكتاب المقدس قد أطلق التجسد على بعض المعاني التي لا يمكن أن تتجسد مثل: الحكمة، فقد جاء في سفر الأمثال ما نصه: (الْحِكْمَةُ تُنَادِي فِي الْخَارِجِ .. ارْجِعُوا عِنْدَ تَوْبِيخِي .. لِأَنِّي دَعَوْتُ فَأَبَيْتُمْ وَمَدَدْتُ يَدِي .. فَأَنَا أَيْضاً أَضْحَكُ عِنْدَ بَلِيَّتِكُمْ. أَشْمْتُ عِنْدَ مَجِيءِ خَوْفِكُمْ)^(١)، ففي هذا النص وُصفت الحكمة بأوصاف جسدية بشرية؛ فهي: تنادي، وتوبخ، وتمد يدها لمساعدة الناس، وتضحك على من لا يطيعها ويتبع أمرها، وكل هذا مجاز، فالحكمة ليست إنساناً لتنادي، وتضحك، وتنصح، إلى غير ذلك من الأوصاف، وجاء في نفس السفر في الإصحاح الثامن منه تشبيه الحكمة بامرأة ترشد الناس، وجاء في نفس السفر في الإصحاح التاسع منه تشبيه الجهل بالمرأة الصاخبة الخداعة، جاء في معجم اللاهوت الكتابي: "يصل تقديس الحكمة عند كتيبة ما بعد السبي إلى أن يلد لهم، لإبرازها بوضوح أكبر ان يجسدها على هيئة شخص"^(٢)، وجاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أن "صورة الحكمة تنادي في الشوارع، تتجسد أماناً، فهي صورة بلاغية تصور الحكمة كما لو كانت شخصاً حياً أماناً"^(٣)، وعليه فيكون معنى تجسد الكلمة عبارة عن اتصاف المسيح عليه الصلاة والسلام والسلام بتعاليم الكلمة (الشريعة)، يقول السقار: "فنص تجسد الكلمة يحتمل أن يكون مجرد استعارة فنية أدبية، لا تختلف عن تجسيد الحكمة."^(٤)

ويرى العلمي أن المقصود من إطلاق الكلمة على المسيح عليه الصلاة والسلام أن المسيح هو الشارح والمبين لكلمة الله تعالى بعدما حرّفها اليهود عن معناها، إذ جعلوا الدين مادياً محضاً لا روح فيه، فجاء المسيح عليه الصلاة والسلام ليوقفهم على المعاني الحقيقية لكلمة الله، وهذا نظير ما يقولون: الملك الفلاني ظل الله في الأرض ونور الله، وفلان هو لسان الملك وكلمته^(٥)، ويرى العلمي أن المقصود المقصود بالعندية في قول يوحنا: (والكلمة كان عند الله) عندية التفخيم والمكانة الرفيعة، فهي عندية معنوية لا عندية مكانية محسوسة، ولا عندية اتصال واتحاد لاستحالة ذلك على الله تعالى^(٦)، فتعاليم الشريعة كانت عند الله تعالى أولاً ثم أظهرها لعباده بواسطة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ومنهم المسيح عليه السلام.

الوجه السابع: حتى إن فرضنا جدلاً أن الكتاب المقدس أطلق كلمة (الله) على المسيح عليه الصلاة

(١) سفر الأمثال (٢٠/١-٢٦).

(٢) معجم اللاهوت الكتابي، ط٤، (إشراف وترجمة أنطونيوس نجيب وآخرون)، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٧٨.

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ١٢٨٤.

(٤) السقار، منقذ بن محمود، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟، ط١، دار الإسلام، الرياض، ٢٠٠٧م، ص ١٣١.

(٥) انظر: العلمي، سلاسل المناظرة، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٦) انظر: المرجع نفسه، ص ٣٠٦-٣٠٧.

والسلام، فقد أطلق الكتاب المقدس كلمة (الله) على غير المسيح، فقد أطلقت هذه الكلمة على الملك في عدة نصوص منها: قول منوح حين رأى الملاك: (وَلَمْ يَعُدْ مَلَاكُ الرَّبِّ يَتَرَاءَى لِمَنُوحَ وَامْرَأَتِهِ. حِينَئِذٍ عَرَفَ مَنُوحُ أَنَّهُ مَلَاكُ الرَّبِّ. فَقَالَ مَنُوحُ لِامْرَأَتِهِ: نَمُوتُ مَوْتًا لَأَنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا اللَّهَ!)^(١)، فهنا قال منوح: (نَمُوتُ مَوْتًا لَأَنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا اللَّهَ!)، وهو في الحقيقة لم ير الله، إنما رأى الملاك، فأطلق على الملاك كلمة (الله)، وعليه فإذا كان إطلاق كلمة (الله) على الملاك لا يدل على ألوهيته، فكذلك إطلاق كلمة الله على المسيح لا يدل على ألوهيته.

وعليه فسواء فسرنا الكلمة: بالمخلوق الروحي العظيم، أو فسرناه بكلمة التكوين، أو فسرناها بالمسيح عليه الصلاة والسلام كونه المُبين والمُوضح للكلمة الإلهية، فقد بطل الاستدلال بها على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، والله الحمد والمنة.

٢. الرب:

استدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما أطلق عليه من كلمة (الرب)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أن لكلمة (الرب) في اللغة عدة معانٍ منها: المالك، والمستحق، والصاحب، يقال: رب الشيء؛ أي: "مالكه، ومستحقه، وصاحبه"^(٢)، وتطلق أيضاً على "السيد، والمدبر، والمربي، والمنعم، والقيم"^(٣)، فكلمة الرب تطلق أحياناً ويراد بها الله تعالى، وتطلق أحياناً أخرى ويراد بها المالك، وتطلق أحياناً ويراد بها المربي والمدبر وغيرها من المعاني، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ما يؤيد ذلك، فقد قال صاحب القاموس عن كلمة الرب أنها "قد تستعمل بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والإكرام"^(٤)، وعليه فإن كلمة الرب لفظ مشترك^(٥)، ولا يمكن الاستدلال بها على ألوهية المسيح حتى نعرف المعنى المراد منه.

الوجه الثاني: حتى نعرف المعنى المراد من كلمة (الرب) فلا بد من العودة إلى الإنجيل نفسه، يقول بسام مرتضى: "وإذا أردنا أن نفسر الإنجيل بالإنجيل حتى لا نقع بالتأويل من غير حجة، فإن كلمة (رب) ورد ذكرها في الإنجيل بمعنى (معلم)"^(٦)، فقد قال التلاميذ للمسيح عليه الصلاة والسلام: (رَبِّي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ)^(٧)، وقالت مريم المجدلية للمسيح عليه الصلاة والسلام: (رَبُّونِي! الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا

(١) القضاة (٢١/١٣).

(٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٦٣٣.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار الصادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٣٩٩.

(٤) بطرس عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٩٦.

(٥) المشترك: اللفظ الذي وضع لمعاني متعددة، انظر: نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ط ١، (ترجمة حسن فحص)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ١٨٦.

(٦) مرتضى، بسام، المسيح بين القرآن والإنجيل، ط ١، دار الحق للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٧٦.

(٧) يوحنا (٣٨/١).

مُعَلِّمٌ^(١)، فمن هذه النصوص يظهر لنا أنَّ المقصود من كلمة (رب) حين تطلق على المسيح عليه الصلاة والسلام هو المعلم، والتعليم إحدى وظائف المسيح كنبى من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، يقول بسام مرتضى: "فإذا كان الإنجيل يُفسر كلمة الرب بمعنى المعلم، والعرف واللغة يساعدان على ذلك، فلا مجال لدعوى أنَّ الكلمة واردة بمعنى الإله."^(٢)

الوجه الثالث: قول بولس: (كَيَّ يُعْطِيَكُمْ إِلَهَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ)^(٣)، يدل على استحالة أن يكون المقصود من تسمية المسيح عليه الصلاة والسلام بـ(الرب) الإله، لأنَّ بولس بيَّن أنَّ الله تعالى هو إله الرب يسوع، فلو كان معنى (الرب) الإله لكان معنى قول بولس: (كي يعطيكم إله إلهنا يسوع) وهذا محال لأنَّ الإله لا يكون له إله آخر، فلو كان المسيح إلهاً لاستحال أن يكون الله إلهه.

الوجه الرابع: أنَّ الكتاب المقدس قد أطلق كلمة (الرب) على غير المسيح عليه الصلاة والسلام، فقد خاطب اليهود النبي يحيى عليه الصلاة والسلام بـ(رابِّي)^(٤)، وهم لا يقصدون بذلك تأليه النبي يحيى عليه الصلاة والسلام، ومن الجدير بالذكر أنَّ كلمة (رابِّي) التي أطلقت على النبي يحيى عليه السلام جاءت في ترجمتين هما: الترجمة البولسية، والترجمة اليسوعية الكاثوليكية، بينما جاءت كلمة (مُعَلِّمٌ) بدلاً منها في: ترجمة فاندريك وسميث، وترجمة الكتاب الشريف، وترجمة أخبار سارة- عربية مشتركة، وترجمة كتاب الحياة، وترجمة الكتاب الشريف، وهذا يدل على أنَّ المقصود من كلمة رَبِّي أو رابِّي هو المعلم، فإذا ثبت ذلك بطل الاستدلال بها على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، والله الحمد والمنة.

٣. الإله:

استدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما جاء في كتابهم مصرحاً بوصف المسيح بـ(الإله)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ كلمة (إله) تطلق على الله تعالى وعلى غيره، يقول الغزالي: "وأما الإله فيطلق عندهم بالاشتراك على كل عظيم"^(٥)، والدليل على ذلك أنَّ الكتاب المقدس أطلق هذه الكلمة على غير الله تعالى، فقد أطلقت هذه الكلمة على النبي موسى عليه الصلاة والسلام حيث قال له الله تعالى: (قَدْ جَعَلْتُكَ إِلَهًا لِّفِرْعَوْنَ)^(٦)، وأطلقت على الرئيس الديني لليهود (القضاة) فقد جاء في إنجيل يوحنا أنَّ اليهود أرادوا أن يرحموا المسيح عليه الصلاة والسلام فقال لهم: (أَعْمَالًا كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي. بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟ أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: لَسْنَا نَرَجُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: أَلَيْسَ مَكْتُوباً فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟

(١) يوحنا (١٦/٢٠).

(٢) مرتضى، المسيح بين القرآن والإنجيل، ص ٧٧.

(٣) الرسالة إلى أهل إفسس (١٧/١).

(٤) يوحنا (٢٦/٣).

(٥) الغزالي، الرد الجميل، ص ٧٠.

(٦) الخروج (١/٧).

إِنْ قَالَ إِلَهَةٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمُكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الْآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لِأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللَّهِ؟^(١)، ويشير المسيح بذلك إلى قول النبي داود عليهما السلام عن رؤساء اليهود: (أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ إِلَهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُتُّكُمْ. لَكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ)^(٢)، فيما أن اسم (إله) أطلق على المسيح عليه الصلاة والسلام وعلى غيره فلم حملتموه على الحقيقة في حقه وعلى المجاز في حق غيره ما هذا إلا تعنت واتباع للهوى؟!!

الوجه الثاني: أن كلمة (إله) تطلق في الكتاب المقدس على من يلتزم كلام الله تعالى وأوامره فقد بين المسيح عليه الصلاة والسلام في النصوص السابقة أن سبب إطلاق كلمة (إله) على غير الله تعالى هو أن كلمة الله قد صارت إليهم، لا لأنهم آلهة على الحقيقة، وبهذا السبب اشترك المسيح مع غيره في سبب إطلاق كلمة (إله) عليهم، لا بسبب وجود طبيعة لاهوتية فيهم، يقول العلمي موضعاً ذلك: "إن كلمة (إله) تطلق بالمعنى الحقيقي على (الله) المعبود بحق سبحانه وتعالى، وتطلق بالمعنى المجازي أو التشبيهي على غيره ممن صارت إليهم كلمته من (القضاة) الشرعيين النائبين عنه تعالى في الحكم، مزمو (١/٨٢-٦)، ويوحنا (٣٦-٣٣/١٠)، وعلى (الأنبياء) كالنبي موسى، خروج (١٦/٤)، .. ولأجل الاحتراز عن (الإله) بالمعنى التشبيهي أو المجازي قال المسيح مخاطباً الله سبحانه وتعالى: (وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ)، يوحنا (٣/١٧)، فقله: (الْحَقِيقِيَّ) كلمة مهمة ضرورية، حيث أن الجماعة اصطلاحوا على سهولة إطلاقها على غيره تعالى، كالملك والقاضي والرسول..، وهذا الإله الحقيقي هو الذي ناداه المسيح بقوله: (إيلي، إيلي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟ أَيُّ إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟)، متى (٢٧/٤٦)، وهو المراد أيضاً في قول بولس: (كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْإِعْلَانِ فِي مَعْرِفَتِهِ)، أفسس (١٧/١)."^(٣)

فإذا ثبت أن كلمة إله تستخدم لمن صارت له كلمة الله تعالى، وتطلق على المسيح عليه الصلاة والسلام وعلى غيره فقد بطل الاستدلال بها على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، والله الحمد والمنة.

٤. القدوس:

استدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما أطلق عليه من كلمة (القدوس)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أن كلمة (قدوس) في اللغة من قدس وهو الطهر، وقدوس اسم من أسماء الله تعالى ومعناه: الطاهر أو المبارك، والتقديس: التطهير، ومنه الأرض المقدسة، وبيت المقدس، وتقدس:

(١) يوحنا (٣٦-٣٢/١٠).

(٢) المزمير (٦/٨٢).

(٣) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ١٤٢.

تظهر^(١)، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ما يؤيد ذلك، فقد قال صاحب القاموس أنها تستخدم أحياناً بمعنى المكرّس لخدمة الله تعالى وعبادته^(٢).

وعلى هذا فإن كلمة قدوس لفظ مشترك يطلق على الله تعالى وعلى المخلوق، فإذا أطلقت على المخلوق كانت بمعنى أن هذا المخلوق طاهر ومبارك، لذلك فقد أطلق الكتاب المقدس هذه الكلمة على أماكن العبادة، حيث قال النبي داود عليه الصلاة والسلام مخاطباً الله تعالى: (أَمَّا أَنَا فَبِكثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَذْخُلُ بَيْتَكَ. أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدُسِكَ بِخَوْفِكَ)^(٣)، وأطلق الكتاب المقدس هذه الكلمة على الملائكة أيضاً، حيث قال النبي دانيال عليه الصلاة والسلام عن الملك قدوس، وهذا نصه: (فَسَمِعْتُ قُدُوساً وَاحِداً يَتَكَلَّمُ. فَقَالَ قُدُوسٌ وَاحِدٌ لِفَلَانِ الْمُتَكَلِّمِ: إِلَى مَتَى الرُّؤْيَا مِنْ جِهَةِ الْمُحْرِقَةِ الدَّائِمَةِ وَمَعْصِيَةِ الْخَرَابِ لِبَذْلِ الْقُدُسِ وَالْجُنْدِ مَدُوسِينَ؟ فَقَالَ لِي: إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَلَاثِ مِئَةِ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ فَيَبْرَأُ الْقُدُسُ)^(٤)، كما أطلقها أيضاً على كل ذكر بكر لأبويه، فقد جاء في إنجيل لوقا حين أرادوا ختان المسيح عليه الصلاة والسلام ما نصه: (أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحٍ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُوساً لِلرَّبِّ)^(٥).

الوجه الثاني: إذا ثبت أن كلمة قدوس قد استخدمت اسماً للمسيح عليه الصلاة والسلام ولغيره من البشر، بل واستخدمت اسماً للملائكة الكرام عليهم السلام ولأماكن العبادة، فإما أن يكون كل من وصف بأنه قدوس فهو إله، وهذا لا يقول به المسيحيون، وإما أن كلمة قدوس لا دلالة فيها على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، ومعناها أنه مبارك ومكرس لخدمة الله تعالى، وهو المطلوب.

٥. الأول والآخر:

استدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما أطلق عليه من كلمتي (الأول والآخر)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: إن هذه الكلمة جاءت في رؤيا يوحنا، والمقصود بها الله تعالى لا المسيح عليه الصلاة والسلام، يقول رستم: "الحقيقة أن هذه الشبهة واهية للغاية، وبطلانها أوضح من الشمس، وذلك لسببين: أولاً: أن هذه العبارات: (أَنَا الْأَلْفُ وَالْيَاءُ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ)، رؤيا يوحنا (١٣/٢٢)، التي تكررت في الرؤيا عدة مرات إنما ينقلها الملاك الذي ظهر ليوحنا في رؤياه، عن قول الله عز وجل عن نفسه، لا عن قول المسيح عن نفسه!"^(٦)

فإذا نظرنا في النص وجدنا أن المقصود فعلاً هو الله تعالى، وهذا هو النص: (مِنْ يُوْحَنَّا، إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسْيَا: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، وَمِنَ السَّبْعَةِ الْأَرْوَاحِ

(١) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ١٣٧٥.

(٢) عبد الملك بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ص ٧١٩.

(٣) المزمور (٧/٥).

(٤) دانيال (١٣/٨-١٤).

(٥) لوقا (٢١/٢-٢٣).

(٦) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ٢٣٨.

الَّتِي أَمَامَ عَرْشِهِ، وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الْأَمِينِ، الْبَكْرِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الْأَرْضِ. الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ. هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنْبُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ. أَنَا هُوَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنَّهَائَةُ، يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.^(١)، وقد تكررت هذه العبارة في مواقع أخرى في الرؤيا بزيادة عبارة: (الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ)^(٢)، يقول سعد رستم: "نلاحظ بوضوح أن قائل: (أَنَا هُوَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنَّهَائَةُ) هو الرب الإله الذي هو الكائن وكان وسيأتي، وهو غير المسيح، بدليل أنه عطفه عليه في البداية عندما قال: (نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، وَمِنْ السَّبْعَةِ الْأَرْوَاحِ الَّتِي أَمَامَ عَرْشِهِ، وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الْأَمِينِ)، والعطف يقتضي المغايرة، وكذلك عندما تتكرر هذه العبارة ينبغي أن تفهم مثل هنا على أن المقصود منها الله"^(٣)، وعليه فإنَّ المقصود هنا من هذه العبارة هو الله تعالى لا المسيح عليه الصلاة والسلام.

الوجه الثاني: ومما يؤيد هذا التفسير وجود اختلاف في هذا النص بين ترجمات الكتاب المقدس، يقول العلمي رداً على استدلال أحد القساوسة بهذا النص على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام: "لقد ثبت لدى علمائكم المحققين أن قول المسيح: (أَنَا الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، الْبِدَايَةُ وَالنَّهَائَةُ)، مزاد من بعض النساخ الذين كتبوا سفر رؤيا يوحنا، ولذلك نرى هذا القول موجوداً في بعض النسخ دون البعض الآخر، .. والظاهر أن بعض النساخ القدماء لمَّا رأى أن الله الآب وُصف بهذه الأوصاف في سفر الرؤيا (٨/١)، و(٦/٢١)، أراد أن يثبتها للمسيح على حسب العادة المألوفة فزاد ذلك في الرؤيا (١١/١)، وحيث ثبت أن هذه العبارة مزيدة فلا اعتبار ولا قيمة لها عند أهل الإنصاف."^(٤)

ومما يؤيد ما ذهب إليه العلمي أن الباحث تتبع ترجمات الكتاب المقدس فوجد فيها اختلافاً في هذا النص، فمثلاً: إنَّ قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (أَنَا هُوَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ. الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ) في الرؤيا (١١/١) جاء فقط في ترجمة فاندريك وسميث، ولم يأت في الترجمات الأخرى، وهي: اليسوعية الكاثوليكية، وأخبار سارة- عربية مشتركة، وكتاب الحياة، والكتاب الشريف، والبوليسية، لذلك فلا يصح الاستدلال بهذا النص على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام لاحتمال أن يكون النص من إضافة النساخ، وإذا تطرق إلى الدليل الاحتمال بطل به الاستدلال.

الوجه الثالث: وإن فرضنا جدلاً أن المقصود من هذه العبارة هو المسيح عليه الصلاة والسلام، فهي لا تدل على ألوهيته بحال من الأحوال؛ فلعله يقصد كونه أول الخلق، يقول رستم: "فإنَّ هذه العبارة

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي (٨-٤/١).

(٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٧/١).

(٣) رستم، التوحيد في الأنجيل الأربعة، ص ٢٣٩.

(٤) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ٣٧٥.

حتى لو قلنا إنها للمسيح عليه الصلاة والسلام، فلا تتضمن نصاً في تأليهه، لأنه يمكن تفسير عبارته: (الأوّل وَالْآخِرُ)، بمعنى: أنا أول خلق الله ..، فبهذا يكون الأول والنهاية لعالم الخليقة، وما دام هذا الاحتمال وارداً، فالاستدلال بالعبرة ساقط، كيف ومثل هذه العقيدة الخطيرة تقتضي الأدلة القطعية الصريحة التي لا تحتمل معنى آخر^(١)، ومما يؤيد ذلك قول بولس واصفاً المسيح عليه الصلاة والسلام: (الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكُرُّ كُلِّ خَلِيقَةٍ)^(٢)، والمقصود من قوله: (بِكُرُّ كُلِّ خَلِيقَةٍ) أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام هو أول الخلق- في تصورهم-.

أمّا وصف المسيح عليه الصلاة والسلام بـ(الآخر) فليس فيه دليل على ألوهيته، إذ لعل المقصود أَنَّ المسيح هو نهاية عالم الخلق، فهو سوف ينزل على الأرض- كما يعتقد المسلمون والمسيحيون- وسوف يحاسب الناس يوم القيامة- كما يعتقد المسيحيون- بأمر الله تعالى والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (كَمَا أَنَّ الْآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذَلِكَ أُعْطِيَ الْإِبْنُ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، أَعْطَاهُ سُلْطَانًا أَنْ يَدِينَ أَيْضاً، .. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي)^(٣).

ثانياً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح بما ورد من أَنَّ بعض صفات الله تعالى صفات للمسيح عليه الصلاة والسلام^(٤)

الرد الإجمالي: استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح بما ورد في الكتاب المقدس من وصف المسيح عليه الصلاة والسلام بصفات الله تعالى، وقبل أن يبدأ الباحث بنقض هذه الأدلة واحداً تلو الآخر لا بد من بيان الرد الإجمالي عليها، فأقول: إِنَّ الصفات إذا نسبت إلى الله تعالى فإنها تنسب إليه بما يليق به تعالى كواجب للوجود وبما يليق بجلاله وجماله وكماله المطلق، وإذا نسبت إلى الخلق نسبت إليهم على وجه يليق بهم كمخلوقين، فمثلاً: نسبة العلم إلى الله تعالى شيء، ونسبة العلم إلى الإنسان شيء آخر، فعلم الله تعالى مطلق؛ فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، لا يحتاج في علمه إلى الآلات والأدوات، وعلمه سبحانه غير مكتسب، فهو قديم قدم ذاته العلية، أمّا علم الإنسان فهو علم محدود مكتسب ناقص حادث^(٥)، ويحتاج الإنسان في تحصيله إلى الآلات والأدوات، فشتان ما بين علم الرحمن وعلم الإنسان، وكذلك الحال مع بقية الصفات.

وإنَّ من قرأ الكتاب المقدس يجد أنَّه ينسب صفات الله تعالى إلى البشر، وينسب صفات البشر إلى

(١) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ٢٤٠.

(٢) الرسالة إلى أهل كالوسي (١٥/١).

(٣) يوحنا (٢٦/٥-٣٠). ويرى الباحث أَنَّ المقصود من وصف المسيح عليه الصلاة والسلام بـ(الآخر)- إن صح ذلك عنه- أنَّه سوف ينزل في آخر الزمان على الأرض ليقم شرع الله تعالى، فهو آخر الأنبياء عليهم السلام على الأرض، فمن هذه الجهة كان الآخر، وهذا يتوافق مع ما جاء في بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تثبت ذلك، انظر مثلاً: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، ح ٢٩٣٧، ج ٤، ص ٢٢٥٠.

(٤) انظر نصوص أدلتهم في: هذا البحث، ص ٥٢-٥٥.

(٥) الحادث: ما يكون مسبوقاً بالعدم. انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٨١.

الله تعالى، فإذا نسبت الصفات الإلهية إلى البشر نسبت إليهم على ما يليق بهم كبشر مخلوقين، وكذلك إذا نسبت الصفات البشرية إلى الله تعالى نسبت إليه على ما يليق بجلاله وجماله وكماله المطلق، فلا يجوز فهم نسبة الصفات الإلهية إلى البشر كنسبتها إلى الله تعالى، كما أنه لا يجوز فهم نسبة الصفات البشرية إلى الله تعالى كنسبتها إلى البشر، وهذا الأمر يوافقنا عليه المسيحيون، يقول مينا معلقاً على بعض النصوص التي تنسب صفات البشر إلى الله تعالى، مثل ما جاء في سفر التكوين في نزول الرب إلى مدينة بابل، ونصه: (فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَا بَنُو آدَمَ يَبْنِيَانَهُمَا)^(١): "نعم إن هذه النصوص لو أخذت على ظاهرها لكانت دليلاً على عدم معرفة الله المعرفة المطلقة، أمّا ولها معان أخرى بخلاف الظاهر منها فلا محل للاعتراض عليها،.. غير أنه قبل شرحها يجب أن نعرف مبدئياً أنه من مصطلحات الكتاب المقدس أن ينسب لله جل شأنه أعمال البشر مجازاً حياً في إيصال معاني الحقائق لعقولهم، وأذهانهم بالطرق المألوفة لديهم."^(٢)

وعليه فكما يجب فهم الصفات البشرية المنسوبة إلى الله تعالى بما يليق بجلال الله وجماله وكماله، كذلك يجب أيضاً فهم الصفات الإلهية المنسوبة إلى البشر بما يليق ببشريتهم، وإلا فلو فهمت الصفات على حقيقتها لأدى ذلك إلى قلب الحقائق، فينقلب الخالق إلى مخلوق، والمخلوق إلى خالق، والواجب^(٣) إلى ممكن^(٤)، والممكن إلى واجب، وهذا محال، وعلى هذا الأساس لا بد أن نتعامل مع الصفات الإلهية المنسوبة إلى المسيح عليه الصلاة والسلام، أمّا الآن فسوف نبدأ بالرد التفصيلي على أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام باتصافه ببعض صفات الله تعالى (الآب) وهذه الصفات هي:

١. الأزلية والأبدية:

يستدل المسيحيون على أزلية المسيح عليه الصلاة والسلام بعدة نصوص منها:

النص الأول: قول المسيح عليه الصلاة والسلام لليهود عن نفسه الكريمة: (قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ)^(٥)، **والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:**

الوجه الأول: أنه لكي يتضح المعنى فلا بد من ذكر السياق كاملاً، وقد جاء هذا الكلام للمسيح عليه الصلاة والسلام حين كذبه اليهود ولم يؤمنوا بنبوته، فقالوا له: (الآن عَلِمْنَا أَنَّ بِكَ شَيْطَانًا. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ. أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَالْأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: إِنْ كُنْتُ أُمَجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئاً. أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي، الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ، وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ. وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي

(١) التكوين (٥/١١).

(٢) مينا، علم اللاهوت، ج١، ص ١٤٢.

(٣) الواجب: هو الذي لا يتصور العقل عدمه ويكون وجوده من ذاته، انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٤٩.

(٤) الممكن: ما يتصور العقل وجوده وعدمه على السواء فيحتاج إلى مرجح يرجح أحدهما على الآخر. انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٣٠.

(٥) يوحنا (٥٨/٨).

لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا، لَكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ قَوْلَهُ. أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بَأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرَحَ. فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ^(١)، فالسياق يظهر أنه ليس فيه دليل البتة على أزلية المسيح ولا على ألوهيته، فليس المقصود هنا القبلية الزمنية الحقيقية.

وفي هذا يقول الإمام الغزالي: "هذا الكلام ناطق بالمجاز، لأنَّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم ير يوم ولادته^(٢)، ولا يوم إرساله، ولا يوم حصول الحقيقة الثالثة له- كما يزعمون، لأنَّ هذه كلها حدثت بعد إبراهيم، بل المراد من ذلك أنَّ الأنبياء يحبون دوام طاعة الله، ودوام إظهار شرائعه المتكفلة بمصالح العباد، فلما أعلم إبراهيم عليه الصلاة والسلام برسالة عيسى، وهدايته للعالم، .. سرَّ بذلك، فالرؤية هاهنا محمولة على البصيرة، التي هي العلم، لا على البصر"^(٣)، ويستدل الإمام الغزالي على هذا التأويل فيقول: "وقد صرَّح بولس في رسالته التي سيَّرها إلى كورنثوس بأبلغ من ذلك، وهذا يدل على أنه أراد عين ما أردناه، فقال: (بَلْ نَتَكَلَّمُ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي ظَلَّتْ مَكْتُومَةً فِي الْمَاضِي، تِلْكَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ قَبْلَ الدُّهُورِ فِي سَبِيلِ مَجْدِنَا)^(٤)، يريد أنَّ هذه الأحكام مقررة في علم الله، فليست إذًا تقوُّلاً وافتراءً، وهذا عين ما أولَّناه"^(٥)، ويؤكد هذا التأويل قول بطرس عن المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَكَانَ قَدْ اصْطَفَى مِنْ قَبْلِ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ)^(٦).

وعليه فالمقصود هنا وجود المسيح عليه الصلاة والسلام ووجود رسالته وتعاليمه في العلم الإلهي، وليس الوجود الخارجي الحقيقي، ويزيد سعد رستم الأمر توضيحاً فيقول: "قبلية عيسى المسيح على إبراهيم هنا لا يمكن أن تكون قبلية حقيقية في نظر النصارى، لا باعتبار ناسوت المسيح المنفك عن اللاهوت طبقاً لا اعتقادهم، لأنَّ ولادة عيسى الإنسان كانت بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام اتفاقاً، ولا باعتبار حصول الحقيقة الثالثة المدَّعاة له؛ أي تعلق اللاهوت بالناسوت، لأنَّ ذلك تمَّ مع ولادة المسيح من العذراء وروح القدس الذي تمَّ أيضاً بعد إبراهيم اتفاقاً"^(٧).

ولكن قد يعترض المسيحيون فيقولون: إنَّ المقصود هنا بسبق المسيح للخليل إبراهيم عليهما السلام السبق باللاهوت لا السبق بالناسوت، يقول سعد رستم مجيباً على هذا الاعتراض: "ولا يمكن أن يكون قصده سبق المسيح على إبراهيم باعتبار لاهوته الأزلي المدَّعى، بقرينة أنَّ بداية الكلام كانت عن رؤية إبراهيم لهذا اليوم، أي يوم بعثة المسيح ورسالته، وابتهاج إبراهيم به، فالكلام إذًا عن رؤية المسيح

(١) يوحنا (٥٨-٥٤/٨).

(٢) أي يوم ولادة المسيح عليه الصلاة والسلام.

(٣) الغزالي، الرد الجميل، ص ٨٣.

(٤) الرسالة إلى الأولى أهل كورنثوس (٧/٢).

(٥) الغزالي، الرد الجميل، ص ٨٤.

(٦) رسالة بطرس الأولى (٢٠/١).

(٧) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٥٤.

المبعوث في الأرض، وهذا تم بعد إبراهيم اتفاقاً، فلم يبق إلا أن يكون المراد بالقبليّة علم الله السابق بتقدير إرسال عيسى عليه الصلاة والسلام في هذا الوقت، وما يترتب عليه من الإرشاد والرحمة بالعباد.^(١)

ولكن إذا كان المقصود من وجود المسيح قبل الخليل إبراهيم عليهما السلام هو الوجود في العلم الإلهي، فما هي الميزة والخصوصية للمسيح عليه الصلاة والسلام في ذلك، إذ إنّ وجود المسيح وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في علم الله تعالى وجود أزلي مشترك بينهم جميعاً، بل بينهم وبين كل موجود؟! يجب الغزالي على هذا السؤال فيقول: "إنّه لم يذكر ذلك في معرض الخصوصية، وإنّما ذكره قاطعاً به استبعاد اليهود لسرور إبراهيم وفرحه بيومه، وتصحيحاً لصدقه فيما أخبر، .. فيكون ذلك رداً على المكذب، وإعلاماً له بأنّ هذه الدعوة ثابتة في نفس الأمر، مقررة في علم الله قديماً، ويدل على صحة هذا التأويل أنّ عيسى عليه الصلاة والسلام إنّما ورد منه ذلك حيث أعظم اليهود قوله، قائلين: (لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟)، فذكر حينئذ الجهة المصححة لسرور إبراهيم، فيحصل لهم بذلك استمالة مكذبيهم إلى صدقهم فيما يدعونه من النبوة والرسالة"^(٢)، فلمّا كان النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام معظماً عند اليهود أراد المسيح عليه الصلاة والسلام أن يستميل قلوب المكذبين له من اليهود، فكأنّه أراد بقوله لهم: إنّ إبراهيم- الذي تحبونه وتعظمونه- أحب أن يرى يومي هذا، فجعل محبة النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام لرؤية يوم رسالته دليلاً من الأدلة على صدق دعوته، فلما أخذ اليهود الأمر على ظاهره من القبليّة الزمانية، وتعجبوا كيف يحب النبي إبراهيم يوم المسيح هذا وهو لم يدرك النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام فبيّن لهم أنّه لم يقصد الوجود الخارجي، وإنّما قصد الوجود في علم الله تعالى، وقد علم النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا اليوم وفرح به.

الوجه الثاني: إن فرضنا جدلاً أنّ المقصود هنا هو المعنى الحرفي للنص؛ أي أنّ وجود المسيح كان بالفعل قبل النبي إبراهيم عليهما السلام، فليس في ذلك أي دليل على أزلية المسيح ولا على ألوهيته كما أوضح رستم، إذ إنّ وجوده قبل النبي إبراهيم أو حتى قبل النبي آدم عليهما السلام أو حتى قبل خلق المخلوقات جميعها، لا يفيد بحد ذاته الألوهية، بل أقصى ما يدل عليه أنّ لهذا المخلوق- الذي خلق قبل بقية المخلوقات- ميزة عند الله تعالى، أمّا أن يكون هو الله فذلك محال.^(٣)

النص الثاني: قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَالآنَ مَجْدُنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ)^(٤)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أُعْطِيتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٥.

(٢) الغزالي، الرد الجميل، ص ٨٥.

(٣) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٥٣.

(٤) يوحنا (٥/١٧).

العالم^(١)، فالجواب عليه: أن المقصود بالمجد كما جاء في دائرة المعارف الكتابية هو الشرف والكرامة والمنزلة السامية^(٢)، وعليه فإن المسيح عليه الصلاة والسلام سأل الله تعالى أن يرفع قدره ومنزلته عنده، وهذا دليل على بشريته، فلو كان إلهاً لكان مجده وكرامته ذاتيان فيه، فلا يحتاج أن يسألها من غيره، وكأنَّ المسيحيين لا يميزون بين الدليل الذي لهم والدليل الذي عليهم، ولكن لماذا يرفع الله تعالى قدر المسيح عليه الصلاة والسلام؟! لأنَّ الله تعالى أحب المسيح قبل خلق العالم، ويستدل المسيحيون بهذا الحب الموجود قبل خلق العالم على أزلية المسيح وهذا باطل، لأنَّه ليس هناك تلازم بين محبة الشيء وجوده، فليس من شرط محبة الله للمسيح أزلاً وجود المسيح أزلاً، فالله تعالى يحب جميع الأنبياء عليهم السلام أزلاً، ولكن لم يدع المسيحيون أنَّ وجود الأنبياء وغيرهم ممن يحبهم الله تعالى أزلي، وإذا ثبت عدم وجود تلازم بين محبة الله للشيء وجود الشيء المحبوب بطل الاستدلال بهذه النصوص على أزلية المسيح عليه الصلاة والسلام، والله الحمد والمنة.

٢. القدرة على كل شيء:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بنصوص من الكتاب المقدس تصفه بالقدرة على كل شيء، فقد جاء قول المسيح عليه الصلاة والسلام عن نفسه الكريمة: (أَنَا هُوَ الْأَلِفُ وَالْيَاءُ، .. يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)^(٣)، والجواب عليه: أنَّ الباحث قد أثبت عند نقض استدلال المسيحيين بوصف المسيح بالأول والآخر أنَّ القائل هنا هو الله تعالى وليس المسيح، ناهيك عن كون هذا النص قد جاء في مواضع أخرى على لسان المسيح عليه الصلاة والسلام دون قوله: (الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)، وعليه يبطل استدلالهم بهذا النص على قدرة المسيح عليه الصلاة والسلام على كل شيء.^(٤)

أمَّا استدلالهم على قدرة المسيح عليه الصلاة والسلام بما جاء في إنجيل متى، حيث استجاب البحر والرياح لأمر المسيح، فتعجب الناس وقالوا: (أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا! فَإِنَّ الرِّيَّاحَ وَالْبُحْرَ جَمِيعاً تُطِيعُهُ!)^(٥)، فقد بيَّن الباحث في المطلب الثاني من هذا المبحث^(٦) أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام صرَّح أنَّ كل ما كان يفعله من معجزات إنما كان بقدرة الله تعالى، فقد قال المسيح: (كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي)^(٧)، فإذا ثبت أنَّ قدرة المسيح إنما هي من الله تعالى، بطل الاستدلال بها على ألوهية المسيح، لأنَّ قدرة الإله لا بد أن تكون ذاتية فيه، فالقدرة المكتسبة من الغير نقص، والناقص لا يكون إلهاً.

(١) يوحنا (٢٤/١٧).

(٢) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج٧، ص ٩٥.

(٣) رؤيا يوحنا اللاهوتي (٨/١).

(٤) انظر: هذا البحث، ص ١٢٩-١٣٠.

(٥) متى (٢٧/٨).

(٦) انظر: هذا البحث، ص ٩٩-١٠٠.

(٧) لوقا (٢١/١٠)، ومتى (٣٦/٢٤).

٣. العلم بكل شيء:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بعلمه بكل شيء، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أن الباحث قد بيّن تصريح المسيح عليه الصلاة والسلام بأن كل ما له فهو من الله تعالى، فقد قال المسيح: (كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي)^(١)، بل لقد صرّح المسيح أن كل ما عنده من علم فهو من الله تعالى حيث قال: (تَعْلِمِي لَيْسَ لِي بَلٌّ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي)^(٢)، وقال: (وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهِذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي)^(٣)، فالمسيح عليه الصلاة والسلام يصرح هنا بأنه لا يعلم إلا ما يعلمه الله تعالى له، وهذا التصريح من المسيح عليه الصلاة والسلام ينفي ألوهيته.

الوجه الثاني: هناك نصوص كثيرة يُبيّن فيها المسيح عليه الصلاة والسلام محدودية علمه، منها: قول المسيح عليه الصلاة والسلام عن يوم القيامة: (وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهَمَّا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِنْسُ، إِلَّا الْآبُ)^(٤)، فهذا إقرار من المسيح عليه الصلاة والسلام بأن علمه محمّدود، وأن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها، وأن المسيح عليه الصلاة والسلام لا يعلم إلا ما علمه الله^(٥)، فإذا ثبت عدم علم المسيح عليه الصلاة والسلام بالساعة بطلت ألوهيته، لأن الإله لا بد أن يكون عالماً بكل شيء.

وجاء في إنجيل متى وإنجيل مرقس أن المسيح عليه الصلاة والسلام حين دخل القدس: (جَاعَ، فَظَرَ شَجَرَةَ تَيْنٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئاً ... فَقَالَ لَهَا: لَا يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ! فَيَبْسُتِ الثَّيْنَةُ فِي الْحَالِ. فَلَمَّا رَأَى التَّلَامِيذُ ذَلِكَ تَعَجَّبُوا قَائِلِينَ: كَيْفَ يَبْسُتِ الثَّيْنَةُ فِي الْحَالِ؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ وَلَا تَشْكُونَ، فَلَا تَفْعَلُونَ أَمْرَ الثَّيْنَةِ فَقَطْ، بَلْ إِنْ قُلْتُمْ أَيْضاً لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ فَيَكُونُ. وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ)^(٦)، يُبيّن هذا النص أن المسيح عليه الصلاة والسلام ذهب إلى شجرة التين وهو يظن أنها مثمرة، لكنّه تفاجئ حين وصل إليها ووجدها غير مثمرة، فغضب عليها ولعنها، فلو كان المسيح عالماً بكل شيء لعلم بحال الشجرة، فإذا ثبت عدم علمه بحال الشجرة، بطل القول بأنه يعلم كل شيء، فبطلت ألوهيته، وهنا يسأل القرافي المسيحيين فيقول لهم: "الله بكل شيء عليم، أم لا، فإن قالوا: لا، كذبتهم أقوال المسيح عليه الصلاة والسلام: لا يعلم القيامة إلا الله تعالى، وإن قالوا: نعم، بطل اعتقادهم في ربوبية المسيح عليه الصلاة والسلام، فإن نصوص

(١) لوقا (٢١/١٠)، ومتى (٢٤/٣٦).

(٢) يوحنا (١٦/٧-١٩).

(٣) يوحنا (٢٨/٨-٢٩).

(٤) مرقس (١٣/٣٢).

(٥) انظر: الترجمان، عبدالله بن عبدالله، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ط١، (تحقيق الطاهر المعموري)، دار سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٣م، ص ٣٦.

(٦) متى (٢١/٢٠-٢١)، ومرقس (١١/١٤-١٤).

الإنجيل تقتضي عدم علمه بالمغيبات." (١)

الوجه الثالث: لو كان التلاميذ يعتقدون أنَّ المسيح إلهاً لما تعجبوا من يبس الشجرة حين لعنها المسيح عليه الصلاة والسلام، يقول القرافي: "تعجب التلاميذ من يبسها، ولو كانوا يعتقدون أنَّه الله تعالى لم يعجبوا من ذلك، فإنَّ المسيح عند النصارى هو خالق العالم، .. ويبيده كل شيء، والتلاميذ لم يعتقدوا ذلك، فدل ذلك على عبوديته عليه الصلاة والسلام" (٢)، أي أنَّ التلاميذ لو كانوا يعتقدون بألوهية المسيح لما استغربوا من يبس الشجرة، لأنَّ الإله قادر على كل شيء، ثمَّ بيَّن القرافي علَّة يبس الشجرة كما بيَّنها المسيح عليه الصلاة والسلام فقال: "قول المسيح عليه الصلاة والسلام لهم: (إِنْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ وَلَا تَشْكُونَ، فَلَا تَفْعَلُونَ أَمْرَ الثَّيْنَةِ فَقَطُّ، بَلْ إِنْ قُلْتُمْ أَيْضاً لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ فَيَكُونُ. وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ)، دَلَّ ذلك على أنَّه إنما ظهرت كرامته عليه الصلاة والسلام في الشجرة بإيمانه الصادق، لا بكونه إله العالم، وإلا لكان الجواب: لو كنتم مثلي إلهاً وأبناءً لله لفعلتم مثلي، ولا كان يحسن ذكر الإيمان، ولمَّا علل به دَلَّ ذلك على أنَّه نبيه، وعلى إثبات عبوديته، وإبطال ألوهيته، وهو المطلوب." (٣)

ففي هذا النص ثبت عدم علم المسيح عليه الصلاة والسلام بكل شيء، وعدم قدرته على كل شيء، وبذلك بطلت ألوهيته، لأنَّ الإله لا بد أن يكون عالماً بكل شيء، وقادراً على كل شيء، فإنَّ اعتراض المسيحيين وقالوا: إنَّ ذلك كان بسبب الناسوت، فنقول لهم: لماذا لم يعلم المسيح بلاهوته المتحد مع ناسوته حسب قولكم حال الشجرة، فإذا ثبت عدم علمه بها بطل قولكم باتحاد الناسوت واللاهوت، ثمَّ لماذا لم يبيِّن المسيح عليه الصلاة والسلام أنَّ عدم علمه كان بسبب الناسوت، فهذه مسألة من أصول العقيدة ولا يليق به ولا بحبه لأتباعه أن يؤخر بيان المسائل العقدية الرئيسية خاصة عند الحاجة إليها.

الوجه الرابع: أنَّ النصوص التي استدلت بها المسيحيون على علم المسيح عليه الصلاة والسلام بكل شيء هي من أقوال التلاميذ كما يظهر في النصوص (٤)، لا من أقوال المسيح، وهم ليسوا أعلم من المسيح عليه الصلاة والسلام بحال نفسه، فلا يصح أن يرجح كلامهم على كلام المسيح عليه الصلاة والسلام نفسه المُصرح في نفي علم الساعة وغيرها عن نفسه، وعدم علمه إلا بما علمه الله تعالى إياه.

الوجه الخامس: ليس المسيح عليه الصلاة والسلام هو النبي الوحيد الذي أطلعه الله تعالى على شيء من الغيب، بل هناك أنبياء كثيرون قبله أطلعهم الله تعالى على بعض الغيب، فقد أخبر النبي صموئيل عليه الصلاة والسلام الملك شاول بما سوف يحصل معه من غيب (٥)، وأخبر النبي يعقوب عليه

(١) القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ١٠٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٨.

(٣) القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ٦٨.

(٤) انظر: هذا البحث، ص ٥٣-٥٤.

(٥) صموئيل الأول (١-٩).

عليه الصلاة والسلام أبناءه ببعض الأمور الغيبية أيضاً^(١)، وكذلك أخبر النبي موسى عليه الصلاة والسلام عن بعض الغيب^(٢)، ولم يقل أحد من المسيحيين أنَّ هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آلهة، أو أنَّ فيهم طبيعة لاهوتية، وعليه فقد ثبت أنَّ العلم بشيء من الغيب لم يكن خاصاً بالمسيح عليه الصلاة والسلام، بل إنَّ عالم الغيب والشهادة الله سبحانه وتعالى يطلع من يشاء من عباده على ما يشاء من غيبه، والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا جعل المسيحيون الإطلاع على الغيب دليلاً على ألوهية المسيح، ولم يجعلوه دليلاً على ألوهية غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ممن أطلعهم الله تعالى على الغيب كذلك؟!

الوجه السادس: إن فرضنا جدلاً ألوهية المسيح فعندها يجب أن يكون قادراً على كل شيء، فلماذا لم يأمر المسيح الشجرة لكي تثمر فيأكل منها بدلاً من أن يلعنها ويبقى جائعاً؟! يقول رستم: "إنَّه لما وجد الشجرة غير مثمرة لعنها، وبقي جائعاً! ولو كان إلهاً لكان عوضاً عن أن يلعنها، ويبقى جائعاً، يأمرها أمراً تكوينياً أن تُخرج ثمرها على الفور، لأنَّ الله لا يعجزه شيء بل يقول للشيء كن فيكون."^(٣) وعليه فقد بطل الاستدلال بعلم المسيح عليه السلام ببعض الغيب على ألوهيته، والله الحمد والمنة.

٤. الحضور في كل مكان:

يستدل المسيحيون بحضور المسيح عليه الصلاة والسلام في كل مكان على ألوهية، وجاء هذا في عدة نصوص منها:

النص الأول: قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ)^(٤)، فالمسيح عليه الصلاة والسلام يُبَيِّن لنا هنا أنَّه في السماء في حال كونه على الأرض في الوقت نفسه، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: لكي يتضح لنا المعنى المراد من هذا النص فلا بد من ذكر السياق كاملاً، فهذه القصة جاءت في إنجيل لوقا ونصها: (كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ. هَذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا وَقَالَ لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لَأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ. أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ. قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: كَيْفَ يُمْكِنُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنُ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟ أَجَابَ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لَا تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُوَلَدُوا مِنْ فَوْقُ. الرِّيحُ تَهْبُ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِنْ

(١) انظر: التكوين (١/٤٩-٣٢).

(٢) انظر: التثنية (٢/٣٣-٢٨).

(٣) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ٥٥.

(٤) يوحنا (١٣/٣).

أَيَّن تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وَلِدَ مِنَ الرُّوحِ. فَأَجَابَ نِيقُودِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا؟ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلَسْتَ تَعْلَمُ هَذَا! الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْنُمُ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا. إِنْ كُنْتَ قُلْتَ لَكُمْ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَسْنُمُ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتَ لَكُمْ السَّمَاوِيَّاتِ؟ وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ. وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الْإِنْسَانِ^(١).

نلاحظ أنَّ هذا النص مليء بالمجاز، فالمسيح عليه الصلاة والسلام يشبه الولادة الروحية الجديدة؛ أي التوبة إلى الله تعالى، والعودة إليه سبحانه، بالولادة من فوق^(٢)، فالولادة من فوق تعبير مجازي عن التوبة إلى الله تعالى، وهجر الذنوب والمعاصي، لذلك عبر المسيح عليه الصلاة والسلام عن نفسه بأنه نزل من السماء: أي أنه رسول من الله تعالى، يرشد الخلق إلى طريق الله تعالى، ولم يكن المقصود من ذلك المعنى الحرفي لكلمة النزول من السماء، فكل من هجر الذنوب والمعاصي فقد ولد من فوق، فليست الولادة من فوق خاصة بالمسيح عليه الصلاة والسلام وحده فقط، بل هي ثابتة للمسيح عليه الصلاة والسلام ولكل تائب إلى الله تعالى.

الوجه الثاني: أنَّ العبارة الأخيرة، وهي قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ)، والتي يستدل بها المسيحيون على أنَّ المسيح يملأ كل مكان، فالمسيح عليه الصلاة والسلام لمَّا قال عن نفسه أنه في السماء كان عندهم على الأرض، فهو في الأرض وفي السماء في الوقت نفسه، فقد ذكر سعد رستم أنَّ هذه الجملة محرفة مضافة إلى النص^(٣)، وممَّا يؤيد ذلك أنَّ الباحث قام بتتبع ترجمات الكتاب المقدس، فوجد أنَّ هذه العبارة قد وردت في كل من: ترجمة فاندايك وسميث، وكتاب الحياة، والترجمة البوليسية، في حين لم توجد هذه العبارة في: الترجمة اليسوعية الكاثوليكية، وترجمة أخبار سارة- عربية مشتركة، وترجمة الكتاب الشريف، وهذا ممَّا يؤيد أنَّ هذه العبارة محرفة، فإذا ثبت هذا بطل الاستدلال بها على وجود المسيح عليه الصلاة والسلام في كل مكان، فبطل الاستدلال بها على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام.

الوجه الثالث: إن أخذنا هذا النص على ظاهره كما يفعل المسيحيون في النصوص التي يستدلون بها علينا، لكان هذا النص مخالفاً لعقيدة المسيحيين في المسيح عليه الصلاة والسلام؛ فالمسيحيون يعتقدون أنَّ لاهوت المسيح هو الذي نزل من السماء، لكننا نجد أنَّ هذا النص يكذبهم، فالنص يُبيِّن أنَّ المسيح ابن الإنسان؛ أي أنَّ ناسوت المسيح هو الذي نزل من السماء، والناسوت هو الذي يملأ السماء والأرض، فقد قال المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ)، فناسوت المسيح بحسب النص هو الذي نزل من السماء، وهو الذي

(١) يوحنا (١٣-١/٣).

(٢) انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٢١٧٧.

(٣) انظر. رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٤٩.

يملاً السماء والأرض، وهذا لا يقول به المسيحيون، وهو باطل حساً وعقلاً ونقلاً.

الوجه الرابع: إن فرضنا جدلاً أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام نزل من السماء، فليس في ذلك أي دليل على ألوهيته، لأننا نعلم أنَّ الملائكة عليهم السلام أيضاً تنزل من السماء إلى الأرض، فليس في ذلك أي دليل على ألوهيتهم، فقد جاء في سفر التكوين أنَّ الملائكة كانت تنزل من السماء على النبي إبراهيم وعلى غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام^(١)، يقول رستم: "فأقصى ما يفيد مثل هذا النص، لو أخذ على معناه الحرفي هو أنَّ المسيح كان مخلوقاً بالروح قبل أن يلد كإنسان على الأرض، ثم لما جاء وقته نزل بأمر الله إلى الأرض، وولد كسائر البشر بالجسد والروح، فأين في هذا دليل على ألوهيته؟! "^(٢)

النص الثاني: نصوص يستدل بها المسيحيون على إحاطة المسيح بكل مكان كقول المسيح عليه الصلاة والسلام: (حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ)^(٣)، وقوله لتلاميذه: (فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ)^(٤)، فالجواب عليه من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ المقصود من معية المسيح عليه الصلاة والسلام للتلاميذ أنَّه يكون مع اتباعه ما داموا يلتزمون أوامره، ويحفظون وصاياه، فإنَّ الإنسان الذي تبقى تعاليمه بين قوم فكأنَّه يعيش بينهم، فهذا تعبير مجازي عن وجوده بين من يحفظ وصاياه ويلتزم بأوامره عليه الصلاة والسلام، فهي معية إرشاد وتعليم، لا معية حقيقية، يقول السفار: "فالكاتب المقدس لا يتحدث عن معية حقيقية لله أو للمسيح، فأنه تعالى لا يحل في مخلوقاته، ولا يخالطها، ومعيته لخلقه- تبارك وتعالى- أمر مجازي، معية النصر والتأييد والهداية، وكذلك معية المسيح للتلاميذ معية إرشاد ومعية تعليم."^(٥)

وقد جاءت في الكتاب المقدس عدة نصوص تدل على أنَّ معية الله تعالى لخلقه معية مجازية منها: قول النبي موسى عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل: (لَأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ سَائِرَ مَعَكُمْ لِيُحَارِبَ عَنْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ)^(٦)، والمقصود هنا أنَّ الرب ناصركم، ومما يؤكد أنَّ هذه المعية معية نصر وتأيد، لا معية حقيقية أنَّها جاءت في بعض النصوص مشروطة بشروط، فأنه تعالى يكون في معية بني إسرائيل ما داموا يطيعون أمره فقد قال عزريا لبني إسرائيل: (الرَّبُّ مَعَكُمْ مَا كُنْتُمْ مَعَهُ وَإِنْ طَلَبْتُمُوهُ يُوجَدُ لَكُمْ وَإِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَتْرُكْكُمْ)^(٧).

(١) انظر: التكوين (١٨/٢٠-٢٠).

(٢) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٥٠.

(٣) متى (٢٠/١٨).

(٤) متى (١٩/٢٨).

(٥) السفار، الله واحد أم ثلاثة؟، ص ٦٣.

(٦) التثنية (٤/٢٠).

(٧) أخبار الأيام الثاني (٢/١٥).

الوجه الثاني: أن المسيح عليه الصلاة والسلام قد نفى عن نفسه الكريمة المعية الحقيقية فقال: (لَأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ)^(١)، وقال: (أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. سَتَطْلُبُونَنِي وَلَا تَجِدُونَنِي)^(٢)، ففي هذه النصوص يصرح المسيح عليه الصلاة والسلام بأنه سوف يذهب ويترك التلاميذ، فهو هنا ينفي معيته للتلاميذ، مما يؤكد على أن المقصود من معيته في النصوص التي يستدل بها المسيحيون على حضوره في كل مكان معية إرشاد وتعليم، ومعية روحية معنوية، لا معية حقيقية، قول بولس لأهل كورنثوس عن نفسه: (أَمَّا أَنَا فَإِنْ كُنْتُ غَائِبًا بِالْجَسَدِ، فَإِنِّي حَاضِرٌ بِالرُّوحِ، وَقَدْ حَكَمْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ عَلَى مُرْتَكِبٍ مِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ)^(٣)، وما دام النص يحتمل هذا المعنى إذاً تتحقق القاعدة الأصولية أن الدليل إذا طرأ عليه الاحتمال بطل به الاستدلال^(٤).

النص الثالث: قول المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (أَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ)^(٥)، حتى نفهم المقصود من النص فلا بد من ذكر النص كاملاً، ففي هذا النص يقول المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه عن اليوم الذي يأتي فيه الروح القدس: (فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ)^(٦)، فإذا أخذنا هذا الكلام على ظاهره، وفسرناه تفسيراً حرفياً، فسيكون المعنى: أن الله الآب حال في المسيح، وهذا باطل عند المسيحيين، لأنهم يقولون: إن الله الابن هو الحال في المسيح، لا الله الآب، ويكون التلاميذ حاليين في المسيح، والمسيح حالاً في التلاميذ، وطبعاً هذا باطل عند المسيحيين، وعليه فإذا كان الله حالاً في المسيح، والمسيح حالاً في التلاميذ، فلا بد أن يكون الله أيضاً حالاً في التلاميذ، وهذا أيضاً باطل عند المسيحيين، فإما أن يكون هذا هو المعنى المطلوب، والمسيحيون يرفضون هذا المعنى قطعاً، لأنه يعني أن التلاميذ أصبحوا أيضاً آلهة، وهو باطل عندهم، وإما أن يوافقونا بأن المراد من ذلك المعنى المجازي ألا وهو إظهار شدة المحبة المتبادلة بين الآب والمسيح، وبين المسيح والتلاميذ، ومما يؤيد ذلك أن المسيح عليه الصلاة والسلام قال بعد هذا النص مباشرة: (الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ دَاتِي)^(٧).

فليس المقصود من النص المعنى الحرفي للاتحاد واللول بين المسيح والله تعالى، أو بين التلاميذ والمسيح، إنما المقصود بيان المحبة المتبادلة بين الله تعالى والمسيح، وبين المسيح والتلاميذ، فإذا ثبت هذا بطل الاستدلال بهذا النص على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، والله الحمد والمنة.

(١) متى (١١/٢٦).

(٢) يوحنا (٣٣/٧).

(٣) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (٣/٥).

(٤) انظر هذه القاعدة الأصولية: النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد، المذهب في علم أصول الفقه المقارن، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٩٩م، ج٢، ص٤٨٤.

(٥) يوحنا (٢٠/١٤).

(٦) يوحنا (٢٠/١٤).

(٧) يوحنا (٢١/١٤).

٥. عدم التغيير:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بعدم تغييره، قال بولس واصفاً المسيح عليه الصلاة والسلام: (أَمَّا يَسُوعُ فَهُوَ هُوَ، بِالْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَإِلَى الْأَبَدِ)^(١)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: لا بد أولاً من ذكر النص كاملاً حتى يتضح لنا المعنى، فقد جاء هذا النص في الرسالة إلى العبرانيين حيث قال بولس: (اذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمْ الَّذِينَ خَاطَبَوْكُمْ بِكَلَامِ اللَّهِ، وَاعْتَبِرُوا بِحَيَاتِهِمْ وَمَوْتِهِمْ وَأَقْتَدُوا بِإِيمَانِهِمْ. أَمَّا يَسُوعُ فَهُوَ هُوَ، بِالْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَإِلَى الْأَبَدِ. لَا تَنْقَادُوا إِلَى الضَّلَالِ بِتَعَالِيمٍ مُخْتَلَفَةٍ غَرِيبَةٍ، فَمِنْ الْخَيْرِ أَنْ تَتَّقَى قُلُوبُكُمْ بِالنَّعْمَةِ، لَا بِالْأَطْعِمَةِ الَّتِي لَا نَفْعَ مِنْهَا لِلَّذِينَ يَتَعَاطَوْنَهَا)^(٢)، ففي هذا النص يوصي بولس العبرانيين باتباع تعاليم المرشدين، وعدم الأخذ بأي تعاليم أخرى، لأنهم خاطبواهم بكلام الله تعالى، الذي هو سبب النجاة وطريق السعادة، وهذا الكلام قد أوحاه الله تعالى للمسيح عليه الصلاة والسلام، وكلام الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل، وقد كنى بولس عن كلام الله تعالى الذي نقله المسيح عليه الصلاة والسلام بأنه المسيح، فقال لهم: (أَمَّا يَسُوعُ فَهُوَ هُوَ، بِالْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَإِلَى الْأَبَدِ)، والظاهر أنَّ المقصود من هذا النص الذي جاء بين نصين يوصي فيهما بولس بالتمسك بتعاليم المسيح عليه الصلاة والسلام، أنَّ تعاليم المسيح ثابتة لا تتغير مع تغير الزمان لأنها من عند الله تعالى، ومما يدل على ذلك قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ)^(٣)، وهي وهي كانت وسوف تبقى للأبد سبب للسعادة، لا أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام هو الذي لا يتغير.

الوجه الثاني: إن فرضنا جدلاً عدم تغير المسيح عليه الصلاة والسلام فليس في ذلك دليل على ألوهيته، لأنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الملائكة لا يتغيرون، وهم مع هذا لا يعتقدون بألوهيتهم، يقول مينا: "إنَّ الملائكة ليسوا معرضين للزيادة والنقصان كالإنسان، كما يستنتج من قول ربنا عن الصالحين في الحياة العتيدة: (إِنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لَا يُزَوَّجُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَائِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ)، متى (٣٠/٢٢)، .. كما أنَّهم لا يشيخون البتة، ولا يصيبهم فناء بل هم خالدون"^(٤)، فإذا ثبت أنَّ الملائكة خالدون ولا يتغيرون وكذلك الصالحين من العباد، بطل الاستدلال بعدم تغير المسيح عليه الصلاة والسلام على ألوهيته.

(١) الرسالة إلى العبرانيين (٨/١٣).

(٢) الرسالة إلى العبرانيين (٩-٧/١٣).

(٣) مرقس (٣١/١٣).

(٤) مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص ٤٩.

ثالثاً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح بما ورد من أن بعض أعمال الله تعالى أعمال للمسيح عليه الصلاة والسلام^(١)

الرد الإجمالي: قبل البدء بالنقض التفصيلي للأدلة لا بد من التنبيه إلى أن الأعمال إذا نُسبت إلى الله تعالى فإنها تُنسب إليه على أنه خالقها وموجدها، وإذا نُسبت إلى الخلق فإنها تُنسب إليهم على أنهم أسباب فيها؛ فمثلاً إذا نُسب إثمار الشجر إلى الله تعالى نُسب إليه على أنه خالقه، أمّا إذا نُسب إلى المطر فإنه يُنسب إليه على أنه سبب فيه لا أكثر، وقد جاء في سفر التكوين ما يؤيد ذلك، حيث ذكر السفر أنه بعد أن خلق الله تعالى السماوات والأرض في ستة أيام، لم يكن هناك شجر ولا نبت، بسبب عدم وجود إنسان يزرع ومطر ينزل، وهذا نصه: (كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الْأَرْضِ وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ لِأَنَّ الرَّبَّ الْإِلَهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ. ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلُعُ مِنَ الْأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الْأَرْضِ. وَجَبَلَ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ تَرَاباً مِنَ الْأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً. وَغَرَسَ الرَّبُّ الْإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقاً وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلْأَكْلِ)^(٢)، فهذا النص يبين أن السبب في عدم وجود الشجر هو عدم وجود المطر وعدم وجود إنسان يعمل، ثم خلق الله تعالى ضباباً فسقى به الأرض فأنبتت، ثم غرس الرب شجر الأرض، ونلاحظ أن النص كان أحياناً ينسب الإنبات إلى المطر والإنسان، حين قال: (كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الْأَرْضِ وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ لِأَنَّ الرَّبَّ الْإِلَهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ)، وأحياناً ينسب إلى الله تعالى، حين قال: (وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الْإِلَهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلْأَكْلِ)، وعليه فأي عمل من الأعمال إذا نُسب إلى الإنسان أو أي مخلوق آخر نُسب إليه على أنه سبب فيه، لا على أنه خالقه؛ وإذا نُسب إلى الله نُسب إليه على أنه خالقه.

وعليه فأي عمل من أعمال الله نُسب إلى المسيح عليه الصلاة والسلام فإنه ينسب إليه على أنه سبب فيه، أمّا الخالق الحقيقي والفاعل الحقيقي فهو الله وحده، ومما يؤيد ذلك قوله المسيح: (كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي)^(٣)، وهذا يتفق مع القاعدة الثانية التي تنص على وجوب تأويل النصوص المتشابهة.

أمّا الرد التفصيلي فبيانه الآتي:

١. الخلق:

لقد نُسب الخلق إلى المسيح عليه الصلاة والسلام في عدة نصوص في الكتاب المقدس، ويستدل المسيحيون بذلك على ألوهية المسيح، ومن هذه النصوص:

(١) انظر: هذا البحث، ص ٥٥.

(٢) التكوين (٢/٤-٩).

(٣) لوقا (١٠/٢١)، ومتى (٢٤/٣٦).

النص الأول: ما جاء في افتتاحية إنجيل يوحنا، حيث قال يوحنا عن الكلمة: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ، كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُونُ الْعَالَمِ بِهِ)^(١)، يقول المسيحيون: إِنَّ اللَّهَ الْكَلِمَةُ (المسيح) هو الذي خلق الكون، والذي به كان كل شيء، كما يظهر من هذا النص، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنه لا يوجد في العهد الجديد نص يُصرح بأن المسيح عليه الصلاة والسلام هو المقصود بالكلمة، وقد بيّن الباحث أن المقصود بالكلمة هنا إمّا أن يكون الكائن الروحي العظيم، أو أن يكون المقصود منها كلمة التكوين، أو الشريعة الإلهية المقدسة.^(٢)

الوجه الثاني: أن هذا النص جاء في ترجمات أخرى بصيغة أخرى تؤكد أن المراد من قول يوحنا: (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ)، الحياة الدينية التي جاء بها المسيح عليه الصلاة والسلام، ففي الكتاب الشريف جاء النص هكذا: (فِيهِ الْحَيَاةُ، وَحَيَاتُهُ هِيَ النُّورُ الَّذِي يَهْدِي النَّاسَ)، وفي ترجمة أخبار سارة- عربية مشتركة جاء النص هكذا: (فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ، وَحَيَاتُهُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ)، فهنا كانت حياة المسيح عليه الصلاة والسلام هي النور؛ أي أن تعاليمه التي جاء بها في حياته نور يهتدي به الناس، فإذا ثبت هذا بطل الاستدلال بهذا النص على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام.

الوجه الثالث: أن المسيح عليه الصلاة والسلام قد عجز عن رد الحياة لنفسه عندما مات- كما يدعي المسيحيون-، وهو عن رد الحياة لغيره أشد عجزاً، فكيف يكون المسيح هو خالق الخلق، وموجد السماوات والأرض، وهو لم يعد الحياة لنفسه، بل أعادها له ربه، والدليل على ذلك قول بطرس: (فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللَّهُ وَنَحْنُ جَمِيعاً شُهَدَاؤُا لِذَلِكَ)^(٣)، وقول بولس عن نفسه أنه: (رَسُولٌ لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّاسِ وَلَا بِنَاسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللَّهُ الْآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ)^(٤)، ولولا أن الله تعالى أقامه لما عاد إلى الحياة، فكيف يكون المسيح عليه الصلاة والسلام خالق الخلق وهو لم يرد الحياة لنفسه، فثبت بهذا أن المقصود بخلق المسيح للحياة هو الحياة الروحية الدينية الجديدة التي جاء بها المسيح عليه الصلاة والسلام.

الوجه الرابع: إن فرضنا جدلاً أن المقصود بالكلمة هو المسيح عليه الصلاة والسلام، فلا بد من أن نذكر النص كاملاً حتى يتضح لنا المعنى المقصود منه، وهذا سياق النص: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ. كَانَ

(١) يوحنا (١/١-١٠ و٤).

(٢) انظر: هذا البحث، ص ١١٨-١٢٣.

(٣) أعمال الرسل (٣٢/٢).

(٤) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (١/١).

إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِّنَ اللَّهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. هَذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ. كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًّا إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكَوَّنَ الْعَالَمَ بِهِ^(١)، يقول العلمي مفسراً هذا النص: "يحتمل أن المراد من لفظ (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ)، في قول يوحنا: (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِّمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ)، خصوص ما يتعلق بالديانة الجديدة التي أتى بها المسيح، كالتخليص والتبشير والتعليم، وتفهم الناس معاني الناموس الروحية، .. وغير ذلك ممَّا يرجع لمعنى الحياة الجديدة الدينية المرادة هنا في الفقرة الرابعة، وإلا فكل شيء إنما كان بالله الرب، كما قال الشيوخ خطاباً لله تعالى: (أَنْتَ مُسْتَحِقُّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَانَتْ وَخُلِقَتْ) رؤيا يوحنا (١١/٤)."^(٢)

وممَّا يؤكد ما ذهب إليه العلمي أن قول يوحنا: (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِّمَّا كَانَ)، قول مجمل وقد فسر يوحنا بقوله بعده: (فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ)، ثم فسر الحياة، فقال: (وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ)، ثم فسر النور، فقال: (وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ)، فالظاهر من السياق أن يوحنا لا يقصد بقوله: (كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِّمَّا كَانَ)، أن المسيح عليه الصلاة والسلام هو الذي خلق العالم، بل المراد به أن شريعته وتعاليمه فيها حياة الناس الروحية، وسعادتهم الأبدية، ومما يدل على أنه لا يريد بذلك أن المسيح عليه الصلاة والسلام خلق الناس من العدم، وأعطاهم الحياة، أن يوحنا فسر الحياة بالنور، ولم يفسرها بالإيجاد من العدم، فهذا يدل على أن الحياة التي وجدت بالمسيح عليه الصلاة والسلام والتي فسرها بالنور هي تعاليمه وشريعته الطاهرة، يؤكد ذلك أنه ليست كل حياة نوراً، فحياة الكفار نقمة عليهم وعلى الخلق لا نعمة، ثم إن يوحنا فسر النور بأنه يضيء الظلمة والمقصود هنا- والله تعالى أعلم وأحكم- أن اتباع تعاليم المسيح عليه الصلاة والسلام تخرج الناس من ظلمات المعاصي والذنوب، ثم زاد الأمر توضيحاً بأن قال: (وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ)؛ أي أن أصحاب الذنوب والمعاصي وكل من لم يؤمن برسالة المسيح عليه الصلاة والسلام لم يدرك النور الذي جاء به المسيح عليه الصلاة والسلام.

٢. غفران الخطايا:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام ببعض النصوص التي تصفه بأنه يغفر الخطايا، منها:

النص الاول: قول المسيح عليه الصلاة والسلام للمفلوج: (ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ)^(٣)،

والجواب على ذلك من وجوه أبرزها:

(١) يوحنا (١٠-١/١).

(٢) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ٣١٤.

(٣) متى (٤/٩).

الوجه الأول: حتى نعرف المعنى المراد من النص لا بد من الرجوع إلى النص كاملاً، فقد جاء في إنجيل متى أن المسيح عليه الصلاة والسلام: (دَخَلَ السَّفِينَةَ ... وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحاً عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيْمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ. وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكُتَّابَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: هَذَا يُجَدِّفُ^(١)! فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيْمًا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا. حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: قُمْ أَحْمِلْ فِرَاشَكَ ..! فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعُ تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هَذَا)^(٢)، نلاحظ من النص أن المسيح عليه الصلاة والسلام لم يقل للمفلوج: **لقد غفرت لك خطاياك**، ولكن قال له: (مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ)، ويرى رستم أن الفرق بين القولين كبير، فالقول الأول: غفرت لك خطاياك، يدل على أن غافر الذنوب هو المسيح، أمّا القول الثاني- وهو الذي جاء في السياق-: (مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ)، يدل على أن المسيح عليه الصلاة والسلام قد أخبر المفلوج بأن الله قد غفر له خطايا^(٣)، والإخبار عن الله تعالى وظيفه الأنبياء- ومنهم المسيح- عليهم الصلاة والسلام.

ولكن قد **يعترض علينا المسيحيون فيقولون:** إنَّ المسيح قد أثبت لنفسه سلطان مغفرة الخطايا حين قال: (لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا)^(٤)، **والجواب على ذلك:** أن آخر النص يُبين أن الغافر الحقيقي هو الله تعالى، وأن نسبة المغفرة للمسيح عليه الصلاة والسلام نسبة مجازية، لأنَّ الناس لما شاهدوا تلك المعجزة: (تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هَذَا)، فغفران الخطايا بيد الله تعالى وحده، والمسيح عليه الصلاة والسلام ليس له إلا أن يخبر عن مغفرة الله لمن يستحقها، ونلاحظ أن المسيح عليه الصلاة والسلام لم يعترض على الناس حين مجدوا الله الذي أعطاه هذا السلطان، ولو كانت مغفرة الخطايا بيده عليه الصلاة والسلام لبين لهم أنه يغفر الخطايا لأنَّ ذلك من صفاته كإله، لا لأنَّ الله قد أعطاه هذه الصفة، فلما لم يعترض المسيح عليه الصلاة والسلام عليهم دل ذلك على أن الله تعالى هو الغافر الحقيقي، والمسيح عليه الصلاة والسلام يخبر بهذه المغفرة عن ربه لمن يستحقها.

الوجه الثاني: أن المسيح عليه الصلاة والسلام أخبر عن غفران الخطايا لأنه رسول الله تعالى، والمبلغ عن الحق سبحانه، بدليل أنه وصف نفسه بابن الإنسان، فقال: (لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا)، والمسيحيون يعتقدون أن المسيح يغفر الخطايا لكونه ابن الله، لا لكونه ابن إنسان، فهو من حيث ناسوته يشبه غيره من البشر، وإنما امتاز عنهم باللاهوت، فالذي يغفر

(١) يجدف: أي تكلم بكلام لا يليق في حق الله تعالى، انظر: جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج١، ص٣١٩.

(٢) متى (٨-١/٩).

(٣) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص١٥٩.

(٤) انظر هذا الإعتراض: البابا شنودة، طبيعة المسيح، ص٧٤.

عندهم هو اللاهوت المتحد بالناسوت، لا الناسوت، ولكن المسيح عليه الصلاة والسلام بيّن أن هذا السلطان كان لناسوته- بكونه ابن إنسان- أي كرسول، ولو كان للمسيح عليه الصلاة والسلام حق المغفرة بلاهوته لقال: (لتعلموا أن لابن الله سلطاناً أن يغفر الخطايا)، أو لقال: (لتعلموا أن للاهوت المسيح سلطاناً أن يغفر الخطايا)، ولما قال: (لابن الإنسان)!

الوجه الثالث: أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يخبر عن مغفرة الله تعالى للخطايا، لا أنه كان هو عليه الصلاة والسلام يغفرها بنفسه، فقد جاء هذا النص جاء في الترجمة اليسوعية الكاثوليكية وترجمة كتاب الحياة بصيغة أخرى هي: (قَدْ غُفِرَتْ لَكَ خَطَايَاكَ)، فجاء الفعل (غُفِرَ) بصيغة المبني للمجهول؛ فلو كان المسيح عليه الصلاة والسلام هو الغافر لقال: (غُفِرَتْ لَكَ خطاياك)، بصيغة المبني للمعلوم.

الوجه الرابع: أن المسيح عليه الصلاة والسلام حين صلب- كما يدعي المسيحيون- دعا ربه قائلاً: (يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ)^(١)، ويرى رستم أن المسيح عليه الصلاة والسلام لو كان يغفر الذنوب بذاته الكريمة، لما دعا الآب أن يغفر لهم، ولغفر لهم المسيح عليه الصلاة والسلام بذاته دون الحاجة إلى الدعاء والطلب من الآب.^(٢)

الوجه الخامس: أن المسيح عليه الصلاة والسلام منح الحواريين صفة غفران الخطايا للناس، حيث قال لهم: (سَلَامٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أَرْسَلُكُمْ أَنَا. وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرْ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ)^(٣)، بل لقد أعطى المسيح عليه الصلاة والسلام لبطرس سلطاناً أعظم من هذا، حيث قال له: (أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيستِي.. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ)^(٤)، فأى سلطان أعظم من هذا السلطان الذي أعطاه المسيح عليه الصلاة والسلام لبطرس، يقول رستم: "فكما أن هذا السلطان بغفران الخطايا الذي ناله بطرس خاصة والحواريون عامة- بإذن الله- عبر المسيح لا يفيد ألوهيتهم، كذلك امتلاك المسيح لذلك السلطان- بإذن الله- لا يفيد ألوهيته."^(٥)

وعليه فمهما كان تفسير النص فليس فيه أي دلالة على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، والله الحمد والمنة.

(١) لوقا (٢٣/٣٤).

(٢) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٦٠.

(٣) يوحنا (٢٠/٢١).

(٤) متي (١٦١٨-٢٠).

(٥) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٦١.

٣. الخلاص:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما ذكر في الكتاب المقدس من أنَّ المسيح هو المخلص، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ الخلاص في اللغة هو: "النجاة"^(١)، وفي قاموس الكتاب المقدس الخلاص هو: النجاة من الشر أو الخطر^(٢)، وتعرف دائرة المعارف الكتابية الخلاص في الكتاب المقدس بأنه النجاة من الظلم في الدنيا، وتحقيق السعادة والنجاة من العذاب في الآخرة^(٣)، وعليه فإنَّ المقصود بالخلاص: النجاة في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمخلص: أي الذي يكون سبباً في النجاة في الدنيا والآخرة، والله الآب تعالى هو المخلص الحقيقي؛ فقد جاء قال الله تعالى للنبي هوشع عليه الصلاة والسلام: (أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَإِلَهَا سِوَايَ لَسْتُ تَعْرِفُ، وَلَا مُخْلَصَ غَيْرِي)^(٤)، وقال الله تعالى للنبي إشعياء عليه الصلاة والسلام: (أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ غَيْرِي مُخْلَصٌ)^(٥)، فإذا كان الله تعالى هو المخلص الحقيقي فنسبة الخلاص إلى غيره نسبة مجازية، من باب نسبة النتائج إلى أسبابها العادية، وعليه فإنَّ نسبة الخلاص إلى المسيح عليه الصلاة والسلام ليست نسبة حقيقة، إنما هي نسبة مجازية، ذلك أنَّ المسيح رسول الله تعالى إلى بني إسرائيل لكي يخلصهم بتعاليمه من الذنوب والمعاصي، التي هي سبب الشقاء الدنيوي والأخروي، وهذا شأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنَّ من اتبعهم نجا، ومن حاد عن طريقهم شقي، فمن هذه الجهة صحت نسبة الخلاص للمسيح عليه الصلاة والسلام، لكن المخلص الحقيقي هو الله تعالى وحده.

الوجه الثاني: أنَّ الكتاب المقدس قد نسب الخلاص إلى غير المسيح عليه الصلاة والسلام كذلك من الأبطال من الرجال والحكام؛ فقد جاء فيه أنَّ الله تعالى قد خلص بني إسرائيل بعد أن تابوا (بعثنييل)، وهذا نصه: (وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، فَأَقَامَ الرَّبُّ مُخْلَصاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَخَلَّصَهُمْ. عَثْنِيِيلَ بَنَ قَنَازَ)^(٦)، وجاء فيه: (وَأَعْطَى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مُخْلَصاً، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِ يَدِ الْأَرَامِيِّينَ)^(٧)، بل لقد نسب الكتاب المقدس الخلاص للملك، فقد جاء فيه أنَّ النبي يعقوب عليه الصلاة والسلام كان يبارك أبناءه فيقول: (الْمَلَأْتُ الَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُبَارِكُ الْغُلَّامِينَ)^(٨)، فالكتاب المقدس ينسب الخلاص إلى الملائكة الكرام عليهم السلام، وإلى الأبطال من القادة والحكام، ولكن هذه النسبة لا تدل على ألوهية أي منهم، بل هي نسبة مجازية من باب نسبة النتائج إلى أسبابها العادية، والمخلص الحقيقي

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٥٠٧.

(٢) انظر: جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج ١، ص ٥٠٧.

(٣) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٣، ص ٣١٧.

(٤) هوشع (٤/١٣).

(٥) إشعياء (١١/٤٣).

(٦) القضاة (٩/٣).

(٧) الملوك الثاني (٥/١٣).

(٨) التكوين (١٦/٤٨).

هو الله تعالى وحده.

الوجه الثالث: أن نسبة الخلاص للمسيح عليه الصلاة والسلام نظير نسبة الخلاص للإيمان، فالإيمان سبب من أسباب الخلاص، كما قال المسيح عليه السلام للمرأة الخاطئة: (إِيمَانُكَ قَدْ خَلَّصَكَ)^(١)، وقول المسيح عليه الصلاة والسلام للأبرص: (قُمْ وَامْضِ، إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ)^(٢)، يقول العلمي معلقاً على هذين النصين: "ونتعلم من هذا أن ليس المسيح هو (المخلص بذاته)، بل الإيمان به هو المخلص؛ أي هو السبب في الخلاص"^(٣)، ويؤيد هذا قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ)^(٤).

فهنا بينَّ المسيح عليه الصلاة والسلام أن سبب الخلاص اتباع تعاليمه عليه الصلاة والسلام، والإيمان بالله تعالى، والإيمان برسالة المسيح عليه الصلاة والسلام (لأنَّه وصف الله تعالى بأنَّه هو الذي أرسله)، فالإيمان والإيمان وحده هو سبيل التبرير والخلاص^(٥)، فهذا بولس يقول: (إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْتَبِرُّ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لَا يَنْتَبِرُّ جَسَدٌ مَا .. مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاةُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاةُ فِي الْإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسَلَّمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِي. لَسْتُ أَبْطُلُ نِعْمَةَ اللَّهِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بَرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذَا مَاتَ بِلَا سَبَبٍ!)^(٦)، يقول عزيز: "وهكذا ألغى المسيح بمجيئه دور الناموس كوسيلة للبر"^(٧)، فالإيمان بأنَّ المسيح مات من أجل التكفير عن الخطايا هو المخلص، لا مجرد موت المسيح هو المخلص، فمن لا يؤمن بالفداء فلا خلاص له.

الوجه الرابع: في حين جاءت نصوص في الكتاب المقدس تكتفي بالإيمان دون العمل للخلاص، نجد نصوصاً أخرى تؤكد أنه ليس الإيمان وحده كافياً للخلاص، إذ لا بد من العمل الصالح ليتم الخلاص: فالمسيحيون سيحاسبون على أعمالهم يوم القيامة كغيرهم من الناس، فقد قال بولس إنَّ: (دَيْنُونَةُ اللَّهِ الْعَادِلَةِ، الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ)^(٨)، وقال يعقوب مبيناً عدم منفعة الإيمان فقط: (مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ؟ هَلْ يَقْدِرُ الْإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟ إِنْ كَانَ أَخٌ وَأُخْتُ عُرْيَانَيْنِ وَمُعْتَازَيْنِ لِلْقُوَّةِ الْيَوْمِيَّةِ، فَقَالَ لَهُمَا أَحَدُكُمُ: امْضِيَا بِسَلَامٍ، اسْتَدْفِنَا وَاشْبَعَا، وَلَكِنْ لَمْ

(١) لوقا (٥٠/٧).

(٢) لوقا (١٩/١٧).

(٣) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ١٨٧.

(٤) يوحنا (٢٤/٥).

(٥) انظر: غلاطية (١٠/٣-١٤)، غلاطية (٢٣/٣-٢٥)، رومية (٢١/٣-٢٨).

(٦) الرسالة إلى أهل غلاطية (١٦/٢-٢١).

(٧) عزيز، فهم، الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، دط، دار الثقافة، القاهرة، دت، ص ٢٨٢.

(٨) الرسالة إلى أهل رومية (٦-٥/٢).

تُعْطُوهُمَا حَاجَاتِ الْجَسَدِ، فَمَا الْمُنْفَعَةُ؟ .. هَكَذَا الْإِيمَانُ أَيْضاً بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٍ^(١)، والله تعالى يقول يوم القيامة: (دِينُوا كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ)^(٢)، فالإيمان لا يعني ترك العمل، ولكن هل نأخذ بالنصوص التي تكفي بالإيمان كمخلص؟! أم بالتي تكفي بالعمل دون الإيمان؟! أم التي تأخذ بهما جميعاً؟! بالجملة فإنَّ التخيُّط واضح في الكتاب القدس في تحديد المخلص كما تبين.

هذا ولو كان صلب المسيح فداء للبشر من الخطيئة لما وجب العمل، والدليل على وجوب العمل قول بولس: (أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالْإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُثَبِّتُ النَّامُوسَ)^(٣)، فإذا ثبت أنَّ المسيحي يحاسب على أعماله، ولا يكفي الإيمان وحده، ثبت أنَّ ما يدعيه المسيحيون من أنَّ الإيمان بأنَّ الله قد تجسد و صلب تكفيراً عن خطايا البشر هو إدعاء باطل، فإذا ثبت ذلك بطل اعتقاد المسيحيين بالتجسد والصلب والفداء، وما يترتب عليه من ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام.

الوجه الخامس: إنَّه إن اعترض المسيحيون وقالوا: إنَّ خلاص المسيح يختلف عن خلاص الأبطال من القادة والحكام، وعن الخلاص بالإيمان والعمل، فإنَّ المسيح تجسد من أجل أن يخلص بموته البشرية كلها من الخطيئة، وللجواب على ذلك نقول لهم: بربكم أخبرونا كيف خلص المسيح عليه الصلاة والسلام الناس، والمسيحيون يعلمون أنَّ أكثر الأمم لم تؤمن بالمسيح عليه الصلاة والسلام كمخلص وفادٍ للبشرية، فهل خلص المسيح البوذيين والهندوس وعباد النار والمجوس والزرادشتية وغير ذلك من الأمم التي لو تؤمن به؟! والحقيقة أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام لم يخلص غيركم أيها المسيحيون كما تزعمون^(٤)، بل إنَّ خلاصكم أنتم كان بسبب إيمانكم وأعمالكم لا بتجسد المسيح وموته فحسب.

وعليه فإنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام- كما تعتقدون- لم يخلص الأمم بموته، إنَّما زادهم خطيئة إلى خطيئتهم، لأنَّهم لم يؤمنوا به كمخلص وفادٍ لهم، فزادهم بذلك عذاباً إلى عذابهم، فإيا ليتهم لم يتجسد! لكي لا يتسبب في مضاعفة عذاب الناس الناس بسبب كفرهم بألوهيته، ويبيِّن القرافي عدم جدوى الفداء والصلب الذي يعتقده المسيحيون فيقول: "كون هذه الواقعة العظيمة التي هي صَلْبُ إله العالم إنَّما كانت عندكم لسبب خلاصكم، فحققوا لنا هذا الخلاص إن كان من محن الدنيا فما أنتم مشاركون لسائر البشر في النفع والشر، أو من عهد التكليف، فما أنتم مخاطبون فيها بالمبادرة، وآتون على التسويف تدأبون في الصلاة والصيام، .. أو من أهوال القيامة، وما تكابده الخلائق يوم الطامة، أكذبكم الإنجيل؛ .. فقد أخبر أنَّ الناس كلهم ينجون بحسناتهم، ويهلكون بسيئاتهم، وضاع الصلب في البين."^(٥)

(١) رسالة يعقوب (٢/١٤-٢٦).

(٢) رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٣/٢٠).

(٣) الرسالة إلى أهل رومية (٣/٣١).

(٤) انظر: العلمي، سلاسل المناظرة، ص ١٨٩.

(٥) القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ١٠٩.

٤. الدينونة:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما جاء في بعض النصوص من أنَّ المسيح هو الديان، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ الديان في اللغة هو: القاضي والحاكم والمجازي الذي لا يُضيع عملاً، بل يجزي بالخير والشر^(١)، أمّا في الكتاب المقدس فإنَّ الديان هو الله، فقد قال النبي داود عليه الصلاة والسلام مخاطباً الله: (يَا إِلَهَ النِّقَمَاتِ يَا رَبُّ ... ارْتَفَعْ يَا دَيَّانَ الْأَرْضِ. جَارِ صَنِيعَ الْمُسْتَكْبِرِينَ)^(٢)، وقال بولس: (اللَّهُ دَيَّانُ الْجَمِيعِ)^(٣)، فهذه النصوص تدل دلالة صريحة على أنَّ الله هو الديان الحقيقي.

الوجه الثاني: إذا كان الله تعالى هو الديان، فكيف نوفق بين ذلك وبين ما جاء في بعض النصوص من أنَّ المسيح هو الديان، فكيف يكون الله تعالى هو الديان في حين تقول بعض النصوص أنَّ المسيح هو الديان؟! إن فرضنا جدلاً أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام هو الذي يدين الناس يوم القيامة، فعندها تكون هذه كرامة أعطاه الله تعالى للمسيح عليه الصلاة والسلام، وكرم الله تعالى واسع، يعطي ما يشاء لمن يشاء، والدليل على ذلك قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي)^(٤)، فهذه تكون عطية من العطايا التي أعطاه الله تعالى للمسيح عليه الصلاة والسلام فضلاً منه سبحانه وكرماً. فإذا ثبت هذا بطل استدلال المسيحيين بدينونة المسيح عليه الصلاة والسلام على ألوهيته، والله الحمد والمنة.

رابعاً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما ورد من أنَّ إكرام المسيح إكرام لله تعالى^(٥)

الرد الإجمالي: بعث الله تعالى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هداة ومرشدين، وفرض على الناس طاعتهم ومحبتهم واحترامهم، وجعل ذلك علامة على كمال الإيمان، فمن أطاعهم كان عند الله تعالى سعيداً، ومن عصاهم كان عند الله تعالى شقيماً، وعليه فأى طاعة أو محبة أو احترام لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما هي في الحقيقة طاعة ومحبة لله تعالى الذي بعثهم، قال المسيح عليه الصلاة والسلام: (مَنْ لَا يُكْرِمُ الْإِبْنَ لَا يُكْرِمُ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ .. إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ)^(٦)، فلا يدل شيء من ذلك على أننا نعبدهم أو نألهم.

ولكن المسيحيين استدلوا ببعض مظاهر التكريم التي فرضها الله تعالى للمسيح عليه الصلاة والسلام على ألوهيته، وليس لهم في ذلك أي دليل، لأنَّ إكرام المسيح عليه الصلاة والسلام في الحقيقة

(١) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٦٠٦.

(٢) المزمور (١٠٤/٢).

(٣) الرسالة إلى العبرانيين (٢٣/١٢).

(٤) لوقا (١٠/٢٢).

(٥) انظر: هذا البحث، ص ٥٦.

(٦) يوحنا (٢٣/٥-٢٤).

هو إكرام الله تعالى الذي أرسله لهداية بني إسرائيل، أمّا الرد التفصيلي على مظاهر التكريم التي استدلت بها المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام فيبانه الآتي:

١. الرد على دليل تقديم السجود للمسيح عليه الصلاة والسلام:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح بسجود التلاميذ له عليه الصلاة والسلام، وللجواب على ذلك نقول: إنّنا سوف نعامل المسيحيين بنفس الميزان الذي يزنون به أدلتهم، ونستدل عليهم بنفس الطريقة التي يستدلون بها علينا، فما دام السجود لأي أحد هو دليل على ألوهيته، فلماذا لا نراكم تعبدون كل من قُدِمَ له السجود من الأنبياء والقادة والعظماء؟! ولماذا حصرتم العبادة في المسيح وحده فقط؟! فالكتاب المقدس يحدثنا عن سجود بعض البشر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل وأحياناً يحدثنا عن سجود نبي لنبي، فهذا النبي يعقوب عليه السلام يسجد هو وأولاده ونسائه لعيسو عندما التقوا به^(١).

وهؤلاء إخوة النبي يوسف عليه الصلاة والسلام قد سجدوا لأخيهم يوسف حين إلتقوا به^(٢)، وهذه امرأة سجدت للنبي داود عليه الصلاة والسلام، وهذا نصه: (وَلَمَّا رَأَتْ أَبِيجَايِلُ دَاوُدَ أَسْرَعَتْ .. وَسَقَطَتْ أَمَامَ دَاوُدَ عَلَى وَجْهَيْهَا وَسَجَدَتْ إِلَى الْأَرْضِ)^(٣)، وإنّ المرء ليتعجب حين يجد في الكتاب المقدس هذه النصوص التي تُبَيِّنُ سجود الناس للأنبياء عليهم الصلاة والسلام! وعدم اختصاص السجود بالمسيح، كيف يستدل المسيحيون بعد ذلك على سجود التلاميذ للمسيح عليه الصلاة والسلام على ألوهية المسيح؟! وكأنّ المسيحيين لا يقرؤون كتابهم ولا يعرفونه! فإن قال المسيحيون: إنّ هؤلاء الذين سجدوا قد أخطأوا بسجودهم لغير الله تعالى ونحن لا نستدل بفعلهم؟ فالجواب على ذلك ما قاله محمد البلاغي: "إنّ الاحتجاج الذي تنقله أناجيلكم عن المسيح ليخرسكم عن هذه الجراءة، أولم نجد أنّ أناجيلكم تذكر أنّ المسيح لمّا اعترض عليه اليهود بأكل تلاميذه من الزرع يوم السبت، احتج عليهم بأكل داود من خبز التقدمة الذي لا يحل إلا للكهنة، فلو لم يكن داود معصوماً في فعله، بل لا يجوز أن يفعل الحرام، لما صحّ من المسيح هذا الاحتجاج"^(٤)، فإذا كان المسيح يحتج بفعل النبي داود عليهما السلام دل ذلك على أنّ فعل النبي داود حجة عند المسيح عليهما السلام.

وعليه فقد ثبت أنّ السجود لغير الله تعالى ليس كفراً ولا حراماً في الكتاب المقدس، بل هو سجود تكريم لا سجود عبادة، وقد ثبت وقوع ذلك لغير المسيح عليه الصلاة والسلام، فيحق لنا أن نسأل المسيحيين هنا فنقول: لماذا جعلتم السجود دليلاً على ألوهية المسيح ولم تعدوه دليلاً على ألوهية غيره ممن ذكر الكتاب المقدس سجود الناس لهم؟ فإمّا أن يكون كل مسجود له إله، وهذا باطل عندكم، وإمّا أن لا يكون السجود دليلاً على الألوهية، وهو الصواب، وبذلك بطل استدلال المسيحيين بسجود التلاميذ

(١) التكوين (٣/٣٣).

(٢) التكوين (٦/٤٢)، و(٢٦/٤٣).

(٣) صموئيل الأول (٢٣/٢٥).

(٤) البلاغي، محمد جواد (ت ١٣٥٢هـ)، التوحيد والتثليث، ط٢، مطبعة مهر، قم، ١٤١١هـ، ص ٧٢.

للمسيح على ألوهيته، والله الحمد والمنة.

٢. الرد على دليل تقديم الإكرام للمسيح عليه الصلاة والسلام نظير الآب تماماً:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح بما جاء من أمر المسيح عليه الصلاة والسلام لهم بأن يكرموا نظير الآب تماماً، وللجواب على ذلك نقول: حتى نعرف المراد من النص فلا بد من الرجوع إلى السياق الذي جاء به، فالمسيح عليه الصلاة والسلام قال: (لَكَيْ يُكْرَمَ الْجَمِيعُ الْإِبْنُ كَمَا يُكْرَمُونَ الْآبَ. مَنْ لَا يُكْرَمُ الْإِبْنُ لَا يُكْرَمُ الْآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ)^(١)، ونلاحظ من النص أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام أمر الناس أن يكرموا كما يكرمون الآب، ولكن ما هي علّة هذا الإكرام؟! أهى ألوهية المسيح، ومساواته للآب؟! أم هي اتحاد المسيح مع الآب في الجوهر؟! إِنَّ خَيْرَ مَنْ يُبَيَّنُّ لَنَا علّة هذا الإكرام هو المسيح عليه الصلاة والسلام نفسه، فالمسيح قد بيّن أَنَّ علّة إكرامه عليه الصلاة والسلام هي رسالته فقال متماً كلامه: (إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ)، وهذا نص صريح في إثبات رسالة المسيح وإثبات بشريته، وهو دليل لنا لا لهم، وكأنّ المسيحيين لا يميزون بين الدليل الذي لهم وبين الدليل الذي عليهم، فالمسيح لم يقل أكرموني لأنّي الله، ولا لأنّي مساوٍ لله في اللاهوت، بل إكرامه كان لأنّه رسول الله تعالى، ثم زاد ذلك بياناً وتوضيحاً حين بيّن أَنَّ السعادة الحقيقية في طاعته عليه الصلاة والسلام، وفي الإيمان بالله تعالى، ولم يقل لهم: (إِنَّ السعادة في الإيمان بالثالوث والتجسد والفداء)، ولم يقل: (إِنَّ السعادة في عبادتي)، بل إنّه ما أمر أتباعه بعبادته قط، وكأنّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يعلم ما سوف يقوله الناس به، فبيّن الإشكال في وقت البيان.

٣. الرد على دليل تقديم العبودية للمسيح عليه الصلاة والسلام:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما جاء من أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام موضوع الإيمان، فقد قال المسيح عليه الصلاة والسلام عن نفسه: (الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ)^(٢)، وأنّ المسيح عليه الصلاة والسلام هو موضوع المحبة، فقد قال يوحنا عن المسيح عليه الصلاة والسلام: (نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبُّنَا أَوْلَاً)^(٣)، وأنّ المسيح هو موضوع الاستشهاد فقد قال المسيح عليه الصلاة والسلام: (مَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدْهَا)^(٤)، وليس في هذه النصوص أي دليل على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام لأنّ هذه الحقوق واجبة للمسيح وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فالإيمان بنبوة المسيح وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سبب للسعادة الأخروية، ومحبة المسيح عليه الصلاة والسلام هي علامة على محبة الله تعالى الذي أرسله، وإضاعة الحياة في سبيل إتباع المسيح وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واجب؛ لأنّهم لا يأمرّون إلا بما أمر به الله تعالى، عليه فليس

(١) يوحنا (٢٤/٥-٢٥).

(٢) يوحنا (٤٧/٦).

(٣) رسالة يوحنا الأولى (١٩/٤).

(٤) متى (٣٧/١٠).

في هذه النصوص أي دليل على ألوهيته.

أما ما جاء من أن المسيح عليه الصلاة والسلام موضوع العبادة حيث قال بولس: (فَلَوْ كُنْتُ بَعْدُ أَرْضِي النَّاسَ لَمْ أَكُنْ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ)^(١)، فالجواب عليه: جاء في دائرة المعارف الكتابية أن العبودية في الكتاب المقدس تطلق على من امتلاك إنسان لإنسان آخر، يجعل منه عبداً خاضعاً منقاداً له، لا يملك من أمر نفسه شيئاً، ويكون هذا بامتلاك الحقيقي حيث كان الناس يحصلون على العبيد من أسرى الحروب، أو بالبيع والشراء للعبيد وغير ذلك من الطرق التي كانت سائدة قديماً، وفي هذه الحالة فليس للعبد من أمره شيء، فهو يباع ويشترى مثل أي سلعة تجارية، وأمره كله بيد سيده^(٢)، ويعبر مجازاً عن وجوب طاعة أي إنسان، ووجوب اتباع أمره بالعبودية، فليست العبودية بهذا المعنى خاصة بالمسيح عليه الصلاة والسلام وحده، والدليل على ذلك قول النبي داود عليه الصلاة والسلام لأخيش حين قاله له أخيش: (اعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ سَتَخْرُجُ مَعِيَ فِي الْجَيْشِ أَنْتَ وَرِجَالُكَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِأَخِيْشَ: لِيَذَلِكَ أَنْتَ سَتَعْلَمُ مَا يَفْعَلُ عَبْدُكَ. فَقَالَ أَخِيْشُ لِدَاوُدَ: لِيَذَلِكَ أَجْعَلُكَ حَارِساً لِرَأْسِي كُلِّ الْيَّامِ)^(٣)، فهنا جعل النبي داود عليه الصلاة والسلام نفسه الكريمة عبداً لأخيش، وهو لا يقصد بذلك العبودية التي تقدم لله تعالى، بل يقصد كمال طاعته والامتثال لأمره، وعليه فليس المقصود من العبودية للمسيح عليه الصلاة والسلام ألوهية المسيح، بل المقصود من ذلك كمال الطاعة للمسيح عليه الصلاة والسلام، وهذا واجب له كنبى، ولا دليل فيه على ألوهيته.

٤. الرد على دليل التعميد باسم المسيح عليه الصلاة والسلام مقترناً باسم الآب:

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما جاء من أمر المسيح لهم في أن يعمدوا الناس باسمه مقترنَ باسم الآب، حيث قال المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالِابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ)^(٤)، وقبل أن نبدأ بالرد على هذه الشبهة لا بد من أن نبيّن معنى التعميد، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس أن المعمودية هي: "طقس ديني كان معروفاً قبل المسيح، فأخذه وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية، حتى إذا استعمل الماء باسم الثالوث الأقدس صار علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة، واستجد لمن اعتمد نسبة خاصة إلى الرب، .. وبواسطة هذه العلاقة يصرح الله الْمُتَعَمِّدَ بغفران الخطية، ومنح الخلاص، ويتعهد الإنسان المعتمد بالطاعة والتكريس لخدمته تعالى"^(٥)، وعليه فإن التعميد هي عبادة يقوم بها المسيحيون للتطهير من الخطيئة، والتكريس لطاعة الله تعالى، والآن بعد أن تعرفنا إلى معنى التعميد، سوف نبدأ بنقض هذه

(١) الرسالة إلى اهل غلاطية (١٠/١).

(٢) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج٥، ص ١٥٩.

(٣) صموئيل الأول (١٠-١/٢٨).

(٤) متى (١٩/٢٨).

(٥) جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج٢، ص ١١٣.

الشبهة، والجواب عليها من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ العطف في اللغة يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه^(١)، فعطف الآب على الابن وعلى الروح القدس يقتضي وجود المغايرة والاختلاف فيما بينهم، في حين أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الآب والابن والروح القدس متحدون في الجوهر واللاهوت، ومتساوون في المجد والكرامة، كما أنَّ العطف في اللغة يقتضي مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في الحكم فقط^(٢)، ولا يلزم من ذلك أن يكون المعطوف والمعطوف عليه متحدين في الجوهر واللاهوت، يقول الجزيري في الرد على من يستدل بهذا النص على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام: "إنَّ اللغة التي يتكلم بها الآن لا تدل على شيء ممَّا يقول مطلقاً، لأنَّ العطف بالواو يقتضي أنَّ المعطوف مشارك للمعطوف عليه في الحكم فقط، .. فإذا قلت: جاء محمد وعلي وموسى؛ كان المعنى: أنَّ علياً وموسى اشتركا مع محمد في المجيء حقيقة، فكل منهما جاء، ومعلوم أنَّ العطف يقتضي المغايرة أيضاً، فلا بد أن يكون علي غير موسى"^(٣)، ويطبق الجزيري القاعدة السابقة على النص فيقول: "فلنطبق هذه القاعدة هنا لنعلم أنَّ الابن والروح القدس يشتركان مع الآب في طلب التعميد باسمهما، وأنَّ روح القدس والابن غير الآب، ولا فرق في الاشتراك بين أن يذكر (الاسم) مفرداً أو جمعاً، مضافاً إلى أحدهم فقط، أو إلى كل واحد منهم، ولا دلالة في العطف على الاشتراك في الماهية، واتحاد المعطوف بالمعطوف عليه، وصيرورتهما شيئاً واحداً، ومن ذا الذي يفهم من قول: أستعين باسم الله والملك والأمير أنَّ الملك والأمير متحدان مع الله في ذاته، ومساويان له في جوهره، وأنَّ الثلاثة شيء واحد"^(٤)، فإذا ثبت أنَّ العطف يقتضي المغايرة والمشاركة في الحكم فقط، فيكون هذا الدليل على المسيحيين لا لهم.

الوجه الثاني: إنَّ اجتماع الثلاثة (الآب وَالْإِبْنِ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ) للتعميد باسمهم لا يدل على ألوهية ثلاثتهم إذ إنَّ معنى: (عَمَدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ)؛ أي تطهروا باسم الله تعالى، واسم النبي الذي أرسله إليكم، واسم الملك المتوسط بين الله تعالى ورسله، يقول محمد البلاغي عن معنى هذه العبارة: "إنَّ المعنى عمدوهم باسم الإله، واسم النبي العبد الصالح صاحب الدعوة مبلغ الرسالة، واسم الروح القدس الملك المتوسط بين الله ورسله في الوحي، ليعترفوا بالإله الواحد، ويصدقوا برسالة النبي ووحيه بواسطة الروح القدس"^(٥)، ويقصد بالابن هنا العبد الصالح البار، وسوف يأتي بيان ذلك عند نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما وُصِفَ به من أنَّه (ابن الله)، وقد

(١) انظر: هذا البحث، ص ٩٤، هامش رقم (٣).

(٢) انظر هذه القاعدة اللغوية: ابن هشام، عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى، ط ١١، (محمد محيي الدين عبد الحميد)، د. ناشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ج ١، ص ٣٠١-٣٠٢. عباس حسن، النحو الوافي، ط ١٥، دار المعارف، د. بلد، د. ت، ج ٢، ص ٣١٤.

(٣) الجزيري، عبد الرحمن، أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام، ط ١، مطبعة الإرشاد، القاهرة، ١٩٣٤م، ص ٢١٧.

(٤) الجزيري، أدلة اليقين، ص ٢١٧.

(٥) البلاغي، التوحيد والتثليث، ص ٦٥.

يكون المعنى المراد من هذا النص أن يطلب المتعمد بركة الله تعالى، وبركة رسوله عليه الصلاة والسلام، وبركة الروح القدس، يقول ابن تيمية: "إنَّ المراد بجمع هذه الألفاظ معاً أن تجتمع لهم بركة الله، وبركة نبيه المسيح، وبركة الروح القدس التي يُؤيد بها الأنبياء والرسل، وقد نراكم إذا أردتم الدعاء بعضكم لبعض؛ قلتم: صلاة فلان القديس تكون معك، ومعنى الصلاة الدعاء، واسم فلان النبي يعينك على أمورك"^(١)، فالتعميد باسم الابن والروح القدس مقترناً باسم الآب يدل على كرامتهما وعلو منزلتهما عند الآب، ولا يدل على ألوهيتهما.

خامساً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما ورد من وصف المسيح بأنه ابن الله^(٢)

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بأنه وُصف (ابن الله) في عدة نصوص، ويعد هذا الدليل من أقوى الأدلة التي يستدلون بها على ألوهية المسيح، والجواب على ذلك من وجوه عدة أبرزها:

الوجه الأول: لا يمكن أن يكون المراد من استخدام كلمة (ابن) المعنى الحقيقي الجسدي، فالبنوة الحقيقية الجسدية تقتضي تجسد الآب، والمسيحيون لا يقولون بتجسد الآب، ناهيك عن أنَّ المتجسد مركب يحتاج من يركبه، فمن ركه أولى بالألوهية منه، ويلزم عن ذلك الدور^(٣) أو التسلسل^(٤)، وكلاهما محال عقلاً، والمتجسد ناقص، والناقص لا يكون إلهاً، وإن لم تكن البنوة هنا بنوة جسدية حقيقية فلا بد من النظر فيما تحتمله الكلمة من معانٍ أخرى؛ إذ هي من الكلمات المتشابهة التي لا بد من ردها إلى المحكم، والمسيحيون يوافقوننا على هذا، فهم لا يأخذون البنوة على معناها الحقيقي الجسدي.^(٥)

الوجه الثاني: يرى الهندي أنَّ إطلاق هذه الكلمة معارض بإطلاق وصف (ابن الإنسان) للمسيح عليه الصلاة والسلام كما بيّن الباحث ذلك سابقاً^(٦)، وبإطلاق وصف (ابن داوود) للمسيح عليه الصلاة والسلام^(٧)، كما جاء في سلسلة نسب المسيح عليه الصلاة والسلام، فلا بد من تأويل كلمة (ابن الله) حتى لا يلزم منها محال^(٨)، وهو اجتماع النقيضين: ابن إنسان وابن لا إنسان (أي ابن الله)، وكذلك ابن إله (الله) وابن لا إله (الإنسان)، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج٢، ص٥٧.

(٢) انظر: هذا البحث، ص٥٨.

(٣) الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى: الدور المصرح، كما يتوقف "أ" على "ب"، وبالعكس، أو بمراتب، ويسمى: الدور المضمّر، كما يتوقف "أ" على "ب"، و "ب" على "ج"، و "ج" على "أ". انظر: الجرجاني، التعريفات، ص١٠٥.

(٤) التسلسل: هو ترتيب أمور غير متناهية. انظر: الجرجاني، التعريفات، ص٥٧.

(٥) انظر: هذا البحث، ص٢٨.

(٦) انظر: هذا البحث، ص١٠٦-١٠٨.

(٧) انظر إطلاق هذا اللفظ على المسيح عليه الصلاة والسلام مثلاً في: متى (٢٧/٩)، و (٢٢/١٥)، و (٩/٢١)، ومرقس (٤٧/١٠)، ولوقا (٣٨/١٨).

(٨) الهندي، إظهار الحق، ج٣، ص٧٥٢.

وإذا ثبت أنَّ وصف (ابن الله) لا يمكن أن يفهم على معناه الحقيقي فلا بد من البحث عن المعنى المناسب له، وأفضل ما يرشدنا إلى المعنى المراد من هذه الكلمة هو الكتاب المقدس، فقد جاء في دائرة المعارف الكتابية أنَّ كلمة (ابن) تستخدم في عدة معانٍ منها: الدلالة على التوقير والاحترام بصرف النظر عن رابطة الدم، فقد كان على الأبناء أن يقدموا أعظم التوقير والاحترام لوآديهم مع كامل الطاعة، حتى أنَّ الناموس أمر بقتل كل من ضرب أحد والديه أو شتمهما: (وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا) الخروج (١٥/٢١)، والابن المعاند أو المتمرد كان يرحم حتى الموت، تثنية (١٨/٢١).^(١)

فإذا ثبت استحالة أخذ كلمة (ابن الله) على المعنى الظاهري، وكان أحد المعاني لكلمة ابن في الكتاب المقدس هو الذي يحترم ويوقر غيره، بغض النظر عن رابطة الدم، فيكون هذا هو المعنى الذي يناسب إطلاق هذه الكلمة على المسيح عليه الصلاة والسلام، يقول الإمام الغزالي: "وأما الابن فوصفه أن يكون موقراً لأبيه معظماً له، شديد الحياء منه، ممتثالاً لأوامره، ملاقياً لها بالإجلال والتعظيم وعدم المخالفة، .. ثم توقير الأنبياء لله وحيائهم منه، وانقيادهم لأوامره، .. وإجلالهم له أعظم من صنيع الأبناء مع آبائهم، فهو لهم أرحم أب، وهم له أبر ولد"^(٢)، فمن هذا الوجه صحَّ إطلاق كلمة ابن الله على المسيح عليه الصلاة والسلام، وبوافقنا على هذا التأويل عالم التاريخ المسيحي شارل جينبير حيث يرى أنَّ أصل كلمة (ابن الله) هو كلمة (عبد الله)، ولكنَّ كلمة (عبدالله) - التي كثيراً ما كان المسيح يقولها واصفاً بها نفسه الكريمة - كان يمكن أن تترجم إلى كلمة (طفل) أو إلى كلمة (خادم)، ولكن اختار كتبة الكتاب المقدس ومترجميه أن يترجموا كلمة (عبدالله) بكلمة: (طفل الله)، ويرى شارل جينبير أنَّ هذه الترجمة كان لها أثر كبير وهائل في المسيحية، وفي الفكرة الدينية عن صورة الإله في المسيحية.^(٣)

الوجه الثالث: أنَّ الباحث قام بتتبع نصوص العهد الجديد فوجد تعدد الأوصاف للمسيح عليه الصلاة والسلام في النص الواحد من إنجيل إلى آخر؛ فمثلاً جاء في إنجيل مرقس لمَّا صلب المسيح - كما يعتقد المسيحيون - صرخ المسيح وأسلم الروح، فقال القائد الذي صلب المسيح عليه الصلاة والسلام: (حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنُ اللَّهِ!)^(٤)، بينما جاءت هذه القصة نفسها في إنجيل لوقا ولكن قال القائد فيها عن عن المسيح: (بِالْحَقِّيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا!)^(٥)، يقول سعد رستم: "فما عبَّر عنه مرقس في إنجيله بعبارة (ابن الله) عبَّر عنه لوقا بعبارة (باراً) ممَّا يُبيِّن أنَّ المراد من عبارة ابن الله ليس إلا كونه باراً صالحاً"^(٦)، فلو كان معنى (ابن الله) أنَّ المسيح هو الله، أو أنَّه مساوياً لله تعالى في الطبيعة والجوهر، أو أو كان لها أي معنى لاهوتي؛ لما صحَّ أن يستخدم لوقا كلمة (بار) بدلاً من كلمة (ابن الله)، فهذا يدل

(١) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص ٣٧.

(٢) الغزالي، الرد الجميل، ص ٧٤.

(٣) انظر: جينبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص ١٣٥.

(٤) مرقس (٣٩/١٥).

(٥) لوقا (٤٨/٢٣).

(٦) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١١٦.

دلالة قطعية على أن لوقا يعد كلمة ابن الله مساوية لكلمة بار، وهذا حجة على المسيحيين؛ إلا إذا كانوا يعدون لوقا جاهلاً بلاهوت المسيح، فإن أقروا بأنه أخطأ في هذا، فيلزم عنه احتمال الخطأ في غير ذلك من نصوص، فيبطل بذلك استدلالهم بالإنجيل، لأنّ الدليل إذا طرأ عليه الاحتمال بطل به الاستدلال، ولكن إنجيل لوقا معتمد عندهم إذا لا بد من القول بأن كلمة (بار) هي مرادفة لكلمة (ابن الله) موضحة لمعناها.

الوجه الثالث: أن كلمة (ابن الله) لم يوصف بها المسيح عليه الصلاة والسلام وحده، بل إن الكتاب المقدس ذكر هذا الوصف لغير المسيح عليه الصلاة والسلام؛ وجاء ذلك في عدة نصوص منها: قول الله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام: (فَنَقُولُ لِإِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبُكْرُ)^(١)، قول الله تعالى لنبيه داوود عن ابنه النبي سليمان عليهما السلام: (أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبَا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا)^(٢)، وقد وُصِفَ بنو إسرائيل أنهم أولاد الله تعالى، في قول النبي موسى عليه الصلاة والسلام لنبي إسرائيل: (أَنْتُمْ أَوْلَادُ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ)^(٣)، وقول الله تعالى لنبيه هوشع عليه الصلاة والسلام: (يَكُونُ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمَلِ الْبَحْرِ ... يُقَالُ لَهُمْ: أَبْنَاءُ اللَّهِ الْحَيِّ)^(٤)، وفي نسب المسيح عليه الصلاة والسلام جاء أنه: (ابْنُ يَوْسُفَ، بِنِ هَالِي، بِنِ مَتْنَاتٍ) ثم ذكر النسب إلى أن قال: (بِنِ أَنْوَشَ، بِنِ شَيْتَ، بِنِ آدَمَ، ابْنِ اللَّهِ)^(٥).

ففي هذه النصوص وغيرها وُصِفَ كل من: النبي آدم، والنبي يعقوب (إسرائيل)، والنبي سليمان عليهم السلام بأنهم أبناء الله تعالى، بل وُصِفَ بنو إسرائيل كلهم بأنهم أبناء الله تعالى وأولاده، فهل هذا دليل على ألوهيتهم أيضاً، فإذا لم يكن وصفهم بابن الله دليلاً على ألوهيتهم، فلماذا كان دليلاً على ألوهية المسيح دون غيره ممن وُصِفَ بهذا الوصف؟! وما هو الفرق بين قول الكتاب المقدس عن النبي آدم عليه الصلاة والسلام بأنه (ابن الله) وقوله عن المسيح عليه الصلاة والسلام بأنه (ابن الله)؟! فإذا كانت نسبة البنوة إليهما كما يظهر من النصوص واحدة، فلماذا فرقت بينهما فحملتم البنوة على الألوهية في حق المسيح عليه الصلاة والسلام وعلى الكرامة في حق غيره؟! أليس في ذلك اتباع للنفس والهوى وتحريف للكلام عن مواضعه؟! للكلام عن مواضعه؟! للكلام عن مواضعه؟!

ومن الجدير بالذكر أن المسيح عليه الصلاة والسلام قد أطلق هذا الوصف على تلاميذه، بل وأطلقه على كل بار، إذ قال عليه الصلاة والسلام: (طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ)^(٦)، وقال: (أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ

(١) الخروج (٢٢/٤).

(٢) صموئيل الثاني (١٢/٧-١٤).

(٣) التثنية (١/١٤).

(٤) هوشع (١٠/١).

(٥) لوقا (٣٨-٢٣/٣).

(٦) متى (٩/٥).

وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ^(١)، وقال: (أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرَبُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ)^(٢).

فلو أخذنا النصوص على ظاهرها كما يفعل المسيحيون بالنصوص التي يستدلون بها علينا، فإننا لا نرى حال المسيح عليه الصلاة والسلام إلا كحال أي ابن وحيد لأبويه، وما نراه إلا حريصاً على زيادة عدد إخوانه من الآلهة، ولا أدري ما السبب في ذلك؟! أهو الشعور بالوحدة؟! فهو الابن الوحيد لله! أم هو الحاجة إلى المساعدة؟! فقد يكون قد أثقل كاهله من كثرة المهام التي ألقاها أبوه عليه فأحب أن يكون له إخوة يسندون ظهره عندما يحتاج إليهم! لذلك نرى المسيح يطمع في زيادة عدد أبناء الله! ويحرص على زيادة الآلهة! ولكن كيف يصبح الواحد منا ابناً لله وبالتالي ينال الألوهية؟! إن الأمر سهل وميسور للجميع! فما على الإنسان إلا أن ينفذ أوامر المسيح وعندها يرتقي من بين البشر إلى صفوف الآلهة ويصبح ابناً لله تعالى، قال يوحنا عمّن آمن بالمسيح عليه الصلاة والسلام وقبل به: (أَمَّا الَّذِينَ قَبَلُوهُ وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ فَقَدْ مَكَّنَهُمْ أَنْ يَصِيرُوا أَبْنَاءَ اللَّهِ: فَهُمْ الَّذِينَ لَا مِنْ دَمٍ وَلَا مِنْ رَغْبَةِ لَحْمٍ وَلَا مِنْ رَغْبَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ وَلِدُوا)^(٣)، فهذا النص صريح في أن كل من آمن بالمسيح فهو مولود من الله تعالى.

الوجه الرابع: إن استخدام كلمة (الابن والولد) بالمعنى المجازي هو من الاستخدامات الشائعة في كل لغة، فاللغة تقول: هذا ابن أحمس، هذا ابن أحمس، وهذا ابن أحمس: للرجل المتكلم الفصيح صاحب الحجة^(٤)، وهذا ابن غبراء: للفقير الذي لا مأوى له غير الأرض وترابها، ويقال للمسافر: ابن سبيل^(٥)، ومن المعلوم يقيناً أن المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ غير مراد قطعاً، بل المراد المعنى المجازي لها، وجاء مثل ذلك في العهد الجديد حيث سمى المسيح عليه الصلاة والسلام أهالي أورشليم بـ: (أَوْلَادَ الْأَفَاعِي)^(٦)، (الْأَفَاعِي)^(٦)، وأطلق المسيح عليه الصلاة والسلام على أهل هذه الدنيا عبارة: (أَبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ)^(٧)، وفي كل هذه العبارات ليس المقصود المعنى الحقيقي، بل المقصود المعنى المجازي^(٨)، فالناس يطلقون على من يحبون كلمة (ابني أو ولدي) ولا يقصدون بها المعنى الحقيقي، وهذا الأمر معروف عند الناس، يقول الرّسّي^(٩): "ومن تأويل ما ذكروا من الولد والابن، في زمن المسيح، وكل زمن، أن الناس لم يزلوا

(١) متى (٤٤/٥-٤٥).

(٢) لوقا (٣٥/٦).

(٣) يوحنا (١٢/١).

(٤) انظر: الزمخشري، محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، ط ١، (تحقيق محمد باسل)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٧٩.

(٥) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٠٤.

(٦) متى (٢٣/٣٣).

(٧) لوقا (٢٠/٣٤).

(٨) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٢٥.

(٩) هو القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي، أبو محمد، فقيه، شاعر، وهو من أئمة الزيدية، وهو شقيق ابن طباطبا، له عدة مؤلفات، منها: (الرد على ابن المقفع)، و(العدل والتوحيد)، ولد سنة ١٦٩هـ، وتوفي سنة ٢٤٦هـ، في الرس على ستة أميال من المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ١٧١.

يزالوا يدعون ابناً وولداً من تبنوا وأحبوا وخصّوا عندهم، وإن لم يكن من طريق التناسل ولدهم، ثم لم يزل لديهم معروفاً قديماً وحديثاً، ولا سيما في القدماء من أهل العلم والحكماء، فكان الحكيم منهم يقول: يا بني لمن علّمه.^(١)

وكما تطلق كلمة (ابن الله) مجازاً على البار، كذلك تطلق كلمة (ابن إبليس أو ابن الشيطان) على العاصي، فقد قال بولس للساحر: (أَيُّهَا الْمُتَمَلِّئُ كُلَّ غِشٍّ وَكُلَّ خُبْثٍ! يَا ابْنَ إِبْلِيسَ! يَا عَدُوَّ كُلِّ بَرٍّ!)،^(٢) فهنا أطلق بولس كلمة (ابن إبليس) على الساحر، لأنّه منقاد لما يأمره إبليس من المعصية.

الوجه الخامس: إذا أردنا أن نفسر النصوص بالمعنى الحرفي لها، كما يفعل المسيحيون، فإنّ المسيح هو ابن الروح القدس، لا ابن الله؛ لأنّه تجسد منه، لا من الآب، فقد جاء في إنجيل متى عندما ذكر قصة ميلاد بالمسيح عليه الصلاة والسلام أنّ مريم العذراء عليها السلام: (وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ)^(٣)، يقول القرافي: "إن كان المسيح عليه الصلاة والسلام تجسد من الروح، فهو متولد من الروح، الروح، فهو ابن الروح لا ابن الله تعالى، فكذبوا في قولهم إنّه ابن الله."^(٤)

الوجه السادس: إنّ المسيحيين يعتقدون أنّ موت المسيح عليه الصلاة والسلام كان بالناسوت- من حيث أنّه ابن إنسان- لا باللاهوت- من حيث أنّه ابن الله-، فإنّ اللاهوت أزلي أبدي لا يمكن أن يموت أو يفنى، في حين أنّ يوحنا بيّن أنّ موت المسيح عليه الصلاة والسلام كان باللاهوت فقال: (لأنّه هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ)^(٥)، فالنص صريح في أنّ الذي مات هو ابن الله أي لاهوت المسيح (الإله المتجسد) وهذا محال، ولا يمكن الخروج من هذا المحال إلا إذا فسرنا البنوة بالمحبة والمنزلة الرفيعة، فإذا كان معنى (ابن الله) أي المحبوب عند الله تعالى فلا يكون هناك أي إشكال في موته، أمّا إذا أصر المسيحيون على أنّ البنوة هنا البنوة الحقيقية، وبالتالي فهي تدل على ألوهية المسيح فهذا النص يلزمهم أن يقولوا بموت ربهم وإلههم- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

وهنا يحق لنا أن نوجه للمسيحيين بعض الأسئلة التي سألتها لهم ابن قيم الجوزية^(٦) فقال: "أخبرونا "أخبرونا من كان المُمسك للسموات والأرض حيث كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب؟! وقد شدد يده ورجلاه بالحبال، وسمرت اليد التي أتقنت العوالم؟! فهل بقيت السموات والأرض خلواً

(١) الرّسي، القاسم بن إبراهيم (ت ٢٤٦هـ)، الرد على النصارى، ط ١، (تحقيق إمام حنفي عبدالله)، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٤٦.

(٢) أعمال الرسل (١٠/١٣).

(٣) متى (١٨/١).

(٤) القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ١١٦.

(٥) يوحنا (١٦/٣).

(٦) هو محمد بن أبي بكر الزُّرعي الدمشقي، شمس الدين، من تلاميذ ابن تيمية، له عدة كتب، منها: (إعلام الموقعين)، (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة)، و(الفوائد)، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٥٦.

من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم؟! أم تقولون: استخلف على تدبيرها غيره، وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب..! أم تقولون: كان هو المدبر لها في تلك الحال، فكيف وقد مات ودفن؟^(١) فإذا ثبت أن موت الإله محال، فيكون ما أدى إلى المحال محال، فثبت استحالة فهم البنوة على المعنى الحقيقي، وهو المطلوب.

لكن قد يعترض علينا المسيحيون فيقولون: إنَّ المسيح سُمِّيَ بـ(الابن الوحيد)، وهذا يدل على تميز بنوته عن بنوة غيره من المؤمنين، فبنوة سائر المؤمنين كانت بسبب المحبة، أمّا بنوة المسيح فكانت بسبب اتحاده مع الله في الجوهر والطبيعة^(٢)، **والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:**

الوجه الأول: أنَّ عبارة (الابن الوحيد) ليس المقصود منها المعنى الحقيقي، وهو الانفراد والوحدانية الحقيقية، بل المقصود منها المكانة العالية والمنزلة الرفيعة، والدليل على ذلك كما بين رستم أنَّ الله تعالى لمّا امتحن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال له: (يَا إِبْرَاهِيمُ. فَقَالَ: هُنَذَا. فَقَالَ: خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَادْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرْيَا)، التكوين (٢/٢٢)، فأطلق الكتاب المقدس على النبي إسحاق كلمة الابن الوحيد، مع أنَّه كان النبي إسماعيل قد ولد للنبي إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، والدليل على ذلك ما جاء في سفر التكوين: (فَوَلَدَتْ هَاجَرُ لِأَبْرَامَ ابْنًا. وَدَعَا أَبْرَامُ اسْمَ ابْنِهِ الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ. كَانَ أَبْرَامُ ابْنِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لِأَبْرَامَ)، التكوين (١٥/١٦)، ثم ذكر سفر التكوين أنَّه لمّا بلغ النبي إبراهيم مئة سنة بشر بولادة النبي إسحاق عليهما السلام، التكوين (١٥/١٧-٢٠)، وعليه لم يكن النبي إسحاق هو الابن الوحيد للنبي إبراهيم عليهما السلام بالمعنى الحقيقي، مما يدل على أنَّ تعبير (الابن الوحيد) لا يراد منه المعنى الحقيقي، بل يقصد به المكانة الرفيعة والمحبة الكبيرة.^(٣)

الوجه الثاني: إنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام سُمِّيَ بـ(الابن الوحيد) لعلّة وقتية وقد زالت تلك العلّة التي سُمِّيَ من أجلها بـ(الابن الوحيد)، وذلك لأنَّه عليه الصلاة والسلام لمّا كان في أول رسالته ما كان هناك أحد من اليهود باراً ولا عارفاً بالله تعالى غيره عليه الصلاة والسلام، يقول العلمي: " قيل عن المسيح (وحيد) في أول إرساله، بالوقت الذي لو يكن سواء مستقيماً وباراً وكاملاً حسب الوصية، فهو إذ ذاك كان (وحيداً) في ذلك، وحيداً في معرفة المعاني الصحيحة للعهد العتيق، خلافاً لأفهام مفسري اليهود، وحيداً في الإصلاح، وإبطال التقاليد، والرجوع بالقوم إلى نصوص الشريعة الأصلية، وحيداً في معرفة المعاني الروحية، .. وحيداً في معرفة الله حقَّ معرفته، كما قال: (أَيُّهَا الْآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ) يوحنا (٢٥/١٧)، وقال: (وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الْإِبْنُ إِلَّا الْآبُ، وَلَا مَنْ هُوَ

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ط ٤، (تحقيق أحمد السقا)، المكتبة القيمة، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ص ٢٢٣.

(٢) انظر هذا الاعتراض: البابا شنودة الثالث، لاهوت المسيح، ص ٢٢.

(٣) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٢٦.

الآبُ إِلَّا الْإِبْنُ) لوقا (٢٢/١٠)، فكان المسيح في مبدأ بعثته لليهود وحيداً في هذه المعاني الجليّة، ثم بعدما عمّت تعاليمه وفُهمت حقّ الفهم، صار الكل مشاركين فيما توحّد به أولاً.^(١)

إذاً فالمسيح عليه الصلاة والسلام كان ابناً وحيداً في أول الدعوة قبل دخول أحد في دعوته الكريمة، فلمّا صار له أتباع بارثولوماء وعارفون بالحقائق الدينية، لم يعد ابناً وحيداً، والدليل على ذلك أنّ المسيح كان يُبيّن أنّه وحده العارف بالله تعالى، وأنّه سوف يعرف من آمن به بالله تعالى ليحصل على محبة الله تعالى، فقال: (أَيُّهَا الْآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهَؤُلَاءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَفْتُهُمْ اسْمُكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْخُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ)^(٢)، وقال: (وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الْإِبْنُ إِلَّا الْآبُ، وَلَا مَنْ هُوَ الْآبُ إِلَّا الْإِبْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنُ أَنْ يُغْلِنَ لَهُ)^(٣)، وكان المسيح عليه الصلاة والسلام يُبيّن لتلاميذه أنّ اتباع تعاليمه عليه الصلاة والسلام يجعلهم أبناء الله تعالى، فقال: (طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ)^(٤)، وتأكيداً لما سبق فقد بيّن المسيح عليه الصلاة والسلام أنّ من بفعل مشيئة الله تعالى فهو أخوه فقال: (مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي)^(٥)، فلو كان المسيح ابن الله لاتحاده معه في الجوهر وأزليته مع الله في الوجود، لمّا صحّ أن يقول لمن يفعل مشيئة الله تعالى أنّه ابن الله وأخ للمسيح، لأننا إن فرضنا جدلاً أنّ بنوة المسيح تعني الاتحاد مع الآب في الجوهر، والأزلية في الوجود، فعندها يستحيل أن يتحول أي إنسان إلى ابن الله؛ أي أن يصبح متحداً مع الله في الجوهر، وأزلياً مع الله في الوجود، لأنّ هذا يؤدي إلى قلب الحقائق، فينقلب الحادث^(٦) (الإنسان الذي فعل مشيئة الله تعالى) إلى قديم^(٧) (أزلي في الوجود لأنّه صار ابن الله) وهذا محال، وما أدى إلى المحال فهو محال، والذي أدى إلى هذا المحال هو تفسير بنوة المسيح على معنى ألوهيته، وبذلك ثبت أنّ تفسير بنوة المسيح على معنى الألوهيته محال.

الوجه الثالث: وإن فرضنا جدلاً أنّ المسيح عليه والسلام قد اختص بلقب الابن الوحيد فإنّ الله تعالى قد سمّى نبيه يعقوب وأفرايم ابن النبي يوسف عليهما السلام بـ(الابن البكر)، فقد قال الله تعالى قال للنبي موسى عليه الصلاة والسلام: (فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبَكْرُ)^(٨)، وقال الرب أيضاً: (أَنَا أَبُ إِسْرَائِيلَ وَأَفْرَايِمُ بَكْرُ لِي)^(٩)، ويرى العلمي أنّ لقب (الابن البكر) الذي لقب به

(١) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) يوحنا (٢٥/١٧-٢٦).

(٣) لوقا (٢٢/١٠).

(٤) متي (٩/٥).

(٥) متي (٥٠/١٢).

(٦) الحادث: ما يكون مسبوقاً بالعدم. انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٨١.

(٧) القديم: هو الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره، وهو كون الشيء غير مسبوق بالعدم، وقيل هو: ما لا أول له

ولا آخر، انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ١٧٢.

(٨) الخروج (٢١/٤-٢٣).

(٩) إرميا (٩/٣١).

النبي يعقوب لا يقل أهمية عن لقب (الابن الوحيد) الذي لقب به المسيح^(١)، وذلك لأنَّ البكر في اللغة: من من بَكَرَ وأبكر؛ بمعنى؛ تقدَّم، ويطلق على أول ولد للأبوين: بكر؛ لأنَّه تقدَّم أخوته في المجيء إلى الدنيا^(٢)، فإذا أخذنا النص على معناه الحرفي يكون النبي يعقوب هو الابن الأول لله تعالى، وتكون بنوته قبل بنوة المسيح، وهذا يتعارض مع اعتقاد المسيحيين أنَّ بنوة المسيح بنوة أزلية، فكيف تكون بنوة المسيح أزلية، مع كون بنوة النبي يعقوب كانت قبلها، فليس في الوجود الأزلي قبل وبعد، فإذا ثبتت القبلية والبعديّة في البنوة الإلهية بطلت بذلك الأزلية، فتبطل أزلية بنوة المسيح.

أمّا إذا كانت علّة تسميّة المسيح عليه الصلاة والسلام بـ(الابن الوحيد) علّة وقتية بسبب عدم وجود غيره باراً، وعارفاً بالله تعالى في أول رسالته المباركة، فلا يكون هناك أي تعارض بين وصف النبي يعقوب بأنَّه الابن البكر وبين وصف المسيح عليهما السلام بأنَّه الابن الوحيد، من حيث كونهما عارفاً بالله تعالى قبل غيرهما من أمهما.

وبناء على ما سبق فإنَّ بنوة المسيح عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن تفهم على معناها الحقيقي الجسدي ولا الإلهي، بل هي تعبير مجازي عن البر والطاعة والمحبة المتبادلة بين الله والمسيح، يقول الخطيب: "والبنوة التي وردت في الأناجيل كلها من هذا القبيل، تتحدث عن الصلة التي تصل المسيح بالله، وهي صلة البنوة الواقعة تحت رعاية الله وعنايته وعطفه ورحمته، وليست صلة قرابة جسدية أو روحية، ولهذا يجعل تلاميذه والناس جميعاً آخذين بحظهم منها، فهم جميعاً أبناء الله، خلقهم ودبر أمورهم"^(٣)، فالمسيح عليه الصلاة والسلام ابن الله لأنَّه عبد الله، وخضع لأمره، وأطاعه سبحانه، فالبنوة فالبنوة هنا دليل على وصول المسيح إلى أعلى درجات العبودية، لا على حصوله على مقام الألوهية، فإطلاق البنوة على المسيح دليل لنا لا لهم، والله إنَّ المسيحيين لا يفرقون بين الدليل الذي لهم والدليل الذي عليهم، فأين قال المسيح إنَّه إله يعبد؟! أم أين قال المسيح أنا الأقتوم الثاني من أقانيم الثالوث؟! يقول الخطيب: "فليست بنوة المسيح المذكورة في الأناجيل بالتّي تجعل منه ابن الله، ولا الله، لا تجعل منه أقنوماً من الأقانيم الثلاثة، التي تجعل المسيحيّة منها موزعة بينها."^(٤)

فإذا ثبت بطلان البنوة الحقيقية الجسدية والإلهية للمسيح عليه الصلاة والسلام، بطل استدلال المسيحيين بها على ألوهية المسيح، والله الحمد والمنّة.

(١) انظر: العلمي، سلاسل المناظرة، ص ١٠٥.

(٢) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ١٥٨.

(٣) الخطيب، عبد الكريم، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ط ١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٢٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٢١.

سادساً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما ورد من أن الله تعالى أب المسيح^(١)

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما جاء في الكتاب المقدس من أن الله تعالى أب المسيح، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: لا يمكن أن يكون المراد من استخدام كلمة (آب) المعنى الحقيقي الجسدي، بل هي من الكلمات المتشابهة التي لا بد من ردها إلى المحكم، والمسيحيون يوافقوننا على ذلك، فهم لا يأخذون الأبوة بمعناها الحقيقي الجسدي، وقد بدأت الفصل الأول من هذه الرسالة بذكر صفات كمال الله تعالى عند المسيحيين، وهي المحكم الذي يرد إليه المتشابه في حقه تعالى.

الوجه الثاني: إذا ثبت أن كلمة الآب لا يمكن أن تفهم على معناها الحقيقي، فلا بد من البحث عن المعنى المناسب لها، وأفضل ما يرشدنا إليه هو الكتاب المقدس نفسه، لنعرف بأي معنى استخدمها الكتاب المقدس، فقد جاء في دائرة المعارف الكتابية أن كلمة (الآب) تستخدم في عدة معاني منها: الدلالة على المحبة والعناية والرحمة، كما تستخدم أيضاً في الدلالة على صاحب السلطان، فكما أن الآب تطلق على الرحيم والمحب، كذلك تطلق على صاحب السلطان ومن له حق الطاعة، كما تطلق أيضاً على كل من يعلم غيره حرفة معينة^(٢)، فإذا كان من معاني كلمة آب في الكتاب المقدس: الرحيم، والمحب، وصاحب السلطان، ومن له حق الطاعة، ومن يعلم الناس ويرشدهم، فمن هذا الوجه جاز أن يطلق الكتاب المقدس على الله تعالى كلمة (آب)، ويكون هذا هو المعنى المناسب لها، وفي هذا يقول القرطبي^(٣): "ثم لا يبعد أيضاً في التأويل - إن صحَّ عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه كان يطلق على الله لفظ الآب - أن يكون مراده به: أنه ذو حفظ له، وذو رحمة وحنان عليه، وعلى عباده الصالحين، فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم، وهم له في القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار، ويحتمل أن يكون تجوَّز بإطلاق هذا اللفظ على الله تعالى، لأنه معلمه، وهاديه ومرشده، كما يُقال: (المعلم أبو المتعلم)"^(٤)، فمن هذا الوجه صحَّ إطلاق كلمة (الآب) على الله تعالى، فهو أرحم الراحمين، وهو صاحب السلطان على كل الخلق وله حق الطاعة على كل البشر، وهادي البشر ومرشدهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

الوجه الثالث: أن الكتاب المقدس لم يقتصر في ذكر أبوة الله تعالى على المسيح وحده، بل ذكر

(١) انظر: هذا البحث، ص ٥٨.

(٢) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ١، ص ٣٧.

(٣) هو محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الاندلسي، أبو عبدالله، من كبار المفسرين، له عدة كتب، منها: (الجامع لأحكام القرآن)، و(التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة)، و(الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)، توفي في أسبوط بمصر، سنة ٦٧١ هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٣٢٢.

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ)، الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام، دبط، (تحقيق أحمد حجازي)، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٠ م، ج ١، ص ٦٥.

أبوة الله لغير المسيح عليه الصلاة والسلام، إذ قال الله تعالى عن النبي داود عليه الصلاة والسلام: (هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ. إِلَهِي وَصَخْرَةُ خَلَاصِي)^(١)، وبشر الله تعالى نبيه داود بالنبي سليمان عليهما السلام فقال: (أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبَاً وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا)^(٢)، والنبي إشعياء عليه الصلاة والسلام خاطب الله تعالى قائلاً: (أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا مِنْذُ الْأَزَلِ أَسْمُكَ فَادِينَا)^(٣)، يقول رستم: "ففي لغة الكتاب المقدس، درج الأنبياء على عدّ الله تعالى أباهم لا على المعنى الحقيقي، بل على المعنى المجازي، فكَذلك كان مقصود المسيح عليه الصلاة والسلام الذي نشأ على تعاليم الكتاب المقدس، وكان يخاطب اليهود القارئين لذلك الكتاب من استخدامه هذا التعبير بعينه."^(٤)

بل إنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام قد أطلق هذه الكلمة على تلاميذه وأتباعه، فقال: (إِنِّي صَاعِدٌ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ، وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ)^(٥)، وقال: (أَجِبُوا أَعْدَاءَكُمْ .. لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، .. فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاءَكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ)^(٦)، فعلى سبيل المثال قد تكررت كلمة الأب مضافة إلى تلاميذ المسيح عليه السلام في الإصحاح الثامن من إنجيل متى اثني عشر مرة^(٧).

فلما كان المسيح صلوات ربي وتسليماته عليه ينسب أبوة الله تعالى له ولغيره من المؤمنين بنفس النسبة، دلَّ ذلك على أنَّ المعنى المقصود هو المعنى المجازي، وإلا فلو كان يقصد معنى آخر لوجب عليه بيانه، لأنَّه لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تأخير البيان عن وقت الحاجة، إذ أنَّ ذلك يوقع الناس في الحيرة والخطأ في الفهم، فكيف يعرف الناس أنَّ هناك فرقاً بين نسبة الأبوة للمسيح عليه الصلاة والسلام وبين نسبة الأبوة لغيره من التلاميذ والمؤمنين؟! ولو قصد المسيح عليه الصلاة والسلام اختصاصه بأبوة الله تعالى له لعدل عن استعمال هذه الكلمة إلى كلمة أخرى تعطي نفس المعنى، خوفاً من حصول الاشتباه في أهم أصل من أصول دينهم.

الوجه الرابع: أنَّ الكتاب المقدس أطلق هذه الكلمة على الوزير الأعظم إذ قال النبي يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته: (فَالآنَ لَيْسَ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُونِي إِلَى هُنَا بَلِ اللَّهِ. وَهُوَ قَدْ جَعَلَنِي أَبَاً لِفِرْعَوْنَ وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ وَمُسَلِّطًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ)^(٨)، فهنا بيَّن النبي يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أنَّ الله تعالى جعله أباً لفرعون، ثم بيَّن معنى هذه الأبوة حين قال: (وَسَيِّدًا لِكُلِّ بَيْتِهِ)؛ أي سيِّداً واجب الطاعة عند بيت فرعون، وحاكماً لأهل مصر، وقد أطلقت هذه الكلمة على الرئيس الديني، والمعلم، والمرشد، فقد قال ميخا للاوي- وهو رجل دين:- (أَقِمْ عِنْدِي وَكُنْ لِي أَبَاً وَكَاهِنًا، وَأَنَا أُعْطِيكَ عَشْرَةَ شَوَاقِلِ

(١) المزامير (٢٦/٨٩).

(٢) صموئيل الثاني (١٢/٧-١٤).

(٣) إشعياء (١٦/٦٣).

(٤) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٣١.

(٥) يوحنا (١٧/٢٠).

(٦) متى (٤٨/٤٤).

(٧) انظر: متى (١٨).

(٨) التكوين (٨/٤٥).

فَضَّة^(١)، يقول العلمي: "وعليه اصطلاحكم الشائع من قديم حتى الآن، من قولكم لكل ريس ديني: أبونا."^(٢)

فإذا ثبت استحالة تفسير أبوة الله للمسيح على المعنى الحقيقي؛ لا بالمعنى الجسدي ولا بالمعنى الروحي، لأننا عندها سوف نضطر للإيمان بمئات الآلهة ممن نسبت إليهم هذه الأبوة، وهذا باطل حتى عند المسيحيين، بل إن نسبة الأبوة إلى المسيح عليه الصلاة والسلام هي دليل على وصول المسيح إلى أعلى درجات العبودية، لا على حصوله على مقام الألوهية، فهي تعني أن الله تعالى رحيم به، راع له، قائم على ما يصلحه، وله عليه حق الطاعة، وواجب العبودية، وهي لا تدل على أن المسيح مساوي لله تعالى، ولا أنه صار ابناً حقيقياً لله تعالى، وعليه فقد بطل الاستدلال بأبوة الله تعالى للمسيح على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، والله الحمد والمنة.

سابعاً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما ورد من نصوص تفيد مساواته بالله تعالى واتحاده به^(٣)

يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام ببعض النصوص التي توهم في ظاهرها المساواة بين الله تعالى وبين المسيح، واتحاد الله تعالى بالمسيح، وهذه النصوص هي:

النص الأول: قول المسيح عليه الصلاة والسلام لليهود: (أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ)^(٤)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أن هذا النص يجب تأويله حتى عند المسيحيين، لأننا لو أخذنا النص على ظاهره لكان معناه أن الآب هو المسيح، والمسيح هو الآب، وهذا لا يقول به المسيحيون، بل هم يقولون أن الآب والمسيح واحد في الجوهر متمايز في الأقنوم، أما هذا النص فيدل بظاهره على الوحدة من كل جانب، وهذا باطل عند المسيحيين، لذلك وجب تأويله.

الوجه الثاني: لكي نفهم المراد من هذا النص فلا بد من العودة إلى السياق الذي جاء فيه هذا النص، وهو: (وَكَانَ عِيدُ التَّجْدِيدِ فِي أُورُشَلِيمَ، .. وَكَانَ يَسُوعُ يَتَمَشَّى فِي الْهَيْكَلِ ..، فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: إِلَى مَتَى تَعْلَقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهراً. أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. الْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي. وَلَكِنَّكُمْ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي، كَمَا قُلْتُ لَكُمْ. خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطُفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ. فَتَنَاولَ الْيَهُودُ أَيْضاً حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. فَقَالَ يَسُوعُ: أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً أَرِيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي.

(١) القضاة (١٠/١٧).

(٢) العلمي، سلاسل المناظرة، ١١٢.

(٣) انظر: هذا البحث، ص ٥٩.

(٤) يوحنا (٣٠/١٠).

بِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي؟ أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: لَسْنَا نَرْجُكَ لِأَجْلِ عَمَلٍ حَسَنٍ، بَلْ لِأَجْلِ تَجْدِيفٍ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا، أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ إِلَهَةٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، فَالَّذِي قَدَّسَهُ الْآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لِأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللَّهِ؟^(١).

ويشير المسيح عليه الصلاة والسلام بقوله: (أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ)، إلى قول النبي داود عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل: (أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. لَكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ)^(٢)، والآن بعد ذكر السياق كاملاً يظهر لنا أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام حين قال: (أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ)، ظَنَّ اليهود أَنَّهُ يريد بذلك تسوية نفسه بالله تعالى، ففهموا النص على ظاهره، لذلك أرادوا رجم المسيح عليه الصلاة والسلام، ويبين الإمام الغزالي أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام لَمَّا علم أَنَّ اليهود فهموا المعنى الظاهر، وظنوا أَنَّهُ يريد تسوية نفسه بالله تعالى بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُ يقصد المعنى المجازي، ثم استدلَّ لَهُمْ بما جاء في المزمور من وصفهم بأنَّهم آلهة، وهم لم يكونوا آلهة على الحقيقة، بل كان السبب بهذا الوصف هو صيرورة كلام الله تعالى ووحية إليهم، وهو عليه الصلاة والسلام قد شاركهم في ذلك فصار كلام الله تعالى إليه، فجاز له أَنْ يطلق على نفسه مجازاً أَنَّهُ هو والله تعالى واحد، بل هو أولى من اليهود بذلك؛ فما يقوله المسيح عليه الصلاة والسلام وما يأمر به إِنَّمَا هو من الله تعالى؛ لِأَنَّهُ رسوله، وقد صرَّح بذلك حين قال: (فَالَّذِي قَدَّسَهُ الْآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لِأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللَّهِ؟)، فبَيَّنَّ عَلَيْهِ الصلاة والسلام وجه الاتحاد بينه وبين الله تعالى، فهو رسول الله، ولا يقول إلا ما يأمره الله تعالى به، وهو ينفذ أمر الله تعالى، ويتحدث نيابة عن الله تعالى، وهو بتصريحه بالرسالة، وضربه لهم المثل بوصفهم آلهة، يبطل كل احتمال لألوهيته، فكيف لا يأول المسيحيون هذا النص وأمثاله، ويخطبون به خبط عشواء، وصاحب الشريعة قد أوله نفسه؟!^(٣)

الوجه الثالث: أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام يقصد بالاتحاد أيضاً بينه وبين الله تعالى الاتحاد في إرادة الخير للمؤمنين، وتنبيئتهم على الهداية والطاعة، فقد اشترك المسيح عليه الصلاة والسلام مع الله تعالى في ذلك، يقول العلمي: "فقوله: (أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ)، يقصد به في إرادة الخير والهداية لهؤلاء الخراف، وفي عدم مقدرة المظلمين أَنْ يخطفوا الخراف المذكورين، لا من يد الله، ولا من يد المسيح، حيث أَنَّ المسيح أيضاً قوي بربه عز وجل، هذا هو المعنى الذي يرمي إليه كلام المسيح، لِأَنَّهُ إذ نفى أولاً خطف الخراف من يده، ثم نفاه من يد الله، ثم سوى بينه وبين الله، عَلِمَ أَنَّ هذه التسوية هي في موضوع عدم خطف الخراف، لِأَنَّ هذا الوجه هو المذكور في الكلام، فلا يجوز لنا أَنْ نعدل عنه إلى القول بأنَّ هذه التسوية هي في (الجوهر والمجد والمقام)، لِأَنَّ ليس شيء من ذلك مذكوراً في الكلام حتى

(١) يوحنا (١٠/٢٢-٣٦).

(٢) المزمور (٧-٦/٨٢).

(٣) انظر: الغزالي، الرد الجميل، ص ٣٨-٤٠.

نجدله موضع التسوية.^(١)

فهنا وجه الاتحاد بين الله تعالى وبين المسيح عليه الصلاة والسلام في الأغراض والأهداف، لا في الذات والطبيعة والجوهر والمجد، وقد بينَّ المسيح عليه الصلاة والسلام أنَّ عدم قدرة اليهود على غواية أتباعه يرجع إلى كون أتباعه في يده، ثم في يد الله تعالى، فقوته بقوة الله، وسلطانه بسلطان الله، فلو كان المسيح إلهاً لما احتاج إلى الله ليعينه، لأنَّ الإله قوته وسلطانه وقدرته من ذاته، لا من غيره، يقول أحمد ديدات: "السؤال هو: فيم التوحد في العلم بكل شيء؟ في طبيعة كل منهما؟ في اكتمال القدرة؟ كلا! إنهما واحد من حيث القصد والغرض! ذلك أنَّ عندما يتحقق لإنسان الإيمان، فإنَّ عيسى عليه الصلاة والسلام يرجو أن يظل هذا الإنسان الذي تحقق له الإيمان على إيمانه، والله تعالى القدير يحب أيضاً أن يظل هذا الإنسان على الإيمان، فهذه هي الغاية الواحدة، والقصد الواحد، والهدف الواحد للآب والابن والروح القدس."^(٢)

ومن الجدير بالذكر أنَّ القس واين جرودم يؤيدنا على هذا التفسير، حيث قال في رده على من يستدل بهذا النص على أنَّ التعدد بين الأقانيم اعتباري لا حقيقي، فالمسيح هو الآب، والآب هو المسيح: "الآية السابقة: (أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ) جاءت في سياق يؤكد فيه يسوع أنه سينجز كل ما أوكله إليه الآب، ويخلص كل الذين أعطاهم إياه الآب، وتعني أنَّ يسوع والآب واحد في القصد."^(٣)

إذاً فالإتحاد بين الله تعالى والمسيح عليه الصلاة والسلام في أنه نائب يخبر بما يأمره به الله تعالى لأنه رسوله، وفي محبة استقامة المؤمنين وثباتهم على الخير، فهو اتحاد في الغاية والهدف، لا الاتحاد في الذات والطبيعة والجوهر.

الوجه الرابع: أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام لم يكتفِ ببيان الاتحاد بينه وبين الله تعالى، بل بينَّ الاتحاد بينه وبين التلاميذ فقال عليه الصلاة والسلام داعياً الله تعالى: (وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطُّ، بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَيَّ وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي. أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. أَيُّهَا الْآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهَؤُلَاءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَفْتُهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي

(١) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ٢٦٤.

(٢) ديدات، أحمد، المسيح في الإسلام ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح، د.ط، (ترجمة علي الجوهري)، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٧٨.

(٣) جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج ١، ص ٢٠٢.

بِهِ، وَأَكُونُ أَنَا فِيهِمْ^(١)، وهذا النص يقتلع عقيدة الثالوث والتجسد من جذورهما، وبيان ذلك الآتي:

أولاً: أننا إذا أردنا إن نفهم هذا النص على ظاهره- كما يفهم المسيحيون النصوص التي يستدلون بها علينا- فإننا نجد أن المسيح عليه الصلاة والسلام بيّن أنه حال في الله تعالى، وأن الله تعالى حال فيه، حيث قال: (أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ)، ثم بيّن عليه الصلاة والسلام أنه حال في الحواريين فقال: (أَنَا فِيهِمْ)، وبناء عليه فإننا إذا أخذنا بظاهر النص يلزم منه أن الله تعالى حال في المسيح، وأن المسيح حال في الله تعالى، والمسيح كحال في التلاميذ؛ فيكون الله تعالى حال في التلاميذ وفي سائر المؤمنين ضرورة، ويكون عندها كل أتباع المسيح عليه الصلاة والسلام آلهة، وهذا باطل عند المسيحيين ومحال، وما أدى إلى المحال فهو محال، فيكون اعتقاد الاتحاد والحلول الحقيقيين بين الله تعالى والمسيح عليه الصلاة والسلام باطلاً ومحالاً.

ثانياً: بيّن المسيح عليه الصلاة والسلام في هذا النص سبب الوحدة بينه وبين الله تعالى حين قال: (أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي)، فسبب الوحدة أنه رسول الله تعالى، لا يريد إلا ما يريد الله تعالى، ولا يأمر إلا بما يأمر به الله تعالى، ولا يحب إلا ما يحب الله تعالى؛ لا لأنه أحد الأفانيم الإلهية، ولا لأنه ابن الله الروحي، وقد أكد المسيح عليه الصلاة والسلام رسالته في هذا النص ثلاث مرات، فهو يطلب الوحدة التي تعني محبة الهداية للناس من أجل أن يؤمنوا برسالته؛ لأنّ الناس الذين آمنوا برسالة المسيح عليه الصلاة والسلام حصلوا على محبة الله تعالى: (وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَيَّ وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي).

ثالثاً: بيّن المسيح عليه الصلاة والسلام أن سبب محبة الله تعالى له أنه رسول الله، ينفذ أمره، ويبلغ رسالته، لا لأنه ابن الله الأزلي الذي ولد من الله تعالى لأنّ طبيعة الله محبة، ولا لأنه متحد مع الله تعالى في الجوهر واللاهوت، ومما يؤكد أن محبة الله تعالى للمسيح هي أن المسيح رسول الله تعالى، سؤال المسيح عليه الصلاة والسلام الله تعالى أن يعطي هذه المحبة للتلاميذ والمؤمنين، فلو كان سبب المحبة وحدة الجوهر لما صحّ أن يطلب المسيح من الله تعالى أن يعطي هذه المحبة للمؤمنين، إلا إذا كان المسيح يريد بذلك أن يصبح المؤمنون مثله؛ أي أن يصبحوا أبناء الله، ويصبحوا متحدين مع الله في الجوهر، ليحبهم الله تعالى، وهذا محال؛ لأنّ يؤدي إلى قلب الحقائق فتحول الحادث إلى قديم، ويتحول المخلوق إلى خالق.

رابعاً: بيّن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قد أعطى مجده للمؤمنين به، والمقصود بالمجد: الكرامة والسؤدد والكمال، والمسيحيون يقولون إنّ مجد المسيح مجد إلهي وكماله كمال إلهي، فكيف يصح بربكم أيها المسيحيون أن يعطي المسيح أتباعه المجد الإلهي؟! وهل يمكن أن ينال من آمن بالمسيح

(١) يوحنا (١٧/٢٠-٢٦).

المجد الإلهي الذي للمسيح فيصبحون آلهة مثله؟! أليس إعطاء المجد الإلهي محالاً حتى عند المسيحيين؟! فإذا كان المسيح أعطى مجده لأتباعه: (قَدْ أُعْطِيَتْهُمْ الْمَجْدَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي)، و لا يمكن أن يقصد بهذا المجد المجد الإلهي لاستحالة أن يصبح كل من آمن بالمسيح عليه الصلاة والسلام ونال مجده إلهاً مثله، فثبت بذلك أن مجد المسيح ليس مجداً إلهياً كما يدعي المسيحيون. فإذا كان المقصود بالاتحاد: وحدة الإرادة والمحبة والقصد، بطل استدلال المسيحيين بها على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، والله الحمد والمنة.

النص الثاني: إن من النصوص التي يستدل بها المسيحيون على اتحاد الله تعالى بالمسيح، قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبِ فِيَّ)^(١)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: هذا النص لا بد من تأويله حتى عند المسيحيين، لأن ظاهر النص يدل على أن أقنوم الآب حال في المسيح، في حين أن المسيحيين يعتقدون أن أقنوم الابن هو وحده الحال في المسيح، لذلك فهم يأولون هذا النص فيقولون: إن المقصود بالاتحاد هنا وحدة الجوهر والطبيعة، أمّا من حيث الأقنومية فهما متمايزان.

الوجه الثاني: لقد جاءت الكثير من النصوص التي توهم بظاهاها اتحاد الله تعالى بالبشر غير المسيح عليه الصلاة والسلام، منها: ما قاله بولس لأهل كورنثوس: (فَأَنْتُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ)^(٢)، ومنها قول يوحنا: (اللَّهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ. إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً فَأَلَّهُ يَثْبُتُ فِيْنَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِيْنَا. بِهِذَا نَعْرِفُ أَنَّ نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِيْنَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ. وَنَحْنُ قَدْ نَظَرْنَا وَنَشْهَدُ أَنَّ الْآبَ قَدْ أَرْسَلَ الْإِبْنَ مُخْلِصاً لِلْعَالَمِ. مَنْ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، فَأَلَّهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللَّهِ)^(٣)، يقول الإمام الغزالي معلقاً على هذا النص: "أطلق التلميذ الجليل- عندهم- هذه الكلمات مصرحاً فيها بالحلول، بقوله: (بِهِذَا نَعْرِفُ أَنَّ نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِيْنَا)، فإن يكن هذا التلميذ الجليل- عندهم- فهم أن الحلول الذي أطلقه عيسى عليه الصلاة والسلام في النصوص المذكورة مقتضى للألوهية، فيكون مثبتاً لنفسه ولغيره الألوهية، بقوله: (بِهِذَا نَعْرِفُ أَنَّ نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِيْنَا)، وهم لا يعتقدون فيه ذلك، ولا في أحد من سائر تلامذة عيسى عليه الصلاة والسلام وأتباعه، فتعيّن أنه فهم من النصوص ما أشرنا إليه من المجاز السابق ذكره، ويدل على ذلك أنه أوماً إلى جهة المجاز بقوله: (أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ)، يريد: أنه أفاض علينا سراً وعناية، علّماً بهما ما يليق بجلاله، ثم وفقنا إلى العمل بمقتضاه، فلا نريد إلا ما يريده، ولا نحب إلا ما يحب."^(٤)

(١) يوحنا (١٠/١٤).

(٢) الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (١٦/٦).

(٣) رسالة يوحنا الأولى (١٥-١٢/٤).

(٤) الغزالي، الرد الجميل، ص ٤٥.

ومنها قول بولس لأهل أفسس: (إِلَهُ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ)^(١)، فظاهر هذا النص يوهم أن الله تعالى حال في كل أهل أفسس، وهذا باطل قطعاً، ولا يراد به المعنى الظاهر، يقول الهندي: "لو كان الحلول مشعراً بالاتحاد، ومثبتاً للألوهية؛ لزم أن يكون الحواريون، بل كل أهل كورنثوس، وكذا جميع أهل أفسس آلهة، بل الحق أن الأدنى إذا كان من أتباع الأعلى، كأن يكون رسوله أو عبده أو تلميذه .. فلأمر المنسوب إلى الأدنى من التعظيم والمحبة وغيرها ينسب إلى الأعلى مجازاً، لذلك قال المسيح عليه الصلاة والسلام في حق الحواريين: (مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلِ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي)، متى (٤٠/١٠)".^(٢)

فإذا ثبت أن المقصود بالاتحاد هو كمال الطاعة لله والانقياد لأمره، والفناء عن النفس في مشاهدة جمال الله والاستغراق في كماله، والتبري من الحول والقوة والاستمداد من حول الله وقوته، بطل استدلال المسيحيين بهذا النص على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، بل إن هذا النص دليل على كمال المسيح في العبودية، لا على المساواة بينه وبين رب البرية، والحمد لله على فضله وكرمه.

النص الثالث: وإن من النصوص التي يستدل بها المسيحيون على اتحاد الميسح بالله تعالى، قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ)^(٣)، **والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:**

الوجه الأول: حتى نعرف المراد من هذا النص لا بد من العودة إلى السياق الذي جاء به هذا النص، فقد جاء هذا النص في الحوار الذي دار بين المسيح عليه الصلاة والسلام وتلاميذه في العشاء الأخير فقال المسيح لهم: (أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي ... أَنَا أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعِدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا أَتِي أَيْضًا وَأَخَذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا، وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ. قَالَ لَهُ تُومَا: يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِي. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. وَمِنْ الْآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ. قَالَ لَهُ فِيلِبُّسُ: يَا سَيِّدُ، أَرِنَا الْآبَ وَكَفَانَا. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ! الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الْآبَ؟ أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبَ فِيَّ؟ الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لَكِنَّ الْآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ. صَدَّقُونِي أَنِّي فِي الْآبِ وَالْآبَ فِيَّ، وَإِلَّا فَصَدَّقُونِي لِسَبَبِ الْأَعْمَالِ نَفْسِهَا. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَفْعَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا)^(٤).

نلاحظ أن هذا النص مليء بالمجاز، ولا يمكن فهمه على المعنى الحرفي، فلا يمكن أن يكون الآب (الله) هو جسد المسيح عليه الصلاة والسلام، فالمسيحيون لا يعتقدون أن جسد المسيح هو الله، ثم إن

(١) الرسالة إلى أهل أفسس (٦/٤).

(٢) الهندي، إظهار الحق، ج٣، ص ٧٦٣.

(٣) يوحنا (٩/١٤).

(٤) يوحنا (١٤/١-١٢).

المتحد بالمسيح- على قولهم- هو الابن وليس الآب، فلو قال المسيح عليه الصلاة والسلام: من رأي فقد رأى الابن، لكان يمكن أن يكون لهم فيه دليل، وعليه فلا يمكن على كل الأحوال أن تكون رؤية جسد المسيح هي رؤية الله تعالى، يقول رستم مبيناً ذلك: "إذاً هم متفقون معنا على أن مثل هذا التعبير لا يُراد به معناه الظاهري الحرفي؛ أي تطابق المفعول به الأول للرؤية مع المفعول به الثاني لها، تطابقاً حقيقياً تاماً يكونهما شيئاً واحداً، بل يُراد به معنى مجازي، فلا بد من المصير إلى مجازٍ منطقي يقبله العقل، وتساعد عليه النصوص الإنجيلية المماثلة الأخرى."^(١)

ومما يؤكد ذلك أن المسيحيين يعتقدون أن الله تعالى لا يرى، فلو أن التلاميذ رأوا لاهوت المسيح لصح لنا أن نفسر هذا النص على ظاهره؛ فيكون من رأى المسيح (أي لاهوت المسيح) فقد رأى الله (الآب)، ولكن اللاهوت لا يمكن رؤيته، فقد قال المسيح عليه الصلاة والسلام: (الله لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ)^(٢)، وقال بولس عن الله تعالى: (الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ)^(٣).

الوجه الثاني: إذا استحال فهم هذا النص على ظاهره وجب تأويله بما يتوافق مع كمال الله تعالى، وما يتوافق مع غيره من نصوص الإنجيل، فقد جاء في إنجيل يوحنا أن المسيح عليه الصلاة والسلام قال: (الَّذِي يُؤْمِنُ بِي، لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي)^(٤)، ففي هذا النص بين المسيح عليه الصلاة والسلام أن الإيمان بالمسيح إيمان بالله تعالى، لكن لماذا كان الإيمان بالمسيح عليه الصلاة والسلام إيماناً بالله تعالى؟ **فهل الجواب:** لأن المسيح هو الله؟! أو لأنه ابن الله؟! أو لأنه متحد مع الله (الآب) في الجوهر والطبيعة؟! بالتأكيد لا، بل لأن الإيمان بالمسيح إيمان بالله تعالى الذي أرسله، فالمسيح عليه الصلاة والسلام رسول الله تعالى؛ فمن سمع كلام المسيح فكأنما سمع كلام الله تعالى، ويؤكد ذلك أن المسيح عليه الصلاة والسلام قد فسّر المقصود من قوله: (الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرَنَا الْآبَ؟ أَلَسْتُ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبَ فِيَّ؟)، بقوله بعدها مباشرة: (الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَّمَكُم بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي)، فكلام المسيح عليه الصلاة والسلام من الله تعالى الذي أرسله، وعليه فيكون المقصود من قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ)؛ أن الحجة تكون قد قامت عليه بوجوب الإيمان بالله تعالى كما لو أنه رأى الله تعالى بعينه؛ إذ أن من رأى معجزات المسيح العظيمة، وشاهد أحواله الجليلة، وعرف أخلاقه الكريمة، علم يقيناً أنه رسول الله تعالى، يقول الغزالي: "لما جعل طاعته نفس طاعة الإله لزم أن يكون مُخبراً عن الإله، فقال: (وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي)؛ أي أنا أخبر عنه حقيقة، فأمرني أمره، ونهني نهيه، وجميع أحكامي عنه



(١) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٤٤.

(٢) يوحنا (١٨/١).

(٣) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (١٦/٦).

(٤) يوحنا (١٢/٤٤-٤٥).

صادرة، وهذا شأن الأنبياء." (١)

فمن جهة أن أمر المسيح عليه الصلاة والسلام هو أمر الله تعالى- لأنه نائب عن الله تعالى ومُخبر عنه- صحَّ قوله: (الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ)، لأنه عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الله تعالى، ويقوم الأدلة على وجوده، فمن سمع هذه الأدلة، ورأى تلك المعجزات التي أعطاها الله للمسيح عليه الصلاة والسلام، فلا بد أن يؤمن بوجود الله تعالى، وكأنه رآه، يقول العلمي: "ليس معنى (الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ): أن الذي يرى المسيح بعين الجسد يرى ذات الرب كذلك، .. بل المراد أن الذي يرى يسوع يرى ما أراد الله إعلانه بواسطته من أقواله وأفعاله، .. المسيح قد أعلن صفاته وإرادته ومقاصده، فمن رأى المسيح بمعجزاته رأى قدرة الله تعالى ورحمته، ومن رأى المسيح بأخلاقه كحنوه على المصابين، ورغبته في خلاص الهالكين، وتواضعه للمساكين، رأى شفقة الله تعالى على الخطاة ومحبة للتائبين، ومن رأى المسيح بوداعته وقداسته سيرته، رأى حلم الله تعالى...، وهكذا فالمسيح مرسل من الله ليعلنه للناس بأفعاله وأقواله وأحواله." (٢)

الوجه الثالث: أن مثل هذا التعبير مجازي قد جاء في حق غير المسيح عليه الصلاة والسلام من الأتباع في عدة نصوص منها: قول المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْذَلُكُمْ يُرْذَلُنِي، وَالَّذِي يُرْذَلُنِي يُرْذَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي) (٣)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي) (٤)، يقول رستم: "وجه هذا المجاز واضح وهو أن شخصاً لو أرسل رسولاً أو مبعوثاً أو ممثلاً عن نفسه، فكل ما يعامل به هذا الرسول يُعد في الحقيقة معاملة للشخص المرسل أيضاً." (٥)

ومما يدل على عدم دلالة نص الرؤية على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، بل ولا دلالة أي عمل من أعمال المسيح وأي معجزة من معجزاته على ألوهيته؛ قوله عليه الصلاة والسلام في آخر النص: (مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَأَلْعَمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا)، فلو كان في شيء من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام دليل على ألوهيته لما صحَّ له أن يقول للتلاميذ أنهم سوف يعملون أعماله، بل وسوف يعملون أعظم منها، لأن هذه الأعمال إذا كانت دليلاً على ألوهية المسيح فإنها إذا ظهرت على أيدي التلاميذ فسوف يختلط الأمر على الناس؛ فيظنون أن هذه الأعمال التي ظهرت على أيدي التلاميذ- والتي قد تكون بحسب النص أعظم من أعمال المسيح- دليل على ألوهية التلاميذ، إذ ما الفارق بين ظهورها على يد المسيح عليه الصلاة والسلام وبين ظهورها على يد التلاميذ، فإذا كان

(١) الغزالي، الرد الجميل، ص ٤٤.

(٢) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ٢٨٤.

(٣) لوقا (١٦/١٠).

(٤) متى (٤٠/١٠).

(٥) رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة، ص ١٤٥.

ظهورها على يد المسيح دليلاً على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، فما الذي يمنع من أن تكون هذه الأعمال دليلاً على ألوهية التلاميذ، لكن المسيحيين لا يقولون بألوهية التلاميذ، فثبت أن المقصود من هذه النصوص المعاني المجازية، وبطل بذلك استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بنص الرؤية، والله الحمد والمنة.

النص الرابع: يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بقول المسيح: (وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي)^(١)، **والجواب على ذلك:** أننا لكي نعرف المقصود من النص فلا بد من ذكر السياق الذي جاء به، فقد جاء هذا النص في صلاة المسيح عليه الصلاة والسلام من أجل التلاميذ؛ حيث قال مخاطباً الله تعالى: (أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلَامَكَ. وَالْآنَ عَلِّمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، لِأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتَهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِّمُوا يَقِيناً أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَمَّنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَأَنْتَهُمْ لَكَ. وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ)^(٢)، فيتضح لنا أن المسيح عليه الصلاة والسلام يدعو الآب أن يحفظ تلاميذه فلو كان المسيح إلهاً لحفظهم هو من غير الحاجة إلى أن يدعو الآب، ويؤمن المسيحي عليه الصلاة والسلام أن سبب دعائه لهم أنهم آمنوا برسالته، واتبعوا كلامه، وأطاعوا أمره، ولم يذكر أن دعائه لهم كان بسبب إيمانهم بألوهيته، أو بسبب إيمانهم بالثالوث، ثم بين المسيحي عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى هو الذي هداهم، فقال: (الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَأَنْتَهُمْ لَكَ)، فهم قد آمنوا بالمسيح لأن الله تعالى هداهم، ثم بين المسيحي عليه الصلاة والسلام أن كل من آمن به فهو لله؛ أي أن الله تعالى هو خالقه وهاديه، فقال: (وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ)، لأن الله تعالى هو خالقه وخالقهم، وهو سبحانه الذي يهدي الناس في الحقيقة للإيمان بالمسيح عليه الصلاة والسلام، ثم بين أن كل من آمن بالله تعالى فهو له- أي للمسيح-؛ أي في ميزان حسنات المسيح عليه الصلاة والسلام، فقال: (وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي)، والدليل على أن المقصود بقوله: (وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي)، أن من آمن بالله فهو في ميزان حسنات المسيح قوله عليه الصلاة والسلام: (وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ)؛ أي أزداد رفعة وقرباً منك بسبب إيمانهم، لأن المسيح عليه الصلاة والسلام هو الذي دعاهم إلى الله تعالى، وهو السبب في إيمانهم، فهذا هو المعنى المناسب للسياق، وإلا فلو أخذنا النص على ظاهره ومعناه الحرفي فإنه يدل على أن كل ما للمسيح (الابن) هو لله (الآب)، وهذا باطل- حتى عند المسيحيين- لأن المسيح (الابن) قد ولد من الآب، في حين أن الآب لم يولد، والمسيح قد حُبِلَ به من الروح القدس ومريم العذراء عليها السلام، وتجسد، وصلب تكفيراً عن خطايا البشر، وكل ذلك لا يعتقد المسيحيون أن الآب قد قام به.

(١) يوحنا (١٧/١٠).

(٢) يوحنا (١٧/٦-١٠).

كما أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام لو كان إلهاً لما زاد مجده بسبب إيمان الناس به، لأنَّ الإله له الغنى المطلق، وهو لا يحتاج للخلق ليزداد مجده، فإنَّ الحاجة نقص، والمحتاج لا يكون إلهاً، يقول العلمي: "نستنتج ممَّا تقدم أنَّ المسيح علَّ صلاته الشفعية لتلاميذه بعثتين: الأولى: قوله: (لأنَّهم لك)، كأنَّه يقول إنَّ هؤلاء التلاميذ وإن كانوا بحسب الظاهر لي، ومن أتباعي وتلاميذي، لكنَّهم بالحقيقة لك، إذ لو لم يكونوا في سابق المقدور لك، وما كانوا في عالم الظهور لي، فكل ما هو تابع لي في عالم الظهور، فهو لك فيه كما في سابق المقدور، وكل ما هو بسابق التعيين فهو لي من التابعين. والعلة الثانية: قوله: (وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ)، بإيمانهم بي حين رَفَضني الناس، وحفظهم كلامي، ومحبتهم إياي، وغلبتهم لشهواتهم الرديئة، ... ولا يخفى أنَّ العلة الأولى عائدة لله، والعلة الثانية عائدة للمسيح"^(١)، فهنا نُسب ما للمسيح عليه الصلاة والسلام لله تعالى؛ أي أنَّ أتباع المسيح هم في الحقيقة لله، فهو خالقهم وهاديهم، وأنَّ ما لله أي من آمن بالله تعالى فهو للمسيح؛ أي في ميزان حسناته لأنَّه سبب هدايتهم، لذلك طلب من الله تعالى أن يمجه فيهم، فهذا النص دليل على عبودية المسيح لا على ألوهيته، فلو كان المسيح إلهاً لما احتاج إلى دعاء غيره، ولما زاد مجده بإيمان التلاميذ به، لأنَّ من صفات الإله الكمال والغنى المطلقين، فإذا كان المسيح يزدد مجداً بإيمان الناس به فقد ثبتت حاجته، وإذا ثبتت حاجته بطلت ألوهيته، لأنَّ الإله لا يكون محتاجاً.

وممَّا سبق نلاحظ أنَّ النصوص التي استدلت بها المسيحيُّون على اتحاد المسيح بالله تعالى، ومساواته له، إنَّما هي نصوص من المتشابهة اقتطعوها من سياقها الأصلي، فإذا ما نظرنا إلى معناها بحسب السياق ظهر أنَّ المراد ليس المعنى الحرفي، بل المعنى المجازي الذي لا يدل على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام لا من بعيد ولا من قريب، ونلاحظ أنَّ هذه النصوص قد ذكرت كلها في إنجيل يوحنا، وهذا الإنجيل مليء بالمجاز، حتى أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يضطر أحياناً لأن يفسر للناس كل ما يحدثهم به، حتى لا يفهموه على معناه الحرفي.

ثامناً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بميلاده المعجز^(٢)
يستدل المسيحيُّون بميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام المعجز على ألوهيته، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: إذا كان ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام من غير أب دليلاً على ألوهيته فإنَّ النبي آدم عليه الصلاة والسلام الذي خلق من غير أب ولا أم أولى بالألوهية منه، يقول ابن قيم الجوزية: "فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فأدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه، لأنَّه لا أم له ولا أب، والمسيح

(١) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ٢٨١.

(٢) انظر: هذا البحث، ص ٥٩.

له أم، وحواء أيضاً اجعلوها إلهاً خامساً لأنها لا أم لها، وهي أعجب من خلق المسيح.^(١) ولكن إذا لم يكن الميلاد المعجز دليلاً على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، فما الحكمة من هذا الميلاد المعجز؟! **الجواب:** أن في ذلك عدة حكم منها:

الحكمة الأولى: إظهار قدرة الله تعالى المطلقة؛ يقول محمد مرجان موضحاً ذلك: "هذا الميلاد العذراوي لعيسى رغم إعجازه وأهميته فلا يقاس بشيء في جانب القدرة الإلهية، ولا يرفع عيسى عن مرتبة آدميين، ذلك أن خلق عيسى من أنثى دون ذكر هو إتمام لدورة القدرة الإلهية في خلق الإنسان، .. فآدم عليه الصلاة والسلام خلق من العدم دون ذكر ولا أنثى، وحواء خلقت من ذكر دون أنثى، والإنسان العادي خلق من ذكر وأنثى، ثم تمت دورة القدرة الإلهية بخلق عيسى الإنسان من أنثى دون ذكر، فهذه صورة ميلاد البشر، وكل صورة منها تناظر الأخرى في الدلالة على قدرة الخالق العظيم، ليس منها ما هو هين، وما هو صعب في جانب الله"^(٢)، فخلق المسيح عليه الصلاة والسلام من غير أب ليس دليلاً على ألوهيته، وإنما هو دليل على عظمة الله تعالى خالقه، فقدرته سبحانه وتعالى لا تخضع للأسباب، بل هو خالق الأسباب وموجدها، فبخلق المسيح من غير أب ظهرت القدرة الإلهية على خلق الإنسان بكل الصور المحتملة لخلق الإنسان؛ فمن البشر من خلق من غير أب ومن غير أم، ومنهم من خلق من ذكر دون أم، ومنهم من خلق من أم دون أب، ومنهم من خلق من أب وأم، فسبحان الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

ويبين محمد مرجان أن خلق السيدة حواء من ذكر بلا أنثى أدخل في باب القدرة الإلهية من خلق المسيح عليه الصلاة والسلام من أنثى بلا ذكر، وذلك لأن الأنثى بطبيعتها خلقت للحمل والولادة، أما الرجل فليس من طبيعته الحمل والولادة، وليس في تكوينه إنجاب الأطفال، كما أن حواء خلقت امرأة كاملة التكوين ولم تمر بالأطوار التي يمر بها الأطفال لتنمو أجسادهم وعقولهم، أما المسيح عليه الصلاة والسلام فقد خلق طفلاً رضيعاً فربي في حجر أمه رضي الله عنها حتى كبر مع الأيام والسنين، ويرى محمد مرجان أيضاً أن خلق النبي آدم عليه الصلاة والسلام كان أكثر إعجازاً من خلق المسيح عليه الصلاة والسلام، فقد خلق النبي آدم من تراب الأرض دون ذكر ولا أنثى، وفي لحظة واحدة صار النبي آدم عليه الصلاة والسلام رجلاً كاملاً، ولم يتوسط في خلقه بشر من أي نوع، تقول التوراة عن خلق النبي آدم: (وَجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الْأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً) التكوين (٧/١)، أما المسيح عليه الصلاة والسلام فإنه بمساعدة أمه احتاج إلى مدة من الزمن ظل في بطنها ليخرج طفلاً، واحتاج إلى ثلاثين سنة حتى صار مثل أبيه آدم عليهما وعلى نبينا الصلاة

(١) ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى، ص ٢٢٦.

(٢) مرجان، محمد مجدي، المسيح إنسان أم إله، ط ٢، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٤٥.

(٣) يس: ٨٢.

فإذا كان المسيحيون يستدلون بولادة المسيح عليه الصلاة والسلام من غير أب على أنه ابن الله، فيكون النبي آدم عليه الصلاة والسلام- بناءً على هذا الاستدلال- هو الله ذاته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكن في الحقيقة ما هما إلا رسولان من رسل الله الكرام، وأقصى ما يسعيان إليه أن يعبدوا الله تعالى حق عبادته.

أمّا الحكمة الثانية: فإن ولادة المسيح عليه الصلاة والسلام من غير أب دليل على أن الإنسان روح وجسد، في حين أن اليهود أنكروا وجود الروح في الإنسان، يقول محمد أبو زهرة: "إنّ المسيح عليه السلام من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها، حتى لقد زعموا أن الإنسان جسم لا روح فيه، وأنه ليس إلا تلك الأعضاء والعناصر التي يتكون منها،.. فكان هذا قارعة قرعت حسهم ليدركوا الروح، وكان آية معلمة لمن لم يعرف الإنسان إلا أنه جسم لا روح فيه، وهذه آية الله في عيسى وأمه عليهما السلام"^(٢)، ويستدل أبو زهرة على إنكار اليهود للروح بما جاء في التوراة التي فسرت النفس البشرية بأنها الدم، وهذا نصها: (احْتَرِزْ أَنْ لَا تَأْكُلَ الدَّمَ لِأَنَّ الدَّمَ هُوَ النَّفْسُ. فَلَا تَأْكُلِ النَّفْسَ مَعَ اللَّحْمِ) التثنية (٢٣/١٢)، وبما جاء في سفر اللاويين حيث حرم الله تعالى على بني إسرائيل الدم: (لَأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمَ،.. فَقُلْتُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لَا تَأْكُلُوا دَمَ جَسَدٍ مَا لِأَنَّ نَفْسَ كُلِّ جَسَدٍ هِيَ دَمُهُ) اللاويين (١١/١٧-١٤)، فكانت ولادة المسيح عليه الصلاة والسلام من غير أب أكبر دليل على وجود الروح البشرية التي أنكروها اليهود.^(٣)

الوجه الثاني: إذا كانت الولادة بغير أب سبباً للألوهية، فإن من يقرأ الكتاب المقدس يجد فيه من هو مرشح للألوهية أكثر من المسيح، فإذا كان المسيح عليه الصلاة والسلام ولد من أم فهناك غيره لم يولد من أب ولا أم، وإن كان وجود المسيح عليه الصلاة والسلام ابتدأ بولادته المباركة، فهناك غيره ليس له بداية، وإن كان المسيح قد مات وصلب عندكم، فهناك من لا نهاية لأيامه - كما يزعم الكتاب المقدس-، إنه ملكي صادق الذي قال عنه بولس أنه: (كَاهَنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ، الَّذِي اسْتَقْبَلَ إِبْرَاهِيمَ رَاجِعاً مِنْ كِسْرَةِ الْمُلُوكِ وَبَارَكُهُ،.. الْمُتَرْجَمَ أَوَّلًا: مَلِكِ الْبِرِّ، ثُمَّ أَيْضًا، مَلِكِ سَالِيمٍ أَيْ مَلِكِ السَّلَامِ، بِأَبٍ بِلَا أُمٍّ بِلَا نَسَبٍ. لَا بَدَاةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللَّهِ. هَذَا يَبْقَى كَاهِنًا إِلَى الْأَبَدِ)^(٤)، أليس من لا أب له ولا أم، ولا بداية لأيامه ولا نهاية، أولى من المسيح عليه الصلاة والسلام الذي ولد من أم، وكان لوجوده على الأرض بداية، ومات وصلب- كما يعتقد المسيحيون-! وبهذا بطل استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بميلاده المعجز، والله الحمد والمنة.

(١) انظر: مرجان، المسيح إنسان أم إله، ص ١٤٦.

(٢) أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، ط ٣، دار الفكر العربي، دبلد، ١٩٦٦م، ص ١٨.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص ١٨.

(٤) الرسالة إلى العبرانيين (٣-١/٧).

تاسعاً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بحياته النقية^(١)
يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بحياته النقية، والجواب على ذلك من
عدة وجوه أبرزها:

الوجه الاول: ليس المسيح عليه الصلاة والسلام وحده هو الذي لم يفعل خطيئة قط، بل إنَّ الملائكة أيضاً معصومون من كل خطيئة، وهذه هي عقيدة المسيحيين في الملائكة الكرام عليهم السلام، يقول مينا مبيناً قداسة الملائكة: "لا ريب أنَّ الملائكة متصفون بالقداسة الكاملة، .. لا يمكن أن يندعوا ويميلوا للشر مطلقاً، وذلك لشدة إدراكهم القداسة والصلاح إدراكاً تاماً"^(٢)، فالملائكة لا يفترون عن عبادة الله تعالى، وتنفيذ إرادته، وهم الوسطاء بين الله تعالى وبين خلقه.^(٣)

فإذا كان المسيح عليه الصلاة والسلام إلهاً لأنه لم يخطئ، فلماذا لا تكون الملائكة آلهة أيضاً لأنها لم تخطئ؟! أو لماذا لا يكون المسيح عليه الصلاة والسلام ملاكاً لأنه لم يخطئ؟! فجعل المسيح ملاكاً أهون وأيسر في العقل بكثير من جعله إلهاً، خاصة إذا علمنا أنَّ المسيحيين يعتقدون بأنَّ للملائكة القدرة على التشكل في صورة البشر، فقد ظهرت الملائكة عليهم السلام لنبي الله لوط عليه الصلاة والسلام عند خراب سدوم بصورة رجال، تكوين (١٩/١-١٥).^(٤)

الوجه الثاني: كما وُصف المسيح بالحياة النقية، والعصمة من الخطيئة، كذلك وُصف غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بذلك، فمثلاً: وُصف النبي أيوب عليه الصلاة والسلام بأنه لا يوجد في فمه غش، فقد قال عن نفسه الكريمة: (لَنْ تَتَكَلَّمَ شَفَتَايَ إِنَّمَا وَلَا يَلْفِظُ لِسَانِي بِغَشٍّ)^(٥)، بل إنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام قد شهد بنفسه لنتنائيل فقال: (هُوَذَا إِسْرَائِيلِيُّ حَقًّا لَا غِشٍّ فِيهِ)^(٦)، بل وورد هذا الوصف أيضاً في حق جماعة من المسيحيين، قال يوحنا: (وَفِي أَفْوَاهِهِمْ لَمْ يَوْجَدْ غِشٌّ، لِأَنَّهُمْ بِلَا عَيْبٍ)^(٧).

وُوصف بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالعصمة من الخطيئة، فقد وُصف النبي داود عليه الصلاة والسلام بأنه ليس من الماكرين^(٨)، وُوصف النبي يعقوب عليه الصلاة والسلام بالعصمة من الإثم حيث قال بلعام: (لَمْ يُبْصَرْ إِنَّمَا فِي يَعْقُوبَ وَلَا رَأَى سُوءاً فِي إِسْرَائِيلِ)^(٩)، وُوصف النبي أيوب عليه الصلاة والسلام بالاستقامة، فقد قال الله تعالى في وصفه النبي أيوب: (لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ. رَجُلٌ

(١) انظر: هذا البحث، ص ٦٠.

(٢) مينا، علم اللاهوت، ج ٢، ص ٦٣.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ج ٢، ص ٥٥.

(٤) انظر قدرة الملائكة على التشكل في: حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٧، ص ٢٠٩.

(٥) أيوب (٤/٢٧).

(٦) يوحنا (٤٧/١).

(٧) رؤيا يوحنا اللاهوتي (٥/١٤).

(٨) مزمور (٤/٢٦).

(٩) العدد (٢١/٢٣).

كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ^(١)، وُوصِفَ النبي نوح عليه الصلاة والسلام بالبر، فقد قال الله تعالى له: (ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ لِأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًا لَدَيَّ فِي هَذَا الْجِيلِ)^(٢)، وقال النبي أيوب عليه الصلاة والسلام عن نفسه الكريمة: (تَمَسَّكْتُ بِبِرِّي وَلَا أَرْخِيهِ)^(٣)، وُوصِفَ النبي زكريا عليه الصلاة والسلام وزوجته أليصابات بالبر وأتباع وصايا الرب: (وَكَانَا كِلَاهُمَا بَارَيْنِ أَمَامَ اللَّهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلَا لَوْمٍ)^(٤).

الوجه الثالث: لو كان المسيح عليه الصلاة والسلام إلهاً لكان يجب عليه أن يقول مكان قوله: (مَنْ مِنْكُمْ يُكْتَنِّي عَلَى خَطِيئَةٍ؟)^(٥)، من منكم يجحد خلقي للعالم من العدم؟! من منكم يجحد أنني أنا المحيي والمميت؟! من منكم ينكر أنني أنا الخالق الرازق؟! فلو كان المسيح عليه الصلاة والسلام إلهاً لوجب عليه أن يقول ذلك، لأنه لا يستدل على الألوهية بالعصمة من الخطأ، فليس هناك من يقيم أفعال الإله ليحكم بأنها صواب أو خطأ، بالتالي فهي صادرة عن إله أم لا؟! لكنه عليه الصلاة والسلام لما ذكر عصمته من الخطيئة فكأنه أراد أن يستدل بذلك على نبوته، خاصة إذا ما علمنا أن العصمة صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام كما بيّن الباحث في الوجه السابق.

وبعد كل هذه النصوص فقد ثبت أن المسيح عليه الصلاة والسلام ليس وحده الذي لم يخطئ، وليس وحده البار، بل وُصف غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بذلك، فإذا لم يكن وصفهم بهذه الصفات، وحياتهم النقية، دليلاً على ألوهيتهم، فكيف جعلتم حياة المسيح عليه الصلاة والسلام النقية دليلاً على ألوهيته.

عاشراً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بمعجزاته^(٦)

الرد الإجمالي: يستدل المسيحيون على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بالمعجزات التي صنعها المسيح عليه الصلاة والسلام، وقد أثبت الباحث أن المسيح عليه الصلاة والسلام ما كان يملك القدرة الذاتية، وأن قدرته عليه الصلاة والسلام كانت من الله تعالى^(٧)، قال عليه الصلاة والسلام: (كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي)^(٨)، وكانت معجزاته دليلاً على نبوته، لا على ألوهيته، قال عليه الصلاة والسلام حين استجاب الله تعالى دعاءه فأحيا له عازر: (أَيُّهَا الْآبُ أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي)^(٩).

(١) أيوب (٨/١).

(٢) التكوين (١/٧).

(٣) أيوب (٦/٢٧).

(٤) لوقا (٦/١).

(٥) يوحنا (٤٦/٨).

(٦) انظر: هذا البحث، ص ٦١.

(٧) انظر: هذا البحث، ص ٩٩-١٠٢.

(٨) لوقا (٢٢/١٠).

(٩) يوحنا (٤٣/١١).

ثم إنَّه ما من معجزة حصلت مع المسيح عليه الصلاة والسلام إلا وقد حصل مثلها أو ما هو أعظم منها مع غيره من الأنبياء عليهم السلام، يقول رستم: "ما من معجزة نقلها الإنجيل عن المسيح عليه الصلاة والسلام إلا نقل كتاب العهد القديم وقوع مثلها أو أقوى منها عن بعض من سبق المسيح من الأنبياء عليهم السلام، ونقل كتاب العهد الجديد وقوع مثلها أيضاً على يد كل حوارى المسيح، أو نقل بيان المسيح إمكانية وقوعها على يد كل مؤمن صادق من تلامذته وأتباعه إذا تمحض كمال الإيمان، وأخلص العمل"^(١)، فإذا ثبت أنَّ معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام كانت بقدرة الله تعالى، قد أجزاها الله تعالى على يديه الكريمتين تصديقاً لنبوته، وثبت أنَّ هذه المعجزات قد حصلت معه ومع غيره فقد بطل الاستدلال بها على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، هذا وإن كان هذا الرد يكفي لنقض استدلال المسيحيين بمعجزات المسيح عليه الصلاة والسلام على ألوهيته، إلا أننا لا نريد أن نترك للخصم حجة علينا، لذا سيقوم الباحث بنقض الأدلة واحداً تلو الآخر، وبيان ذلك الآتي:

أولاً: الرد على إقامة المسيح عليه الصلاة والسلام للموتى

يستدل المسيحيون بإقامة المسيح عليه الصلاة والسلام للموتى على ألوهيته، والجواب على ذلك من عدة وجه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ الإحياء والإماتة بيد الله تعالى وحده، قال الله تعالى: (أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي)^(٢)، فالموت والحياة بيد الله تعالى، فإذا نسبت إلى غيره نسبت إليه على أنه سبب فيها، لا على أنه خالقها، فتكون النسبة إليه من باب نسبة النتائج إلى الأسباب.

الوجه الثاني: إذا كان المسيح إلهاً لأنَّه أحيأ الموتى فلماذا لا يكون إيليا وأليشع عليهما السلام آلهة أيضاً؟! فقد أحيأ إيليا ميتاً^(٣)، بل لقد أحيأ عظم أليشع عليه الصلاة والسلام ميتاً وهذا أعظم من إحياء المسيح عليه الصلاة والسلام للموتى فقد جاء في سفر الملوك أنَّ بني إسرائيل: (فِيمَا كَانُوا يَدْفِنُونَ رَجُلًا إِذَا بِهِمْ قَدْ رَأَوْا الْغُرَّةَ، فَطَرَحُوا الرَّجُلَ فِي قَبْرِ أَلِيشَع. فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ وَمَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ عَاشَ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ)^(٤)، يقول العلمي: "فإحياء العظم الرميم للرجل الميت أعجب وأعظم من إحياء المسيح للميت، وهنا نقول على كلام أسفاركم، هل توجد في عظام أليشع الميتة، بل الرميمة النخرة، طبيعة لاهوتية؟! "^(٥)

وكذلك فقد أحيأ بطرس الحوارى طابيثا، وهذا سياق القصة: (فَأَخْرَجَ بُطْرُسُ الْجَمِيعَ خَارِجًا وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى الْجَسَدِ وَقَالَ: يَا طَابِثَا قُومِي! فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا. وَلَمَّا أَبْصَرَتْ بُطْرُسَ

(١) رستم، التوحيد في الأنجيل، ص ١٦٧.

(٢) التثنية (٣٩/٣٢).

(٣) انظر: الملوك الأول (١٧/١٧-٢٤).

(٤) الملوك الثاني (٢١/١٣).

(٥) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ٢١٠.

جَلَسْتُ، فَنَاولَهَا يَدَهُ وَأَقَامَهَا. ثُمَّ نَادَى الْقَدِّيسِينَ وَالْأَرَامِلَ وَأَحْضَرَهَا حَيَّةً^(١).

بل لقد فعل النبي موسى عليه الصلاة والسلام ما هو أعجب وأعظم من إحياء الموتى؟! فقد قلب العصا إلى حية حقيقية^(٢)، ويرى رستم أنَّ قلب العصا حية أشد إعجازاً من إحياء الموتى، إذ إنَّ إحياء الموتى ليس فيه إلا بعث الحياة في جسد إنساني كامل موجود، في حين أنَّ قلب العصا حية يشتمل على أمرين؛ أولاً: تغيير شكل وصورة العصا، وإيجاد صورة وشكل جديدين لها بتحويلها لحية تسعى ذات عيينين ولسان وجلد، وثانياً: بعث الحياة فيها^(٣)، ويرى ابن تيمية أيضاً أنَّ انقلاب العصا إلى حية أعظم من إحياء الموتى، فبعث الحياة في عصي، ثم تعود العصا إلى حالتها الأولى (جماد)، ثم تبعث الحياة فيها مرة بعد مرة، أشد إعجازاً من إحياء الموتى.^(٤)

فإن قال المسيحيون: إنَّ المسيح كان يفعل المعجزات بقوته الذاتية، أمَّا غيره من الأنبياء والتلاميذ فكانوا يفعلونها بقدرة الله تعالى، **فالجواب عليه:** إنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يفعل ذلك بقوة الله تعالى وعونه ومدده، فالمسيح لا حول له ولا قوة، بل لقد كان المسيح عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى ويتضرع إليه قبل كل معجزة، فعندما أحيا المسيح عليه الصلاة والسلام لعازر رفع عينيه إلى السماء، وشكر الله تعالى على أنَّه استجاب دعاءه^(٥)، يقول العلمي: "فرجع يسوع عينيه إلى فوق، الذي هو دعاء قلبي ومناجاة سرية وتوجه إلى الله بالقلب، لهو أعظم أنواع الدعاء الحاي للإخلاص، المتكفل بالإجابة، .. وإذ قد ثبت في إحياء المسيح للعازر أنَّه دعا ربه قلبياً سرياً، فلا مانع أن يكون دعاه قلبياً أيضاً حينما أحيا ابنة بايروس ثم ابن الأرملة، بل القياس يعطي أنَّه قد وقع منه ذلك، إذ لا فرق"^(٦)، فإذا ثبت أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يدعو الله تعالى عند إحيائه للموتى فقد بطل القول بأنَّه كان يحيبهم بقوته الذاتية، ناهيك عن كون المسيح عليه الصلاة والسلام قد صرح مراراً بأنَّ قوته من الله تعالى لا من ذاته في الكتاب المقدس.

ثانياً: الرد على شفاء المسيح عليه الصلاة والسلام للأمراض

يستدل المسيحيون بشفاء المسيح عليه الصلاة والسلام للأمراض على ألوهيته، **والجواب على ذلك:** أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام ليس هو وحده الذي شفا الأمراض، فالكتاب المقدس كثيراً ما يحدثنا عن شفاء الأنبياء الذين سبقوا للمسيح عليهم السلام للأمراض، فقد شفا أليشع عليه الصلاة والسلام الناس من البرص^(٧)، وكذلك صلي أليشع عليه الصلاة والسلام يوماً من أجل رد بصر أعمى؛ وقال: (يا

(١) أعمال الرسل (٩/٣٦-٤١).

(٢) انظر: الخروج (١٣-٨/٧).

(٣) انظر: رستم، التوحيد في الأناجيل، ص ١٦٧-١٦٨.

(٤) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ١، ص ٥٤٧.

(٥) انظر: يوحنا (٤١/١١).

(٦) العلمي، سلاسل المناظرة، ص ٢١١.

(٧) انظر: الملوك الثاني (٥/٢٧).

رَبُّ، افْتَحَ عَيْنَيْهِ فَيُبَصِّرَ. فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنِي الْغُلَامَ فَأَبْصَرَ^(١)، فإذا كان أليشع قد شفا الأمراض كالمسيح عليهما السلام تماماً، فلماذا لا يكون أليشع إلهاً أيضاً؟! فإذا كان المسيحيون لا يقولون بألوهية أليشع مع كثرة معجزاته، فلماذا يقولون بألوهية المسيح بسبب معجزاته؟!

بل لقد بيّن المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه أن من يتبع كلامه يفعل أعظم من أفعاله عليه الصلاة والسلام، فقال: (مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَفْعَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَكْثَرَ مِنْهَا)^(٢)، فهذه كرامة من الله تعالى يكرم بها من آمن به سبحانه، وبرسله عليهم الصلاة والسلام، واتباع أوامرهم، واجتنب نواهيهم، فإن كانت معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام علامة على أن المسيح ابن الله- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-، فإن التلاميذ إذا اتبعوا كلام المسيح عليه الصلاة والسلام فإنهم سيعملون أعمالاً أعظم من أعمال المسيح عليه الصلاة والسلام، فلعلهم يصبحون عند المسيحيين الله الآب بذاته؟! فإذا ثبت أن هذه المعجزات قد حصلت مع المسيح ومع غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد بطل الاستدلال بها على ألوهيته، والله الحمد والمنة.

المطلب الرابع: إثبات كون الروح القدس ملكاً من الملائكة

الكرام عليهم السلام من الكتاب المقدس

الرد الإجمالي: إن إبطال ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام هو في الحقيقة إبطال لكل العقائد المسيحية بما في ذلك ألوهية الروح القدس، ومع ذلك فسيقوم الباحث بنقض أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس- بإذن الله تعالى- حتى لا يُظن أن هناك أدلة صحيحة على ألوهية الروح القدس لا يمكن لنا نقضها.

لقد عرفنا في الفصل الأول أن المسيحيين يعتقدون بألوهية الروح القدس، ويعدونه الأفتنوم الثالث من أقانيم الثالوث المقدس، وقبل نقض أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس لا بد من معرفة معنى هذا المصطلح؛ فالروح في اللغة: تطلق على ما به حياة النفس، والروحاني تطلق على الملك والجن^(٣)، وأمّا القدس في اللغة: فتطلق على الطهر، والتطهيس أي التطهير، وتقّس أي تطهر^(٤)، وجاء في دائرة المعارف الكتابية أن الروح: تطلق على الكائنات التي لا جسد لها، ولكن لها توجه وهدف وقوة^(٥)، وجاء فيها أيضاً أن قدّس الشيء بمعنى: خصّصه وأفرزه لغرض خاص، أو فصله وأبعده عن كل دنس أو نجاسة^(٦)، وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن الروح: كائن غير مادي قد يلبس

(١) انظر: الملوك الثاني (١٨/٦).

(٢) يوحنا (١٢/١٤).

(٣) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٧٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٧٤.

(٥) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٤، ص ١٤١.

(٦) انظر: صموئيل حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج ٦، ص ١٨٥.

يلبس أو لا يلبس جسداً بشرياً، وتطلق كلمة الروح في الكتاب المقدس على الملائكة^(١)، وجاء فيه أيضاً أنَّ التقديس: تكريس الشيء أو الشخص للاستعمال المقدس، وأنه بالتقديس تطهر النفس من دنس الخطيئة^(٢).

وبناء عليه فإنَّ معنى الروح القدس: كائن لا جسدي (روحي) منزّه عن الخطيئة، خصَّصه الله تعالى لغرض العبادة، وليس في هذا المعنى ما يدل على ألوهية الروح القدس، ولا على أنَّ الروح القدس هو روح الله تعالى، ونلاحظ التوافق بين معنى القدس والروح في اللغة وفي الكتاب المقدس، وبعد هذا الرد الإجمالي ننتقل إلى الرد التفصيلي، وبيانه الآتي:

أولاً: إنَّ كلمة الروح القدس أو روح الله أو روح الرب جاءت في الكتاب المقدس في عدة معاني ليس في أي منها ما يدل على ألوهية الروح القدس، أو كونه حياة الله تعالى، وهذه المعاني هي^(٣):

١. الوحي الذي تأتي به الملائكة عليهم السلام إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومنها: قول المسيح عن النبي داود عليه الصلاة والسلام: (لأنَّ داود نفسه قال بالروح القدس)، مرقس (٣٦/١٢)، وقول لوقا عن النبي زكريا عليه الصلاة والسلام: (وَأَمْتَلَأَ زَكْرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ)، لوقا (١٦/١)، وقول بطرس: (أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ)، أعمال الرسل (١٦/١)، وقد سمى الله تعالى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما يأتون به من الوحي روح قدس، فقال موبخاً بني إسرائيل: (يَا قُصَاةَ الرِّقَابِ وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالْأَذَانِ أَنْتُمْ دَائِماً تَقَاوُمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذَلِكَ أَنْتُمْ!)، أعمال الرسل (٥١/٧).

٢. ما يؤتيه الله تعالى لأنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام ولغيرهم من فهم وحكمة وتأييد وقوة، ومن ذلك قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ)، متى (٢٨/١٢)، وكذلك ما جاء في لوقا عن سمعان ونصه: (وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَاراً تَقِيّاً يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لَا يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. فَاتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ)، لوقا (٢٥/٢)، وكذلك أيد الروح القدس التلاميذ في اليوم الخمسين: (وَأَمْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّنَةِ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا)، أعمال الرسل (٤/٢)، فلو كان الروح القدس إلهاً أو حياة الله فكيف يمكن أن يمتلأ منه التلاميذ؟! وكذلك قال المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟)، لوقا (١٣/١١)، فلو كان الروح القدس إلهاً، فكيف يمكن لله

(١) انظر: بطرس عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٤١٤.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص ٧١٨.

(٣) انظر: السقار، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟، ص ١٥١.

أن يعطيه لمن يطيعه؟! ومثله قول الله تعالى لحجي النبي: (وَرُوحِي قَائِمٌ فِي وَسْطِكُمْ. لَا تَخَافُوا)، سفر حجي (٥/٢)، يفسر مرجان الروح القدس فيقول: "هذه القوة العلوية وهذا المدد السماوي الذي يقوي عزائم الأنبياء، ويشد أزر الأولياء، فيقومون بأداء الرسالة ويحسنون تبليغ الأمانة، هذه القوة الإلهية التي تؤيد الأنبياء والمؤمنين إنما هي قبس ضئيل من نور الله، وشعاع خافت من بهاء ضيائه، نفخة عابرة من سلطان قوته وعظمته، وهي ليست بأي حال من الأحوال ذات الله أو جزء أو عنصر في الله."^(١)

٣. الرياح الشديدة، ومنه قول التوراة وهي تصف الريح المدمرة: (العُشْبُ يَبْيَسُ وَزَهْرُهُ يَذْوِي إِذَا هَبَّ فِيهِ رُوحُ الرَّبِّ)، إشعياء (٧/٤٠)، وهو ينطبق على ما جاء في مقدمة سفر التكوين: (وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ)، تكوين (٢/١).

٤. الملائكة عليهم السلام، فقد جاء في سفر الرؤيا قول يوحنا: (هَذَا يَقُولُهُ الَّذِي لَهُ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ وَالسَّبْعَةُ الْكَوَاكِبُ. أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالُكَ، أَنَّ لَكَ اسْمًا أَنْكَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيِّتٌ)، رؤيا يوحنا (١/٣)، وجاء فيها أيضاً قول يوحنا: (وَمِنَ الْعَرْشِ يَخْرُجُ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْوَاتٌ. وَأَمَامَ الْعَرْشِ سَبْعَةُ مَصَابِيحَ نَارٍ مُنْقَذَةٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ)، رؤيا يوحنا (٥/٤)، وقال يوحنا: (وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسْطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَفِي وَسْطِ الشُّيُوخِ خُرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى كُلِّ الْأَرْضِ)، رؤيا يوحنا (٦/٥)، يقول منقذ السفار: "فالأرواح التي رآها يوحنا ليست آلهة، وإلا لتحول الثالث النصراني إلى عاشور!!"^(٢)

٥. الروح الإنسانية التي يخلقها الله تعالى في الأحياء، وقد سُميت هذه الروح بروح الله لأن الله خلقها من غير واسطة وإليه تعود: (ترجع الروح إلى الله الذي وهبها)، سفر الجامعة (٧/١٢).

٦. الأنبياء عليهم السلام، فقد قال يوحنا: (لَا تَرْكُنُوا إِلَى كُلِّ رُوحٍ بَلْ أَخْتَبِرُوا الْأَرْوَاحَ لِتَرَوْا هَلْ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذَّابِينَ انْتَشَرُوا فِي الْعَالَمِ)، رسالة يوحنا الأولى (١/٤).

هذه هي معاني الروح القدس أو روح الله أو روح الرب كما جاءت في الكتاب المقدس وليس فيها ما يدل على ألوهية الروح القدس، أو أنه حياة الله تعالى، فإذا ثبت أن للروح القدس كل هذه المعاني فلا يصح للمسيحيين بعد ذلك أن يستدلوا على ألوهية الروح القدس بأي دليل، لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال.

ثانياً: إن إضافة الروح إلى القدس دلالة على بعدها عن الخطيئة، وهذا هو شأن الملائكة عليهم السلام، فالملائكة يتصفون بالقداسة الكاملة، ولا يمكن أن يميلوا للشر مطلقاً^(٣)، وليس في هذه الإضافة أي دلالة على ألوهية الروح القدس، بل فيها دلالة على العبودية الكاملة لله تعالى، وعدم مخالفته لأمر

(١) مرجان، محمد مجدي، الله واحد أم ثالث، ط٢، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٩٩.

(٢) السفار، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟، ص ١٥٦.

(٣) انظر: مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص ٦٣.

ربه سبحانه، ومما يؤكد ذلك أنَّ الكتاب المقدس أطلق على أماكن العبادة أنَّها أماكن مقدسة^(١)، وأطلق على أوقات العبادة أنَّها مقدسة^(٢)، وليس في ذلك دلالة على ألوهية هذه الأماكن والأوقات.

ثالثاً: إضافة الروح إلى الله تعالى إضافة تشريف للدلالة على أنَّ هذه الأرواح مقدسة، مخصصة للعبادة والطاعة والخدمة، يقول ابن تيمية: "المضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم، والقدرة، والكلام، والحياة، كان صفة له، وإن كان عيناً قائمة بنفسها، أو صفة لغيره؛ كالبيت، والناقعة، والعبد، والروح، كان مخلوقاً مملوكاً مضافاً إلى خالقه ومالكه، ولكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الإضافة، كما اختصت الكعبة، والناقعة، والعباد الصالحون؛ بأن يقال فيهم: بيت الله، وناقعة الله، وعباد الله، كذلك اختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها: روح الله، بخلاف الأرواح الخبيثة، كأرواح الشياطين والكفار فإنَّها مخلوقة لله، ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة، كما لا تضاف إليه الجمادات كما تضاف الكعبة"^(٣).

ومما يدل على أنَّ نسبة الروح إلى الله تعالى نسبة تشريف لا نسبة تأليه قول النبي داود عليه الصلاة والسلام واصفاً عدل الرب: (عَذْلُكَ مِثْلُ جِبَالِ اللَّهِ)^(٤)، فكما أنَّ نسبة الجبال هنا إلى الله تعالى لا تدل على ألوهيتها، كذلك نسبة الروح إلى الله تعالى لا تدل على ألوهية الروح. فالمسيحيون إذ استدلوا على ألوهية الروح القدس بوصفه أنَّه روح الله قد عكسوا الموازين، وقلبوا الحقائق، فإنَّ تسمية ملاك الوحي بالروح القدس فيها دلالة على كمال عبوديته لله تعالى، وليس فيها دلالة على بلوغه إلى مرتبة الألوهية، فجعل المسيحيون كمال العبودية دليلاً على الألوهية، وهذا باطل.

رابعاً: يستدل ابن تيمية على بطلان ألوهية الروح القدس بأنَّ تسمية حياة الله تعالى بالروح القدس أمر لم ينطق به شيء من كتب الله تعالى، ولا قاله أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.^(٥)

خامساً: يبين السقار أنَّ قبول الإيمان من من لم يؤمن بالروح القدس، من أكبر الأدلة على عدم ألوهية الروح القدس، إذ لو كان الروح القدس إلهاً لاستحال قبول إيمان من لم يؤمن بألوهيته^(٦)، فقد جاء في أعمال الرسل ما نصه: (أَنَّ بُولُسَ بَعْدَ مَا اجْتَنَزَ فِي النَّوَاحِي الْعَالِيَةِ جَاءَ إِلَى أَفَسُسَ. فَإِذْ وَجَدَ تَلَامِيذَ قَالَهُمْ: هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟ قَالُوا لَهُ: وَلَا سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ)^(٧).

سادساً: جاء في إنجيل متى قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أُخْرِجُ

(١) لاويين (١٩/١٦).

(٢) الخروج (١١-٨/٢٠).

(٣) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج١، ص ٤٣١.

(٤) المزمير (٦/٣٦).

(٥) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج١، ص ٤٢١.

(٦) انظر: السقار، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟، ص ١٥٧.

(٧) أعمال الرسل (١/١٩).

الشَّيَاطِينُ)^(١)، بينما جاءت نفس القصة في إنجيل لوقا لكن جاءت كلمة (إصبع) بدل كلمة (روح)، وهذا نصها: (وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبَعِ اللَّهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ)^(٢)، فلو كان لكلمة (روح الله) أي معنى لاهوتي لما صحَّ أن يستبدلها لوقا بكلمة (إصبع)، فهذا من أقوى الأدلة على أنَّ كلمة (روح الله) تدل على ملك من الملائكة الكرام عليهم السلام، أو القوة والتأييد التي يعطيها الله تعالى لأتباعه عليهم السلام وأوليائه الكرام، ولو لم يكن من دليل غير هذا الدليل لإبطال ألوهية الروح القدس لكفى، وممَّا يؤيد أنَّ المقصود بالروح الملك أو القوة والمدد أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الله تعالى منزله عن الأعضاء والجوارح، ولا بد عندهم من تأويل هذه النصوص، وأقرب تأويل للإصبع هو القوة.

إلا إذا كان متى جاهلاً بلاهوت الروح القدس وعندها يبطل دينهم كله، لأنهم قد أخذوه عن متى الذين يجهل أساس دينهم، وعندها لا يكون هناك ثقة في نقله لدينهم.

سابعاً: إنَّ ممَّا يؤكد أنَّ الروح القدس هو ملك من الملائكة عليهم السلام تلك الصفات التي وُصف بها الروح القدس، والتي يستحيل أن يوصف بها الإله أو أن توصف بها حياة الله تعالى، ومنها:

١. **أنَّه نزل بصورة حمامة على المسيح عليه الصلاة والسلام عند معموديته**، وهذا نص الحادثة: (فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ)^(٣)، فإذا كان الروح القدس إلهاً، فكيف يصح أن يظهر بصورة حمامة؟! أليس الإله منزله عندكم عن الجسمية والتغيير؟! وإذا كان الروح القدس هو حياة الله تعالى فكيف يصح لحياة الله تعالى أن تفارقه وتنزل على المسيح عليه الصلاة والسلام؟! أليس لحياة الله الحركة والانتقال؟! أليس لحياة الله أن تفارق ذات الله؟! ألا يدل تمثّل الروح القدس وظهوره بصورة جسمية على أنَّه ملك من الملائكة عليهم السلام، فهم وحدهم الذين يستطيعون أن يتمثلوا ويظهروا بصور جسمية؟!^(٤)

٢. **أنَّ المسيح يرسله لعباده الصالحين**، قال المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَمَتَى جَاءَ الْمُعَرِّي الذِّي سَأَسْأَلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الذِّي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَثِقُ)^(٥)، فإن فرضنا جدلاً أنَّ المقصود من هذا النص الروح القدس، فإنَّ إرسال المسيح عليه الصلاة والسلام له يبطل ألوهيته، إذ لو كان الروح القدس إلهاً لما كان لأحد عليه سلطان.

٣. **أنَّ الله تعالى يعطيه لعباده الصالحين**، قال المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْآبُ الذِّي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟)، لوقا (١١/١٣)، فلو كان الروح

(١) متى (٢٨/١٢).

(٢) لوقا (٢٠/١١).

(٣) متى (١٦-١٧)، مرقس (١٠/١-١١)، لوقا (٢٢/٣).

(٤) انظر قدرة الملائكة على التشكل في: حبيب، دائرة المعارف الكتابية، ج٧، ص ٢٠٩.

(٥) يوحنا (٢٦/١٥).

القدس إلهاً فكيف يصح أن يعطى؟! وإذا كان الروح القدس حياة الله فهل حياة الله تعطى؟! فلعل الله تعالى يعطيها للذين يسألونه ويبقى هو بدون حياة- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

٤. أن روح الله كان يرف على الماء، (وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ)^(١)، فهل يصح أن توصف حياة الله بأنها ترف على الماء؟! أم أن هذا وصف لمخلوق من مخلوقات الله؟!.

٥. أنه حال في التلاميذ، قال المسيح عليه الصلاة والسلام: (لَأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ)^(٢)، وقال بولس: (أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمْ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ؟)^(٣)، إذا كان الروح القدس هو حياة الله، فهل يصح أن تحل حياة الله في التلاميذ؟!.

فهذه الصفات التي وصف بها الروح القدس والأعمال التي يعملها تدل دلالة قطعية على استحالة أن يكون المقصود بالروح القدس حياة الله تعالى، فحياة الله تعالى لا يمكن أن تتمثل بصورة حمامة، ولا يمكن أن تعطى، أو ترسل، أو أن ترف على وجه الماء، ولا يمكن أن تحل في التلاميذ وتتكلم فيهم، فهذه النصوص تدل على أن روح الله تطلق أحياناً على ملك من الملائكة وأحياناً تطلق على ما يؤتيه الله تعالى من قوة- بواسطة الملائكة أو غيرهم- للمؤمنين.

وبعد أن عرفنا حقيقة الروح القدس ننقل إلى نقض أدلة المسيحيين على ألوهيته.

المطلب الخامس: نقض أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس من الكتاب المقدس

إذا عرفنا أن كلمة (الروح القدس أو روح الله) لها عدة معاني في الكتاب المقدس؛ لذلك فإن أي دليل يستدل به المسيحيون قد ذكر به هذه الكلمة فاستدلّاهم به باطل؛ لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال، ومع هذا فإن الباحث سيقوم بإذن الله تعالى بتتبع أدلتهم والرد عليها بالتفصيل؛ حتى لا يظن أحد أن هناك أدلة قوية على ألوهية الروح القدس لا يمكن الرد عليها، وسيكون الرد من الكتاب المقدس نفسه، لإثبات أن الكتاب المقدس بالرغم تحريفه لا يقول بألوهية الروح القدس ولا يدعو إليها، وبيان ذلك الآتي:

أولاً: نقض استدلال المسيحيين على ألوهية الروح القدس بأن بعض أسماء الله تعالى أسماء للروح القدس^(٤)

يستدل المسيحيون على ألوهية الروح القدس بقول بطرس لحنايا: (يَا حَنَانِيَا لِمَاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بَاعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي

(١) تكوين (٢/١).

(٢) متى (٢٠/١٠).

(٣) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١٩/٦).

(٤) انظر: هذا البحث، ص ٦٢.

سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بِأَلَيْكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الْأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ^(١)، والجواب على ذلك: أَنَّ الباحث قد بيَّن أَنَّ الروح القدس هو الملك الذي ينقل رسالة الله تعالى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن هذا الجانب كان الكذب على الروح القدس كذب على الله تعالى، لأنَّ الكذب على الرسول في الحقيقة كذب على المرسل، وشبيه بهذا قول المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلْنِي)^(٢).

ثانياً: نقض أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس بما ورد من أنَّ بعض صفات الله تعالى صفات للروح القدس^(٣)

الرد الإجمالي: وُصِفَ الروح القدس بصفات الله تعالى، ويعد المسيحيون ذلك دليلاً على ألوهية الروح القدس، وقد بيَّن الباحث حين نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بما ورد من أنَّ بعض صفات الله تعالى صفات للمسيح أنَّ الصفات إذا نسبت إلى الله تعالى فإنَّها تنسب إليه بما يليق به كواجب للوجود وبما يليق بجلاله وجماله وكماله المطلق، وإذا نسبت للخلق نسبت إليهم على وجه يليق بهم كمخلوقين، وعليه فإنَّ نسبت الصفات الإلهية إلى الروح القدس لا تدل على ألوهيته، وتنسب إليه بما يليق به كمخلوق، أمَّا الرد التفصيلي فبيانه الآتي:

١. الأزلية والأبدية:

يستدل المسيحيون على أزلية الروح القدس بقول بولس: (فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بَلَا عَيْبٍ)^(٤)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ هذا النص ليس فيه دليل صريح على أزلية الروح القدس، وهذا يتعارض مع القاعدة الأولى التي تنص على وجوب أن تكون العقيدة واضحة وصريحة.

الوجه الثاني: هذا النص لم يُصرِّح بذكر الروح القدس إنَّما قال: بروح أزلي؛ وقد يكون المقصود: أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام استطاع أن يتحمل هذا البلاء بفضل العون والتوفيق المكتوب له من الله تعالى أزلاً، فإنَّ أحد معاني الروح **العون والتوفيق**، ويدل على ذلك قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ)^(٥)، ولا يمكن أن يكون المسيح إلهاً ويحتاج إلى مساعدة روح الله، ولا يمكن أن يكون المقصود بروح الله حياة الله، لأنَّ حياة الله تعالى لا تتعلق بغير الذات العلية، فإن أخذنا النص على ظاهره- الذي يفهمه المسيحيون- كان المعنى منه أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام قدم نفسه للموت بحياة الله، وهذا باطل قطعاً، أمَّا إن فسرنا الروح بالعون فيكون المعنى من النص أنَّ المسيح قدم

(١) أعمال الرسل (٣/٥).

(٢) متى (٤٠/١٠).

(٣) انظر: هذا البحث، ص ٦٣.

(٤) الرسالة إلى العبرانيين (١٤/٩).

(٥) متى (٢٨/١٢).

نفسه بعون كتبه الله تعالى له أزلاً، وهذا هو الذي يتوافق مع العقل والواقع.
فإذا ثبت هذا بطل الاستدلال بهذا النص على ألوهية الروح القدس، والله الحمد والمنة.

٢. القدرة على كل شيء:

يستدل المسيحيون بقدرة الروح القدس على ألوهيته، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:
الوجه الأول: أن الملائكة عليهم السلام قد وصفوا أيضاً بالقدرة دون فرق بينهم وبين الروح القدس، فقد قال النبي داود عليه الصلاة والسلام: (بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلَائِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةَ الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلَامِهِ)^(١)، وقال بطرس عن الملائكة: (حَيْثُ مَلَائِكَةٌ - وَهُمْ أَعْظَمُ قُوَّةً وَقُدْرَةً - لَا يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِمْ لَدَى الرَّبِّ حُكْمَ اقْتِرَاءٍ)^(٢)، فما دامت القدرة قد نسبت إلى الروح القدس وإلى الملائكة بنفس النسبة، فلماذا فرقتهم بينهم من غير فارق فجعلتم نسبة القدرة إلى الروح القدس دليلاً على ألوهيته ولم تجعلوها دليلاً على ألوهية الملائكة الكرام عليهم السلام؟!

الوجه الثاني: لو كان الروح القدس إلهاً لكان هو الذي يعطي القوة بنفسه، ولكن نصوص الكتاب المقدس تبين أن الله تعالى هو الذي يعطي الروح القدس لمن يشاء من عباده الصالحين، وهذا يدل على أن الروح القدس خاضع لأمر الله تعالى، وليس له من الأمر شيء، ولو كان إلهاً قادراً لفعل ما يشاء، والدليل على ذلك قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟)^(٣)، يقول منقذ السقار معلفاً على هذا النص: "إذ لا يعقل أن يكون الله العظيم ممثلاً بأقنومه الثالث هديه تهدي، ويمتلكها بعض البشر"^(٤)، فإذا ثبت أن القدرة كانت تنسب إلى الروح القدس وإلى غيره، فقد بطل الاستدلال بها على ألوهية الروح القدس، والله الحمد والمنة.

٣. الحضور في كل مكان:

يستدل المسيحيون على ألوهية الروح القدس بعدة نصوص تصف الروح القدس بأنه في كل مكان منها: قول النبي داود عليه الصلاة والسلام: (أَيَّنْ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيَّنْ أَهْرُبُ؟)^(٥)، والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أن هذا النص ليس فيه ذكر للروح القدس، وإنما ذكر روح الله، والمسيحيون يزعمون أن حياة الله تسمى الروح القدس، لا أن روح الله تسمى الروح القدس، فروح الله تطلق أيضاً على الملائكة الكرام عليهم السلام، كما بيّن الباحث ذلك سابقاً، فقد يكون المقصود قول النبي داود أين

(١) المزمور (٢٠/١٠٣).

(٢) رسالة بطرس الثانية (١١/٢).

(٣) لوقا (١٣/١١).

(٤) السقار، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟، ص ١٥٦.

(٥) المزمور (٧/١٣٩).

أذهب من الملك الذي وكلته بحراستي، فإنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الملائكة تحرس المؤمنين^(١)، فقد جاء في المزمور: (لأنَّه يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طَرَفِكَ. عَلَى الْأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ لِئَلَّا تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رَجُلًا)^(٢).

الوجه الثاني: أنَّ هذا النص لا يأخذ على ظاهره حتى عند المسيحيين؛ فهم يأولون كلمة (الوجه) هنا بالذات، لأنَّهم يعتقدون أنَّ الله تعالى منزّه عن الجسمية والأعضاء^(٣)، وإنَّ تأويل الروح هنا من باب أولى، لأنَّه إذا كانت إضافة الأعضاء لله تعالى تتعارض مع صفة البساطة والروحانية عندهم، فإنَّ الاعتقاد بأنَّ الروح أقنوم مستقل يتصف بالألوهية يتعارض مع وحدانية الله تعالى، وهي من أهم الصفات الإلهية، فإنَّ فيها اعتداء عظيم على حق الخالق على الخلق بأن لا يعبدوا سواه، ولا يعتقدوا الألوهية في غيره، وهذا والله أعظم من ادعاء الأعضاء له، فعجباً من أمر المسيحيين كيف ينزهون الله تعالى عن الأعضاء، ويأولون النصوص الواردة في ذلك مع كثرتها، ثم يعتقدون بوجود شريك لله تعالى، ويستدلون على ذلك ببعض النصوص التي لا تدل على مرادهم، ولا تنتصر لقولهم، وغاية ما فيها أنَّها نصوص متشابهة يمكن فهمها مع النصوص المحكمة المثبتة للوحدانية، فإذا كنتم تؤلون الكثير من النصوص المثبتة للأعضاء ليتوافق مع القليل المنزه لله عنها، فلماذا لا تأولون القليل الذي قد يوهم وجود الشريك لله تعالى ليتوافق مع الكثير الذي يثبت وحدانية الله تعالى، وتفرد بالألوهية والربوبية؟!

أمَّا قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَكِبْتُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ)^(٤)، فليس فيه ذكر للروح القدس، إنَّما فيه ذكر لروح الحق، وقد يكون ملكاً من الملائكة، وليس فيه أنَّه في كل مكان، إنَّما فيه أنَّ الآب سوف يرسله إلى أتباع المسيح عليه الصلاة والسلام من أجل تثبيتهم على الحق، ونصرتهم على الباطل، وإنَّ مجرد الاعتقاد بأنَّ الآب أرسله يبطل ألوهيته، فلو كان إلهاً لكان أمره بيده، ولما احتاج لمن يرسله، وممَّا يؤكد عدم ألوهية هذا الروح المرسل من قبل الآب ما جاء في الترجمة اليسوعية الكاثوليكية من أنَّ هذا الروح مؤيد من قبل الآب، وهذا يتعارض مع ألوهية الروح القدس، فلو كان الروح القدس إلهاً لما احتاج إلى تأييد من الآب، فالمحتاج ناقص، والناقص لا يكون إلهاً، وهذا نصه كما ورد في الترجمة اليسوعية الكاثوليكية: (وَأَنَا سَأَسْأَلُ الْآبَ فِيهِبُ لَكُمْ مُؤَيِّدًا آخَرَ يَكُونُ مَعَكُمْ لِلْأَبَدِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَتَلَقَّاهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ)، فالروح المعطى هنا مؤيد من قبل الآب، والإله يكون مؤيداً لغيره، لا مؤيداً من غيره.

هذا ويرى بعض العلماء أنَّ هذا النص بشارة من المسيح بالنبي محمد صلوات ربي وتسليماته

(١) انظر: مينا، علم اللاهوت، ج٢، ص٥٥. جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج١، ص٣٣٥.

(٢) المزمور (١٢-١١/٩١).

(٣) انظر: مينا، علم اللاهوت، ج١، ص١٢٦.

(٤) يوحنا (١٦/١٤).

عليهما، فقد جاء هذا النص في الترجمات القديمة بصورة تختلف عن الترجمات الحديثة، فقد جاءت كلمة (الفارقليط) بدل كلمة (المعزي)، والفارقليط كلمة يونانية تعني كثير الحمد؛ وهي تنطبق تماماً على أحد الأسماء الجليلية لنبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسم (أحمد)^(١)، ويؤكد ذلك أن كلمة روح في الكتاب المقدس تأتي أحياناً بمعنى نبي كما مر سابقاً.

٤. العلم:

يستدل المسيحيون على ألوهية الروح القدس بنسبة العلم إليه؛ والجواب على ذلك: أن المسيح عليه الصلاة والسلام قد نفى علم الساعة عن نفسه الكريمة، ونفاها عن غيره بمن في ذلك الروح القدس، فقال عن يوم القيامة: (وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ أَوْ تِلْكَ السَّاعَةُ فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَعْلَمُهَا: لَا الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ، إِلَّا الْآبُ)^(٢)، فهذا الدليل قاطع في نفي العلم بالساعة عن كل أحد بما في ذلك المسيح والروح القدس عليهما السلام، لأن النكرة (كلمة أحد هنا نكرة) في سياق النفي تنفيذ العموم^(٣)، ودليل قاطع في حصر العلم بالساعة بالله تعالى وحده، وهذا دليل يبطل ألوهيتهما، والله الحمد والمنة.

ثالثاً: نقض أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس بما ورد من أن بعض أعمال الله تعالى أعمال للروح القدس^(٤)

الرد الإجمالي: لقد بين الباحث حين نقض استدلال المسيحيين على ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بأن الأعمال إذا نسبت إلى الله تعالى فإنها تنسب إليه على أنه خالقها وموجدتها، وإذا نسبت إلى الخلق فإنها تنسب إليهم على أنهم أسباب فيها^(٥)؛ وعليه فإن الأعمال الإلهية إذا نسبت إلى الروح القدس فإنما تنسب إليه على أنه سبب فيها، لا على أنه خالقها وموجدتها، أمّا الرد التفصيلي فبيان الآتي:

١. الخلق:

يستدل المسيحيون على ألوهية الروح القدس بما جاء في سفر التكوين ونصه: (فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَكَانَتْ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ)^(٦)، يبين ابن تيمية أن المقصود من روح الله في هذا النص الريح، ففي بداية الخلق كانت الأرض مغمورة بالماء، وكانت روح الله ترف على الماء، فكان الماء فوق التراب، والهواء فوق الماء، وروح الله هي الريح التي كانت فوق الماء، ولم يرد بذلك أن حياة الله تعالى كانت ترف على الماء، فإن هذا لا

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج٢، ص ٢٩٠-٣٠٢. العراقي، عبد الأحد داود الأشوري، الإنجيل والصليب، ط١، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٦٩-٨٢. السقار، منقذ بن محمود، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم، ط١، دار الإسلام، الرياض، ٢٠٠٧م، ص ٧٥.

(٢) مرقس (٣٢/١٣).

(٣) انظر قاعدة النكرة في سياق النفي تفيد العموم: الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم (ت ١٣٦٤هـ)، جامع الدروس العربية، ط ٢٨، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٣٣٢.

(٤) انظر: هذا البحث، ص ٦٤.

(٥) انظر: هذا البحث، ص ١٣٩.

(٦) التكوين (١/١-٢).

يقوله عاقل، فإنَّ حياة الله تعالى صفة قائمة بذات العلية، لا تفارقه سبحانه، ولا تقوم بغيره، فيمتنع أن تقوم بماء أو غيره، فضلاً عن أن ترف على الماء، والذي يرف على الماء جسم قائم بنفسه، وهذا إخبار عن الريح التي كانت تتحرك فوق الماء.^(١)

ومن أدلتهم أيضاً قول النبي داود عليه الصلاة والسلام: (تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ. وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الْأَرْضِ)^(٢)، **والجواب على ذلك:** أنَّ المقصود بالروح هنا المَلَك، وإضافة الخلق إلى الملك من باب إضافة النتائج إلى الأسباب، فأضيف الخلق إلى الروح (الملك) لأنه موكل بنفخ الأرواح، أمَّا إذا أخذنا النص على معناه الحرفي الذي يؤمن به المسيحيون فيكون المعنى: أنَّ الله تعالى يرسل حياته لِتُخْلَقَ، وهذا باطل؛ لأنَّ الصفة (حياة الله هنا) لا يمكن أن ترسل، ولا تفارق الموصوف، ولا يمكن أن تخلق، وإنَّما الذي يخلق هو الله تعالى الموصوف بها.

٢. منح الحياة:

يستدل المسيحيون على ألوهية الروح القدس بأنَّه يمنح الحياة، وجاء ذلك في قول الرب لبني إسرائيل: (وَأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فَتَحْيَوْنَ)^(٣)، **والجواب على ذلك:** أنَّ المقصود من الروح هنا هي الروح البشرية التي تكون بها حياة الأجساد، وقد نسبت الروح البشرية لله سبحانه تشريفاً لها، ولأنَّ الله تعالى خلقها بدون واسطة، بل خلقت بالأمر الإلهي المقدس مباشرة فقال لها سبحانه: (كن)، فكانت، في حين أنَّه خلق الجسد من تراب، ولا يمكن أن يكون المعنى المقصود هنا من الروح حياة الله (أو الأَقْنوم الثالث) لأنَّ المعنى عندها يكون أنَّ الله تعالى يجعل حياته فيها، وهذا باطل قطعاً، لأنَّ حياة الله تعالى صفة تتعلق بذاته العلية ولا يمكن أن تتعلق بغيره سبحانه، وإن فرضنا جدلاً أنَّها تحل في الناس كما هو المعنى الحرفي للنص، لكان كل من تحل به الروح الإلهية أو حياة الله إله، ويلزم بذلك إثبات الألوهية لكل البشر، لأنَّهم جميعاً - بحسب النص - تحل بهم روح الله، وهذا باطل، وما أدى إلى الباطل فهو باطل، فثبت بذلك بطلان القول بأنَّ حياة الله تعالى (الروح القدس) هي التي تحي الخلق، وتهب لهم الحياة.

أمَّا قول بولس: (وَإِذَا كَانَ رُوحُ اللَّهِ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ يَسْكُنُ فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ يَبْعَثُ الْحَيَاةَ فِي أَجْسَادِكُمْ الْفَانِيَةِ بِرُوحِهِ الَّذِي يَسْكُنُ فِيكُمْ)^(٤)، وقول بطرس: (وَلَكِنْ لِيَحْيُوا حَسَبَ اللَّهِ بِالرُّوحِ)^(٥)، **والجواب على ذلك:** أنَّ المقصود من قول بولس أنَّ السعادة الأبدية في الآخرة تكون باتباع الشريعة الإلهية المقدسة، والسياق يؤكد لنا ذلك، وهذا نصه كما جاء في الترجمة

(١) ابن تيمية، **الجواب الصحيح**، ج١، ص٤٢٨. ويؤيد ذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تُسْبُوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ رُوحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُّوا اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا)، ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ)، **سنن ابن ماجه**، د.ط، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية، دبلد، دت، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الريح، ح ٣٧٢٧، ج٢، ص ١٢٢٧، صححه الألباني.

(٢) المزمور (٣٠/١٠٤).

(٣) حزقيال (١٤/٣٧).

(٤) الرسالة إلى أهل رومية (١١/٨).

(٥) رسالة بطرس الرسول الأولى (٦/٤).

العربية المشتركة: (فلا حُكْمَ بَعْدَ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِأَنَّ شَرِيعَةَ الرُّوحِ الَّذِي يَهْبُنَا الْحَيَاةَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ حَرَّرَتْكَ مِنْ شَرِيعَةِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ ... نَحْنُ السَّالِكِينَ سَبِيلَ الرُّوحِ لَا سَبِيلَ الْجَسَدِ)^(١)، فالمعنى واضح جداً من النص وهو أَنَّ من اتبع الروح (الشريعة) فسوف يصبح ابن الله تعالى؛ أي يصبح باراً، وعندها ينجو من الشقاء الأبدي وينال السعادة الأبدية وقد أكد بولس ذلك بقوله: (والاهتمام بالجسدِ مَوْتٌ، وَأَمَّا الْاهْتِمَامُ بِالرُّوحِ فَحَيَاةٌ وَسَلَامٌ ... فَالرُّوحُ حَيَاةٌ لَكُمْ لِأَنَّ اللَّهَ بَرَّرَكُمْ)، والمقصود هنا بالموت بالجسد أَنَّ الهلاك في الآخرة باتتباع شهوات الجسد، والمقصود من الحياة بالروح أَنَّ السعادة الأخروية تكون باتتباع الشريعة، ويؤكد ذلك قول بطرس الذي استدل به المسيحيون على ألوهية الروح القدس، ونصه: (فَإِنَّهُ لِأَجْلِ هَذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضاً، لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ، وَلَكِنْ لِيَحْيُوا حَسَبَ اللَّهِ بِالرُّوحِ)^(٢)، فالذي يتبع شهوات الجسد يدان ويحاسب، والذي يتبع الروح (الشريعة)، ويحيا بالروح فلن يعذب، وليس في هذه النصوص ذكر للروح القدس، فضلاً عن أَنَّ يكون هو الواهب للحياة والمعطي لها، بل هذه النصوص تتحدث عن الحياة أي السعادة الأبدية التي تكون باتتباع الشريعة، وهذا واضح من النصوص لا يحتاج إلى شرح وبيان.

٣. الدينونة:

يستدل المسيحيون على ألوهية الروح القدس بأنَّه هو الذي يدين الناس يوم القيامة، وجاء ذلك في قول المسيح عليه الصلاة والسلام: (صَدَّقُونِي، مِنْ الْخَيْرِ لَكُمْ أَنْ أَذْهَبَ، فَإِنْ كُنْتُ لَا أَذْهَبُ لَا يَجِئُكُمْ الْمُعْزِي. أَمَّا إِذَا ذَهَبْتُ فَأَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ وَبَخَّ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَالْبِرِّ وَالْدِّينُونَةِ)^(٣)، والجواب على ذلك: أَنَّ الباحث قد بيَّن أَنَّ النصوص التي تتحدث عن المعزي فيها تحريف في الترجمة، فالكلمة الأصلية هي (الفارقليط) وتعني كثير الحمد، وهي بشارة بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام، وممَّا يؤكد ذلك أَنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام ينسب له أعمالاً بشرية مثل المجيء بعد المسيح، والروح القدس- الإله في المسيحية- كان منذ بداية الخلق، بل لقد كان له الدور في ولادة المسيح، والمعزي يوبخ الناس على المعصية، وغير ذلك من الأعمال التي تثبت بشرية المعزي مما جاء في النصوص الأخرى التي تتحدث عن المعزي الآتي بعد المسيح عليه الصلاة والسلام، فلا يمكن أن يكون هذا المعزي هو الروح القدس أو حياة الله تعالى، لِأَنَّ حَيَاةَ اللَّهِ لَا تَأْتِي وَتَجِيءُ، وَلَا تَحُلُ فِي النَّاسِ، بَلْ هَذِهِ أَعْمَالٌ لَا تَنْسَبُ إِلَّا لِمَخْلُوقٍ.^(٤)

فإذا ثبت هذا بطل الاستدلال بالدينونة على ألوهية الروح القدس، والله الحمد والمنة.

(١) الرسالة إلى أهل رومية (١٧-١/٨).

(٢) رسالة بطرس الأولى (٦-١/٤).

(٣) يوحنا (٨/١٦).

(٤) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج٢، ص ٢٩١. السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم، ص ٨٤.

٤. غفران الخطايا:

يستدل المسيحيون على ألوهية الروح القدس بما جاء من أنه يغفر الخطايا، قال بولس: (لَا تَضِلُّوا!) .. لَكِنْ اغْتَسَلْتُمْ بَلَّ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلَهِنَا^(١)، والجواب على ذلك: أن هذا النص لا ذكر فيه لغفران الروح القدس للذنوب، بل أقصى ما يدل عليه النص أن البر يكون بالإيمان بالمسيح عليه الصلاة والسلام، واتباع الشريعة الإلهية المقدسة التي نزل بها روح الله، وروح الله هنا يقصد به ملك الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام، وليس في النص أي دليل لا تصريحاً ولا تلميحاً على ألوهية الروح القدس، والله إن هذا النص لا يصلح لإثبات مسألة فرعية، فكيف يصح الاستدلال به على عقيدة أساسية، هي سبب السعادة الأبدية.

وبعد نقض أدلة المسيحيين على ألوهية الروح القدس ننقل الآن إلى نقض أدلة المسيحيين على وحدانية الله وتثليث أقانيمه.

المطلب السادس: نقض أدلة المسيحيين على وحدانية الله

وتثليث أقانيمه من الكتاب المقدس

الرد الإجمالي: إن إبطال ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس عليهما السلام هو في الحقيقة إبطال لكل العقائد المسيحية بما في ذلك الثالوث (تثليث الأقانيم)، ومع ذلك فسوف يقوم الباحث بنقض أدلة المسيحيين على الثالوث- بإذن الله تعالى- حتى لا يُظن أن هناك أدلة صحيحة تثبت وجود ثلاثة أقانيم في الذات الإلهية لا يمكن لنا نقضها، وسيكون الرد من الكتاب المقدس نفسه، لإثبات أن الكتاب المقدس بالرغم من تحريفه لا يقول بعقيدة الثالوث ولا يدعو إليها.

هذا ويستدل المسيحيون على وحدانية الله وتثليث أقانيمه بعدة أدلة غير صريحة في الدلالة على ذلك، وهذا يتعارض مع القاعدة الأولى التي تنص على وجوب أن تكون الأدلة صريحة في الدلالة على المدلول، فلا يجوز أن تكون الأدلة التي يستدل بها المسيحيون على عقيدة أساسية مثل عقيدة الثالوث أدلة غير صريحة، أمّا الرد التفصيلي على أدلة المسيحيين فبيانه الآتي:

أولاً: نقض أدلة المسيحيين من العهد القديم على وحدانية الله وتثليث أقانيمه

يستدل المسيحيون بأدلة عديدة من العهد القديم على وحدانية الله وتثليث أقانيمه، منها:

الدليل الأول: ما جاء في بداية سفر التكوين ونصه: (فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)^(٢)، فقد جاءت كلمة الله في الأصل العبراني (ألوهم) ومعناها (الآلهة)، وجاء أيضاً في نفس السفر قول الله تعالى: (نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا)^(٣)، فعبر الله عن ذاته العلية بصيغة الجمع، والجواب على

(١) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١١-٩/٦).

(٢) التكوين (١/١).

(٣) التكوين (٢٦/١).

ذلك من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ صيغة الجمع تستخدم للتعظيم، يقول منقذ السقار: "والجمع الوارد في مثل قوله: (ألوهيم، هلم، ننزل، نبلي، نعمل) هو جمع تعظيم لا يفيد الكثرة، وقد أعتادت الأمم التعبير عن عظمائها باستخدام جمع التعظيم، فيقول الواحد: نحن، ورأينا، وأمرنا، ومقصده نفسه، ولا يفهم المستمع أنَّه يتحدث عن ذاته وأقانيمه" ^(١)، ومما يؤكد ذلك أنَّ الكتاب المقدس قد استخدم صيغة الجمع للتعظيم، فهذه العرافة التي رأت روح صموئيل بعد موته تقول لشاول: (رَأَيْتُ إِلَهًا يَصْعَدُونَ مِنَ الْأَرْضِ. فَقَالَ لَهَا: مَا هِيَ صُورَتُهُ؟ فَقَالَتْ: رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدٌ وَهُوَ مُغَطَّى بِجُبَّةٍ. فَعَلِمَ شَاوُلُ أَنَّهُ صَمُوئِيلُ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَجَدَ) ^(٢)، فهنا تحدثت المرأة عن صموئيل بصيغة الجمع (آلهة)، ويؤكد لنا محمد البلاغي أنَّ الكتاب المقدس استعمل صيغة الجمع في مقام لا يمكن أن يفهم منه الجمع، وذلك أنَّ الكتاب المقدس خاطب النبي موسى بشأن النبي هارون عليهما السلام، فقال: (وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلَهًا)، الخروج (١٦/٤)، والأصل العبري لها: (واتاه تيه لولا هيم)، وخاطب الرب النبي موسى عليه الصلاة والسلام أيضاً بقوله: (جَعَلْنَاكَ إِلَهًا لِفِرْعَوْنَ)، الخروج (١/٧)، والنص العبري لها: (نتيتك ألوهيم لفرعه)، وألوهيم معناها (آلهة)، ولا يمكن أن يكون المقصود من قول الكتاب المقدس عن النبي موسى عليه الصلاة والسلام بأنَّه (ألوهيم) أنَّه جماعة، أو ذو ثلاثة أقانيم. ^(٣)

فالكتاب المقدس كان يستخدم الجمع للتعظيم، وليس في ذلك أي دلالة على أنَّ الله تعالى ثلاثة أقانيم، فإن قال المسيحيون: إنَّ هذا اللفظ مشترك، فهو في حق الله تعالى يدل على الأقانيم الثلاثة، وفي حق غيره يدل على التعظيم، فالجواب عليه: أنَّ هذا تفريق من غير فارق، فقد نُسب الجمع إلى الله تعالى وإلى غيره بنفس النسبة، ثم إنَّ الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال، ودليلكم هذا قد تطرق إليه الاحتمال.

الوجه الثاني: لا يُمكن أن يفهم من الأوضاع اللغوية وحدانية الذات وتعدد الأقانيم، فإذا ذكر الله بصيغة المفرد فهمنا منها وحدانية الذات والجوهر، ومتى ذكر بصيغة الجمع فهمنا تعدد الأقانيم، يقول عبد الرحمن الجزيري: "وهل الأوضاع اللغوية يمكن أن يؤخذ منها أنَّ الثلاثة صاروا واحداً، فتارة يعود الضمير عليها باعتبار كونها ثلاثة، وتارة يعود عليها باعتبار كونها واحد، كلا" ^(٤)، ويتعجب الجزيري ممن يأخذ من الأوضاع اللغوية دليلاً على الثالوث، ويعد الجزيري ذلك من أسخف الأقوال، فلا يمكن أن يُستدل بنون العظمة على الثالوث. ^(٥)

(١) السقار، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟، ص ١٦٢.

(٢) صموئيل الأول (١٣/٢٨-١٤).

(٣) انظر: البلاغي، التثليث والتوحيد، ص ٥٠.

(٤) الجزيري، أدلة اليقين، ص ٢٢١.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ص ٢٢١.

الوجه الثالث: قد تكون كلمة (ألوهيم)- كما بيّن البلاغي- علماً على الله تعالى، وإضافة الياء والميم إليها لا تدل على الجمع، كما أضيفت الياء والميم إلى بعض أسماء الأعلام المفردة، مثل: (موفيم وحوفيم) ولدا بنيامين، و(أفرايم) ابن النبي يوسف عليه الصلاة والسلام كما جاء في سفر التكوين (٤٦/١٠-٥٠)^(١)، وعليه فإنّ أقصى ما يدل عليه لفظ الجمع إن أردنا أن نفهمه على المعنى الحرفي مجموعة من الآلهة، أمّا أن يدل على ذات واحدة متعددة الأقسام فهذا أمر لا يفهم من مجرد ذكر لفظ الجمع.

الدليل الثاني: استدل المسيحيون بقول الملائكة عليهم السلام ممجدين الله تعالى: (قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ)^(٢)، وما جاء في سفر العدد حين بارك النبي موسى عليه الصلاة والسلام بني إسرائيل فقال: (يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بَوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلَاماً)^(٣)، فالجواب عليهما من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنّ هذه النصوص ليس فيها أي ذكر للثالوث، وهي لا تدل على الثالوث لا من بعيد ولا من قريب، بل إنّها لا تصلح للاستدلال على مسألة فرعية، فكيف تصلح للاستدلال بها على مسألة هي أساس الدين وطريق النجاة.

الوجه الثاني: يرى السقار أنّ تكرار اللفظ كان للتأكيد فحسب، ويدل على ذلك ما جاء في بعض النصوص من تكرار بعض الألفاظ للتأكيد، مثل قول اليهود لبيلاطس حين صلب المسيح عليه الصلاة والسلام- كما يعتقد المسيحيون-: (اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!)، لوقا (٢٣/٢١)، وتكرار المسيح السؤال لسمعان: (يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ لَهُ: نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ. قَالَ لَهُ: ارْغَ خِرَافِي. قَالَ لَهُ أَيْضاً ثَانِيَةً: يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي؟)، يوحنا (١٥/١٧-١٧)^(٤)، ففي هذه النصوص وفي غيرها كان التكرار دالاً على التأكيد فقط، وكذلك هو الحال في النصوص التي استدلت بها المسيحيون، فالتكرار فيها دال على التأكيد فقط.

وكذلك تكرار بركة النبي موسى عليه الصلاة والسلام كان للتأكيد فقط، وإلا فلو كان التكرار ثلاثاً يدل على التثليث، فقد كرر المسيح عليه الصلاة والسلام كلمة: (أَيُّهَا الْآبُ) في صلاته من أجل التلاميذ والمؤمنين خمس مرات^(٥)، فما قولكم في هذا؟! وهل يدل هذا على وجود خمسة أقانيم لله تعالى؟! فالتكرار كان للتأكيد والمبالغة في الإلحاح بالدعاء، ولا يدل على تعدد المدعو، إنّما يدل على تعدد الدعوات فقط.

(١) انظر: البلاغي، التوحيد والتثليث، ص ٤٧.

(٢) إشعياء (٣/٦).

(٣) العدد (٢٤/٦).

(٤) انظر: السقار، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟، ص ١٦٢.

(٥) يوحنا (١٧/١-٢٦).

الوجه الثالث: إذا أردنا أن نفهم النص على طريقة المسيحيين في الاستدلال فيكون لدينا ثلاثة آلهة قديسون ورب، لأنَّ النص يقول: (قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ)؛ فالقدوس الأول هو الآب، والقدوس الثاني هو الابن، والقدوس الثالث هو الروح القدس، ويبقى لدينا رب جديد غير هؤلاء الآلهة الثلاثة ألا وهو رب الجنود! وعندها لا يكون كل من الآب والابن والروح القدس أرباباً، بل هم آلهة فقط، وهذا باطل قطعاً.

الدليل الثالث: استدلووا بقول الله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام: (أَنَا إِلَهٌ أَبْيَكُ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ إِسْحَاقَ وَإِلَهَ يَعْقُوبَ)^(١)، فالجواب عليه من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ هذا النص غير صريح في ذكر الثالث، وإذا أردنا أن نستدل به فيجب أن نستدل به على الترتيب لا على التثليث، لأنَّه يذكر لنا أربعة آلهة هم: إله هو أب النبي موسى- وأبوه ليس أحد الأنبياء الذين ذكروا بل هم من أجداده الكرام كما هو معلوم-، وإله الخليل إبراهيم، وإله النبي إسحاق، وإله النبي يعقوب عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وبهذا صار لدينا- والله الحمد!- أربعة آلهة لا ثلاثة، وهذا باطل حتى عند المسيحيين.

الوجه الثاني: إنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الإله واحد في ثلاثة أقانيم، في حين أنَّهم إذا أرادوا الاستدلال بهذا النص فعليهم أن يثبتوا ثلاثة آلهة، وهذا يتنافى مع الوحانية التي يؤمن بها المسيحيون، يقول ابن تيمية موضحاً ذلك: "أنَّه لو أريد بلفظ الإله أقنوم الوجود، ولفظ الإله مرة ثانية أقنوم الكلمة، وبالتالي أقنوم الحياة، لكان الأقنوم الواحد إله إبراهيم، والأقنوم الثاني إله إسحاق، والأقنوم الثالث إله يعقوب، فيكون كل من الأقانيم الثلاثة إله أحد الأنبياء الثلاثة، والأقنومين ليسا بالهين له، وهذا كفر عندكم، .. وأيضاً فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة ثلاثة، وهم يقولون إله واحد، ثم هم إذا قالوا كل من الأقانيم إله واحد فيجعلون الجميع إله كل نبي، فإذا احتجوا بهذا النص على قولهم لزم أن يكون إله كل نبي ليس هو إله النبي الآخر، مع كون الآلهة ثلاثة"^(٢)، وعليه فيكون إله الخليل هو الآب فقط، دون الابن والروح القدس، ويكون إله النبي إسحاق هو الابن فقط، دون الآب والروح القدس، ويكون إله النبي يعقوب هو الروح القدس، دون الآب والابن، فكل نبي من الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام يعبد أقنوماً واحداً فقط، وكل ذلك باطل.

الوجه الثالث: إنَّنا نقول- كما ذكر ابن تيمية:- إنَّ الله تعالى هو رب السماء، ورب الأرض، ورب البشر، أفيلزم من ذلك أن يكون رب السماء ليس هو رب الأرض، وكذلك نقول: إنَّ الله هو إله النبي موسى، وإله النبي هارون، وإله النبي يوسف، وإله النبي إبراهيم، أفيمكن لدينا أربعة آلهة.^(٣)

الوجه الرابع: إنَّ العطف إمَّا أن يكون بين ذوات متغايرة، أو بين صفات متعددة، وفي هذا يقول

(١) الخروج (٦/٣).

(٢) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج١، ص ٥٢١.

(٣) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج١، ص ٥٢١.

ابن تيمية: "إنَّ العطف يكون تارة لتغاير الذوات، وتارة لتغاير الصفات، .. فقولُه في التوراة: (إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ)؛ هو من هذا الباب، ولا يختص هذا بثلاثة، بل يقال في الاثنين والأربعة والخمسة بحسب ما يقصد المتكلم ذكره من الصفات"^(١)، ويبيِّن ابن تيمية فائدة هذا التكرار فيقول: "وفي هذا من الفائدة ما ليس في قوله: إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فإنَّه لو قيل ذلك لم يفد إلا أنَّه معبود الثلاثة، لا يدل على أنَّهم عبوده مستقلين؛ كل منهم عبده عبادة اختص بها لم تكن هي نفس عبادة الأول، أيضاً فإنَّ إذا قيل: إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، دل على عبادة كل منهم بالزوم، وإذا قال: وإله دل على أنَّه معبود كل من الثلاثة، فأعاده باسم الإله الذي يدل على العبادة دلالة باللفظ المتضمن لها، وفي ذلك من ظهور المعنى للسامع وتفرعه بصورة له من غير فكر ما ليس في دلالة الملزوم."^(٢) فإذا ثبت هذا بطل استدلال المسيحيين بهذه النصوص على الثالوث.

ثانياً: نقض أدلة المسيحيين من العهد الجديد على وحدانية الله وتثليث أقانيمه

يستدل المسيحيون على وحدانية الله وتثليث أقانيمه بعدة أدلة من العهد الجديد منها:

الدليل الأول: قول المسيح عليه الصلاة والسلام لتلاميذه: (فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ)^(٣)، وقد نقض الباحث الاستدلال بهذا النص عندما نقض أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح، ويمكن الجواب على هذا النص أيضاً من عدة وجوه أخرى أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ بعض العلماء عدَّ هذا النص محرفاً، وأنَّه من إضافة بعض النساخ، بدليل عدم ورود هذه الوصية في الأناجيل الثلاثة الأخرى، فقد جاءت هذه الوصية في مرقس وفيها أنَّ المسيح قال للتلاميذ: (اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَكُرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنِّ)^(٤)، وجاءت هذه الوصية كذلك في يوحنا وفيها أنَّ المسيح قال لتلاميذه: (كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أَرْسَلُكُمْ أَنَا. وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ عَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُمْ)^(٥)، وقال بطرس لليهود: (تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ)^(٦)، أمَّا بولس فقد قال: (اعْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ)^(٧)، فكل من بطرس وبولس قد عمدوا الناس باسم المسيح عليه السلام، ولم يعمدوهم باسم الآب والروح القدس ممَّا يؤكد عدم صحة النص السابق، أنَّ بطرس علم كرتيليوس الدين المسيحي (وَأَمَرَ أَنْ يَعْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ)^(٨).

ويتساءل أنمار أحمد من عدم ذكر الأناجيل الثلاثة لهذه الوصية فيقول: "انفرد متى من بين كتبة

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٢١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٢١-٥٢٢.

(٣) متى (١٩/٢٨).

(٤) مرقس (١٦-١٥/١٥).

(٥) يوحنا (٢٣-٢١/٢٠).

(٦) أعمال الرسل (٣٨/٢).

(٧) أعمال الرسل (٥/١٩).

(٨) أعمال الرسل (٤٨/١٠).

الأنجيل الأربعة بذكر هذه العبارة المهمة التي أهمل البقية ذكرها، مع أنَّ كتبة الأنجيل الأربعة يتفقون على إيراد قصة دخول المسيح إلى أورشليم وهو راكب على جحش، بينما لا يتفقوا على عبارة التثليث هذه!! فهل يعقل أن يتمسك كتبة الأنجيل الثلاثة الآخرين (مرقس، لوقا، يوحنا) بعبارة ركوب المسيح على جحش، ودخوله إلى أورشليم، ويهملون رواية الثالوث المقدس لديهم والتي تعد واحدة من أهم عقائد النصارى، إنَّ هذا الأمر يقطع يقيناً أنَّ هذه الرواية قد أضيفت إلى إنجيل متى في مراحل متأخرة.^(١)

الوجه الثاني: ممَّا يؤكد عدم صحة هذا النص أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام بُعث إلى بني إسرائيل فقط، يقول أنمار أحمد: "ويستدل كذلك على عدم صحة هذه الفقرة .. أنَّ السيد المسيح بُعث إلى بني إسرائيل فقط، وأنَّ تلاميذه ساروا على نهجه هذا، وأنَّ الذين تركوا القدس من تلاميذه.. وأخذوا ينشرون تعاليمه، لم يكونوا يخاطبون إلا اليهود، وهذا يقطع بعدم صحة هذه العبارة، وأنَّها أضيفت إلى الإنجيل لاحقاً لتأكيد مسألة الثالوث التي لا يرد ذكرها في الكتاب المقدس أجمع."^(٢)

الوجه الثالث: إن فرضنا جدلاً صحة هذا النص فهو لا يدل على أنَّ الذات الإلهية تتكون من هذه الشخصيات الثلاثة، أو بمعنى آخر لا يدل على أنَّ الله تعالى واحد في ذاته وجوهره، مثلث في أقانيمه، تقول باربارا: "بينما يذكر النص الأشخاص الثلاثة الذين وُصفوا متأخراً في التثليث المسيحي، ولكنه لا يقول شيئاً عن أنَّ الثلاثة أشخاص هم جزء من كائن إلهي واحد."^(٣)

الدليل الثاني: قول يوحنا: (فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الْآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ)^(٤)، وهذا النص يعد عند المسيحيين نص يصرح بعقيدة الثالوث، والثالوث، والجواب عليه من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ هذا النص محرف، وهو من إضافة بعض النساخ بدليل عدم وجوده في بعض الترجمات المطبوعة للكتاب المقدس، مثل: الترجمة اليسوعية، والترجمة المشتركة، وترجمة الكتاب الشريف، والترجمة البوليسية، وهذا نصها كما جاءت في الكتاب الشريف: (عِيسَى الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي جَاءَ بِالْمَاءِ وَالذَّمِّ. لَيْسَ بِالْمَاءِ وَحْدَهُ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالذَّمِّ. وَالرُّوحُ يَشْهَدُ أَنَّ هَذَا حَقٌّ، لِأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ. إِذَنْ يُوجَدُ ثَلَاثَةُ شُهُودٍ لِلْمَسِيحِ: الرُّوحُ وَالْمَاءُ وَالذَّمُّ، وَالثَّلَاثَةُ مُتَّفَقُونَ)، وليس في هذا النص أي ذكر للآب والابن والروح القدس، فضلاً عن أن يكونوا واحداً، وهذا دليل على عدم صحة النص وتحريفه.

الوجه الثاني: يستدل أنمار على عدم صحة هذا النص بعدم وروده في إنجيل يوحنا الذي يعد أهم الأنجيل الأربعة عند المسيحيين، لأنَّه الإنجيل الوحيد الذي يكثر من ذكر النصوص المتشابهة التي يوهم ظاهرها ألوهية المسيح، ويتساءل أنمار فيقول: "كيف يهمل يوحنا هذه العبارة المهمة في إنجيله الذي

(١) أنمار أحمد، اللاهوت المسيحي نشأته - طبيعته، ط١، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م، ص٢١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٢١٩.

(٣) باربارا براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ص٣٤-٣٥.

(٤) رسالة يوحنا الأولى (٧/٥).

يؤكد على لاهوت المسيح، بينما تظهر هذه العبارة في إحدى رسائله، والتي لا يعرف النصارى لمن كتبها وإلى أين بعثها؟"^(١)

هذا ويرى شلبي أن يوحنا هو الذي وضع عقيدة التثليث، ويستدل على ذلك بمقدمته الفلسفية التي بدأ بها إنجيله، والتي حاول فيها إثبات ألوهية المسيح، والتي جاءت على نسق يختلف فيه عن مقدمات الأنجيل الأخرى، وكما يستدل شلبي على ذلك بأن معظم النصوص التي توهم بظاهاها الاتحاد بين الله والمسيح، جاءت في إنجيل يوحنا.^(٢)

(١) أنمار، اللاهوت المسيحي، ص ٢١٩.
 (٢) شلبي، متولي يوسف، أضواء على المسيحية، ط ١، الدار الكويتية للطباعة والنشر، دبلد، ١٩٦٨م، ص ٧٧-٧٨.

وخلاصة الأمر أنَّ المسلمين والمسيحيين متفقون على قاعدتين هما:

القاعدة الأولى: وجوب أن تكون أدلة العقائد الأساسية واضحة وصريحة.

القاعدة الثانية: أنَّ الله تعالى منزّه عن صفات النقص، متصف بصفات الكمال من الوجدانية والغنى المطلق وغير ذلك من صفات الكمال، وعليه لا بد من تأويل النصوص المتشابهة التي لا تتفق مع كمال الله تعالى وردّها للنصوص المحكمة.

هاتان هما القاعدتان اللتان انطلق منهما الباحث لنقد أدلة المسيحيين على الثالوث، وبعد نقد نصوص الكتاب المقدس لم يجد الباحث أي نص يُصرّح بعقيدة الثالوث، وهذا باعتراف المسيحيين أنفسهم، وهذا يتعارض مع القاعدة الأولى الآنفة الذكر.

أمّا أدلة المسيحيين على ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس عليهما السلام فهي لا تعدو كونها نصوصاً متشابهة وغير مصرحة بمرادهم، لذلك فهي لا تصلح للاستدلال على ألوهيتهما، ولا نجد نصاً واحداً يأمر فيه المسيح عليه الصلاة والسلام أتباعه بأن يعبدوه أو أن يعبدوا الروح القدس، ويمكن تقسيم أدلة المسيحيين من الكتاب المقدس على الثالوث إلى ستة أقسام هي:

١. قسم منها لا يدل دلالة صريحة على ما يدعونه من ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، وهذا يتعارض مع القاعدة الأولى الآنفة الذكر.

٢. قسم يتعارض مع ما ثبت لله تعالى من الوجدانية والكمال، والتنزه عن النقص، فيجب تأويله، ولا دلالة لهم فيه على ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس عليهما السلام لأنّه يتعارض مع القاعدة الثانية الآنفة الذكر.

٣. قسم مجمل يُفسّر بنصوص أخرى من الكتاب المقدس ولا دلالة لهم فيه أيضاً، لأنّ الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال.

٤. قسم فيه بعض الألفاظ المتشابهة التي وُصِفَ بها المسيح والروح القدس عليهما السلام، والتي قد توهم ألوهيته لكنّها كانت من باب المجاز، بدليل أن غيرهما قد وُصِفَ بها.

٥. قسم فيه ألفاظ مشتركة تطلق على الله تعالى وعلى الخلق، فلا يمكن الاستدلال بها على ألوهية المسيح ولا على الروح القدس عليهما السلام.

٦. قسم نصوص وعبارات اقتطعوها من سياقها الأصلي توهم أنّها تدل على مرادهم، لكنّها إذا ذكرت في سياقها الأصلي لم تدل على مرادهم، بل كثيراً ما تدل على خلاف مرادهم.

٧. قسم فيه اختلاف بين النسخ والطبعات لذلك لا يمكن الاستدلال به لاحتمال أن يكون ذلك من إضافة النساخ.

أمّا الآن فبعد أن تمّ نقض الثالوث من الكتاب المقدس ننتقل إلى نقض الثالوث عقلاً.

المبحث الثاني

نقض الثالث عقلاً

في هذا المبحث سيقوم الباحث بنقض أدلة المسيحيين العقلية على الثالث، وسوف يثبت عدم صلاحيتها للاحتجاج على الثالث، بل وجعل بعضها أدلة عليهم لا لهم.

ومن الجدير بالذكر أننا إذ نستخدم العقل في نقض عقيدة الثالث فإننا لا نكون بذلك قد خالفنا منهج المسيحيين في المعرفة، فهم يعدون العقل طريقاً من طرق المعرفة الصحيحة، ومما يؤكد لنا ذلك أنهم يبدأون كتبهم اللاهوتية بالأدلة العقلية على وجود الله تعالى^(١)، وهم يستدلون كذلك على وحدانية الله تعالى بالعديد من الأدلة العقلية^(٢)، وقد جاء في الكتاب المقدس عدة نصوص تأمر بالتعقل والتفكير؛ فقد جاء في سفر أيوب: (تَعَقَّلُوا وَبَعْدُ نَتَكَلَّمْ)^(٣)، وقال بولس لأهل تسالونيكي: (امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ. تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ)^(٤)، وأمر يوحنا أتباعه بأن يمتحنوا من يدعي النبوة للتأكد من صدق دعوته فقال: يوحنا: (لا تَرْكُنُوا إِلَى كُلِّ رُوحٍ بَلِ اخْتَبِرُوا الْأَرْوَاحَ لِتَرَوْا هَلْ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذَّابِينَ انْتَشَرُوا فِي الْعَالَمِ)^(٥)، وعليه فما دام العقل طريقاً للمعرفة عند المسيحيين، وقد أمر الكتاب المقدس بالتعقل، وعدم الأخذ بأي شيء إلا بعد امتحانه والتأكد من حسنه، فسوف نستخدم هذا المنهج لنرى مدى التوافق بين العقل والثالث، ونرى هل يحكم العقل على الثالث بأنه فوق إدراكه وقدراته، أم أنه يحكم ببطلانه واستحالته؟! وبيان ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: الأدلة العقلية على بطلان التوحيد المسيحي واستحالة الثالث

في هذا المطلب سيثبت الباحث بإذن الله تعالى بطلان التوحيد المسيحي واستحالة الثالث؛ وبيان ذلك الآتي:

أولاً: عرفنا أن المسيحيين يعتقدون أن الله واحد في ذاته، مثلث في أقانيمه، وهم يقولون: إن الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، فإننا إذا استخدمنا قوانين المنطق، ووضعنا بدل الأسماء رموزاً فبدل كلمة (الله) أ، وبدل كلمة (الآب) ب، وبدل كلمة (الابن) ج، وبدل كلمة (الروح القدس) د، فيكون أ هو ب، وأ هو ج، وأ هو د، فيلزم عنه ضرورة أن: ب هو ج، وأن ب هو د، وأن ج هو د، وهذا الحكم ممّا لا يختلف فيه العقلاء، فهو من بديهيات العقل، وهذا يعني أن الآب هو الابن، والآب هو الروح القدس، والابن كذلك هو الروح القدس، فلا يجوز أن يكون هناك أي تمايز بين الأقانيم الثلاثة.

(١) انظر مثلاً: الدمشقي، المنة مقالة، ص ٥٧. مينا، علم اللاهوت، ج ١، ص ١٠٨-١١٣. جرودم، علم اللاهوت النظامي، ج ١، ص ١٢٠-١٢٢.

(٢) انظر: هذا البحث، ص ١١-١٢. الدمشقي، المنة مقالة، ص ٦١.

(٣) سفر أيوب (٢/١٨).

(٤) رسالة بولس الأولى إلى تسالونيكي (٢١/٥).

(٥) رسالة يوحنا الأولى (١/٤).

ولكننا نتعجب أشد العجب حين نعرف أن المسيحيين يقولون: إن الآب ليس الابن، وإن الآب ليس الروح القدس، وإن الابن ليس الروح القدس، فكل منهم شخصية مستقلة عن الأخرى، أو كما يقولون: أنهم متحدون في الجوهر، متساوون في اللاهوت، متمايزون في الأقنوم، ولا أدري بأي لغة يتحدثون، وبأي منطق يحكمون، أليس قولهم بأن الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، يلزم عنه ضرورة أن الآب هو الابن، وأن الآب هو الروح القدس، وأن الابن هو الروح القدس، أمّا القول بالتساوي التام، والتمايز التام فهو باطل عقلاً.

ثانياً: إن المسيحيين يعتقدون أن التثليث حقيقي، وأن التوحيد حقيقي، ولكن إذا وجد التثليث الحقيقي فلا بد أن توجد الكثرة الحقيقية- كما بين الهندي-، ولا يمكن عندها ثبوت التوحيد الحقيقي، وإلا لزم من ذلك اجتماع الضدين^(١) الحقيقيين، وهو محال، فيلزم تعدد الآلهة، وعندها يفوت التوحيد يقيناً فمن يقول بالتثليث لا يمكن أن يكون موحداً لله تعالى بالتوحيد الحقيقي، وقول المسيحيين بأن: التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي ضدان في غير الله تعالى، وأن هذا سر فوق العقل، سفسطة محضة^(٢).

وذلك لأنه إذا ثبت أن الشئيين بالنظر إلى ذاتهما ضدان حقيقيان في نفس الأمر، فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد في زمان واحد، سواء أكان واجباً ذلك الأمر أو ممكناً، وذلك لأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو الواحد، وأن الثلاثة مجموع أحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي ليس مجموع أحاد، وأن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمع التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي في محل واحد للزم كون الجزء كلاً، والكل جزءً، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضاً مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء .. وهلم جرا، وكون الشيء مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه، والثلاثة ثلث الواحد، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة، وهو محال^(٣).

بل إن التوحيد والتثليث لا يستلزم اجتماع الضدين فقط، بل اجتماع النقيضين أيضاً: (توحيد ولا توحيد)، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

وبناء على ذلك فإن التثليث الحقيقي ممتنع في ذات الله تعالى، فلو وجدنا نصاً في الكتاب المقدس يوهم التثليث بحسب الظاهر فيجب تأويله ليطابق العقل والنقل، فإن العقل والنقل يدلان على امتناع التثليث في ذات الله تعالى.

(١) الضدان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد، يستحيل اجتماعهما، والضدان لا يجتمعان ولكن يرتفعان، كالسواد والبياض، انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص ١٣٧.
(٢) السفسطة: قياس مركب من مقدمات شبيهة بالحق، ولا يكون حقاً، انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص ٢٢٣.
(٣) انظر: الهندي، **إظهار الحق**، ج ٣، ص ٧٢٥-٧٢٦.

ثالثاً: إذا ثبت أن المسيحيين يعتقدون بوجود تمايز بين الأقانيم، ووجود علاقات متبادلة بينهم، فيلزم عن ذلك أنهم يعبدون آلهة متعددة، وبذلك ترتفع الوجدانية التي يدعيها المسيحيون، يقول عبدالأحد العراقي: "تدعي الكنيسة أن الثالوث لم يتشكل من ثلاثة آلهة، ولكنها ما دامت تعترف بوجود نسبة بين الأقانيم، وأن لكل منها صفات وأفعالا ليست للآخرين، فالأقانيم الثلاثة لا يمكن أن تكون إلهاً تاماً لا على الانفراد، ولا بالاجتماع، أي أن (الآب) الوالد، لا يمكن أن يكون هو الابن، ولا أن يكون الروح القدس، وبناء على ذلك لا يمكن أن يكون (الله) إلهاً تاماً، لأنه مقيد بالانضمام إلى الركنين الآخرين، وهكذا الأتقنوم الثاني والثالث"^(١)، ويزيد العراقي الأمر توضيحاً فيقول: "تقول النصرانية: إن في الألوهية أبوة وبنوة، بيد أنه لا يمكن أن يكون الله أباً وابناً معاً في وقت واحد، ويلزم من كونه واحداً ألا يمكن أن يكون أباً لنفسه، ولا أن يكون ابن نفسه، إذاً فلا ريب في أن العقيدة المذكورة قائمة بوجودين مطلقين، أو مستقلين في الألوهية، وكذلك الروح القدس الصادر والمنبثق على الدوام من هذين الوجودين المطلقين المستقلين (الآب والابن) لما كان ليس أباً ولا ابناً، وجب أن يكون له وجود مطلق ثالث (مستقل)"^(٢)، فإذا ثبت وجود تمايز بين الأقانيم استحالت الوحدة.

رابعاً: إذا ثبت وجود التمايز الحقيقي بين أقانيم الثالوث المقدس، فالآب يمتاز بأنه أصل للأقنومين الآخرين، والابن يمتاز بالبنوة، والروح القدس يمتاز بالانبثاق، فنقول للمسيحيين: هل تلك الميزة أو الصفة التي يمتاز بها كل أقنوم عن الأقنومين الآخرين هي صفة نقص أم كمال؟ فإن كانت صفة كمال فقد افتقد الأقنومان الآخران لصفة من صفات الكمال، وهذا نقص في حقهما، وبذلك بطلت ألوهيتهما، لأن الإله لا يكون ناقصاً، وإن كانت الصفة التي يمتاز بها كل أقنوم عن الأقنومين الآخرين صفة نقص، فهذا نقص في حقه، والإله لا يكون ناقصاً، فمثلاً: إن الابن يمتاز بصفة البنوة، وهذه الصفة إن كانت صفة كمال فإن الآب والروح القدس قد افتقدا لصفة من صفات الكمال (صفة البنوة التي امتاز بها الابن)، وهذا نقص في حقهما، وبذلك فقد بطلت ألوهيتهما، وإن كانت صفة نقص فقد بطلت ألوهية الابن، لأن الإله لا يكون ناقصاً، وبذلك فقد بطل الثالوث.

خامساً: إن استدلال المسيحيين على وجوب أن تكون الأقانيم ثلاثة لكون العدد ثلاثة أكمل الأعداد لأنه يجمع الزوج والفرد^(٣) هو استدلال باطل، وقد بين ابن حزم بطلانه **بعده وجوه أبرزها^(٤):**

الوجه الأول: أن كل عدد أكبر من الثلاثة فهو أكمل وأتم من الثلاثة، لأنه يجمع إما زوجاً وزوجاً، وإما زوجاً وزوجاً وفرداً، وإما أكثر من ذلك.

الوجه الثاني: إن هذا القول يتعارض مع قولهم: إن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التي

(١) العراقي، الإنجيل والصليب، ص ٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩.

(٣) انظر: هذا البحث، ص ٧٣-٧٥.

(٤) انظر: ابن حزم، الفصل في الملل، ج ١، ص ٦٩.

تجمع الزوج والفرد هي غير الثلاثة التي هي عند المسيحيين بلا شك، لأنَّ الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذي هو فيها، وهي تجمع الواحد وغيره، والفرد جزء منها، وهي كُلُّ للواحد ولغيره، والباري جل جلاله لا كُلُّ له ولا بعض، والكُلُّ ليس هو الجزء، والجزء ليس هو الكُلُّ، والفرد جزء الثلاثة، والثلاثة كُلُّ للفرد وللزوج معه، فالفرد غير الثلاثة، والثلاثة غير الفرد، وعليه فلا يمكن أن يكون الله هو الآب والابن والروح القدس، ويكون الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله.

الوجه الثالث: لأنَّ الاثنين يوجد فيه الزوج والفرد، فالاثنين هو فرد وفرد، وهو زوج في ذاته، فالاثنين يجمع في حقيقته الزوج والفرد، فيلزم من ذلك أن يجعل المسيحيون ربهم اثنين لا ثلاثة.

سادساً: لنا أن نسأل المسيحيين فنقول: هل لأقنوم الابن (الكلمة) المتميز عن أقنوم الآب (الوجود) وأقنوم الروح القدس (الحياة) وجود وعلم وحياة أم لا؟! فإن قالوا: لا فقد بطلت ألوهية هذا الأقنوم بسبب عدم نسبة العلم والحياة إليه، بل لقد ثبت عدم وجوده بسبب نفي الوجود عنه، وإن قالوا: نعم له وجود، وله علم، وله حياة، لزمهم جعل الأقانيم تسعة بدل الثلاثة، فيكون هناك الآب وعلمه وحياته، والابن وعلمه وحياته، والروح القدس وعلمه وحياته، وهذا إبطال للتثليث، وخروج عن المسيحية.

سابعاً: أنَّ ذات الله تعالى لو كانت مكونة من ثلاثة أقانيم ممتازة عن بعضها بامتياز حقيقي، فإنَّ حقيقة الله تعالى تكون مركبة، والمركب مفتقر، فهو يفتقر إلى أجزائه التي يتركب منها، وكذلك هذه الأجزاء مفتقرة لبعضها البعض، فكل مركب مفتقر إلى غير ممكن لذاته، فيلزم أن يكون الله تعالى ممكناً لذاته، مفتقراً لغير، وهذا باطل - كما بيّن الهندي^(١)، فيلزم من ذلك استحالة أن يكون في ذات الله تعالى ثلاثة أقانيم.

ثامناً: يعتقد المسيحيون أنَّ الآب هو أصل الأقنومين الآخرين، ولولا الآب لما وُجد الابن، ولما وُجد الروح القدس، فضلاً عن أن يكونا إلهين^(٢)، وعليه فما دام الابن والروح القدس يعتمدان في وجودهما وألوهيتهما على الآب، وهما يستمدان ذلك منه، فلولا له لما وجدا، ولما كانا إلهين، فقد بطلت ألوهيتهما، لأنَّ ما وُجد بغيره يستحيل أن يكون إلهاً، فالإله لا بد أن يكون واجب الوجود بذاته، فأما من كان وجوده معتمد على غيره، فيستحيل أن يكون إلهاً، لأنَّ من أخص صفات الإله - عند المسلمين والمسيحيين - وجوب الوجود والقيام بالنفس والاكتفاء الذاتي^(٣)، وعليه فما دام وجود الابن والروح القدس مستمد من الآب فقد بطلت ألوهيتهما، وهذا من أكبر الأدلة على تناقض عقيدة الثالوث عند المسيحيين وبطلانها، فإنَّ من أشدَّ العجب أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ وجود الابن والروح القدس مستمد من الآب، وهم يعتقدون أنَّ الإله لا بد أن يكون واجب الوجود في ذاته، ثم يعتقدون فيهما الألوهية، ولو لم يكن من دليل على بطلان عقيدة الثالوث إلا هذا الدليل لكفى، والحمد لله الذي أظهر الحق فجعل

(١) الهندي، إظهار الحق، ج٣، ص ٧٢٦.

(٢) انظر: هذا البحث، ص ٢٧.

(٣) انظر: هذا البحث، ص ١١-١٦.

المسيحيين يبطلون عقيدتهم بالسنتهم، وينقضون بنيانهم بأيديهم، ويدحضون ديانتهم بأنفسهم، وكفى الله المومنين القتال.

تاسعاً: لا يخلو أن تكون الأقانيم الثلاثة (الآلهة الثلاثة) متساوية في العلم والقدرة وسائر الصفات (وهذا ما يعتقده المسيحيون)، أو متفاضلين فيعلم أحدهم ما لا يعلم الآخرون، ويقدر أحدهم على ما لا يقدر عليه الآخرون، فإن تساوا كان ما زاد عن الواحد فضلاً غير محتاج إليه، وهذا باطل، لأنَّ الفضل والزيادة في الخلق قبح، وهي في ذات الله تعالى أشدَّ قبحاً، فيستحيل وجود الفضل والزيادة في ذات الله تعالى، وإن تفاضلوا كان المفضول ناقصاً، والناقص لا يكون إلهاً.^(١)

عاشراً: يعتقد المسيحيون أن الله ثلاثة أقانيم، فلنا أن نسألهم: لماذا خصصتم الأقانيم بالثلاثة؟! وبما تنكرون على من يجعلها أربعة فصاعداً؟! ولماذا لا تجعلون القدرة أقنوماً رابعاً؟! فإن قالوا لا حاجة في ذلك لأنَّ الحياة تجزئ عن القدرة، فيقال لهم: إنَّ الحياة لا تجزئ عن القدرة، فقد يكون الحي غير قادر، كالنائم والمغمى عليه، كما أن فقدان القدرة يستلزم وجود ضدها وهو العجز، فالقدرة أمر زائد على الحياة، وهي من أهم صفاته سبحانه وتعالى، فوجب عليكم جعلها أقنوماً رابعاً، وكذلك يقال لكم في الإرادة والسمع والبصر وغيرها من الصفات الإلهية^(٢)، علماً بأنكم تثبتون كل تلك الصفات لله تعالى.

الحادي عشر: نقول للمسيحيين: إنكم تقولون إنَّ كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة إله، والإله لا بد أن يقوم بنفسه، وعليه فإما أن يكون كل واحد من الأقانيم الثلاثة إلهاً، أو جزء إله، فيكون مجموعهما إلهاً واحداً، ويرى القرطبي أنه إن كان كل أقنوم جزء إله لزم عن ذلك: أن يكون الإله مركباً متبعضاً، وهذا باطل عند المسلمين وعندكم، وإن كان كل واحد منها إلهاً منفرداً، لزمكم على ذلك أمور باطلة؛ منها: أن يكون كل واحد من هذه الأقانيم حياً عالماً مريداً قادراً موصوفاً بصفات الكمال، إذ الإله هو الموصوف بصفات الكمال، المتعالي عن صفات النقص، فيلزم عن ذلك أن تقوم الصفة بالصفة، لأنكم تعدون الأقانيم صفات^(٣)، فأقنوم الابن عندكم هو العلم، وأقنوم الروح القدس هو الحياة، وعليه فإن كان الابن إلهاً، والابن عندكم هو العلم، وكان هذا الإله (الابن) يتصف بالقدرة والإرادة والحياة وغير ذلك من الصفات التي يجب أن يتصف بها الإله، فيجب عندها أن تقوم الحياة والإرادة والقدرة بالعلم (الذي هو الابن) وهكذا، وإن جاز قيام الصفة بالصفة، جاز أن يقوم بتلك الصفة صفة أخرى، وبذلك الصفة صفة أخرى فيتسلسل، وما يتسلسل لا يتحصل، ويلزم من ذلك أن تكون الأقانيم لا نهاية لها، إذ الحياة تقوم بالعلم (أقنوم الابن)، وتلك الحياة (أقنوم الروح القدس) عالمة بعلم، إلى غير ذلك، ويلزم من ذلك أيضاً أن

(١) انظر: المتطبيب، نصر بن يحيى (ت ٥٨٩هـ)، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، د.ط، (تحقيق محمد الشرفاوي)، مطبعة دار التأليف، دار الصحو للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٦٣-٦٤.

(٢) انظر: الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت ٤٧٨هـ)، الشامل في أصول الدين، ط ١، (تحقيق عبد الله عمر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٣٤-٣٣٥. الجعفري، الرد على النصارى، ص ٧٧. القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ١١٨-١١٩.

(٣) انظر: هذا البحث، ص ٢٠-٢١.

تكون الحياة (أقنوم الروح القدس) حيّة بحياة، والعلم (أقنوم الابن) علم بعلم، إلى غير ذلك من الصفات، وهذا كله محال، ويلزم من ذلك أيضاً أن يكون الإله (الأقنوم) صفة لموصوف، فإنّ المفهوم لهذه الأقانيم أنّها صفات، وهذا باطل، وإمّا أن تكون هذه الأقانيم ليست حية، ولا عالمة، ولا مريدة، ولا قادرة، .. فلا تكون هذه الأقانيم آلهة^(١)، وعليه فإنّ كل هذه الاحتمالات محالة، فبطلت بذلك ألوهية الأقانيم، والله الحمد والمنة.

الثاني عشر: إن فرضنا جدلاً أنّ ذات الله تعالى تتكون من ثلاثة أقانيم- والأقنوم عند المسيحيين إله- فلا يخلو إمّا أن يكون كل واحد من الأقانيم محتاجاً إلى الأقنومين الآخرين، أو أن يكون كل واحد منهما مستغنياً عن الأقنومين الآخرين، وعليه فإن كان كل واحد محتاجاً إلى الأقنومين الآخرين فقد بطلت ألوهيته، لأنّ المحتاج لا يكون إلهاً، وإن كان كل واحد منهما مستغنياً عن الأقنومين الآخرين فقد بطلت ألوهية المُستغنى عنه (الأقنومين الآخرين)، لأنّ الإله لا يُستغنى عنه، بل الإله هو الذي يكون الكل محتاجاً إليه، ويكون هو مستغنياً عن الكل.^(٢)

وعليه فإذا فرضنا ألوهية الابن فإمّا أن يكون الابن محتاجاً للآب، وعندها تبطل ألوهية الابن؛ لأنّ الحاجة نقص، والناقص لا يكون إلهاً، وإمّا أن يكون الابن مُستغنياً عن الآب، وعندها تبطل ألوهية الآب لأنّ الإله يُستغنى به، ولا يُستغنى عنه، فالاستغناء عن الآب نقص في الآب، والناقص لا يكون إلهاً، فبطل بذلك احتمال وجود إلهين، وبطلان الثلاثة من باب أولى.

الثالث عشر: إنّ الأمانة التي يؤمن بها المسيحيون ويتلونها في صلواتهم تثبت أنّ المسيحيين لا يؤمنون بإله واحد، بل يؤمنون بثلاثة آلهة مستقلة^(٣)، ويرى ابن تيمية أنّ المسيحيين جمعوا في أمانتهم بين الضدين (التوحيد والتثليث) فقد قالوا في بداية الأمانة: (نؤمن بإله واحد)، وهذا قول حق، لكنهم نقضوه بقولهم: (وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد ..، إله حق من إله حق)، فأثبتوا هنا إلهين، فالمسيح إله من إله، فهو إذاً إله ثاني مع الإله الأول، ثم أثبتوا إلهاً ثالثاً بقولهم: (وبالروح القدس، الرب، المحيي، المنبثق من الآب، الذي مع الآب والابن مسجود له وممجّد)، فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة، ويقولون: إنّما نثبت إلهاً واحداً، وهو تناقض ظاهر، وجمع بين الضدين^(٤)، أو بالأحرى: هو جمع بين النقيضين، فإذا ثبت التثليث فقد ارتفع التوحيد، فلا يصح قول المسيحيين بأنهم موحدون.

الرابع عشر: يعتقد المسيحيون أنّ المسيح مولود من الله منذ الأزل، ويقولون أنّ المسيح هو علم الله، ومع ذلك فإنّهم يعتقدون أنّ المسيح هو خالق العالم، وهذا باطل من عدة وجوه أبرزها:

(١) انظر هذا الدليل: القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام، ج١، ص ٨٦-٨٨.
(٢) انظر استحالة وجود إلهين: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)، نهاية الأقدام في علم الكلام، ط١، (تحقيق ألفريد جيوم)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٨٧.
(٣) انظر نص الأمانة: كساب، مجموع الشرع الكنسي، ص ٢٤٥. قاشا، أضواء على المجامع المسكونية، ص ٣١.
(٤) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج١، ص ٤٥٢.

الوجه الأول: أنَّ العلم لا علاقة له بالخلق، بل إنَّ العلم صفة كاشفة للأشياء غير مؤثرة فيها، ولو أنَّهم قالوا إنَّ المسيح هو القدرة لكان لهم في ذلك بعض العذر، أمَّا أن يكون المسيح هو العلم، ومع ذلك هو الخالق فهذا باطل ومحال.

الوجه الثاني: أنَّهم يدعون أنَّ المتحد بالمسيح عليه الصلاة والسلام هو الكلمة الذي هو العلم، وقد بيَّن ابن تيمية أنَّهم إن أرادوا بالعلم نفس الذات العالمة الناطقة، كان المسيح عندها هو الآب، وكان المسيح هو نفسه الآب والابن والروح القدس، وهذا عند المسيحيين وعند جميع الناس كفر، وإن قالوا: المتحد بالمسيح هو العلم، فإنَّ العلم صفة لا تفارق العالم، وكما لا تفارقه أيضاً صفة الحياة، فيستحيل أن يتحد به العلم دون الذات ودون الحياة.^(١)

الوجه الثالث: وذكر ابن تيمية أنَّ العلم صفة والصفة لا تخلق ولا ترزق، والمسيح نفسه ليس هو الصفة القائمة بغيرها، بل هو كائن قائم بذاته، وأيضاً فالمسيح عند المسيحيين هو خالق السماوات والأرض، فامتنع أن يكون المتحد بالمسيح صفة، لأنَّ الإله الخالق هو الإله الحي العالم القادر، وليس هو الحياة نفسها، ولا العلم والكلام نفسهما، فلو قال قائل: يا علم الله الحياة، أو يا حياة الله، أو يا كلام الله، اغفر لي، لكان هذا باطل عقلاً، لذلك لم يجوز أحد من أهل الملل أن يقال للتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلام الله: اغفر لي وارحمني، وإنما يقال للإله المتكلم بهذا الكلام: اغفر لي وارحمني، والمسيح عليه الصلاة والسلام عند المسيحيين هو الإله الخالق الذي يقال له: اغفر لنا وارحمنا، فلو كان المسيح هو علم الله وكلامه، لم يجز أن يكون إلهاً معبوداً، فكيف إذا لم يكن هو علم الله وكلامه، بل هو مخلوق بكلامه، حيث قال له: كن فكان.^(٢)

الوجه الرابع: إنَّ تجسد الابن عند المسيحيين من الروح القدس ومن مريم العذراء، فإن كان الروح القدس هو حياة الله، فيكون المسيح- كما ذكر ابن تيمية- عندها هو علم الله وحياته، فيكون لاهوت المسيح أقنومين من الأقانيم الثلاثة، وهذا عندكم باطل.^(٣)

الوجه الخامس: إنَّ من المعروف عند المسيحيين أنَّهم ينزهون رجال الدين عن الولد لأنَّ ذلك دنس، وليس من صفات الكمال، وهنا تتساءل فوزية الحثيرشي فتقول: "أليس من الأولى أن يتنزه الله سبحانه وتعالى الذي خلق رجال الدين، بل وخلق الخلق كله عن الولد؟! فإنَّ كلامهم هذا فيه مدح لقساوستهم ورجال دينهم، وقدح بربهم، فهذا هو الكفر بعينه!"^(٤) فالبنوة ليست كمالاً كما يعتقد المسيحيون، بل إنَّ محبة الإنسان لأن يكون له ابن إمَّا أن تكون خوفاً من العجز عند الكبر، وإمَّا أن

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج١، ص ٤٢١.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢١.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢٤.

(٤) انظر: الحثيرشي، فوزية بنت حمد، عقيدة التثليث: جذورها وتطورها- عرض ونقد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ص ٢٨٨.

تكون رغبة في أن يكون له من يحيي اسمه ويبقي ذكره ويرث ماله بعد موته، وكل هذا في حق الله تعالى محال.

الخامس عشر: يعتقد المسيحيون أنَّ الروح القدس حياة الله، وهو منبثق من الله أزلاً، وهذا باطل من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنَّ الانبثاق في اللغة هو الانفجار، والاندفاع، ومنها انبثق السيل؛ أي انفجر واندفع^(١)، وعليه فيكون معنى انبثاق الروح القدس من الآب أنَّ الروح القدس قد انفجر من الآب، واندفع خارجه، وهذا يعني أنَّ حياة الله تعالى صارت منفجرة منه، وخارجة عنه، وهذا باطل لأنَّ صفة الحياة تتعلق بالذات الإلهية ملازمة للذات الإلهية ولا يمكن أن تنبثق عنها، فحياة الله هي: صفة قائمة في الذات لأجلها لا يتمتع على الذات أن تعلم وتقدر^(٢)، وقيل: هي صفة أزلية تقتضي الاتصاف بالعلم وبغيره من الصفات الواجبة^(٣)، فإثبات صفة الحياة لله تعالى يستلزم اتصافه سبحانه وتعالى بكل صفات الكمال، فلا يتخلف منها صفة، لأنَّ تخلف أي صفة يكون لضعف الحياة، وحياته سبحانه أتم حياة وأكملها^(٤)، وعليه فإنَّ صفة الحياة صفة لا يمكن أن تتعلق بغير الذات، كغيرها من الصفات، فإنَّ العلم يقتضي معلوماً، والقدرة تقتضي مقدوراً، أمَّا الحياة فهي لا تطلب أمراً زائداً على قياهما بالذات الإلهية^(٥)، لذلك يستحيل عقلاً أن يكون الروح القدس المنبثق من الله تعالى هو صفة الحياة، لأنَّ هذه الصفة- عموماً- لا تفارق الموصوف، ولا تتعلق بغير الذات، في حين أنَّ الروح القدس كان ينطق في الأنبياء ويحل فيهم عند المسيحيين، لذلك لا يمكن أن يكون هو حياة الله.

الوجه الثاني: يرى عبدالمنعم فؤاد أنَّه لو انبثقت صفة الحياة عن ذات الله تعالى للزم أن تنبثق سائر الصفات الإلهية عن ذات الله سبحانه وتعالى^(٦)، إذ لا ميزة لصفة على الأخرى.

الوجه الثالث: يعتقد المسيحيون أنَّ الروح القدس (حياة الله) كان ناطقاً في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وحياة الله صفة قائمة فيه لا تفارقه، لذلك ذكر ابن تيمية أنَّ الروح القدس لو كان هو حياة الله تعالى فإنَّه لا يمكن له أن يحل في غير الله تعالى، فإذا ثبت أنَّ الروح القدس كان يحل في الأنبياء عليهم

(١) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٩٨.

(٢) انظر: الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، الأربعين في أصول الدين، ط ١، (تحقيق محمود عبدالعزيز)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٥٣. الأمدي، علي بن محمد (ت ٦٣١هـ)، أبقار الأفكار في أصول الدين، ط ١، (تحقيق أحمد المزيدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٣٤٥.

(٣) انظر: الباجوري، إبراهيم بن محمد، شرح جوهرة التوحيد، ط ١، (تحقيق مصطفى البُغا)، دار المصطفى، دمشق، ٢٠١٠م، ص ٩٥.

(٤) انظر: أبو العز الحنفي، علي بن علي (ت ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، ط ١، (تحقيق عبدالرحمن الزواوي)، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٦٣.

(٥) انظر: الرديري، أبو البركات أحمد بن محمد (ت ١٢٠١هـ)، شرح الخريدة البهية، ط ١، (تحقيق مصطفى أبو رشوان)، دار البصائر، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٨٢.

(٦) انظر: عثمان، عبدالمنعم فؤاد، المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٢م، ص ٢٨٣.

السلام، فبطل أن يكون الروح القدس- الناطق في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- هو حياة الله تعالى القائمة به سبحانه، وإلا فلو كان الروح القدس حياة الله للزم أن يكون كل الأنبياء الذين نطق فيهم الروح القدس آلهة، وهذا باطل قطعاً^(١).

الوجه الرابع: يعتقد الكاثوليك أن الانبثاق كان من الآب والابن معاً، وهذا باطل، لأن الروح القدس إن كان قد انبثق عن كليهما فلا بد أن يكون مركباً من أجزاء، انبثق بعضها من الآب، وبعضها الآخر من الابن، ويلزم عن ذلك أن يكون الروح القدس مركباً، فتبطل ألوهيته لأن الإله لا يكون مركباً، لأن المركب يفتقر لمن يركبه، ويفتقر إلى أجزائه، والإله لا يكون مفقراً.

فإن قال المسيحيون: إن الروح القدس غير مركب (لأن الروح القدس عنهم إله، والإله غير مركب)، فكيف يمكن أن ينبثق الواحد البسيط عن مصدرين مستقلين؟! فهذا يستلزم اجتماع مؤثرين تامين على أثر واحد، وهذا باطل.

وعليه يبطل القول بانبثاق الروح القدس عن الآب والابن، وهو المطلوب.

السادس عشر: يعتقد المسيحيون أن الابن قد تجسد، وهذا باطل من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أن المسيحيين يعتقدون أن الاتحاد بين الناسوت واللاهوت كان من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تغيير في أي من صفات اللاهوت والناسوت، بل بقي كل منهما على ما كان عليه من الصفات قبل الاتحاد^(٢)، وهذا باطل؛ لأن الاتحاد هو أن شيئين اتحدا فاستحالا شيئاً ثالثاً، فإذا بقي كل منهما على ما كان عليه قبل الاتحاد فلا يكون في الحقيقة هناك اتحاد، بل بقي كل منهما منفصلاً عن الآخر، وعليه فإن كان اللاهوت والناسوت قد بقيا على ما كانا عليه قبل الاتحاد فبالحقيقة ليس هناك اتحاد بينهما.

الوجه الثاني: يتساءل ابن حزم عن أنه: إذا كان الابن عند المسيحيين هو علم الله، وقد اتحد الابن بالمسيح، فهل يقال: إن مريم العذراء عليها السلام قد ولدت علم الله^(٣).

الوجه الثالث: إن المسيح (الابن المتجسد) هو أحد الأقانيم الثلاثة الذين يمثلون الذات الإلهية، ومن المعلوم لكل من قرأ الإنجيل أن المسيح كان يلحقه ما يلحق البشر من الجوع والعطش والنوم وغير ذلك من الأعراض البشرية، فكيف يلحق الابن ما لا يلحق الثلاثة وهو معهم واحد؟! فإن قال المسيحيون: نصف المسيح هو الإله، والنصف الآخر ليس بإله، لزمهم أن يقولوا: يا نصف المسيح ارحمنا، فيكون نصف المسيح خالقاً، ونصفه الآخر مخلوقاً^(٤)، ويكون نصف المسيح إلهاً، ونصفه عبداً، وعندها يكون

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج١، ص٤٢٥.

(٢) انظر: هذا البحث، ص٣٧.

(٣) انظر: ابن حزم، الفصل في الملل، ج١، ص٦٧.

(٤) انظر: الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد (ت ٥٨٢هـ)، مقامع الصلبان، د. ط، (تحقيق عبد المجيد الشرقي)، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ١٩٧٥م، ص٨٥.

نصف المسيح البشري يعبد نصف المسيح الإلهي، فنصفه يعبد نصفه، وهذا باطل.

الوجه الرابع: يعتقد المسيحيون أن أحد أسباب التجسد الإلهي هو أن الله تعالى أراد أن يعلن للإنسان ذاته العلية، فمن محبة الله تعالى للإنسان تجسد لكي يزداد الإنسان معرفة بربه، لأن الإعلان بواسطة الأنبياء عليهم السلام لم يكن كافياً، وهذا باطل؛ لأننا إن فرضنا جدلاً صحة التجسد فهو لم يف بالغرض الذي من أجله قد أتعب الله نفسه بهذا التجسد!! فليس كل الناس قد رأوا هذا التجسد، بل من رآه من الناس إنما هم القلة القليلة منهم، فما رأى هذا التجسد إلا أولئك الذين عاصروا المسيح عليه الصلاة والسلام وشاهدوه، فما هو العمل مع بقية الناس؟! وما هو ذنبهم لكي يحرموا من أعظم نعيم في الدنيا ألا وهو رؤية ربهم؟! أليس من حقهم ذلك وهم العدد الأكبر؟! وبهذا فقد ذهب التجسد هباءً منثوراً، وحاشا لفعل من أفعال الله تعالى أن يكون هباءً منثوراً.

الوجه الخامس: يتساءل عصام حنفي فيقول: "كيف يمكن للجسد البشري المحدود أن يتسع للإله اللامحدود، فهل يمكن مثلاً وضع بحر من الماء في كأس صغير نشرب منه؟! وهل يمكن وضع الكرة الأرضية في كرة قدم يلعب بها الصبيان؟!"^(١)

الوجه السادس: يعتقد المسيحيون أن التجسد كان أثراً من آثار عظمة القدرة الإلهية، فالله تعالى على كل شيء قدير، فما الذي يمنع من أن يكون الله قادراً على التجسد؟!^(٢) وهذا باطل؛ لأن هذا يعني أن القدرة الإلهية تعلقت بذات الله تعالى، ومن المعلوم أن القدرة الإلهية تتعلق بالممكنات، لا بالواجبات والمستحيلات، والله تعالى واجب الوجود لذلك يستحيل أن تتعلق القدرة به، لأن هذا يعني أن يصبح الواجب ممكناً، وهذا محال؛ لأنه يؤدي إلى قلب حقيقة الواجب إلى ممكن.

ولكي يتضح المعنى أكثر فسوف نسأل المسيحيين فنقول: إذا كنتم تعتقدون أن الإرادة والقدرة الإلهيتين تتعلقان بذات الله تعالى، ومن المعلوم عندهم أن القدرة من شأنها الإيجاد والإعدام، فهل يمكن أن تتعلق قدرة الله تعالى بإعدام نفسه؟ فإن قلتم: نعم، يمكن ذلك، فعندها تكونوا قد خرجتم من دينكم، وحكمتكم بإمكان الموت لربكم، وهذا باطل عندهم؛ لأنكم تعتقدون بقدوم الله وبقائه، واستحالة موته وفنائه^(٣)، وإن قلتم: لا، لا يمكن ذلك، فنقول لكم: لماذا لا يمكن ذلك؟ فسوف تقولون: لأن ذات الله لا تقبل الموت والفناء، فنقول لكم كذلك: إن ذات الله أيضاً لا تقبل التجسد؛ لاستحالة أن تتعلق الإرادة والقدرة بها، لأنهما لا تتعلقان إلا بالممكنات، وليس هذا نقصاً أو عجزاً في الإرادة والقدرة، ويبيّن العلامة البوطي استحالة تعلق الإرادة والقدرة بغير الممكن فيقول: "تعلق الإرادة والقدرة بالممكنات وحدها لا يعني العجز؛ وإذا أمعنت النظر في معنى هذا الكلام علمت أن تعلق الإرادة والقدرة بالممكنات فقط، لا يعني العجز والنقصان في الإرادة، وإنما يعني أن الإرادة الكاملة التامة ليس من شأنها أن تتجه إلى الواجب ما دام أنه

(١) انظر: الخزرجي، مقامع الصليبان، ص ١٢.

(٢) انظر: هذا البحث، ص ٣٦-٣٧.

(٣) انظر: هذا البحث، ص ١٢.

واجب، أو إلى المستحيل ما دام مستحيلاً، وكذلك القدرة، بل لا يمكن للعقل أن يفهم كيف تتعلق الإرادة أو القدرة بالواجب أو المستحيل، فلو قيل مثلاً: إنَّ إرادة الله تعلقت بإيجاد المستحيل (وهو الشريك في الألوهية مثلاً) فأوجدته- فإنَّ عقلك لا يمكن أن يصدق إطلاقاً هذا الكلام؛ لأنَّه مستحيل بالبداهة.^(١)

ويُبين العلامة البوطي سبب استحالة أن تتعلق القدرة بإيجاد الشريك لله تعالى فيقول: "إذ معنى هذا القول أنَّه قد أوجد إلهاً مثله واجب الوجود، وواجب الوجود يستحيل أن يكون مسبوقاً بعدم، .. وإذا فليس هو في الحقيقة واجب الوجود، وإن قلت بل هو كذلك على الرغم من أنَّه مخلوق ومسبوق بعدم، فمعنى ذلك أنَّك تقول: إنَّه واجب الوجود رغم أنَّه ممكن الوجود، وهو تناقض صريح يرفضه العقل"^(٢)، وإنَّ استحالة تعلق القدرة بذات الله تعالى من أكبر الأدلة على بطلان التجسد واستحالته.

الوجه السابع: يعتقد المسيحيون أنَّ الله تعالى يملأ كل مكان، فهو يملأ السماوات والأرض بذاته^(٣)، وعليه فإنَّ نسبة كل الأجسام والأماكن إلى ذات الله تعالى واحدة، وإذا كان الله تعالى يملأ كل مكان بذاته فيلزم عن ذلك أن يكون الله تعالى حالاً بذاته في كل الأجسام والأماكن، وعليه فليس المسيح عليه الصلاة والسلام فقط هو الذي حل به اللاهوت، وإنما يكون اللاهوت قد حل في كل المخلوقات، وعندها لا يكون للمسيح عليه الصلاة والسلام أي ميزة تميزه عن غيره من المخلوقات حتى يكون إلهاً، خاصة إذا ما علمنا أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ اللاهوت بقي على ما هو عليه من اللا محدودية، وعدم التحيز، والبساطة، حتى بعد اتحاده بالناسوت، فإمَّا أن يكون كل الخلق آلهة لأنَّ الله- بناء على قول المسيحيين بحلول الله في كل مكان- حال فيهم كلهم، وهذا باطل، وإمَّا أن لا يكون المسيح إلهاً إذ لا ميزة له على غيره في الاتحاد بالله تعالى، فإذا ثبت هذا ثبت بطلان الاتحاد بين المسيح عليه الصلاة والسلام وبين الله تعالى، والله الحمد والمنة.

السابع عشر: يعتقد المسيحيون أنَّ المسيح (الإله المتجسد) قد صلب ومات تكفيراً عن خطايا البشر، وهذا باطل من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: من هذا الذي قيَّد الله جل جلاله وألزمه بالبحث عن طريق لكي يوفق بين عدله ورحمته!^(٤)، خاصة إذا ما علمنا أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الإرادة الإلهية هي السبب الأول والأخير في كل ما يحصل في الكون^(٥)، وأنَّ عدل الله تعالى ورحمته عند المسيحيين تابعين لإرادته سبحانه وتعالى، فمتى شاء غفر، ومتى شاء عاقب^(٦).

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيّات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، ط٨، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٣٢.

(٢) البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ص ١٣٢.

(٣) انظر: هذا البحث، ص ١١-١٣.

(٤) انظر: شلبي، أحمد، المسيحيّة، ط ١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٦٢.

(٥) انظر: هذا البحث، ص ١٤.

(٦) انظر: هذا البحث، ص ١٦.

الوجه الثاني: أن أصل وضع العقوبات في الشرائع الإلهية، بل وحتى في القوانين الوضعية تأديب الجناة وزجرهم عن الوقوع في الجرائم، لذلك فإن العقوبة تنفذ في حق المجرم نفسه، وإلا لكان وضعها عبثاً، ولما حصلنا على ما نريده من الحكمة في تشريع العقاب، ولما حصل ردع للمجرم، فكيف يصح أن يتحمل المسيح بل الإله الذي لم تقع منه خطيئة على خطايا البشر^(١)، وهذا يزيد من الجريمة والمعصية، فما دام هناك من يحاسب عنك، ويتحمل الذنب عنك، فلتفعل ما تشاء، لأنَّ هناك من يدفع عنك ثمن هذه المعصية.^(٢)

الوجه الثالث: يعتقد المسيحيون أن الله تعالى حكيم فنقول لهم: هل من الحكمة أن يهين إلهكم نفسه من أجل أن يوقر غيره؟! وهل من الحكمة إذا كانت المعصية يمكن أن تغتفر بدون أن يلحق بالله كل هذا النقص أن لا يغفرها الله إلا بهذه الطريقة التي يرتدي فيها زي الذل والهوان؟! فإذا أراد الله تكريم عبده فالأمر لا يخلو من أحد خيارين: إمَّا أن يكون الله قادراً على مغفرة الذنب ورفع العبد من غير أن يلحقه ذل وهوان، فإذا كان الله قادراً على ذلك وأبى أن يغفر للعبد إلا بأن ينزل هو عن كبريائه، ويرتدي ثوب الذل والهوان فهو - والعياذ بالله - جاهل، وليس بحكيم؛ لأنَّه لا يضع الأمور في موازينها، وهذا باطل، وإمَّا أن لا يكون الله قادراً على أن يرفع شأن العبد، ويغفر زلته من غير أن ينزل نفسه، ويعرضها للهوان، وهذا باطل، لأنَّ الله تعالى على كل شيء قدير^(٣)، فالخياران في حق الله تعالى محالان وعليه فقد بطل التجسد والفداء.

الوجه الرابع: لنفرض جدلاً أن الإله قد تجسد وصلب من أجل التكفير عن خطايا البشر، فهل هذا التكفير الذي كلف الإله التخلي عن مجده وكبريائه كان من أجل كل الناس حتى أولئك الذين قتلوه؟! أم من أجل فئة خاصة منهم وهم الذين آمنوا به؟! فإذا كان من أجل الذين آمنوا به فقط - وهذه هي عقيدة المسيحيين - فقد خاب المسعى تماماً؛ لأنَّ الخطيئة - التي تجسد الله من أجلها وصلب، وتخلي لأجلها عن مجده - لا تزال موجودة^(٤)، بل ولقد زادت الخطيئة أضعافاً مضاعفة، فإيا ليته لم يتجسد فلقد والله زاد زاد الناس خطيئة إلى خطيئتهم، وإثماً مع إثمهم، وقد بينت مروه خرمه أن عملية التضحية كانت بلا فائدة ولم تحقق المحبة والخلاص للعالم، بل حققت خلاصاً للمؤمنين فقط، وظل البغض والغضب لغيرهم، وتصير عبارة (لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالمَ حتَّى بذَّل ابنه الوحيْد) يوحنا (١٦/٣)، ليست سوى

(١) انظر: الجزيري، أدلة اليقين، ص ٢٤٠.

(٢) انظر: الخولي، محمد علي، حقيقة عيسى المسيح، ط ١، دار الفلاح، عمان، ١٩٩٠م، ص ٥٢. هذا مع ضرورة الإشارة إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام في الإسلام فسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام معصوم كذلك إذ إنه لم يقصد

فعل المعصية بل نسي الأمر نسيانا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (١١٥)، طه: ١١٥.

(٣) انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، المختار في الرد على النصارى، ط ١، (تحقيق محمد الشرقاوي)، دار الجيل، بيروت، ومكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٧٣-٧٤.

(٤) انظر: الجزيري، أدلة اليقين، ص ٢٤٠.

عبارة لفظية لم يتحقق مضمونها^(١)، لأنَّ محبة الله تعالى كانت للمؤمنين فقط، ولم يكن في الصلب والفداء خلاصاً لكل العالم.

الوجه الخامس: يعتقد المسيحيون أن الفادي لا بد أن يكون مطهراً من الخطيئة الأصلية، ولذلك فإنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان مطهراً من الخطيئة، فلم تصل إليه الخطيئة من قبل أمه، وذلك لأنَّ الله تعالى قد طهرها برحمته من الخطيئة الأصلية^(٢)، فنقول لهم: ما دام الأمر سهل هكذا فلماذا لم يطهر الله تعالى الخلق كله من الخطيئة بنفس الطريقة؟! ولماذا لا يفعل ذلك ويختار بدلاً منه أن يتنازل عن عرش كبريائه ومجده بالتجسد والموت من أجل التكفير عن الخطيئة؟! فإنَّ الأمر أمره وهو قادر على فعل ما يشاء! وهو قادر على كل شيء فلماذا لم يغفر لهم بدون أن يكلف نفسه كل هذا العناء؟!

الوجه السادس: إن كان المسيح قد صلب لخلاص المسيحيين فمن ماذا خلصهم؟! إن كان الخلاص من محن الدنيا ومصائبها، فهذا باطل؛ لأنَّنا نراهم في ذلك مع الناس سواء، فيجري عليهم ما يجري على الناس من المصائب والمحن الدنيوية.

وإن كان الخلاص من الذنوب، فهو أيضاً باطل؛ لأنَّهم يدعون في صلاتهم قائلين: واغفر لنا ذنوبنا.^(٣)

وإن كان الخلاص من عذاب الآخرة فهو أيضاً باطل؛ لأنَّهم سوف يحاسبون يوم القيامة على أعمالهم، إن فعلوا خيراً وجدوا خيراً، وإن فعلوا شراً وجدوا شراً^(٤)، فأين ثمرة الصلب والفداء إذن؟!

الوجه السابع: يعتقد المسيحيون أنَّ الفادي لا بد أن يكون غير محدود، لكي يكفر عن الخطايا غير المحدودة التي يرتكبها البشر، لذلك اتحد اللاهوت (غير المحدود) بالانسوت (المحدود) ليكون المسيح بلاهوته غير محدود وبناسوته محدوداً مثل البشر الذين يريد فداءهم، فنقول لهم: هل مات المسيح بالانسوت أم باللاهوت أم بالانسوت واللاهوت معاً؟ فإن كان موت المسيح بالانسوت فقد بطل الفداء؛ لأنَّ الناسوت محدود، والفداء لا يتم إلا بموت اللاهوت غير المحدود الذي تجسد في المسيح لهذا الغرض، وإن كان الموت لللاهوت، أو لللاهوت والانسوت معاً، فقد حكمتهم على إلهكم بالموت، وهذا محال^(٥)؛ لأنَّ الإله عندكم وعند كل عاقل لا يمكن أن يموت، لأنَّ من أهم صفات الإله أنه قديم أزلي لا يموت ولا يفنى، وما ثبت قدمه استحالة عدمه (وطبعاً هم لا يعتقدون أنَّ المسيح مات باللاهوت)^(٦)، وعلى هذا فقد بطل الفداء على كل الاحتمالات.

(١) انظر: خرمه، مروه محمود، الحب الإلهي بين الفكر الإسلامي واللاهوت المسيحي، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م، ص ٧٠٤.

(٢) انظر: هذا البحث، ص ٤٢.

(٣) انظر: القرآني، الأجوبة الفاخرة، ص ١٠٩. الطهطاوي، محمد إسماعيل، النصرانية والإسلام، ط ٢، مطبعة التقدم، الناشر مكتبة النور، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٥٢.

(٤) انظر: هذا البحث، ص ١٤٧-١٤٩.

(٥) انظر: الجعفري، الرد على النصارى، ص ٤٣.

(٦) انظر: هذا البحث، ص ٤٢-٤٣.

الوجه الثامن: يقال للمسيحيين: هل كان الله قادراً على خلاص النبي آدم وذريته بغير صلب المسيح عليهما السلام؟! فإن قلتم: لا، فقد كفرتم بنسبتكم العجز لله تعالى، والله عندكم على كل شيء قدير، وهو بإرادته قد جعل أبانا آدم نائباً عنا في الخطيئة كما زعمتم، وهو قد طهر مريم العذراء من الخطيئة كرمًا منه وفضلاً كما ذكرتم^(١).

وإن قالوا: نعم كان يقدر على خلاص النبي آدم بغير صلب المسيح عليهما الصلاة والسلام، فقد كفرتم بنسبة عدم الحكمة والسفه لله تعالى، فكيف يستطيع أن يغفر الخطيئة دون إهانة نفسه، ثم يأبى ذلك، فيقبل لابنه الذل والهوان، وينزل ابنه عن عرش المجد من أجل هذه الخطيئة وهو يعلم أنه يمكن التكفير عنها بمجرد صدور الإرادة الإلهية بذلك، فإن من بعث جيشاً عظيماً من عشرة آلاف جندي مدججين بالسلاح من أجل رد قمع ثورة من شخص أو شخصين، فإنه يوصف بالجهل والسفه، فكيف تعتقدون أن ربكم قبل الذل والهوان ليكفر عن خطيئة مخلوق، وما هي تلك الخطيئة؟! إنها لم تعدو كونه قد أكل من شجرة قد نهي عنها دون عزم منه أو قصد بل لمجرد النسيان، فوالله لو كانت الخطيئة ضد إله آخر وتجسد الله ليكفر عنها لكان لكم ما قد يبهر قولهم، ولكن أن يتجسد الله تعالى لفداء الخطيئة التي وقعت عليه، فهو والله الحمق بعينه- تعالى الله عن ذلك قولهم علواً كبيراً-، فمن يشفع لمن، وعند من يشفع؟!!

الوجه الثامن عشر: يعتقد المسيحيون أن لأقانيم الثالوث وظائف وأدوار مختلفة، ولا يمكن لأي أقنوم أن يقوم بدور الأقنوم الآخر^(٢)، ولنا أن نسأل المسيحيين عدة أسئلة- وهي أسئلة لم يجد الباحث لها عندهم جواباً- فنقول: من هو الذي رتب هذه الأدوار؟ ولماذا لا يمكن تغييرها؟ فما دام الله على كل شيء قدير، ولا يوجد من يفرض عليه، أو يقف أمام إرادته، فلماذا لا يمكن تغيير هذه الأدوار؟ أم أن هناك قوة أعظم من الله هي التي تملي عليه، وهي التي حددت لأقانيمه هذه الأدوار؟

ولماذا خضع الابن والروح القدس للآب لا العكس؟! فإن أي أقنوم لا يستطيع أن يقوم بدور الأقنوم الآخر فقد بطلت ألوهيته، لأن الإله على كل شيء قدير؟! فإذا كان الآب- مثلاً- لا يستطيع أن يقوم بدور الابن أو بدور الروح القدس ألا يدل ذلك على عجز الآب وضعفه، وبذلك تبطل ألوهيته، فالآب لا يستطيع أن يكون مولوداً كالابن ولا منبثقاً كالروح القدس، فهو عاجز- عند المسيحيين- عنهما، وبذلك فقد بطلت ألوهيته، لأن الإله على كل شيء قدير؟! وكذلك الابن لا يستطيع أن يكون أباً أو أن يكون منبثقاً، وهذا يبطل ألوهيته؟! وبهذا يبطل الثالوث من أساسه، والله الحمد والمنة.

وبعد هذه الأدلة التي تثبت بطلان عقيدة التثليث والتجسد والفداء والخطيئة الموروثة تنتقل إلى نقض أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث.

(١) انظر: هذا البحث، ص ٤٢.

(٢) انظر: هذا البحث، ص ٣٤-٣٨.

المطلب الثاني: نقض أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث

يستدل المسيحيون على الثالوث بالعديد من الأدلة العقلية، فهم يعدون الثالوث ضرورة عقلية لا بد منها، فالله تعالى لا يكون كاملاً عندهم إلا إذا كان ثلوثاً، ومن تتبع هذه الأدلة فإنه يعلم يقيناً أن جملتها أدلة عليهم لا لهم، وبيان ذلك الآتي:

الدليل الأول: يعتقد المسيحيون أن الله تعالى يتصف بصفات أزلاً، ولا يكون الله تعالى كاملاً إلا إذا كانت صفاته فاعلة أزلاً، وعليه فلا بد أن تكون الذات الإلهية مكونة من ثلاثة أقانيم حتى تكون الصفات فاعلة أزلاً بين هذه الأقانيم، وهذا باطل من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: حتى يتضح لنا بطلان هذا الدليل، فلا بد أن نضرب أمثلة على الصفات الإلهية ونرى بطلان الاستدلال بهذا الدليل، بل إن هذا الدليل دليل عليهم لا لهم، وبيان ذلك أن من صفات الله تعالى: القدرة، والإرادة، وغيرهما من الصفات، فإذا كانت هذه الصفات فاعلة أزلاً فلا بد من وجود مقدور ومراد تتعلق به هاتان الصفتان، وإذا فرضنا جدلاً وجود ثلاثة أقانيم أزلية في الذات الإلهية، وكان الأقنوم الأول (الآب) هو أصل للأقنومين الآخرين (الابن والروح القدس)، وهما قد وُجدا به^(١)، فلا بد أن يكون هذان الأقنومان أثريين للقدرة والإرادة وغيرهما من الصفات الإلهية، وعليه فيكون هذان الأقنومان مقدورين ومُرادين للآب، لا أنهما إلهان قادران مُريدان، وعلى هذا فقد بطلت ألوهيتهما، لأن القول بوجوب عمل الصفات الإلهية أزلاً لا يعني أن متعلقات تلك الصفات وأثارها هي آلهة مساوية للآب (الموجد لها) في الجوهر واللاهوت، فلا تلازم بين وجوب عمل الصفات وبين ما يدعيه المسيحيون من اعتقاد الألوهية في الابن والروح القدس، ويزيد الوجه الثاني ذلك بياناً.

الوجه الثاني: هناك عدة صفات إلهية لا يمكن لنا تصور عملها إلا بوجود الخلق مثل: المحيي، المميت، الغافر، الغفور، والغضب (وهي صفات عند المسيحيين)، فإذا كانت هذه الصفات فاعلة أزلاً فلا بد من وجود مخلوقات تتعلق به هذه الصفات، فيكون بعضها أثراً لصفة الإحياء، وبعضها الآخر أثراً لصفة الإماتة، ويكون بعضها مغفوراً له، ويكون بعضها الآخر مغضوباً عليه، وكل هذا يتعلق أزلي، وعليه فإما أن يكون العالم أزلياً لتتعلق به تلك الصفات؛ وهذا باطل عندنا وعند المسيحيين.

وإما أن تكون هذه الصفات قد تعلقت بالأقانيم، وعندها يكون في الأقانيم من هو: مخلوق، ومغفور له، ومغضوب عليه، وهذا باطل؛ لأن الأقانيم آلهة، ولا يمكن أن تكون مخلوقة أو مغفور لها، أو مغضوب عليها، أي لا يمكن أن تتعلق بها أي صفة من الصفات السابقة لأن هذه الصفات لا تتعلق إلا بالمخلوقات، ولا يوجد مخلوقات أزلاً، وعليه فإما أن تكون الأقانيم مخلوقات أزلية لتتعلق بها تلك الصفات، وهذا باطل، أو أن عمل الصفات أزلاً باطل، وهو الصواب.

(١) انظر: هذا البحث، ص ٢٧.

الوجه الثالث: إنَّ الصفات الإلهية تقسم إلى صفات ذاتية (وتسمَّى عند المسيحيين صفات جوهرية): وهي الصفات الملازمة لله تعالى أزلاً وأبداً؛ مثل: العلم، والقدرة، والمجد، وغيرها، و**صفات فعلية** (وتسمَّى عند المسيحيين صفات علاقية): وهي الصفات الخاضعة لمشئة الله تعالى وإرادته. عند المسلمين؛ مثل: الخلق، والإحياء، والإماتة، والرزق، والمنع، فاتصاف الله تعالى بصفاته الفعلية قديم لكن الفعل نفسه يحدث متى شاء سبحانه، فلا يقال: أنَّ الله تعالى يخلق أزلاً؛ لأنَّه يخلق متى شاء، ولا يقال: إنَّ الله تعالى يرزق أزلاً؛ لأنَّه يرزق متى شاء، ففرق بين الاتصاف بصفة الفعل أزلاً وبين عمل صفة الفعل أزلاً، فالاتصاف قديم والعمل حادث، وإنَّ جعل هذه الصفات عاملة أزلاً يؤدي إلى نفي الإرادة الإلهية، ويلزم عن ذلك القول بالصدور الذاتي للمخلوقات عن الحق سبحانه وتعالى، وهذا باطل لأنَّ هذا يعني أنَّ الله تعالى لا يفعل بمشيئته بل هو مجبر على الفعل، وهذا باطل عقلاً وشرعاً؛ لأنَّه يتناقض مع كمال الله تعالى، وينفي إتصافه بالإرادة، وهناك فرق بين من يفعل بإرادته، وبين من يفعل مجبراً، وبين من يحب بإرادته، وبين من يحب مجبراً، فلا شك أنَّ الأول أعلى وأكمل.

الوجه الرابع: إن فرضنا جدلاً أنَّ قدرة الله تعالى كلما تعلقت بإيجاد شيء، أو إعدامه، لزم عن ذلك التغيير في ذات الله تعالى^(١)، فيلزم عن ذلك أن لا يخلق الله تعالى الخلق أبداً، لأنَّ الخلق وجد بتعلق القدرة بإيجاده، فيلزم عن تعلق القدرة بإيجاد الخلق في وقت معين حصول التغيير في ذات الله تعالى، وهذا باطل، فيلزم عنه إمَّا أنَّ الخلق لم يخلق أصلاً، وهذا باطل ببداهة الحس والعقل. وإمَّا أنَّ الله تعالى ليس هو خالق الخلق، بل هناك من خلقهم غير الله تعالى، وهذا باطل، لتفرد الله تعالى بالخلق والإيجاد.

وإمَّا أن تعلق الصفات الإلهية - ومنها القدرة - بمتعلقاتها في وقت معين لا يؤدي إلى التغيير في ذات الله تعالى، وهو الصواب.

ويرد عبد الرحمن الجزيري على من يستدل باتصاف الله تعالى بالودود على وجوب وجود المودود أزلاً بأنَّ هذا: "خطأ واضح لأنَّ الله تعالى متصف بصفات أزلية باتفاق، ومع ذلك تتعلق بالممكنات التي تستوجب أزمنة مختلفة، ولم يخطر على بال أحد من العقلاء أنَّ التغيير في تعلق الصفة يوجب التغيير في الصفة أو في الذات، وإلا لو كان هذا صحيحاً لاستحال أن يوجد الله تعالى شيئاً من الممكنات في المستقبل."^(٢)

فلو أنَّ الصفات الإلهية كلما تعلقت بإيجاد شيء أو إعدامه لزم عنه التغيير في الذات الإلهية، لكانت الذات الإلهية دائمة التغيير؛ لأنَّا نعلم يقيناً أنَّ الله تعالى في كل لحظة يعدم ويخلق خلقاً جديداً، أفكلما خلق الله تعالى خلقاً جديداً تغيرت ذاته العلية؟! لذلك فإنَّ ابن حزم يعكس القضية على المسيحيين

(١) انظر قول المسيحيين بوجوب عمل الصفات أزلاً حتى لا يحدث تغيير في ذات الله تعالى: هذا البحث، ص ٧١-٧٢.

(٢) الجزيري، أدلة اليقين، ص ٢٢٢-٢٢٣.

فيقول: "لَمَّا كَانَ الْبَارِي تَعَالَى غَيْرَ فَاعِلٍ عَلَى قَوْلِكُمْ ثُمَّ صَارَ فَاعِلاً، فَقَدْ لَحَقَتْهُ اسْتِحَالَةٌ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا لَهُمْ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: هَذَا السُّؤَالُ رَاجِعٌ عَلَيْكُمْ إِذْ صَحَّحْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ لَازِمٌ، لَا لَنَا؛ لِأَنَّ لَا نَصَحْهَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ الْفِعْلُ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ غَيْرَ فَاعِلٍ يُوجِبُ الْاسْتِحَالَةَ عَلَى الْفَاعِلِ تَعَالَى، فَإِنَّ فِعْلَهُ لِمَا أَحْدَثَ مِنَ الْأَعْرَاضِ عِنْدَكُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ غَيْرَ مُحْدَثٍ لَهَا، وَإِعْدَامُهُ مَا أَعْدَمَ مِنْهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ غَيْرَ مُعْدَمٍ لَهَا مُوجِبٌ عَلَيْهِ الْاسْتِحَالَةَ، فَاجِيبُوا عَنْ سُؤَالِكُمُ الَّذِي صَحَّحْتُمُوهُ، وَلَا جَوَابَ لَكُمْ إِلَّا بِإِفْسَادِهِ."^(١)

فَقَدِمَ الصِّفَاتُ الْإِلَهِيَّةُ لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ تَتَعَلَّقَ الصِّفَاتُ بِحَوَادِثٍ تَحْدُثُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْدِيَ ذَلِكَ إِلَى التَّغْيِيرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَثَلًا تَعَلَّقَتْ الْإِرَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْقَدِيمَةُ بِإِيجَادِ الْعَالَمِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَلَمْ يَحْدُثْ لَذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى حِينَئِذٍ تَغْيِيرٌ وَجَدَ الْعَالَمَ بِالْفِعْلِ^(٢)، وَيَضْرِبُ لَنَا الْغَزَالِيُّ مَثَلًا يُبَيِّنُ فِيهِ عَدَمَ حَدُوثِ تَغْيِيرٍ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ تَتَعَلَّقُ صِفَاتُهُ بِشَيْءٍ بِ(السِّيفِ): إِذْ أَنَّ السِّيفَ يُسَمَّى صَارِمًا وَهُوَ فِي غَمْدِهِ، وَعِنْدَ حَصُولِ الْقَطْعِ بِهِ يُسَمَّى صَارِمًا أَيْضًا، فَمَعْنَى تَسْمِيَةِ السِّيفِ فِي الْغَمْدِ صَارِمًا: أَنَّ الصِّفَةَ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْقَطْعُ فِي الْحَالِ مَوْجُودَةٌ فِي السِّيفِ، فَلَيْسَ امْتِنَاعُ الْقَطْعِ فِي الْحَالِ لِقُصُورِ فِي ذَاتِ السِّيفِ وَحْدَتِهِ، بَلْ لِأَمْرٍ آخَرَ وَرَاءَ ذَاتِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَاءُ يُسَمَّى مَرْوِيًّا وَهُوَ فِي الْكَأْسِ، وَعِنْدَ الشَّرْبِ يُسَمَّى مَرْوِيًّا أَيْضًا، فَبِالْمَعْنَى الَّذِي يُسَمَّى بِهِ السِّيفُ فِي الْغَمْدِ صَارِمًا، وَالْمَاءُ فِي الْكَأْسِ مَرْوِيًّا، يَصْدُقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى اسْمُ الْخَالِقِ وَالْقَادِرِ وَالْمُرِيدِ فِي الْأَزْلِ- وَلِلَّهِ تَعَالَى الْمَثَلُ الْأَعْلَى-، فَإِنَّ الْخَلْقَ إِذَا جَرَى بِالْفِعْلِ لَمْ يَكُنْ لِتَجَدُّدِ أَمْرٍ فِي الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا قَبْلَ الْخَلْقِ، بَلْ كُلُّ مَا يَشْتَرِطُ لِتَحْقِيقِ الْفِعْلِ مَوْجُودٍ فِي الْأَزْلِ^(٣)، وَكَمَا لَا يَحْصُلُ تَغْيِيرٌ فِي السِّيفِ عِنْدَ الْقَطْعِ الْحَقِيقِيِّ، فَبِهَذَا الْمَعْنَى لَا يَحْصُلُ تَغْيِيرٌ فِي اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ تَعَلُّقِ صِفَاتِهِ بِمَتَعَلِّقَاتِهَا- وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى-.

الدليل الثاني: يَعْتَقِدُ الْمَسِيحِيُّونَ أَنَّ عَمَلَ الصِّفَاتِ أَزْلًا يَتَطَلَّبُ وَجُودَ عِلَاقَاتٍ أَزْلِيَّةٍ بَيْنَ الْأَقَانِيمِ الْإِلَهِيَّةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِحَّ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْأَقَانِيمُ ثَلَاثَةً فَقَطْ؟! لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ^(٤)، وَيَسْتَدْلُونَ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ أدلة غير دالة على مرادهم قطعاً، وبيان ذلك الآتي:

الأول: يَعْتَقِدُ الْمَسِيحِيُّونَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَشْتَرِكَ اثْنَانِ بِدَوْرِ الْفَاعِلِ، وَأَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ثَالِثٌ يَقُومُ بِدَوْرِ الْمَفْعُولِ، وَهَذَا بَاطِلٌ مِنْ عِدَّةِ وَجُوهِ أَبْرَزِهَا:

الوجه الأول: مَا الدَّلِيلُ عَلَى الْضَّرُورَةِ فِي ذَلِكَ؟! فَلَمَّاذَا لَا يَصِحُّ الْعَمَلُ بِالضَّرُورَةِ إِلَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ؟! أَفَلَا يَصِحُّ الْعَمَلُ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ- أَوْ أَكْثَرَ- يَقُومُونَ بِدَوْرِ الْفَاعِلِ، وَيَكُونَ هُنَاكَ أَقْنُومٌ رَابِعٌ يَقُومُ بِدَوْرِ الْمَفْعُولِ.

(١) ابن حزم، الفصل في الملل، ج ١، ص ٣٧.

(٢) انظر: الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، تهافت الفلاسفة، ط ٣، (تحقيق سليمان دنيا)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨ م، ص ٩٤.

(٣) انظر: الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، ط ٢، (تحقيق أنس الشرقاوي)، دار المنهاج، بيروت، ٢٠١٢ م، ص ٢١٧.

(٤) انظر هذا الدليل: هذا البحث، ص ٧٣-٧٥.

الوجه الثاني: لماذا لا يصح العمل الفردي؟! فإنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ الآب وحده هو الذي ولد الابن، دون أن يشاركه في ذلك أحد، وكان الآب فاعلاً مستقلاً، فكيف لا يصح العمل إلا بالشراسة؟! **الثاني:** يعتقد المسيحيون أنَّ الله إذا كان واحداً صرفاً فإنه يكون في عزلة ووحدانية، ولو كان ثنائياً- الآب والابن- لكان منفصلاً، أمّا إذا كان ثالثاً فإنه يتمتع عن العزلة، ويتغلب على الانفصال، وهذا الكلام كله من تأليف المسيحيين ولا دليل لهم عليه لا من العقل ولا من النقل، فأبي عقيدة هذه التي تُبنى على دعاوى لا دليل لهم عليها.

أمّا قولهم: إنَّ الله إذا كان واحداً فإنه يكون في عزلة ووحدانية فهو قول باطل؛ لأنَّ الله تعالى لا يوصف بالعزلة والوحدة، فإنَّ العزلة والوحدة من صفات المخلوق الذي لا يأنس إلا بوجود مخلوق آخر من جنسه، ففي اعتقاد أنَّ وحدانية الله تعالى تعني العزلة تشبيهاً للخلق جل وعلا بالمخلوق الذي يحتاج إلى مخلوق آخر يؤنس وحدته، ويخرجه من عزلته، والله تعالى ليس له شبيه أو مثيل.

أمّا قولهم: إنَّ الله تعالى إذا كان ثنائياً لكان منفصلاً فهو أيضاً مما لا دليل لهم عليه، فلماذا يكون منفصلاً إذا كان ثنائياً ولا يكون كذلك إذا كان ثلاثياً؟!

أمّا قولهم: إنَّ الله تعالى إذا كان ثالثاً فإنه يتمتع عن العزلة، ويتغلب على الانفصال، فهو أغرب وأعجب من الأدلة السابقة، فلماذا كان الثالث فقط هو الذي يتمتع عن العزلة ويتغلب على الانفصال؟! وما دليلكم العقلي على ذلك؟! إنَّ المسيحيين يطلقون أحكاماً ويدَّعون دعاوى يعدونها ضرورية من غير أن يعطوا عليها دليلاً واحداً! ولنا أن نسألهم: إذا كان من الضروري لخروج الله من الوحدة أن يكون متعدداً، فلم حصرتم ذلك في الثالث فقط؟! أليس هذا ترجيحاً من غير مرجح؟! ألا يمكن أن يتغلب ربكم على الوحدة إذا كان رباعياً أو خماسياً؟! فمن المعروف لدى كل الناس أنَّه كلما زاد العدد قلت الوحشة التي تؤدي إليها العزلة.

الثالث: أمّا قول المسيحيين بأنَّ في العلاقة الثلاثية تتوفر كل متطلبات الكمال، فهو أيضاً قول لا دليل لهم عليه، فمن الذي حدَّد الكمال في العلاقة الثلاثية؟ فلماذا لا يكون الكمال أيضاً في العلاقة الرباعية أو أكثر؟! وما هو الذي يميز الثلاثية عن غيرها حتى تكون كمالاً وغيرها نقصاً؟! كل هذا كلام لا دليل لكم عليه، فأبي عقيدة هذه يمكن أن تبنى على دعاوى لا أدلة عليها!

الرابع: أمّا قول المسيحيين بأنَّ العلاقة الثلاثية تتضمن البساطة، وبالتالي تتضمن الوحدانية مع التعددية فهو باطل قطعاً، فمن ذا الذي قال بأنَّ البساطة والوحدانية يمكن أن تجتمع مع التعدد والتكثُر؟! فإنَّ التكثُر والتعدد يتناقضان مع البساطة والوحدانية، ولا يمكن وجود البساطة إذا وجد التعدد، ثم لو أننا فرضنا جدلاً إمكان الجمع بين البساطة والتعدد فما الذي يميز العلاقة الثلاثية عن الرباعية؟! وما الدليل على وجود البساطة في العلاقة الثلاثية وانتفاءها في غيرها؟! فهذه دعاوى لا دليل لكم عليها؟! وإذا كان هناك بساطة في الثلاثية فلماذا لا تكون البساطة أيضاً في الرباعية وغيرها؟!

الخامس: أمّا استدلال المسيحيين على وجوب أن يكون الله ثالثاً بأمثلة من الواقع كالاستدلالهم بأنّ أول شكل هندسي له ثلاثة أضلاع، وأنّ كل حيوان راقٍ فله ثلاثة أجزاء، وكل نبات راقٍ له ثلاثة أجزاء، وغير ذلك من الترهات التي لا ينطق بها إلا من جهل ربه، وما عرف عظمة خالقه جل وعلا، **فالجواب عليه:** أنّ الله تعالى إذا كان ثالثاً لأجل الأمثلة السابقة، فلماذا لا يكون الله سابوياً؟! إذ أنّ أيام الأسبوع سبعة، والسموات سبع، وألوان الطيف سبعة، وغير ذلك مما هو معلوم في الطبيعة، فهل يدل هذا على أن الله الواحد ذو سبعة أقانيم؟

الدليل الثالث: يعتقد المسيحيون أنّ اتصاف الله تعالى بالصفات المتباينة لا يصح إلا إذا كان الله ثالثاً، وعندها تتوزع الصفات المتباينة بين أقانيم الثلاث؛ فمثلاً يتصف الله الآب بالعدل والانتقام، ويتصف الله الابن بالرحمة والعفو، ويتصف الله الروح القدس بالتقديس والطهارة، وفي هذا إبطال لألوهية الجميع، لأنّ هذا يعني أن لا يتصف الله الآب ببعض صفات الكمال التي يتصف بها الابن مثل الرحمة والعفو، فتبطل عندها ألوهية الآب لأنّ الإله لا بد أن يتصف بكل صفات الكمال، كما ويلزم عن ذلك أن يتصف الله الآب بنقيض الرحمة وهو القسوة وهذا أيضاً باطل، وكذلك الحال مع الابن والروح القدس، وعندها تبطل ألوهية الجميع، لأنّ كل واحد افتقد لبعض صفات الكمال التي استقل بها غيره، والإله لا يكون إلا كاملاً.

الدليلان الرابع والخامس: يعتقد المسيحيون أنّ الله تعالى حي ناطق منذ الأزل، وكذلك فهو حكيم حي منذ الأزل، فإذا نظرنا إليه على أنّه موجود فهو الآب، وإذا نظرنا إليه على أنّه ناطق أو حكيم فهو الابن، وإذا نظرنا إليه على أنّه حي فهو الروح القدس، وهذا باطل من عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنّ صفات الله تعالى كثيرة وأسماء متعددة، فلماذا حصرتم صفاته وأسماءه في النطق والحكمة والحياة فقط؟! (١) فالله عندكم عالم، وقادر، ومريد، وسميع، وبصير، وغير ذلك من الصفات، فلماذا لم تجعلوا كل صفة من الصفات أقنوماً؟!

الوجه الثاني: أنّ تسمية نطق الله وحكمته ابناً، وتسمية حياته روح القدس أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزلة، ولا قاله أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٢)، والمسيحيون يزعمون أنّهم قد أخذوا دينهم وثالوثهم من الكتاب المقدس، بل إنّ من المعروف لكل من له علم بالكتاب المقدس أنّه كان يطلق كلمة ابن الله على عباد الله المقربين لا على صفاته العلية (٣)، وكانت كلمة روح القدس تطلق على ملك الوحي وعلى غيره (٤). كما بيّن الباحث ذلك سابقاً. لا على حياة الله تعالى.

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ١، ص ٤١٩، علماً بأنّ الله يتصف في الاسلام بأنّه متكلم بكلام لا بالنطق.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢١.

(٣) انظر: هذا البحث، ص ١٥٧.

(٤) انظر: هذا البحث، ص ١٨٢-١٨٣.

الوجه الثالث: قول المسيحيين نريد بولادة المسيح أن الله لم يزل ناطقاً، والمسيح هو نطقه الذي لم يزل ولا يزال، وأن الله لم يزل حكيماً عالماً، والمسيح هو علمه وحكمته، كلام باطل كما يرى القرافي؛ وذلك لأن النطق والحكمة صفتان تقومان بذات الله تعالى، وهما من المعاني لا من الأجسام، بل هما كالحياة والإرادة والقدرة، فإن أرادوا أن المسيح عليه السلام المتجسد لم يزل صفة النطق والحكمة (الصفة المعنوية) فهو من باب قلب الحقائق الذي يستحيل وقوعه، كما يستحيل أن يتحول السواد إلى بياض، والعلم إلى طعم، والرائحة إلى لون، كذلك يستحيل أن يحل نطق الله أو حكمته في المسيح.^(١)

الوجه الرابع: يستحيل أن تكون صفتا الله تعالى (النطق والحكمة) قائمتين في ذات الله تعالى، وتكونان في الوقت نفسه حالتين في المسيح عليه الصلاة والسلام، لأن هذا يعني قيام الصفة في محلين وهو باطل، فإما أن تكون الصفة المتحدة بالمسيح (النطق والحكمة) قد فارقت الله، ويلزم عن ذلك أن يبقى الله بلا نطق ولا حكمة- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وهذا محال، وإما أن الله الأب قد اتحد مع المسيح لعدم انفصال الصفة عن الموصوف، وهذا أيضاً باطل، ولا يقول به المسيحيون، فبطل بذلك التجسد والاتحاد، كما بطل الثالوث أيضاً، والله الحمد والمنة.

الدليل السادس: أمثلة من الطبيعة مع الفارق؛ حيث يستدل المسيحيون بعدة أدلة من الطبيعة على الثالوث منها:

أولاً: الإنسان والشمس؛ فكما أن الإنسان واحد في ثلاثة، وهو مخلوق على صورة الله تعالى، كذلك الله واحد في ثلاثة، فالإنسان جسد وعقل وروح، أو عقل وفكر وإرادة، والشمس هي: شعاع وقرص وحرارة، كذلك الله: أب وابن وروح قدس، **والجواب على ذلك من عدة وجوه أبرزها:**

الوجه الأول: أن هذا تشبيهه للخالق بالمخلوق وهو باطل، لأنه تشبيهه مع الفارق، فكيف يشبه من لا مثيل له ولا نظير، بالمخلوق العاجز الفقير، وأننا إذ نرفض تشبيه الخالق بالمخلوق فإننا لا نخالف الكتاب المقدس، بل إن الكتاب المقدس ينهى عن تشبيه الخالق بالمخلوق، فرفضنا للتشبيه يوافق الكتاب المقدس، واستدلال المسيحيين بمثل هذه الأدلة يخالف أوامر كتابهم، فقد قال النبي إشعياء عليه الصلاة والسلام: **(فَبِمَنْ تَشَبَّهُونَ اللَّهَ وَآيَ شَبِّهِ تَعَادِلُونَ بِهِ؟)**^(٢)، وقال الله تعالى: **(فَبِمَنْ تَشَبَّهُونَنِي فَأَسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ).**^(٣)

الوجه الثاني: يعتقد المسيحيون أن النطق أو الكلمة أو العلم أو الحكمة، والحياة مساويان للآب في الجوهر واللاهوت والمجد، ولكن عقل الإنسان ليس إنساناً، وليس مساوياً للإنسان، وكذلك روحه ليست إنساناً، ولا مساوية للإنسان، وكذلك حرارة الشمس وشعاعها ليسا مساويين للشمس، في حين أن الابن والروح القدس عند المسيحيين مساويان للآب في الجوهر واللاهوت وكل الصفات، فلو فرضنا

(١) انظر: القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص ٣٥-٣٦.

(٢) إشعياء (١٨/٤٠).

(٣) إشعياء (٢٥/٤٠).

جداً جواز تشبيه الخالق بالمخلوق فهذان التشبيهان باطلان، لأنهما تشبيهان مع الفارق.

الوجه الثالث: إنَّ عقل الإنسان ليس جوهرًا قائمًا بنفسه، وكذلك حرارة الشمس ليست جوهرًا قائمًا بذاته، بل هما عرضان قائمان بغيرهما، في حين أنَّ الابن والروح القدس جوهران قائمان بنفسهما، فبطل بذلك التشبيه لأنَّه مع الفارق.^(١)

الوجه الرابع: إنَّ الإنسان ليس روحاً وعقلاً وجسداً فقط، ولا هو عقل وفكر وإرادة فقط، بل الإنسان: عقل وجسد وروح وقلب وإرادة وقدرة وعلم وسمع وبصر، وغير ذلك من الصفات التي تكون الكيان الإنساني، فلماذا حصرتم الإنسان في ثلاثة صفات أو أجزاء فقط، وليس أحدهما بأولى من الآخر، أمَّا الله عند المسيحيين فهو ثلاثة أقانيم فقط، فإذا كان الإنسان على صورة الله، وكان الإنسان مكوناً من أكثر من ثلاثة أقانيم، فيلزم من ذلك أن يكون الله مكون من أكثر من ثلاثة أقانيم، وهذا عند المسيحيين باطل، فبطل بذلك استدلالهم بهذا الدليل.

الوجه الخامس: أنَّ الإنسان هو مجموع هذه الصفات والأجزاء المذكورة، في حين أنَّ الله عند المسيحيين ليس مجموع الثلاثة أقانيم، بل كل أقنوم هو الله، فإن كان الإنسان على صورة الله، وكان الإنسان مركباً من تلك الأجزاء التي يستدل بها المسيحيون على الثالوث، فيلزم من ذلك أنَّ الله مركب من مجموع الأقانيم الثلاثة، وعندها يكون الله مركباً، وهذا باطل.

ثانياً: الإصبع؛ حيث يستدل الأنبا ابن المقفع على الثالوث بقول المسيح عليه الصلاة والسلام: (وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبَعِ اللَّهِ أَخْرِجُ الشَّيَاطِينَ)^(٢)، **والجواب عليه من عدة وجوه أبرزها:**

الوجه الأول: أنَّ هذا النص ليس فيه ذكر للثالوث لا من بعيد ولا من قريب، بل هو ينقض الثالوث من أساسه، ويقتلعه من جذوره، لأنَّه بين أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام لم يكن يخرج الشياطين بقوته الذاتية، بل كان يخرجهم بقوة الله تعالى ومعاونته، وهذا هو المقصود بإصبع الله، فالله عند المسيحيين منزّه عن الأعضاء، وأنسب تأويل لكلمة أصبع هنا هو القوة، فيكون معنى النص أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام كان يخرج الشياطين بقوة الله تعالى، وعليه فهذا النص يبطل ألوهية المسيح، لأنَّ المسيح لو كان إلهاً لكان يخرج الشياطين بقوته الذاتية، دون الحاجة إلى معونة غيره.

الوجه الثاني: أنَّ هذا النص جاء في إنجيل متى بصيغة أخرى، حيث جاءت كلمة (روح) بدل كلمة (أصبع)، وهذا نصها: (وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أَخْرِجُ الشَّيَاطِينَ)^(٣)، والمقصود بالروح هنا المعونة الإلهية التي يؤيد الله تعالى بها عباده الصالحين، ولو كان المسيح عليه الصلاة والسلام إلهاً لما احتاج إلى معونة أحد، فهذا النص من أصرح النصوص التي تبطل ألوهيته، وتظهر عبوديته وافتقاره لربه جل وعلا، فالمسيحيون لا يميزون بين الدليل الذي لهم والدليل الذي عليهم.

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج١، ص ٥٣١.

(٢) لوقا (٢٠/١١).

(٣) متى (٢٨/١٢).

الدليل السابع: يستدل البابا شنودة على وحدانية الله وتثليث أقانيمه بأن $1=1 \times 1 \times 1$ ، **والجواب**
على ذلك عدة وجوه أبرزها:

الوجه الأول: أنه ليس لهم دليل في ذلك البتة، لأن الواحد (١) لو ضربت في أي عدد كان فالنتيجة واحد، فمثلاً: $1=1 \times 1 \times 1 \times 1 \times 1$ أيضاً، فليس لهم أن يستدلوا بهذا على ثالوثهم، لأن هذه الطريقة تشهد لكل الأعداد وليس للثلاثة فقط، فالواحد لو ضرب بنفسه آلاف المرات فالنتيجة تكون واحد، وهذا لا يختص بضرب الواحد بنفسه ثلاث مرات حتى يكون دليلاً على الثالوث، فلو أراد شخص أن يثبت أن الله تعالى سابوفاً فما عليه إلا أن يضرب $1=1 \times 1 \times 1 \times 1 \times 1 \times 1 \times 1$!! فما قولكم في هذا؟!

الوجه الثاني: أن المسيحيين يعتقدون بوجود التمايز بين الأقانيم، فالأقنوم الأول ليس هو الأقنوم الثاني وليس هو القنوم الثالث، وعليه فإن ضرب كل أقنوم بالأقنومين الآخرين لا يمكن أن تساوي واحد، لأن الواحد المضروب بنفسه ثلاث مرات لا يمكن أن يساوي واحد إلا إذا كان هو نفسه من كل الوجوه، أي أن الواحد الأول هو نفسه الواحد الثاني، وهو نفسه الواحد الثالث، أما إذا تمايز الواحد الأول عن الثاني والثالث فلا يمكن أن يكون ناتج الضرب واحداً، وعليه فلا يمكن أن يكون ناتج ضرب الأقانيم الثلاثة ببعضها واحداً، لأنها متميزة عن بعضها.

وخلاصة الأمر أنَّ عقيدة الثالوث جمعت في طياتها الكثير من المحالات العقلية، حتى إنَّ الإنسان ليتعجب من وجود من يؤمن بمثل هذه العقيدة التي تتصادم مباشرة مع البديهيات العقلية، ولو حاول المسيحيُّون تبرير هذه العقيدة بأنَّها من الأسرار، وأنَّها فوق العقل لا ضده، فهذا لا ينفعهم شيئاً، لأنَّ عقيدة الثالوث في الحقيقة ليست فوق العقل، بل هي متناقضة معه، والدليل على ذلك أنَّها:

١. تجمع بين التثليث والتوحيد الحقيقيين: وهما ضدان، والضدان لا يمكن أن يجتمعا في شيء واحد في وقت واحد، بل هو اجتماع للنقيضين (توحيد ولا توحيد) والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

٢. تقول بقيام الصفة بالصفة: فهي تقول بقيام الصفة بالصفة فالمسيح عليه الصلاة والسلام عندهم صفة لله تعالى فهو علم الله تعالى وكلمته، ومع هذا فإنَّه يتصف بالقدرة والحياة والإرادة وغير ذلك، وهذا باطل.

٣. تقول بقيام الصفة بغير الموصوف: حيث اتحد الابن (كلمة الله أو علمه عندهم) مع جسد المسيح عليه الصلاة والسلام.

٤. تقول أنَّ القدرة الإلهية تتعلق بذات الله تعالى، وما ترتب على ذلك من القول بالتجسد الإلهي.

٥. تنسب النقص لله تعالى وذلك بالقول بوجود ولد له تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٦. تقول بالتجسد والاتحاد من غير حلول ولا اختلاط ولا تغيير، وهو باطل لأنَّ الاتحاد يستلزم التغيير، فإن لم يكن هناك تغيير فلا اتحاد.

٧. تقول بضرورة التجسد والصلب للتوفيق بين العدل والرحمة، ممَّا أدى إلى تخلي الله تعالى عن مجده الذاتي، ولو أنَّه تخلى عن الرحمة فأجرى العدل، أو تخلى عن العدل فأجرى الرحمة لكان خيراً له، لأنَّهما صفتان خاضعتان عندكم للإرادة، والتخلي عن أحدهما خير من التخلي عن مجده وكبريائه اللذين هما من صفات ذاته ولا يمكن التخلي عنهما.

٨. تنسب النقص لله تعالى بقولهم بالخطيئة الموروثة فهذا يناقض الرحمة، وبالقول بوجوب التجسد والفداء فهما يناقضان الإرادة والرحمة.

وكذلك فإنَّ المسيحيين لم يستدلوا على الثالوث بدليل عقلي واحد، بل هم قد جاءوا ببعض الدعاوى التي تحتاج هي في نفسها إلى أدلة لإثباتها، وعدّوها مسلمات، وهي في الحقيقة مقدمات تحتاج إلى أدلة وبراهين على صحتها، كما استدلوا بوجوب عمل الصفات أزلاً وهو دليل عليهم لا لهم، فإن فرضنا ذلك لكان المسيح عليه الصلاة والسلام أثراً لصفة الإرادة والقدرة، ويلزم عن ذلك أن يكون المسيح عليه الصلاة والسلام مخلوقاً لا خالقاً، وهو المطلوب.

وبعد أن تمَّ نقض الثالوث عقلاً ننتقل إلى نقض الثالوث من القرآن الكريم.

المبحث الثالث

نقض الثالوث من القرآن الكريم

إنَّ الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه، وذلك من خلال حفظه سبحانه وتعالى للقرآن الكريم الذي هو الأساس الأول الذي يبنى عليه الدين الإسلامي، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، فقد بيَّن القرآن الكريم كل ما يحتاجه الإنسان لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، وأجاب القرآن الكريم عن الاسئلة البشرية التي تجول في فكر كل إنسان، هذه الاسئلة الملحة التي لا يطمئن الإنسان، ولا يشعر بالاستقرار إلا إذا وجد الجواب الشافي المقنع لها، فبيَّن له من هو؟ ومن خلقه؟ وما صفات خالقه؟ وما الذي يريده الخالق منه؟ وبيَّن لنا القرآن الكريم صفات الخالق جل وعلا؛ فبيَّن لنا القرآن أنَّ الله تعالى واحد أحد لا شريك له ولا مكافئ ولا ند، منزّه عن الصاحبة والولد، متصف بصفات الكمال، منزّه عن صفات النقص، لا تستطيع العقول إدراك كنه ذاته، ولا معرفة حقيقية صفاته، فكيف تعرف من لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، فالله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، قال تعالى: ﴿وَالَهُمْ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٣)، ولم يكتف القرآن الكريم بذكر أدلة التوحيد، بل لقد ذكر القرآن العقائد الباطلة المخالفة لعقيدة التوحيد، وبيَّن بطلانها، ورد على أصحابها رداً شافياً كافياً، فيه الهدى والنور لكل باحث عن الحق دون تعصب وهوى، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٤)، ومن أهم تلك العقائد التي بيَّن القرآن الكريم بطلانها عقيدة الثالوث، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: نقض ألوهية المسيح عليه السلام والروح القدس من القرآن الكريم

أولاً: المسيح عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم

يعتقد المسلمون أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام عليه الصلاة والسلام نبي من أنبياء الله الكرام، ورسول من رسله العظام، عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام، فمن أنكر نبوته فهو كافر غير مؤمن، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى

(١) الحجر: ٩.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) البقرة: ١٦٣.

(٤) ق: ٣٧.

وَمَا أَوْقَى التَّيُّوتَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ

الإيمان برسالة المسيح عليه الصلاة والسلام ونبوته وبشريته سبب من أسباب دخول الجنة، فمن كفر بذلك فقد كفر، قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ) (٢).

ولقد أخبرنا القرآن الكريم عن حياة المسيح عليه الصلاة والسلام منذ ولادته إلى آخر أيام حياته على الأرض، وبيّن لنا القرآن الكريم كذلك حقيقة دعوة المسيح عليه الصلاة والسلام، وبيان ذلك الآتي:

١. ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام:

أخبرنا القرآن أنّ مريم العذراء عليها السلام بينما كانت قد اختلت بنفسها في مكان شرقي إذ جاءت

الملائكة تبشرها بأنّها سوف تحمل بالمسيح عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ

انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي

بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾، فتعجبت السيدة مريم من ذلك، يقول حسين نجيب: "استغربت بكيونة الغلام لأنها لم

تقارب رجلاً، لا من طريق الحلال وهو قولها: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾، ولا من طريق الحرام وهو قولها:

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، فهي ترى بالنظرة الأولية أنّ الولادة فرع لاقتران الرجل بالمرأة، والحال أنّها لم تقترن

بأي رجل، فكيف تنجب غلاماً زكياً." (٤)

وبيّن لها رب العزة جل وعلا سبب هذا الحمل الإعجازي، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى

هَيْنٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٥﴾، يقول داوود الفاضلي عن المسيح عليه الصلاة

(١) البقرة: ١٣٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْمُرُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، ج ٤، ص ١٦٤.

(٣) مريم: ١٦ - ٢٠.

(٤) حسين نجيب محمد، حياة السيد المسيح في القرآن الكريم، ط ١، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٥١.

(٥) مريم: ٢١.

والسلام: "فهو في وجوده هذا بلا أب آية للناس على قدرة الله، وهو رحمة لمن اتبعه وآمن به." (١)

وبيّن القرآن الكريم أنّ الحمل بالمسيح عليه الصلاة والسلام كان بروح من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَنِينِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٣)، فالمسيح عليه الصلاة والسلام خلق بالكلمة الإلهية مباشرة دون المرور بعالم الأسباب، لذلك سمّاه القرآن الكريم (كلمة)، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ (٥) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦)، والمقصود بالكلمة هنا كلمة التكوين، يقول الجابي: "فكلمة الله هي قوله لعيسى الذي خلقه من غير أب (كن)" (٧) فكان، فتسميّة المسيح عليه الصلاة والسلام بالكلمة ليس لأنّه قديماً بل لأنّه خلق من غير توسط السبب الطبيعي (النكاح) في خلق الإنسان، يقول البوطي: "إنّ كلمة الله تعالى هي قوله: (كن)، ولئن كان معنى (كن) هذه قديماً، فإنّ ذلك لا يقتضي أن يكون متعلقها أيضاً قديماً، .. وإنّما أخبر الله عن عيسى عليه الصلاة والسلام بالكلمة نفسها مبالغة في بيان هذا التعلق، ومبالغة في تنبيه الذهن إلى أنّ خلقه إنّما كان بمحض إرادة الله التي تمثلت في قوله: (كن)." (٨)

ولمّا أتت الطاهرة المُطهرة إلى قومها ومعها ولدها المبارك، حدثت المعجزة قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٩) بَاتُخْتَ هَؤُلَاءِ مَا كَانَ آبُوكِ أَمْراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (١٠) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (١١) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكَتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (١٢) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (١٤)، فكان نطقه تبرئة لأمه رضي

(١) الفاضلي، داود علي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، د.ط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٧٣م، ص ٤٣.

(٢) التحريم: ١٢.

(٣) الأنبياء: ٩١.

(٤) آل عمران: ٤٥ - ٤٧.

(٥) الجابي، محمد سعيد، التبیین في الرد على المبشرين، د.ط، مطبعة الإصلاح، حماه- سوريا، ١٩٣١م، ص ٢٦.

(٦) البوطي، كبرى اليقنيات الكونية، ص ١٢٩.

(٧) مريم: ٢٧ - ٣٣.

الله عنها ممّا اتهمها به المتهمون، وأول ما تكلم به المولود المبارك هو إعلان عبوديته لله تعالى، فقد أراد الله تعالى أن يرد على كل الشبهات التي تدور حول المسيح عليه الصلاة والسلام، وأراد الله تعالى أن يبطل كل العقائد الباطلة التي سوف تنسج حوله عليه الصلاة والسلام منذ اللحظة الأولى لولادته المباركة، ونلاحظ هنا أنّ المسيح عليه الصلاة والسلام بدأ بإظهار عبوديته قبل الدفاع عن أمّه، في حين أنّ الحاجة كانت ماسة إلى الدفاع عن أمّه أولاً، ويرى الرازي^(١) أنّ المسيح عليه الصلاة والسلام بدأ الحديث عن عبوديته لله تعالى لإزالة الشبهة عن نفسه أولاً، حتى لا يدعي أحد فيه الألوهية، أو أنّه ابن الله، بل هو عبدالله ورسوله، فكأنّه عليه الصلاة والسلام رأى أنّ إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن أمّه، فلهذا تكلم أولاً بعبوديته.^(٢)

أمّا ولادة المسيح عليه الصلاة والسلام من غير أب فهي غيوض من فيض من قدرة الله تعالى التي ليس لها حد، ولا تنقيد بقيد، فإن كان المسيح قد ولد من غير أب فإنّ النبي آدم عليهما السلام قد ولد من غير أب ولا أم، لذلك فإنّ الله تعالى شبه خلق المسيح بخلق النبي آدم عليهما السلام، فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣)، وهذا دليل على عظمة القدرة الإلهية، وأنّ قدرة الله تعالى لا تخضع للأسباب، وقد بيّن الباحث الحكمة من ولادة المسيح عليه الصلاة والسلام من غير أب في المبحث الأول من هذا الفصل.^(٤)

٢. أسماء المسيح عليه الصلاة والسلام وألقابه

أطلق القرآن الكريم على المسيح عليه الصلاة والسلام عدة أسماء وألقاب منها:

• **عيسى:** وهو معرب من يسوع^(٥)، ويسوع في الكتاب المقدس بمعنى "المُخَلَّص"^(٦)، وقد تكرّر

اسم عيسى في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة، منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ

يُشِيرُ بِكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٧).

(١) هو محمد بن عمر التيمي البكري، فخر الدين: الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ولد سنة (٥٤٤ هـ)، وتوفي في هراة. أقبل العلماء على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب)، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات)، و(معالم أصول الدين)، توفي سنة ٦٠٦ هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٦، ص ٣١٣.

(٢) الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ)، التفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ج٢١، ص ٥٣١.

(٣) آل عمران: ٥٩.

(٤) انظر: هذا البحث، ص ١٧٥-١٧٦.

(٥) حسين، حياة السيد المسيح، ص ٧٥.

(٦) جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج٢، ص ٥٠١.

(٧) آل عمران: ٤٥.

● **المسيح:** سُمِّي المسيح عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم في القرآن إحدى عشرة مرة، منها قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١).

● **روح الله وكلمته:** سُمِّي المسيح عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم بروح الله وكلمته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٢)، ويرى الرازي أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام سُمِّي بالكلمة لسببين^(٣):

السبب الأول: أنه لما كان السبب الطبيعي (النكاح) في خلق المسيح عليه الصلاة والسلام مفقوداً أضيف إلى الكلمة التي أوجدته (كلمة التكوين) على سبيل المبالغة، فجعل كأنه نفس الكلمة، كما يقال لمن غلب عليه الجود أنه الجود بعينه على سبيل المبالغة.

السبب الثاني: أنَّ السلطان العادل قد يوصف بأنه ظل الله في أرضه، وبأنه نور الله لأنه سبب لظهور ظل العدل، ونور الإحسان، فكذا كان المسيح عليه الصلاة والسلام سبباً لظهور كلام الله عز وجل، بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه فلا يبعد أن يسمى بكلمة الله على هذا التأويل.

● **نبي الله وعبد الله:** وُصف المسيح عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم بأنه عبد الله ونبيه، وهي من أجل الأوصاف له عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٤).

● **رسول الله:** وُصف المسيح عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم بأنه رسول الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾^(٥).

إلى غير ذلك من الصفات التي وُصف بها المسيح عليه الصلاة والسلام وهي تدل على نبوته ورسالته وتمحضه في العبودية لربه وخالقه، كما وتدل على مكانته الرفيعة، ومنزلته الكبيرة عند الله تعالى، ولكنها لا تدل بحال من الأحوال على ألوهيته وبنوته، بل إنَّ أقصى ما يتمناه المسيح والأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام أن يبلغوا أقصى درجات العبودية لله تعالى.

٣. رسالة المسيح عليه الصلاة والسلام ودعوته:

بيَّن لنا القرآن الكريم أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام نبي من أنبياء الله الكرام، ورسول من رسله العظام، عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام، قد اصطفاه ربه ليكون داعياً ومرشداً وهادياً للناس إلى طريق

(١) النساء: ١٧٢ .

(٢) النساء: ١٧١ .

(٣) انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج٨، ص ٢٢١ .

(٤) مريم: ٣٠ .

(٥) الصف: ٦ .

الحق سبحانه وتعالى، شأنه في ذلك شأن سائر الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، وقد بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده، ويبشروهم بقدوم النبي محمد عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلوات والتسليمات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ

يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّاجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢﴾

ويبين لنا القرآن الكريم أنَّ المسيح عليه الصلاة والسلام يتبرأ يوم القيامة ممن عبدوه، واتخذوه إلهاً من دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٤﴾، فالمسيح عليه الصلاة والسلام كان يدعو الناس لعبادة الله تعالى وحده، وما كان يدعو الناس لأن يتخذوا منه عليه الصلاة والسلام إلهاً أو ابناً لله تعالى.

ثانياً: نقض بنوة المسيح عليه الصلاة والسلام لله تعالى من القرآن الكريم

عرفنا في الفصل الأول أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ المسيح هو ابن الله، وقد رد القرآن الكريم على هذا الاعتقاد الباطل، وبيّن كفر من اعتقد به، ويرى حسين نجيب أنَّ القرآن الكريم قد رد هذا الاعتقاد الباطل بطريقتين:

الطريق الأول: عن طريق البراهين الدالة على استحالة أن يكون لله ولد مطلقاً؛ ومن هذه البراهين: قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُفِعَ نَقْدِيرُهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾، الفرقان: ٢، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَدَرٌ مَقْدُونٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾، البقرة: ١١٦-١١٧، من هذه

(١) الصف: ٦.

(٢) المائدة: ٧٢.

(٣) المائدة: ١١٦-١١٧.

الآيات الكريمة نلاحظ أنَّ القرآن الكريم رد على استحالة أن يكون الله تعالى ولد بعدة أدلة؛ منها:

١. قدرة الله تعالى على كل شيء، فيستحيل أن يعجزه شيء، لذلك فهو لا يحتاج إلى مساعدة أحد.
٢. خالق الله ومالكيته لكل شيء، فيستحيل أن يخرج من تحت إرادته شيء.
٣. غنى الله المطلق عن كل شيء، وافتقار كل شيء إليه سبحانه، فالخلق كلهم بحاجة إليه سبحانه في كل شيء، وهو الغني عنهم في كل شيء.

وهذا يتوافق تماماً مع الأدلة العقلية التي يستدل بها المسيحيون على وحدانية الله تعالى^(١)، لكنهم عادوا فنقضوها وناقضوا أنفسهم بإثبات الولد لله تعالى.

هذا هو الطريق الأول في إبطال بنوة المسيح لله تعالى، أمَّا الطريق الثاني فكان بذكر ولادة المسيح عليه الصلاة والسلام وبيان تفاصيل حياته، وحقيقة دعوته بياناً واضحاً جلياً^(٢)، وقد بيّن الباحث ذلك سابقاً.

وبعد أن تعرفنا إلى نقض القرآن الكريم لبنوة المسيح عليه الصلاة والسلام ننتقل إلى نقض القرآن الكريم لألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: نقض ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام من القرآن الكريم

عرفنا في الفصل الأول أنَّ المسيحيين يعتقدون بألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام، وقد رد القرآن الكريم على هذه العقيدة الباطلة، وبيّن كفر من يعتقد أنَّ المسيح إله أو أنه هو الله- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٣)، ويبيّن الرازي

أنَّ الله تعالى احتج على فساد مذهب من يقول إنَّ الله هو المسيح ابن مريم بقوله سبحانه: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ. وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾، وهذه جملة

شرطية قدّم فيها الجزاء على الشرط، وتقديرها: إن أراد الله تعالى أن يهلك المسيح عليه الصلاة والسلام وأمه ومن في الأرض جميعاً فمن الذي يقدر على أن يدفع مراد الله تعالى وتقديره، وقوله: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي فمن يملك من أفعال الله تعالى شيئاً، والملك هو القدرة، يعني فمن الذي يقدر على دفع شيء من أفعال الله تعالى، وقوله: ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ يعني أنَّ المسيح عليه

الصلاة والسلام يشبه أهل الأرض في الصورة والخلقة وتغيير الصفات وغير ذلك من الصفات، فلما

(١) انظر هذه الأدلة: هذا البحث، ص ١١-١٢.

(٢) انظر هذين الطريقين: حسين، حياة السيد المسيح، ٢٨٦-٢٨٨.

(٣) المائدة: ١٧.

سلمتم كونه تعالى خالقاً مدبراً لكل شيء وجب أن يكون خالقاً للمسيح عليه الصلاة والسلام.^(١)
وقد رفع المسيح عليه الصلاة والسلام وماتت أمه رضي الله عنها وبقي العالم على ما هو عليه،
فمن هو الذي يحفظ العالم ويدبر شؤونه؟! إنه الله تعالى خالق المسيح وخالق العالم وما فيه.

وتشير الآية إلى بطلان الاستدلال بولادة المسيح عليه الصلاة والسلام من غير أب، وإلى بطلان
الاستدلال بمعجزات المسيح عليه الصلاة والسلام على ألوهيته، فإله تعالى يخلق ما يشاء، كيف يشاء،
يقول الرازي: "ثم قال: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وفيه وجهان: الأول: يعني يخلق ما يشاء،
فتارة يخلق الإنسان من ذكر وأنثى ..، وتارة لا من الأب والأم كما في خلق آدم عليه الصلاة والسلام،
وتارة من الام لا من أب كما في حق عيسى عليه الصلاة والسلام، والثاني: يخلق ما يشاء، يعني أن
عيسى إذا قَدَّر صورة الطير من الطين فالله تعالى يخلق فيه اللحمية والحياة والقدرة، معجزة لعيسى،
وتارة يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص معجزة له، ولا اعتراض على الله تعالى في شيء من
أفعاله."^(٢)

ويُبين القرآن الكريم أن صفة النبوة- التي يعتقد المسيحيون أنها إحدى وظائف المسيح- تتنافى مع
الألوهية، لذلك فلا يمكن أن يدعو النبي عيسى عليه الصلاة والسلام الناس لعبادته، قال تعالى:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِيماً
كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^(٣)، وينقل لنا القرآن الكريم حواراً يدور بين الله تعالى والمسيح عليه

الصلاة والسلام في يوم القيامة حيث تنكشف الحقائق، ويصبح الغيب عياناً، ويحاسب الله عز وجل الخلق
على أعمالهم، فيسأل الله تعالى المسيح عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ

اللَّهِ﴾، فيتبرأ المسيح عليه الصلاة والسلام من هذا القول، وينزه الله تعالى عن الشريك والند فيقول:

﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عََلَّمُ

الْغُيُوبِ﴾ ويُبين المسيح عليه الصلاة والسلام حقيقة دعوته فيقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٤)، فالمسيح عليه

(١) انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج ١، ص ٣٢٨.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج ١، ص ٣٢٨.

(٣) آل عمران: ٧٩.

(٤) المائدة: ١١٦ - ١١٨.

الصلاة والسلام يصرح بأنه كان يدعو الناس إلى الله تعالى وحده، ولم يكن يدعوهم لعبادة نفسه أو عبادة أمه.

تقول نادية الشرفاوي: "وإثباتاً لبشرية المسيح وتأكيذاً لها لا يرد اسمه عليه الصلاة والسلام في القرآن إلا مقروناً بابن مريم، ولا يرد منفرداً في مكان إلا ومعه قرينة دالة على بشريته عليه الصلاة والسلام كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَتَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ ۖ﴾، المائدة: ٧٢، ولا يورد القرآن معجزة إلا وقرنها بقوله بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْقَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي يَوْمِكُمْ ۖ﴾، آل عمران: ٤٩، ويسعى كتاب الله من وراء ذلك إلى التأكيد لكل قارئ، مسيحياً كان أو غير مسيحي أن دعوى ألوهية المسيح دعوى باطلة، لا تستند إلى أي دليل عقلي أو نقلي." (١)

ويبين لنا القرآن الكريم حقيقة المسيح عليه الصلاة والسلام فهو عبد من عباد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢)، تقول فوزية الحنيرشي: "فالآية توضح عبودية عيسى عليه الصلاة والسلام لله عز وجل، وجعل ولادته آية باهرة لبني إسرائيل حتى يؤمنوا بعالم الروح التي أنكروها، ولم يجعل ذلك دلالة على ألوهيته وبنوته لله- تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- إنما قال: ﴿عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ أي هو عبد الله وليس ابناً." (٣)

وهذا يتوافق تماماً مع ما جاء في الكتاب المقدس من نصوص يصرح فيها المسيح عليه الصلاة والسلام ببشريته وعبوديته لله تعالى، وتبرئته من حوله وقوته، واعتماده على حول الله تعالى وقوته. وبعد أن تعرفنا إلى نقض ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم نتعرف إلى حقيقة الروح القدس في القرآن الكريم.

(١) الشرفاوي، نادية، منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، ط١، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م، ص ١٨١-١٨٢.
(٢) الزخرف: ٥٩.
(٣) الحنيرشي، عقيدة التثليث جنورها وتطورها، ص ٢٣٥.

رابعاً: الروح القدس في القرآن الكريم

وردت كلمة الروح في القرآن الكريم في ثلاثة معانٍ هي^(١):

١. جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الملك الموكل بنقل الوحي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال

تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، البقرة: ٨٧، وقال تعالى: ﴿وَلَنَزَّلْنَاهُ بِرُوحِ

الْقُدُسِ ۚ نَزَّلْنَاهُ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ﴾، الشعراء: ١٩٢، أمّا عن سبب تسمية جبريل عليه الصلاة والسلام

بالروح القدس فبيّن الرازي أنّ لذلك ثلاثة أسباب هي^(٢): طهارة جبريل عليه الصلاة والسلام،

وعلو مرتبته عند الله تعالى، وأنّ الغالب عليه الروحانية.

٢. الوحي بوجه عام والقرآن الكريم بوجه خاص، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، النحل: ٢، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾،

الشورى: ٥٢، وسُمّي الوحي الإلهي روحاً لأن به حياة القلوب، فكما تحيي الروح البدن كذلك

يحيي الوحي القلوب^(٣).

٣. السر الإلهي الذي يحيي الله تعالى به المخلوقات، ولا يملكه أحد إلا الله تعالى، قال تعالى:

﴿وَسَيَلْوَنكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، الإسراء: ٨٥، قال تعالى عن

خلقه لآدم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، الحجر: ٢٩،

وإضافة الروح إلى الله تعالى هنا من باب التشريف والتكريم، كإضافة البيت والناقة إليه سبحانه

وتعالى^(٤).

وخلاصة الأمر أنّ القرآن الكريم بيّن لنا أنّ الروح القدس هو مخلوق من مخلوقات الله تعالى،

ينزل بالوحي على أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام، ويؤيد الله به من يشاء من عباده الصالحين،

وليس فيه أي شيء من الألوهية، وإضافته إلى الله تعالى من باب التشريف والتكريم، وإضافته إلى القدس

دلالة على طهارة من الخطيئة والذنوب، وتمحضه في العبودية لربه، وعدم مخالفته لأمر خالقه جل وعلا،

وهذه المعاني الواردة في القرآن الكريم للروح القدس تتوافق مع المعاني الواردة لها في الكتاب المقدس.

(١) انظر: شلبي، المسيحية، ص ٤٣. مرجان، الله واحد أم ثالث، ص ٩٦-١٠٢.

(٢) انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج ٣، ص ٥٩٦.

(٣) انظر، الخازن، علي بن محمد (ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط ١، (تحقيق محمد شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ٣، ص ٦٦.

(٤) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج ١٠، ص ٢٤.

المطلب الثاني: نقض وحدانية الله وتثليث أقانيمه من القرآن الكريم

عرفنا في الفصل الأول أنَّ المسيحيين يعتقدون أنَّ ذات الله تعالى تتكون من ثلاثة أقانيم هي: الآب والابن والروح القدس، وقد رد القرآن الكريم هذه العقيدة وبين بطلانها، وكفر من يعتقد بها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١)﴾، وبيِّن القرطبي أنَّ هذه الآية تشمل كل الفرق المسيحية؛ لأنَّهم يقولون: أب وابن وروح قدس، إله واحد، ولا يقولون: ثلاثة آلهة، وهو معنى مذهبهم، وإنَّما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم، وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة، وذلك أنَّهم يقولون: إنَّ الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، فأكفرهم الله تعالى بقولهم هذا، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾، أي إنَّ الإله لا يتعدد، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي يكفوا عن القول بالتثليث ليمسهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة.^(٢)

ولا يبطل القرآن القول بألوهية المسيح والروح القدس عليهما السلام فقط، بل هو يبطل القول بوجود أي شريك لله تعالى، فوحدانية الله تعالى هي العقيدة الأساسية في القرآن الكريم، فالقرآن ينفي الشريك والند والمكافئ والابن عن الله تعالى، ويورد القرآن الكريم على ذلك عدة أدلة أبرزها:

أولاً: أنَّ الله تعالى يتصف بالغنى المطلق، والتفرد بالملك، وحاجة الكل إليه، وغناه عما سواه، فلا يصح لمن كانت هذه صفاته أن يحتاج إلى شريك أو أن يكون معه شريك. وهذه الصفات محل اتفاق بين المسلمين والمسيحيين-، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ^(١) اللَّهُ الصَّمَدُ^(٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٤)﴾^(٥)، فقد سمى الله تعالى ذاته العلية بالأحد؛ والأحد من وحد، والهمزة بدل الواو؛ والأحد من الوحدة أي الانفراد^(٦)، والمقصود من تسمية الله تعالى نفسه بهذا الاسم الشريف المبالغة في بيان وحدانيته، وعدم قبوله للتجزئة والتبعيض والتركيب، وعدم قبوله للشريك أيضاً، قال البيضاوي^(٥): "وأحد يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال، إذ الواحد

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص ٢٤٩.

(٣) الإخلاص: ١-٤.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٢٥١.

(٥) هو عبد الله بن عمر الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة (٦٨٥هـ). من تصانيفه: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، و(طوالع الأنوار)، و(منهاج الوصول إلى علم الأصول). انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ١١٠.

الحقيقي ما يكون منزّه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيّز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية.^(١)

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ دلالة واضحة على وحدانية الله تعالى بغناه المطلق، وتفرده في

الملك، وعدم حاجته للشريك والمعاون، وغناه عن الخلق، وحاجة الخلق كلهم إليه، قال البيضاوي: "الله الصَّمَدُ السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إليه إذا قصد، وهو الموصوف به على الإطلاق فإنه يستغني عن غيره مطلقاً، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته."^(٢)

ويبين القرآن الكريم أنّ الله تعالى يستحيل عليه أن يلد أو يولد، قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ

يُولَدْ﴾، فنزه الله عن نفسه الولد، إذ إنّهُ لَمَّا كَانَ قائماً بذاته، مستغنياً عن غيره، فما حاجته إلى الولد؟ إذ

إنّ الإنسان يحتاج إلى ولد ليكون عوناً له عند كبره وعجزه، وسنداً له عند ضعفه ومرضه، ووريثاً له عند فناءه وموته، والله تعالى منزّه عن كل هذه العوارض، فهو القادر فلا يعجزه شيء، وقال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، وهو الباقي الذي لا يلحقه الفناء، والحي الذي لا

يموت، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْوَحْدِيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيِّحْ بِحَمْدِهِ﴾^(٤)، ثمّ نزه نفسه عن أن يكون مولوداً،

لأنّ المولود لا بد أن يكون له بداية فيكون حادثاً، والحادث لا بد له من محدث، فيتسلسل، وهو محال، فثبت وجوب كون الله تعالى قديماً لم يلد.

ثانياً: كما استدل القرآن الكريم في سورة الإخلاص بكمال الله تعالى وغناه المطلق على وحدانيته،

فقد استدل بوحدة النظام الكوني ودقته، واتقانه وحسن صنعته، على وحدانية خالقه ومديره، قال

تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا

كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٦)، وقد استنبط

العلماء من هاتين الآيتين دليلين على وحدانية الله تعالى؛ أمّا الدليل الأول فيسمى بدليل التمانع؛ يبيّن لنا

الميداني مضمون هذا الدليل: بأنّه لو تعددت الآلهة في الكون لفسد نظام الكون، فوحدة النظام تدل على

(١) البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط ١، (تحقيق محمد المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ج ٥، ص ٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٤٧.

(٣) آل عمران: ١٨٩.

(٤) الفرقان: ٥٨.

(٥) الأنبياء: ٢٢.

(٦) المؤمنون: ٩١.

وحدانية الإله المدبر للكون، لأنَّ الإرادات الحرة إذا توجهت على مخلوق واحد فلا بد أن تتعارض، ومتى تعارضت تنازعت، ومتى تنازعت فسد نظام المخلوق، والكون كله مخلوق مترابط بوحدة نظام- كما هو مشاهد-، فلو كان للكون آلهة غير الله لفسد نظامه^(١)، واختل وجوده وبقاؤه، فإن فرضنا جدلاً وجود إلهين، وفرضنا أن أحدهما أراد تحريك جسم، وأراد الآخر تسكينه، لم يخلُ الحال من أحد ثلاثة أمور:

١. إمّا أن تنفذ إرادتهما معاً، فيؤدي إلى اجتماع الحركة والسكون في محل واحد في وقت واحد، وعندئذ يلزم اجتماع الضدين، وهذا محال.
 ٢. وإمّا أن لا تنفذ إرادتهما، فيلزم من ذلك عجز كل منهما، وخلو المحل عن الضدين، وهذا محال.
 ٣. وإمّا أن تنفذ إرادة أحدهما، ولا تنفذ إرادة الثاني، وعندئذ يلزم عجز الثاني، فيلزم من ذلك ألوهية الأول (الذي نفذت إرادته) وبطلان ألوهية الثاني بسبب عجزه، لأنَّ الإله لا يكون عاجزاً.^(٢)
- أمّا الدليل الثاني فيسمى بدليل التوارد؛ ومضمونه: أننا إنَّ فرضنا جدلاً وجود إلهين فإن اتفاقاً على إيجاد شيء لم يخلُ من أحد ثلاثة أمور:

١. فإمّا أن يوجداه معاً، وعندئذ يلزم اجتماع مؤثرين تامين على أثر واحد، وهو باطل بالبداهة.
 ٢. وإمّا أن يوجداه مرتبين- بأن يوجد الأول ثم يوجد الآخر- وعندئذ يلزم تحصيل الحاصل، وهو باطل بالبداهة.
 ٣. وإمّا أن يوجد أحدهما دون الآخر، وعندئذ كان الموجد هو الإله، والثاني ليس بإله.
 ٤. وإمّا أن يوجد كل منهما بعض الشيء دون الآخر، وعندئذ لزم عجزهما، لأنَّه لمّا تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به، فلا يقدر على مخالفته، وهذا عجز، وكل ذلك باطل، فبطل ما أدى إليه وهو وجود إلهين.^(٣)
- فإذا أردنا أن نطبق الدليلين السابقين على الثالوث المسيحي فإنَّه لا بد أن ينهار من أساسه، فإذا استحال وجود إلهين فكيف يمكن أن يكون هناك ثلاثة آلهة؟! وإن كان المسيحيون لا يقولون بوجود ثلاثة آلهة مستقلة، إلا أنَّه يلزمهم ذلك، لأنَّهم يقولون إنَّ: الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ثم ينقضون هذا الكلام ويقولون إله واحد، والعجب أنَّهم يقولون: إنَّ التوحيد حقيقي، والتثليث حقيقي، وعليه فما الذي يحصل إذا أراد الآب شيئاً وخالفه الابن في ذلك؟! ومن هو الذي تنفذ إرادته منهما؟! أليس الآب قرر معاقبة الإنسان لمّا ارتكب الخطيئة لأنَّه مصدر العدل؟! فعارضه الابن الذي هو مصدر الرحمة وقرَّر أن يفتدي البشر من الخطيئة؟! وأخيراً نفذت إرادة الابن ولم تنفذ إرادة الآب، حيث تجسد الابن وصلب

(١) الميداني، عبدالرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م، ص١٥٧.
 (٢) انظر هذا الدليل في: الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص٨٦. الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص٨٥.
 (٣) انظر هذا الدليل في: الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص٨٧. الدوري، قحطان عبدالرحمن، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ط٣، مكتبة ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م، ص٣٦٧.

تكفيراً عن الخطايا وبذلك تم فداء الإنسان- بحسب زعمهم-؟! ألا يعني ذلك بطلان ألوهية الآب؟! هذا إن تعارضت إرادتهما.

ثم إذا كان الآب إلهاً فلا بد أن يكون غنياً عما سواه، فما حاجته إلى الإلهين الآخرين؟! إذا كان قادراً على كل شيء؟! فما حاجته إلى غيره؟! ألا يعني ذلك أن وجود الابن والروح القدس عبثاً لا فائدة فيه؟! فكيف يكون هناك شيء في ذات الله تعالى عبثاً؟! أم أن الآب يحتاج إلى الابن والروح القدس؟! فإذا كان محتاجاً لهما فقد بطلت ألوهيته، لأن الإله لا يكون محتاجاً؟! وفي الأحوال كلها فإنه يستحيل عقلاً وشرعاً وجود شريك لله تعالى عقلاً وشرعاً.

وخلاصة الأمر أننا نجد توافقاً كبيراً بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في الألقاب والأسماء التي أطلقت على المسيح عليه الصلاة والسلام، فكل منهما سمّاه عليه الصلاة والسلام: بالعبد، والرسول، والنبى، غير ذلك من الأسماء والألقاب التي تدل على بشريته ونبوته.

ونلاحظ التوافق الكبير بين القرآن الكريم والكتاب المقدس في المعاني التي استخدمت فيها كلمة الروح، فكل منهما أطلق هذه الكلمة على: جبريل عليه الصلاة والسلام، والوحي المنزل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والسر الإلهي الذي يحيي الله تعالى به الخلق.

ونلاحظ أنّ القرآن الكريم أبطل ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بذكر ولادته، وحياته، وعبوديته لله تعالى، وحقيقة دعوته، وبراءته يوم القيامة ممن عبده واتخذة إلهاً، أو اتخذه وأمه إلهين من دون الله تعالى، وغير ذلك من الأعراض البشرية التي كانت تعتريه عليه الصلاة والسلام. كما وأبطل القرآن الكريم أن يكون لله تعالى ولد- المسيح عليه الصلاة والسلام أو غيره، وأبطل وجود الشريك له سبحانه ببيان أدلة وحدانية الله تعالى، وذلك بذكر صفاته العلية التي تمنع وجود الشريك وتمنع الحاجة إلى الشريك: من القدرة المطلقة على كل شيء، وخالقيته لكل شيء، وغناه المطلق عن كل شيء، وافتقار الخلق إليه في كل شيء، وعدم حاجته إليهم في أي شيء.

كما واستدل القرآن الكريم على وحدانية الله تعالى بانتظام الكون وعدم فساد، فلو كان فيه أكثر من إله لاختلّفت الإرادات، و عندها ستفسد الأرض والسموات.

هذه مجمل ردود القرآن الكريم على عقيدة التثليث المسيحية وبها نختم هذه الرسالة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تغفر الزلات، وبطاعته تنال الدرجات، والصلاة والسلام على من كانت الصلاة عليه سبباً في تنزل الرحمات، ومحبة سبباً في بلوغ أعلى المقامات، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فهذه أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث في هذه الرسالة:

١. يعتقد المسيحيون أنَّ الله تعالى واحد في ثلاثة أقانيم، ويدَّعون أن هذه الأقانيم صفات للجوهر الإلهي، ولكنهم يُعدّون كل أقنوم إلهاً قائماً بنفسه، لذلك فقد نقضوا توحيدهم.

٢. لا يوجد تعريف واضح للثالوث عند المسيحيين، لذلك فهم يعدّونه سرّاً من الأسرار التي تسمو على العقل، ولا يمكن للعقل إدراكه.

٣. يستدل المسيحيون على عقيدة الثالوث بالكثير من الأدلة العقلية من كتابهم المقدس، ولكن تلك الأدلة غير مصرحة بالثالوث، ولا تصلح لأن تكون دليلاً على مسألة فرعية، فكيف تكون دليلاً على عقيدة أساسية، فيها للناس السعادة الأبدية، وليس فيها دليل مصرح بالثالوث إلا دليل واحد جاء في رسالة يوحنا الأولى، إلا أنَّه لا يصلح للاستدلال به لعدم وجوده في بعض النسخ ممّا يدل على أنَّه من إضافة النساخ.

٤. يمكن تقسيم أدلة المسيحيين من الكتاب المقدس على الثالوث إلى أدلة غير مصرحة بالثالوث، وأدلة مجملة تفسر بنصوص أخرى، وأدلة وصف بها المسيح والروح القدس عليهما السلام بألفاظ متشابهة توهم ألوهيتهما لكنّها من باب المجاز لأنّ غيرهما قد وصف بها، وأدلة فيها ألفاظ مشتركة تطلق على الله تعالى وعلى الخلق، وأدلة اقتطعت من السياق الأصلي، فإذا ما ذكرت في سياقها الأصلي فإنّها لا تدل على الثالوث، وأدلة فيها اختلاف بين النسخ والطبعات لذلك لا يمكن أن يستدل بها لاحتمال أن تكون من إضافة النساخ.

٥. يستدل المسيحيون على عقيدة الثالوث بالعديد من الأدلة العقلية، وهي في الحقيقة لا تعدو أن تكون شبهات لا تصلح للاستدلال، ودعاوى عدّوها مسلمات وبديهيات، ولكنّها في الحقيقة تحتاج إلى البرهنة على صحتها، ولا تصلح للاحتجاج بها.

٦. يحاول المسيحيون إثبات عقيدة الثالوث بكلام عاطفي إنشائي بعيد عن منطق العقل والفكر الصحيح.

٧. إنّ من أهم أدلة المسيحيين العقلية على الثالوث القول بوجود عمل الصفات أزلاً حتى لا يحصل تغير في ذات الله تعالى عند تعلق هذه الصفات بمتعلقاتها، ويرى الباحث أنّ هذه الشبهة هي التي دفعت المسيحيين للقول بالثالوث، وهي شبهة قد وقع فيها الفلاسفة من قبل ففروا منها إلى القول بقديم العالم، وفر منها المسيحيون إلى القول بتعدد الأقانيم، ولكنهم اصطدموا مع النصوص المصرحة بالتوحيد، فحاولوا الجمع بين التوحيد والتثليث، والبساطة والتعدد في ذات الله تعالى،

فجمعوا بين النقيضين، فهم قوم قد التبس عليهم الحق بالباطل، لذلك سمّاهم الحق جل وعلا بـ ﴿الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٧.

٨. إنّ المجامع المسكونية هي التي صرحت بالثالوث، وهي التي أقرت هذه العقيدة، إذ لا يوجد عليها دليل نقلي أو عقلي واحد يصلح للاستدلال به.

٩. لا يوجد في الكتاب المقدس نص واحد يأمر فيه المسيح عليه الصلاة والسلام أتباعه بعبادته، أو أنّ تلاميذه كانوا يعبدونه، بل إنّ الكتب المقدس يدل على أنّ المسيح كان يبيّن للناس بشريته، وافتقاره لله تعالى وعبوديته، وكان التلاميذ يعدونه نبياً من أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

١٠. إنّ الكتاب المقدس - بالرغم من تحريفه - مليء بالنصوص الدالة على وحدانية الله تعالى، حتى أنّ كل من قرأه باحثاً عن الحق، متجرباً عن الهوى ليصل يقيناً إلى أنّ العقيدة الأساسية في الكتاب المقدس هي عقيدة التوحيد.

١١. الكتاب المقدس مليء بالنصوص الدالة على بشرية المسيح عليه الصلاة والسلام، ونبوته، ورسالته، وعبوديته لله تعالى، فكثيراً ما كان المسيح عليه الصلاة والسلام يصف نفسه الكريمة بابن الإنسان، ويصف ربّه بأنّه الذي أرسله، وكأنّ المسيح عليه الصلاة والسلام أراد أن يكون ذلك عنراً له أمام الله تعالى، وحتى لا يكون لقومه حجة عليه في اتخاذهم له إلهاً.

١٢. أنّ عقيدة الثالوث جمعت في طياتها الكثير من المحالات العقلية، حتى أنّ الإنسان ليتعجب من وجود من يؤمن بمثل هذه العقيدة التي تتصادم مباشرة مع البديهيات العقلية، ولو حاول المسيحيون تبرير هذه العقيدة بأنّها من الأسرار، وأنّها فوق العقل لا ضده فهذا لا ينفعهم شيئاً، لأنّ عقيدة الثالوث في الحقيقة ليست فوق العقل بل هي متناقضة معه، ومما يدل على ذلك أنّها:

- تجمع بين التثليث والتوحيد الحقيقيين.
- تقول بقيام الصفة بالصفة.
- تقول بقيام الصفة بغير الموصوف.
- تقول أنّ القدرة الإلهية تتعلق بذات الله تعالى، وما ترتب على ذلك من القول بالتجسد الإلهي.
- تنسب النقص لله تعالى، وذلك بالقول بوجود الشريك والولد له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
- تقول بالتجسد والاتحاد من غير حلول ولا اختلاط ولا تغيير.
- تقول بضرورة التجسد والصلب للتوفيق بين العدل والرحمة، ممّا أدى إلى تخلي الله تعالى عن مجده الذاتي، ولو أنّه تخلى عن الرحمة فأجرى العدل، أو تخلى عن العدل فأجرى الرحمة لكان خيراً له، لأنّهما صفتان خاضعتان عندهم للإرادة، والتخلي عن أحدهما خير من التخلي عن مجده وكبريائه اللذين هما من صفات ذاته ولا يمكن التخلي عنهما.

• تنسب النقص لله تعالى بقولهم بالخطيئة الموروثة، فهذا يناقض الرحمة، وبالقول بوجوب التجسد والفداء، فهما يناقضان الإرادة والرحمة.

١٣. هناك قاعدتان لمناقشة أدلة المسيحيين النقلية ونقضها، انطلق منهما الباحث، وهما منبثقتان من إيمان المسيحيين بكمال الله تعالى؛ وهما: وجوب أن تكون النصوص المستدل بها على العقيدة صريحة، ووجوب تأويل النصوص التي تتعارض مع كمال الله تعالى، وقد كانت كل النصوص التي استدلت بها المسيحيون تتعارض مع هاتين القاعدتين.

١٤. يستدل المسيحيون بأدلة كثيرة من ثلاثيات موجودة في الواقع وفي الإسلام على الثالث، وهي في الحقيقة لا تدل على مرادهم، وإنما يحاولون بها تكثير أدلتهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قناعتهم بعدم وجود أدلة صريحة وقوية على عقيدتهم، فأخذوا يستدلون عليها بالغث والسمين، وكما قيل: الغريق يتعلق بقشه.

١٥. استدلت القرآن الكريم على بطلان الثالث وبنوة المسيح عليه الصلاة والسلام، بل وبطلان وجود أي شريك له سبحانه بصفات الله تعالى العلية التي تمنع وجود الشريك وتمنع الحاجة إلى الشريك: من القدرة المطلقة على كل شيء، وخالقيته لكل شيء، وغناه المطلق عن كل شيء، وافتقار الخلق إليه في كل شيء، وعدم حاجته إليهم في أي شيء، واستدل كذلك بانتظام نظام الكون وعدم فساده.

١٦. أبطل القرآن الكريم ألوهية المسيح عليه الصلاة والسلام بذكر تفاصيل حياته المباركة، وسيرته الكريمة التي تدل على بشريته، وبيان حقيقة المسيح عليه الصلاة والسلام وأنه رسول الله تعالى، وأن الرسالة- التي يؤمن المسيحيون أنها إحدى وظائف المسيح عليه الصلاة والسلام- تتناقض مع الألوهية، مع بيان حقيقة دعوته، وأنه كان يدعو إلى التوحيد.

وخلاصة الأمر أنه قد تبين لنا أن عقيدة الثالث المسيحي عقيدة باطلة تمتلئ بالتناقضات، وتفقر إلى الأدلة والبيانات، بل إن الأدلة من الكتاب المقدس ومن العقل ومن القرآن الكريم كلها أدلة تنفي التثليث وتؤكد عقيدة التوحيد، والله الحمد والمنة.

وهكذا فقد تمت هذه الرسالة فما كان فيها من الحق فمن الله تعالى وحده، وما كان فيها من خطأ أو سهو فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منهما براء، وأسأل الله العلي العظيم أن يجعلها في ميزان حسناتي، وأن تكون ذخراً لي في ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، وأسأله تعالى أن

يجعلها سبباً في إظهار الحق، وهداية كل من يقرأها إلى الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمّ الكلام وربنا محمود

وله المكارم والعلی والجود

ثم الصلاة على النبي محمد

ما غرد قمري وأورق عود

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الكتاب المقدس، ترجمة فانداليك وسميث.
٣. إبراهيم، القس سامح (١٩٩٩م)، إيماننا المسيحي صادق وأكيد، ط١، القاهرة، مطبعة توب آرت.
٤. إبراهيم، القس سعيد، المسيح إنسان أم إله، ط٢، دبلد، مطبعة أوتوبرنت، دبت.
٥. إثناسيوس الرسولي، تجسد الكلمة، ط١٢، (ترجمة مرقس داوود)، مطبعة ماسدج برنت، دار النشر الأسقفية، القاهرة، دبت.
٦. الأمدي، علي بن محمد (ت ٦٣١هـ)، أباكار الأفكار في أصول الدين، ط١، (تحقيق أحمد المزيدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
٧. أنمار أحمد (٢٠١٠م)، اللاهوت المسيحي نشأته- طبيعته، ط١، دمشق، دار الزمان للطباعة والنشر.
٨. أوت، القس لودويغ، مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ط١، (ترجمه من الألمانية إلى العربية جرجس المارديني)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م.
٩. الباجوري، إبراهيم بن محمد، شرح جوهرة التوحيد، ط١، (تحقيق مصطفى ديب البغا)، دار المصطفى، دمشق، ٢٠١٠م.
١٠. بالين، القس كاميلو (٢٠٠٤م)، تاريخ الكنيسة من فجر المسيحية إلى نهاية القرن الخامس عشر، ط١، القاهرة، دار شرقيات للنشر والتوزيع.
١١. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١، (تحقيق محمد الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، دار طوق النجاة، دبلد، ١٤٢٢هـ.
١٢. بربرا براون (١٩٩٥م)، نظرة عن قرب في المسيحية، دبط، مطبعة صدر، د. بلد، شركة التوحيد للنشر.
١٣. أبو البركات، القس بارصومه بن الأسعد القبطي (ت ٧٦٤هـ)، حلا العقول في علم الأصول، مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، رقم التصنيف ٧٨٦.
١٤. _____، مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، رقم التصنيف ٧٨٦.
١٥. البصري، القس عمّار، كتاب البرهان، دبط، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٧م.
١٦. _____، كتاب المسائل والأجوبة، دبط، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٧م.
١٧. بطرس عبد الملك، وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ط١١، دار الثقافة، القاهرة، دبت.
١٨. البطوش، حسن، والرشق، علاء، معجم أعلام العرب المسيحيين في العصور الإسلامية، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، ٢٠٠٤م.
١٩. البلاغي، محمد جواد (ت ١٣٥٢هـ)، التوحيد والتثليث، ط٢، مطبعة مهر، قم، ١٤١١هـ.

٢٠. البوطي، محمد سعيد رمضان (٢٠٠٨م)، كبرى اليقينيّات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، ط٨، دمشق، دار الفكر.
٢١. بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ط١، (تقديم الحسيني معدّي)، دار الحرم للتراث، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢٢. البيروتي، محمد بن طاهر (١٩٩٣م)، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ط١، (تحقيق محمد الشرقاوي)، دار عمران، بيروت، القاهرة، مكتبة الزهراء.
٢٣. البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، (تحقيق محمد المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
٢٤. الترجمان، عبدالله بن عبدالله، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ط١، (تحقيق الطاهر المعموري)، دار سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٣م.
٢٥. تورى، يونس (١٤٠٣هـ)، عقيدتنا التثليث والصلب وموقف الإسلام منهما، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٢٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط١، ٢م، (تحقيق محمد إسماعيل)، المكتبة العلمية، دبلد، ٢٠٠٣م.
٢٧. الجابي، محمد سعيد، التبيين في الرد على المبشرين، دط، مطبعة الإصلاح، حماه- سوريا، ١٩٣١م.
٢٨. الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، المختار في الرد على النصارى، ط١، (تحقيق محمد الشرقاوي)، دار الجيل، بيروت، ومكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩١م.
٢٩. جبره، القس إبراهيم، ابن الله، دط، مكتبة المحبة، القاهرة، دبت.
٣٠. _____، المولود من الآب، دط، مطبعة العالم العربي، دبلد، دبت.
٣١. الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٣٢. جرودم، القس واين (٢٠٠٢م)، علم اللاهوت النظامي، ط١، (ترجمة مجموعة من اللاهوتيين العرب)، القاهرة، مطبوعات إيجلز، عمان، برنامج التعليم اللاهوتي بالامتداد.
٣٣. الجزيري، عبدالرحمن، أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام، ط١، مطبعة الإرشاد، القاهرة، ١٩٣٤م.
٣٤. جينبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، دط، (ترجمة عبدالحليم محمود)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
٣٥. جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، دط، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٨٩٤م.

٣٦. الجويني، عبد الملك بن عبد الله (ت ٤٧٨هـ)، **الشامل في أصول الدين**، ط ١، (تحقيق عبد الله عمر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
٣٧. جزي زاده، عبد الله بن سليم البغدادي، **الفارق بين الخالق والمخلوق**، ط ٢، (تحقيق أحمد السقا)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٨. الحاج، محمد أحمد (١٩٩٢م)، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**، ط ١، دمشق، دار القلم، بيروت، والدار الشامية.
٣٩. حبيب، صموئيل وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، ط ٢، ٨، دار الثقافة، القاهرة، د.ت.
٤٠. الحنيرشي، فوزية بنت حمد (١٤٢٣هـ)، **عقيدة التثليث: جذورها وتطورها - عرض ونقد**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
٤١. ابن حزم، علي بن أحمد الاندلسي (ت ٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ط ٣، ٣م، (تحقيق احمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٤٢. حسب الله، القس حليم (١٩٩٧م)، **التجسد الإلهي**، د.ط، القاهرة، مطبعة الخلاص.
٤٣. حسين، نجيب محمد (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، **حياة السيد المسيح في القرآن الكريم**، ط ١، بيروت، دار الهادي.
٤٤. حنا، ناشد (١٩٩٨م)، **خمس حقائق عن الله**، ط ٢، القاهرة، مكتبة الإخوة.
٤٥. _____، **خمس حقائق عن الإيمان المسيحي**، ط ٢، القاهرة، مكتبة الإخوة.
٤٦. _____، **خمس حقائق عن المسيح**، ط ٢، القاهرة، مطبعة الإخوة.
٤٧. الخازن، علي بن محمد (ت ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ط ١، (تحقيق محمد شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٤٨. خرمه، مروه محمود (٢٠٠٦م)، **الحب الإلهي بين الفكر الإسلامي واللاهوت المسيحي**، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، مصر.
٤٩. الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد (ت ٥٨٢هـ)، **مقامع الصلبان**، د.ط، (تحقيق عبد المجيد الشرقي)، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ١٩٧٥م.
٥٠. الخطيب، عبد الكريم (١٩٦٥م)، **المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل**، ط ١، القاهرة، دار الكتب الحديثة.
٥١. الخطيب، محمد أحمد (٢٠٠٩م)، **مقارنة الأديان**، ط ٢، عمّان، دار المسيرة للنشر والطباعة.
٥٢. الخولي، محمد علي (١٩٩٠م)، **حقيقة عيسى المسيح**، ط ١، عمّان، دار الفلاح للنشر والتوزيع.
٥٣. _____ (١٩٩٣م)، **مقارنة بين الأناجيل الأربعة**، د.ط، عمّان، دار الفلاح للنشر والتوزيع.
٥٤. دانييل، إ. باسوك (٢٠٠٢م)، **المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم**، ط ١، (ترجمة سعد رستم)، دمشق، دار الأوائل.

٥٥. دُبُور، إبراهيم خليل (٢٠١٢م)، *الطريق القويم لأبنائنا المؤمنين*، ط٢، عمان، مطرانية الروم الأرثوذكس.
٥٦. الدردير، أبو البركات أحمد بن محمد (ت ١٢٠١هـ)، *شرح الخريدة البهية*، ط١، (تحقيق مصطفى أبو رشوان)، دار البصائر، القاهرة، ٢٠١٠م.
٥٧. الدمشقي، يوحنا منصور بن سرجون (ت ٧٤٩م)، *المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي*، ط٢، (ترجمة الأرثمنديت أدريانوس شكور)، المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٩١م.
٥٨. الدُوري، قحطان (٢٠١٢م)، *العقيدة الإسلامية ومذاهبها*، ط٣، بيروت، مكتبة ناشرون.
٥٩. ديدات، أحمد (١٩٩٠م)، *المسيح في الإسلام ومحاورة مع قسيس حول ألوهية المسيح*، د.ط، (ترجمة علي الجوهري)، القاهرة، دار الفضيلة.
٦٠. الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ)، *مختار الصحاح*، ط٥، (تحقيق يوسف الشيخ محمد)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
٦١. الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، *التفسير الكبير*، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦٢. _____، *الأربعين في أصول الدين*، ط١، (تحقيق محمود عبدالعزيز)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.
٦٣. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، *المفردات في غريب القرآن*، ط١، (تحقيق صفوان الداودي)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ.
٦٤. رستم، سعد (٢٠٠٢م)، *التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولص ويوحنا*، ط١، دمشق، دار الأوائل للنشر والتوزيع.
٦٥. الرّسي، القاسم بن إبراهيم (ت ٢٤٦هـ)، *الرد على النصارى*، ط١، (تحقيق إمام حنفي عبدالله)، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٦٦. الزبيدي، محمّد بن محمّد (ت ١٢٠٥هـ)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، د.ط، ٤٠م، (مجموعة من المحققين)، دار الهداية، دبلد، د.ت.
٦٧. الزقازيق، بيشوي عبدالمسيح (١٩٨٤م)، *الإيمان المسيحي في حقائقه اللاهوتية*، د.ط، القاهرة، مكتبة المحبة.
٦٨. الزمخشري، محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)، *أساس البلاغة*، ط١، (تحقيق محمد باسل)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٦٩. أبو زهرة، محمد (١٩٦٦م)، *محاضرات في النصرانية*، ط٣، دبلد، دار الفكر العربي.
٧٠. السقار، منقذ بن محمود (٢٠٠٧م)، *الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟*، ط١، الرياض، دار الإسلام.

٧١. _____ (٢٠٠٧م)، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم، ط١، الرياض، دار الإسلام.
٧٢. سمعان، عوض (١٩٩١م)، الله بين الفلسفة والمسيحية، ط١، www.call-of-hope.com.
٧٣. _____، الله ذاته ونوع وحدانيته، ط١، www.call-of-hope.com.
٧٤. _____، الله طرق إعلانته عن ذاته، ط١، www.call-of-hope.com.
٧٥. شحادة، القس عماد (٢٠٠٩م)، الآب والابن والروح القدس إله واحد أمين، ط١، دبلد، دار منهل الحياة.
٧٦. الشرقاوي، نادية (٢٠١٠م)، منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من اليهود والنصارى، ط١، دمشق، دار صفحات للدراسة والنشر.
٧٧. شلبي، أحمد، المسيحية (١٩٩٨م)، ط١٠، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
٧٨. شلبي، متولي يوسف (١٩٦٨م)، أضواء على المسيحية، ط١، دبلد، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع.
٧٩. شنوده الثالث، البابا (١٩٩١م)، طبيعة المسيح، ط٨، القاهرة، مطبعة الأنبا رويس الأوفست.
٨٠. _____ (١٩٩٧م)، قانون الإيمان، ط١، القاهرة، مكتبة الأنبا رويس الأوفست.
٨١. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)، نهاية الأقدام في علم الكلام، ط١، (تحقيق ألفريد جيوم)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٨٢. الصعدي، عبدالمعتال (ت ١٣٩١هـ)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط١٧، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م.
٨٣. الطهطاوي، محمد عزت إسماعيل (١٩٨٧م)، النصرانية والإسلام، ط٢، مطبعة التقدم، القاهرة، الناشر مكتبة النور.
٨٤. عثمان، عبدالمنعم فؤاد (٢٠٠٢م)، المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.
٨٥. العراقي، عبد الأحد داوود الأشوري (٢٠٠٤م)، الإنجيل والصليب، ط١، القاهرة، مكتبة النافذة.
٨٦. أبو العز الحنفي، علي بن علي (ت ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، ط١، (تحقيق عبدالرحمن الزواوي)، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٨٧. العلمي، عبدالله الغزي الدمشقي (١٩٧٠م)، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس، ط١، دبلد، دناشر.
٨٨. العمري، محمد نبيل طاهر (١٩٩٨م)، مقارنة أديان، ط١، عمان، الأردن، منشورات جامعة القدس المفتوحة.
٨٩. غريغوريوس، الأنبا (١٩٧٥م)، أنت المسيح ابن الله الحي، دط، دبلد، دبار.

٩٠. غريغوريوس، الأنبا (٢٠٠٤م)، **سرّي التجسد والفداء**، د.ط، القاهرة، مطبعة شركة الطباعة المصرية.
٩١. غريغوريوس، الأنبا (٢٠٠٤م)، **لاهوت السيد المسيح**، د.ط، القاهرة، مطبعة شركة الطباعة المصرية.
٩٢. الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، **تهافت الفلاسفة**، ط٣، (تحقيق سليمان دنيا)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
٩٣. _____، **الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل**، ط١، (تحقيق أبو عبدالله السلفي آل زهوي)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
٩٤. _____، **الاقتصاد في الاعتقاد**، ط٢، (تحقيق أنس الشرقاوي)، دار المنهاج، بيروت، ٢٠١٢م.
٩٥. _____، **معيان العلم في المنطق**، ط١، (تحقيق أحمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
٩٦. الغلابيني، مصطفى بن محمد سليم (ت ١٣٦٤هـ)، **جامع الدروس العربية**، ط٢٨، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٣م.
٩٧. الغنائيم، إيمان (٢٠١٣م)، **ثبوت نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام في العهد الجديد**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
٩٨. الفاضلي، داود علي (١٩٧٣م)، **أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم**، د.ط، الرباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٩٩. فاندر، ميزان الحق، ط٢، (تحقيق تسدل)، د.بلد، مطبعة للالانكوا برس لبك، ١٩٢٣م.
١٠٠. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، د.ط، (تحقيق حسان عبدالمنان)، بيت الأفكار الدولية، بيروت. د.ت.
١٠١. قاشا، القس بيوس (٢٠٠٦م)، **أضواء على المجامع المسكونية**، ط١، بغداد، مطبعة الديوان.
١٠٢. القرآفي، أحمد بن إدريس المالكي (ت ٦٨٤هـ)، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
١٠٣. القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، **الإعلام بما في دين النصاري من الأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام**، د.ط، ٢م، (تحقيق أحمد السقا)، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.
١٠٤. القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٠٥. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ط٤، (تحقيق أحمد السقا)، المكتبة القيمة، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

١٠٦. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٠٧. كسّاب، حنايا إلياس (١٩٩٨م)، مجموع الشرع الكنسي، ط٢، بيروت، مكتبة النور.
١٠٨. الكفوي، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، د.ط، (تحقيق عدنان درويش)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
١٠٩. كيرمكسيموس، رسالة في أخص التحديدات الكاثوليكية، مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، رقم التصنيف ٧٤٢.
١١٠. ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٣)، سنن ابن ماجه، د.ط، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية، د.ب.ل.د، د.ت.
١١١. المتطبيب، نصر بن يحيى (ت ٥٨٩هـ)، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، د.ط، (تحقيق محمد الشرقاوي)، مطبعة دار التأليف، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.
١١٢. مرتضى، بسام (١٩٩٤م)، المسيح بين القرآن والإنجيل، ط١، بيروت، دار الحق للطباعة والنشر.
١١٣. مرجان، محمد مجدي (٢٠٠٤م)، الله واحد أم ثالث، ط٢، القاهرة، مكتبة النافذة.
١١٤. _____، المسيح إنسان أم إله، ط٢، القاهرة، مكتبة النافذة.
١١٥. مشرقي، صموئيل رزق (١٩٩٥م)، حقيقة الثالث والرد على المنكرين، ط١، القاهرة، مطبعة أوتو برنت.
١١٦. ابن المقفع، ساويرس، الدر الثمين في إيضاح الدين، د.ط، شركة الطباعة المصرية، القاهرة، د.ت.
١١٧. المكودي، عبدالرحمن بن علي (ت ٨٠٧هـ)، شرح ألفية ابن مالك، ط٢، شركة المشاريع للطباعة والنشر، د.ب.ل.د، ٢٠٠٧م.
١١٨. منصور، القس يسيء (١٩٦٣م)، رسالة التثليث والتوحيد، ط٢، الإسكندرية، مطبعة الإسكندرية.
١١٩. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار الصادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٢٠. الميداني، عبدالرحمن حبنكة (٢٠٠٩م)، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط١٠، دمشق، دار القلم.
١٢١. الميداني، عبدالرحمن حبنكة (٢٠٠٤م)، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط١٢، دمشق، دار القلم.
١٢٢. مينا، القمص ميخائيل (١٩٨١م)، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، د.ط، القاهرة، مؤسسة بيدر للطباعة، المجلد الأول.
١٢٣. _____ (١٩٧٥م)، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، د.ط، القاهرة، مطبعة النصر، المجلد الثاني.
١٢٤. النجار، أغناطيوس سرقيس (١٩٩٦م)، التوحيد المسيحي، د.ط، جونيه- لبنان، المطبعة البولسية.
١٢٥. نجيب، إسحاق (١٩٧٨م)، التجسد وأحداث الميلاد، د.ط، د.ب.ل.د، مكتبة مار مرقس.

١٢٦. نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، **دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، ط١، (ترجمة حسن فحص)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
١٢٧. النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد، **المهذب في علم أصول الفقه المُقارن**، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٩٩م.
١٢٨. نوف، أقفراف سمير، **تاريخ الكنيسة المسيحية**، ط٩، (ترجمة الكسندروس مطران حمص)، مؤسسة خليفة للطباعة، دبلد، ١٩٤٦م.
١٢٩. الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني (ت ١٣٠٨هـ-١٨٩١م)، **إظهار الحق**، ط٢، ٤م، (تحقيق محمد ملكاوي)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م-١٤١٣هـ.
١٣٠. الهيتمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، د.ط، (تحقيق حسام الدين القدسي)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٣١. **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، د.ط، القاهرة، ترجمة وطباعة شركة ماستر ميديا، د.ت.
١٣٢. **حتمية التثليث والتوحيد وحتمية التجسد الإلهي**، د.ط، (تقديم الأنبا تواضروس)، كنيسة القديسين مارمرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء، دبلد، ٢٠٠٢م.
١٣٣. **معجم اللاهوت الكتابي**، ط٤، (إشراف وترجمة المطران أنطونيوس نجيب وآخرون)، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩م.



CHRISTIAN TRINITY

PRESENTATION AND CRITICISM

By

Fuad Mohammad Ali Onizat

Supervisor

Dr. Marwah Mahmoud Khorma

ABSTRACT

This study examines the talk about the Christian Trinity - presentation and criticism, the study has been divided into chapters, sections and demands, and the most important thing, which stated:

Chapter I: the researcher talked about the Christian Trinity and the concept , functions and its significance for Christians, and mentioned the incarnation and redemption and sin inherited, and he cleared that Christians believe that Trinity is a secret that mind can not realize it, and It does not contradict with the mind, it is above the mind. Christians believe that the Father is the source of two persons existence, then contradict themselves by saying the equality of the three persons. The researcher mentioned their proofs on the Trinity from the Bible , the mind and ecumenical councils, and clarify that they had no clear evidence of the Bible on the Trinity, all their evidences are just indicators which are not suitable to protest against a key issue in the faith, but their mental evidences were just claims which need a proof, which is in fact just a talk no a mental evidences. Christians tries to prove their faith by the words of the passionate far from the mind logic, and there was no statement of the doctrine Trinity, except in the ecumenical councils.

Chapter II: The researcher proved the oneness of Allah from the Bible itself, and disprove of the Trinity and responded to the Christians evidences from the Bible and the mind. The researcher used in rebuttal evidences for two bases agreed between Muslims and Christians, namely: the necessity of the fact that the evidences should be explicit, and the necessity of interpreting the texts inconsistent with the perfection of Allah Almighty. The researcher proved the contradiction of all texts quoted by Christians to those two rules. The researcher found that Trinity is impossible in logic, and it is not over the mind as they said, but it is contradicted with the mind . The researcher concluded his research by disproving the Christian Trinity from the Holy Quran.

Lastly, The conclusion, which contain the most important findings and results found by the researcher.